

قلادة البحر
في
غرائب البر والبحر

الجزء الاول

في غرائب البر

لمؤلفه سليم كساب عني عنه

بالرخصة الرسمية من مجلس معارف ولاية بيروت الجديدة نمرة ٤٧٠

٢٤ تشرين الثاني سنة ٢٠٧

حتى اعادة طبعه محفوظ للمؤلف

طُبع في مطبعة الامبركان في بيروت سنة ١٨٩٢

مقدمتہ

حمداً لمبدع الأكوام الحكيم. المتنوع الحيوان والنبات والاقليم. أما بعد
فلما كانت غرائب الخلق العجيب. مما يصبو اليه كل عاقل ليبس. للوقوف
على نخبه انواع النبات والحيوان. وعجائب الاقاليم والامصار والبلدان. واستطلاع
نبا العوائد الغريبة عند بعض الشعوب. والالام بما لها من الانواع والضروب.
وكانت لتتنا العربية خالية من مجموع مثل هذه النصول. التي توسع دائرة
المعارف والعقول. خصوصاً لثبيان وفتيات المدارس والبعال. المنوط بهم
ترقي الوطن في الحال والاستقبال. رأيت ان أؤلف كتاباً يجمع شتات هذه
النوائد. وينظمها نظم اللآلئ في القلائد. يحوب بقارئه غياض البسيطة ويأديها.
ويطوف به بين شامق طودها وغور عقيتها ويأديها. ويتراء ابصاره في ابداع
خائلها وجأتها. ويريه نوادر حرماتها ونباها. ويكشف لديه السمر. عن كل
اقليم وقطر. من جدد التطبين الى هير خط الاستواء. وما فيها وبينها من
غرائب الجمادات والاحياء. ويفرغ به قرار البحار. فيعابن ما سمع فيها وطار.
من حيوت لا تراه الا بالمجهر. الى التين والمحوت الاكبر. فكانت جاب العالم
الوسيع. وشاهد اعجب ما تحت الرقيق. وهو متوسد اريكة راحته وسكونه.
يقطف ثمر الخنائق من افئافه وغصونه. ويجمع البسائر والابصار. بما يفنيه عن
مشقة الاسفار. وقد جمعت اكثره بعد الدرر. والتشبيب والامنان. من افيد
الكتب واحسنها هذا الشأن. وراعت به الاختصار والبساطة والانجام. كي
لا يمل من درسه شيخ ولا كهل ولا غلام. وهو يصلح ان يستعمل بعد كتب القراءة

كالدرّة الثريّة والمدارج . يتخرّج به الأولاد ويتطرقون الى اقوم المناهج .
 وطبعتُ بعض فصوله بالحرف الكبير والشكل الكامل لضبط الكلام .
 واتصرتُ في غيرها على الحرف البسيط كما يقتضيه المقام . وزينته بصور بعض
 النبات والحيوان . ما يزيد مطالعته وقمًا في الاذنان . والتفضل في ذلك
 لجباب انتم الفاضل الدكتور فذري حسب مدير المطبعة الامبركيّة . الذي
 بذل جهد المتطوع في جلب هذه الرسوم البيّة . ولم يرضّ بالنقّات والاعتاب .
 حرصاً على اكمال قائمة الكتاب . نشأته في كل مشروع مفيد يأتي بالناثرة
 والنجاح . ويعود على الوطن بالترقي والصلاح . فحق له الشكر الجزيل . والشانه
 العاطر الجميل . وقد سميتُ كتابي هذا قلادة النحر في غرائب البر والبحر .
 وحثتُ مائلاً الثراء الكرام العفو . عن كل زلل وقع فيه وسهو . فان لله وحده
 العتمة والكمال . وعليه الاتكال في كل حال . وهو المسؤول ان ينفع به
 مطالعيه . وتروق لم فصوله ومعانيه . فأحسب ذلك خيراً منه تستوجب الشكر
 المحسن . وتفتح على خدمة العلم والوطن . في عصر سيدنا ومولانا الخليفة الاعظم
 الجليل . المسيح علينا مطارف نعمته الوارفة الظليل . والمهد لنا
 تحصيل العلوم والمعارف في اقوم سبيل . دامت تقيدي
 لنا به ديارى العدل والسلام . وأيدّه
 المولى بلا تكتو الكرام
 على مرّ الأيام
 آمين

الجزء الأول

غرائب البر

العالم القطبي

هلم بنا نغذ^١ السير إلى إقليم المنطقة النجمية وترقى
 على سلم الأفكار ذروة خشام^٢ ينطح رأسه العحاب ونجمل
 الطرف في إقليم القطبة الشمالية نرخت أقدامنا بجراسانلا
 عجاجا لا تلح فيه ولا جهد وفرت فيه الحياة الحيوانية. وقد
 أنجس ينبوع هذا الشهر العجيب على رأي أكثر الجغرافيين
 من خليج المكسيك في خط الاستواء وجرى تيارا حارا إلى
 ما وراء المنطقة الجهدية عن طريق سبتريجن وزيمبلا
 الجديدة. وكان هذا البحر في طي الخناء إلى أن كشفه الدكتور
 مانز في تجريده كين العلية سنة ١٨٥٢. ثم نشأ ورز هذا

أَيْمٌ نَزَتْ دَوَائِرُ وَفِيهَا تَأَلَّفُ مِنْهَا الْمِنْطَقَةُ الشَّمَالِيَّةُ
الْبَرْدَةُ وَفِي حَاجِزٍ أَوْ سُرٍّ جَبَدِيٍّ وَمَنَاوِزٍ وَفَدَائِدٍ جَرْدَاءٍ ٥
وَعِيَاضٍ خَضْرَاءٍ فَسِيَّةٍ

وَيَا يَحْرُبُ عَنْ فِطْنَةٍ مِنْ طَالَعِ تَارِيخِ الْقُطْبِيِّينَ أَنْ نِطَاقَ
أَجْمَدِ الْمِنْطِقِيِّ الْجَمْرِ الْقُطْبِيِّ بَلِ الْقُطْبَةُ نَفْسُهَا كَانَ مُشْهَدٌ
كِدَاجٍ وَصِدَامٍ تَبَيَّنَ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَجِبَارِ الثَّلُوجِ الصَّنْدِيدِ ٥
السَّيِّدِ سَيَادَةِ مُطَافَةٍ فِي تِلْكَ الْأَفْطَارِ النَّصِيْبَةِ الْهَوَاجِلِ ٥ وَكَانَ
خَرَقٌ ذُنَابِ الْحَاجِرِ مَطْمَحَ أَبْصَارِ الْهَكْتَشِفِينَ الْعِظَامِ وَمَصْرَعِ
أَلْفِ مِنْ الرِّجَالِ الْبَسَلَاءِ . وَأَنْ أَقْصَى نَقْطَةَ شِبَالِيَّةٍ بَلْخَهَا
الْإِنْسَانُ لِأَنَّ تَبَعْدُ عَنِ الْقُطْبَةِ سِتُّ مِائَةٍ مِيلٍ . وَلَمْ يَبْصُرِ
الْهَكْتَشِفُونَ إِلَى هَذَا النِّجْمِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا فَقَطْ . لِأَنَّ
عَسْرَ السَّيَاحِ وَوَقْفَةَ الْأَخْطَارِ وَقَرَسَ الْبَرْدِ كَانَتْ وَلَمْ تَنْزِلْ
مَوَاقِعَ كَبِيرَةً تَحُولُ دُونَ تَقَدُّمِهِمْ إِلَى مَا وَرَاءَ هَذَا الْحَدِّ . فَقَدْ
يَهْبِطُ التَّرْمُونِيُّ فِي الْمِنْطَقَةِ الْبَارِدَةِ وَفِي دَاخِلِيَّةِ أَسْيَا
وَأَمِيرِكَا وَفِي مَا وَرَاءَ ذَلِكَ إِلَى ٥٠ أَوْ ٦٠ فَوْقَ تَحْتِ
الصُّفْرِ . وَكَثِيرًا مَا يَجْعَدُ الزَّبَقُ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ بَلْ يَهْبِطُ
تَّرْمُونِيُّ الْأَلْكُحُولِ فِي أَقْصَى تَحُومِ وَطَنِهَا الْإِنْسَانِ فِي

الْمِنْطَقَةُ الشِّمَالِيَّةُ الْمَجْبُودَةُ إِلَى ٦٠ أَوْ ١٠٠ ف تَحْتِ
 الصِّفْرِ . وَكَانِي بِهِتْرَضِ يَقُولُ " فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ
 الْإِنْسَانُ الْحَيَاةَ فِي هَذَا الصَّرْدِ وَالْهَوَاءِ الزَّمْهَرِيِّ ^(١) وَجَرْدِ
 ذِكْرِهِ يَكَادُ يَجْهَلُ ابْنَ الْبِلَادِ الْمُعْتَدِلَةَ عَلَى الرَّعْشَةِ وَالرَّعْدَةَ
 فَجَبِيهُ بِقَوْلِنَا إِنْ كَسَاءَ الْفَرَوِ وَالْأَعْنِدَاءَ بِالْأَذْهَانِ وَالزُّبُوتِ
 وَسَكَنَ الْأَحْفَاشِ ^(٢) الْوَاطِيَةِ السُّقُوفِ الْمَشْتَعَلَةَ فِيهَا الْكَوَابِئُ
 أَوْ مَصَابِيحُ الزَّيْتِ وَبِنِيَةِ الْإِنْسَانِ الْعَجِيْبَةِ الْمَلَائِمَةِ تَغْيِرَاتِ
 سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَحُبِّ الْوَطَنِ أَوْ الْأَكْتِشَافِ مِمَّا يَجُولُ
 الْبَشَرَفُوقَةُ عَلَى تَحْمِلِ دَلِيْلَةِ الْفَرِّ ^(٣)

(١) نرع (٢) الجبل العظيم (٣) بنجر (٤) الفلاة لا عشب
 ولا ماء فيها (٥) السيد الشجاع (٦) الأرض الخالية (٧) فخرت هبت
 (٨) البرد (٩) الفارس (١٠) البيوت الصغيرة (١١) شدة البرد

منطقة القطبة الجرداء

أما المنطقة الجرداء أو السبابس ^(١) الباردة فتتمدُّ جنوباً من السواحل
 الجردية إلى البحر القطبية فتتأخَّم إقليم الغياض المكتشف بأكاليل الاخضرار
 اللدائم. أما تجرد هذا الاقليم من الأشجار فلم ينشأ في الغالب من ارتفاع الأطوال

الثالثة بل من الصراصير^(٢) المأبة على جرائر الأوقيانوس القطبي وبر السواحل
 انسيباً مبرياً لا يصدّه معقل ولا حاجر . فتفتنى اصلب الاشجار واضخمها تمت
 صدمتها الشديدة الى الارض . فلا ترى شيئاً بصميك^(٣) بكأبة القلب مثل
 حزون^(٤) سيديريا ويراد بها الجرداء الواسعة الاكاف . فانك تشاهد هناك
 انشاب الظليلة والعرغ والثام^(٥) وهي النباتات الوحيدة النامية في تلك
 البقاع . وترى الخلي^(٦) الزهيد والازهار الصغيرة لاجئة الى الخال الظليلة
 لتتود^(٧) عن حياتها . ولكنها لا تكاد تلتطف وحشة تلك الصفاصاف^(٨) الغمقة
 فتمى هجر الحيوان ذلك التطر شتاء ورحل يطلب ملجأ في الكهوف والاعوار
 والسفوح ساد هناك الصمت الطويل . غير انه يتحلل ذلك السكون نعب
 انبوم وخباج^(٩) الثعالب . لكن متى برزت الارض في الربيع من تحت بحرف
 الشخ انثابت واخذ جمد البطائح بالدوبان عادت اسراب الطيور والكواسر
 فتبدل المشهد الكئيب بضعة شهور باجل منه . فان الفطرة العجيبة تعلم كئائب
 الخبيات هذه وتودها من الاقاليم البعيدة الى الصحاري القطبية حيث تجب في
 الثغرات والبحيرات وعلى ضفاف الانهر والاضحال^(١٠) والارياض الغاصة بالاسماك
 زاناً وافراً . فهناك تبني اوكارها وتأي اوكنها^(١١) وتربي فراخها بغاية الامن
 والسكون . وبكث بعضها في ضواحي الادغال ويطير غيرها شمالاً فتضع بيورها
 على ادم الصحراء

وتبع النور والبواشق آثار الطيور الساجنة والمأحلية فتري اسراباً من
 العنبان تحوم بين العليق والفتاد . ومتى بزغت الغزاة سمعت صبح الزفافية
 وطائر الخج

غير ان حرارة الصيف لا تجذب هذه الطيور الراحة فقط الى هذه
 الصحاري القطبية بل تدخل الاسماك الانهر اطاعةً لظننهما التي تضطرها الى
 مغادرة الابحر والبحري الى الانهار لوضع صغرها^(١٢) في مياه الانهر والبحيرات
 العذبة . وفي هذا الزمان ترحل الرثة عن الادغال لتنتج كلاً المناوز وتطلب

في السواحل ملجأ من الذباب اللذاع الذي يطير جيوشاً لا تُحصى في تلك البطاح
وهكذا تبرز هذه البوادي شهوراً بجلَّة حية جديدة . وكان للانسان من
ذلك النصب الاوفر . لان طيور السماء واسماك الماء وحيوانات الارض توذي
له جزية الخضوع لاشباع جوفه وكسوة جسمه ووفرة ارباحه

ولكن حالما ينذر صقيع ايلول بوشك قدم الشتاء تسرع سائر الحيوانات
ما عدا التتر اليسير الى هجر اقليم يسلب المكث فيه حياتها . فيعود الأوز والبط
اسراباً . وتشد الطيور الساحلية في الاقاليم الواطئة ارضاً رافقاً حيث تمكثها
مناقدها الحادة من ثقب الارض تنبتاً عن طعامها . ويرحل دجاج الماء عن
البحجان والبراغيز التي كادت تُمدُّ بالجهد وتووب الرنة الى الغابات . فلا تقضي
بردة حتى لا يبقى شيء يجمل الانسان على المكث في هذه الصحراء القاحلة . ولا يمر
زمن يُذكر حتى ترى الثلوج الكثيفة قد غطت الارض الصلدة^(١٢) والجيرات
المتجلدة والامهر المنطقة بالجد فاحتجبت تحت برقعها الابيض سبعة اشهر او ثمانية
او تسعة الا حيث هبت الرياح الشمالية وجرفت بهبوبها بعض الثلوج فبدت
جلاميد الصخر للابصار

فمنه الثلوج التي تدوم كاسية اديم الثرى الى ان تذيبها ايام الصيف تحي
نبات الاقاليم العليا من برد الشتاء الطويل الفارس حامية نافعة جداً . فلها
الكساء الثلجي وحرارة الشمس المحيطة بالافق ربع ايام السنة او ثلثها فضل عظيم
على ذلك الاقليم . فانها ينميان القوة النباتية في زمان يكاد لا يُصدق نمو عجيبياً
حتى تشابه ارض واشطون وغرينل وسبتبرجن بازارها ورياحها

- (١) الارض البعيدة المستوية (٢) الريح الباردة (٣) يجلب بك
(٤) سهول (٥) انواع من النبات (٦) الحنيش الرطب
(٧) للحماية (٨) المستوي من الارض (٩) صوت الثعلب
(١٠) المياه الرقيقة (١١) يوعها (١٢) يعضها (١٣) اليابسة

غابات الاقاليم القطبية

ان مساحة هذه الغياض اعظم من السهول التي تطوقها . فاذا تصورنا عرض هذه المنطقة البالغ من الف الى الف واربع مئة ميل رأينا ان غابات الامازون التي تغطي مساحة تزيد عن بريطانيا خمس عشرة مرة مجالا لا يُعتدُّ به بالنسبة الى هذا الاتساع الجسيم . وهذه الآجام تباين^(١) غياض الاقاليم الاستوائية . فان اشجار تلك متنوعة الأشكال والاجناس واما هذه فمؤلفة في الغالب من جنس واحد تحمل اثمارا مخروطية الشكل كالصنوبر والشربين وتغطي مساحة ارض عظيمة

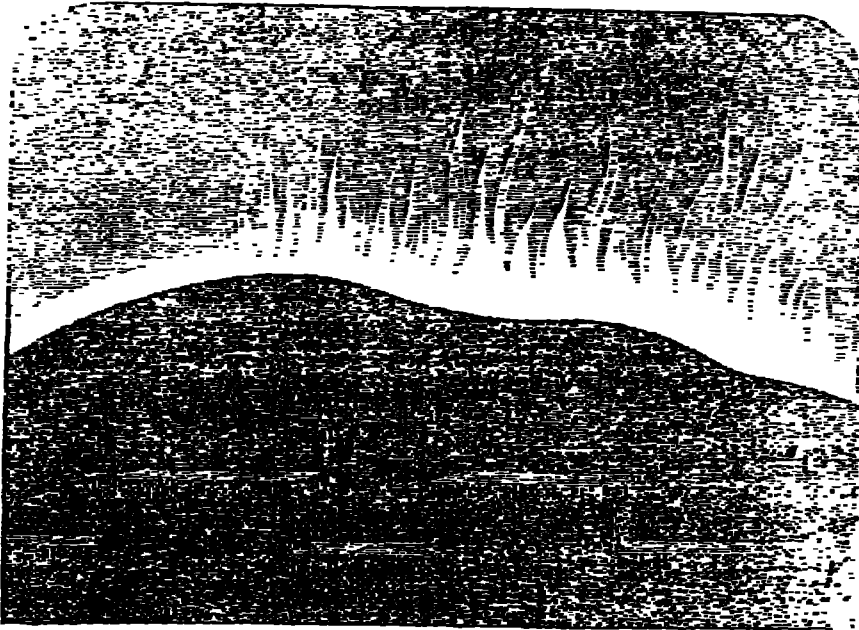
وما يميز هذه الغياض ايضا علامات الصبا البادية على ظواهرها والتضاضة^(١) الطبيعية . اما علة ذلك فظاهرة وهي قصر مدة الصيف فانها وان اطلعت فروعها جديدة لا تنطويها الحرارة وقتا كافيا لانماء الخشب وتفخيمه . ولذلك كان نمو الاشجار يبطؤ كلما تقدمت شمالا

اما صفة الآجام القطبية الثابتة فهي سلامتها من البوائق^(٢) والافات . فان السامح لا يصادف هناك نباتات سامة . ولا افاعي قتالة تنساب بين الجبطل^(٣) ولا تماسح تكمن في الغنمة ولا عقارب لذاعة حتى ان الضواري كالذئب والذئب في اقل فتكا وظلم للدماء من وحوش المنطقة الحارة المائلة بل يندر وجود الشوك والعلين في تلك البقاع

(١) تخالف (٢) الطراوة (٣) الدواهي (٤) الشجر
الكثير المتفت

انوار الافق الحمراء والشفق الشمالي

ان الطبيعة وإن اكتست في القطبتين بكساء الجفاء والعبوسة ترى
لاوضاعها العالية جمالاً بديماً خاصاً . فلا شيء يفوق غروب الشمس القطبية
بهاء . ولا الجبال الشامخة^(١) المكسوة بالثلوج والافق الزاهي بألوان الالوان ولا
ابعد من تألق^(٢) الدراري ليلاً الزردانة بالقرم الملائني الذي يمتطى الافق



الشفق القطبي

اياماً كاملة . ولا يغيب حتى يكمل دورانه الطويل الهبي . وما يزيد محاسن هذا
المشهد النفيس بياض تلك المهاد الناصع^(٣) وشفافية الجلد الصافي . ذلك كله
يقود سكان تلك الانحاء عند ما يضرّبون في تلك البوادي والبطائح والانجاد
ويرشدون الى المصائد وابواب الرزق
ومن غرائب الطبيعة هناك ركام^(٤) الجهد وجماله وذلك منظر بديع

يذهل العقول . فلا تظهر هذه الجلايد البلورية باهى جمالها الا متى كسها
شمس نصف الليل بمطارف^(٥) الشفق الباهر فتراها عن بعد ككل معادن صقيلة
لامعة او مشاعل ملتهبة صلدة . ولكن متى تفرست بها عن قريب رأيتها مضاب
مرمر شفاف مرصع باللاتى والجواهر الكريمة . وعابنت الآقان الخنادل^(٦)
البلورية لامعة تندقق في البحر من جوانبها . وهذه المياه تنطلق شائب^(٧) من
جبهات الفج والجمد اللاتب المستقر ساكنا في اوديتها

ولكنك لا تشاهد بين كل تلك الصور الجميلة منظرا اجمل من الشفق
الماسح الالباب . فتمى سدل الشفق ذبولة على الارض المكسوة بالتلوج ورأيت
البحر تلع لمعانا قائما بين الغمام الذي يعم نورها في الاطوال العالية لاح لبصرك
فجاءة قوس انوار عريضة صافية مششرة على الافق في الجهة التي اجازها خط
نصف النهار المنطبي . فقد تمكك هذه القوس ساعات تموج وترقص وبهتت
ذمابا واياها فترسل نحو ذروة الافق جلاول انوار بارقة حمراء وصفراء وزرقاء
وارجوانية . وقد ينبعث هذا الوميض من تلك القوس فقط . وقد تترامل هذه
الانوار وتموج في جهات الافق المتحاذاة وتولف بجرا نارا فحيجا لا تنفك
امواجه تثير اوضاعها وحركاتها . ثم تجتمع اخيرا فتنبثق منها قبة نارية مدهشة
او اكليل غاية في البهاء . وحينئذ يبلغ المشهد اسمى جماله فيأخذ يجامع القلوب
ثم يزداد لمعان الانهر فتزهو اواسطها بالاحمرار وقواعدها بالاخضرار
وسطوحها بالاصفرار الذهبي ثم تنشب في الجو كوميض البرق اما هذه الالوان
فشفاقة شغوقا يجيب منه . فترى اللون الاحمر رديا كالدم الصافي والاخضر
زمرديا صافيا . ثم اذا التفت من الفلك الملتهب الى الارض رأيتها مشاعل
انوار سحرية تسمي ابصار الناظرين . وشاهدت البحر المظلم اسود خالكا كالتمسق
البيهم يماكس لونه لون المهور الثلجية البيضاء وجبال الجهد البعيدة . فتقال
هذه المشاهد كلها احلاما بجمه او روى مبطت عليك من عالم الارواح
فكانت تلك الانوار وجدت هنالك لتمزيق حجب الظلام الكئيبة المسدولة

على سكان تلك الاقطار والتعويض لم عن احتجاب نور الغزاة اشهرًا متتابعة. فان الشمس تغيب هناك عن الابصار اسابيع متوالية وتنجب ليس باليوم المطبدة بل تقرب غروبًا مديدًا ولا تبرز من خدرها الشتاء برمتيه. فلا تشاهد هناك الاصباح البهية والامساء البهيمية ولا مواجر النهار بل ترى النجوم تاتق كل آن تألقها في النهار اللامس^(١) ونضيء بلعمان او فرما في سائر الاقاليم وفي خلال ذلك تبرز تلك الانوار البديعة التي المعنا اليها وترقص وتوج في الافق فيسير القوم بنورها بل يشتملون ويبدأبون ويصيدون ولولا هذه الانوار لكان سكان تلك البلاد في شر حال واسوأه. ثم يغيب ذلك الاكليل تدريجيًا وتحل قوس الانوار. فترى الامهر قصرت مجاريها وقل حججها وسرعتها وخيمت ظلمة الشتاء على تلك الصحاري الشمالية

(١) العالية (٢) لمعان (٣) الشديد (٤) القطع الكبيرة
(٥) رداء من خز (٦) الترع (٧) الدفعة من المطر (٨) المظلم

بعض حيوانات الاقليم القطبي

ان الانسان سيد الارض في سائر جهات المسكونة قصير الباع ضيق ميلان السعي في هذه الاقاليم القارسة البرد فيجول على اديمها^(١) صامتًا او قانصًا او راعيًا. فليس هناك سوى معمرات صغيرة تنصلها صحاري فسجية وهذا دليل على ضعف حركته في ترسيخ اقدامه على تلك الاصقاع ولندرة الزراعة والصناعة في تلك الاقطار يلجأ الانسان الى الانتفاع بالحيوانات الدنيا سداً لحاجته. فهي مولد رزقه وثروته وموضوع عنايته. فتعطيه طعامًا وكساءً وموادًا للآراء وصنع ادواته القليلة والحلوة. فقد سلحت

الطبيعة هذه الحيوانات سلاح تدفع به عن نفسها من البرد القارس. غير ان ذلك السلاح يعرضها لهجوم الانسان عليها ويجذبها الى قنصها. فان فرو الدب الكثيف والتعلب والسجباب والمخلد وعجل البحر والحيوانات الاخرى القطبية من مواد التجارة الثمينة. وهي ابواب رزق بدوسيبيريا واسكيمو اميركا الشمالية. ولا يخفى ان مصائد كرينلاند ونروج وريش طيور ايسلاند من اعظم وسائل رزق تلك الاقطار

أما الرنة فانفع سائر الحيوانات القطبية. ولا غنى عنه للأبلاندي والمبييري والاسكي. كما ان لا غنى للبدوي عن الابل وللبيروفي عن البغل ولهندي اميركا عن الجاموس ولساكن جزائر اوقيانوس الهندي عن نخيل جوز الهند. فذلك الحيوان العجيب حيا كان او ميتا يزود الابلاندي المجد بمنافع اربعة حيوانات مفيدة وهي الفرس والبقرة والغنم والماعز المتمتع بها سكان الاقاليم المعتدلة وهو حيوان يسهل دجه^(١) وتأمله. بل يدرا^(٢) عن صاحبه تسب طنو وتفتنو. لان العناية خصته بسليقة غريبة لا تحظى^(٣) وهي الحفر برجليه على الخلب والعشب بين الثلوج لفصيل قوي. فكما ان الجمل يجذب سفينة اوقيانوس الرمال بعد الرنة حمل بحر الثلوج

(١) وجهها (٢) جملة البنا (٣) يدفع

الْقُطْبُ الْجَنُوبِيُّ

إِنَّ وَحْشَةَ الْقُطْبِ الْجَنُوبِيِّ تَفُوقُ عَلَى الشَّمَالِيِّ. فَلَا تَرَى
هُنَاكَ صَائِغًا يَدَّابُ كَأَلَّاسِكِيِّ وَيَطَّارِدُ الدَّبَّ وَعَجَلُ الْبَحْرِ
وَلَا قَانِصًا صَبُورًا كَأَلَّابْلَانْدِيِّ يَتَأَثَّرُ الرُّنَّةَ إِلَى ضِنَافٍ^(٤)

الأوقيانوس الجنوبي . ولا تُشاهد إلا مناوِزاً^(١) موحشة غرب
 عنها الأُنسُ وبلا فح^(٢) لا ساكن فيها ولا سير إلا بعض
 الطيور الغريبة الأشكال . فإن ذوات الأربع لا تعيش
 هنالك ولا يرى شيء سوى ثلوج متلبدة إلى حافة الهياض
 ولا جرم إن من أعظم مناظر الطبيعة في تلك الأقطار
 سلسلة جبال باري التي تبعد عن زيلاندا الجديدة ١٧٠٠
 ميل . ومن أرفع قِمَم هذه السلسلة جبل إيربوس وهو
 بركان دائم الهمجان . فقد أسعد الخط السير جيمس روس
 أعظم المكتشفين في تلك الأنحاء بأن شاهده ثانياً سنة
 ١٨٤١ فكان عهد اللبيب والدخان مرتفعاً ٢٠٠٠ قدم
 فوق فوهة البركان البالغ علوها ١٢٤٠٠ قدم فوق سطح
 البحر . وكانت منظر تلك السلسلة المكسوة بالثلوج
 والأوقيانوس الأزرق من أبدع المناظر . وقد أجمع رأي
 العلماء على وجود قارة واسعة جنوبي هذا القطب . غير أن
 المكتشفين لم يبلغوا تلك الأقاليم البتة . ولذلك كانت
 معرفة العالم بأرجاء القطب الجنوبي مبهمة لا يعتد بها

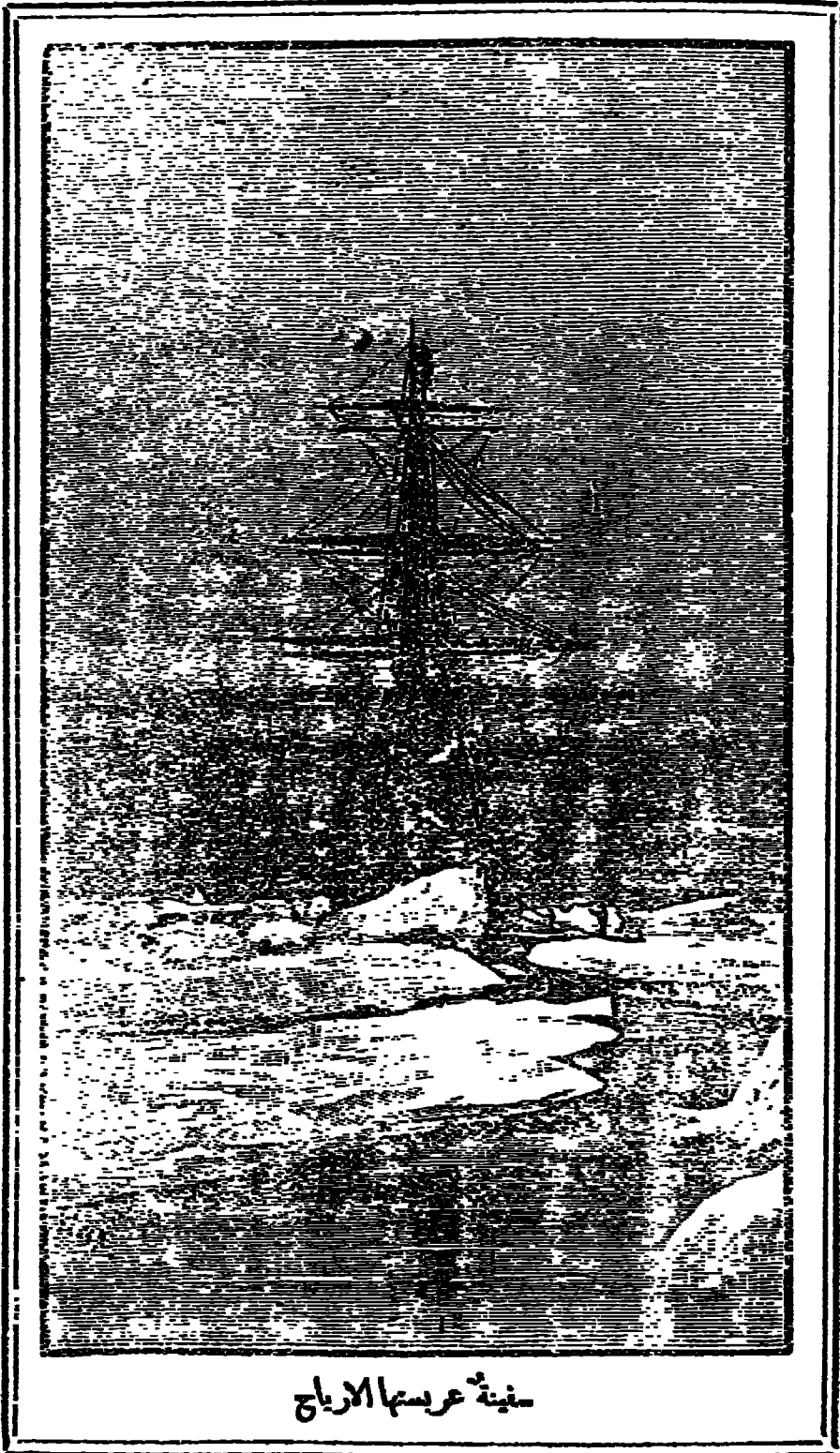
الزقاق الشمالي الغربي والسفن المسجونة في الجهد

استخدم القوم الخجار صانمًا وناقلاً بدلاً من الأيدي والنخل والبرق رسولاً عوض البريد . ولكنهم لم يكتفوا بذلك بل راموا الوقوف على مجاز يودي من الأوقيانوس الأتلاسيكي إلى الباسيفيكي اقتصاداً بالوقت والنفقة . فرغبوا في العثور على زقاق شمالي غربي يسهل لهم الطريق ويقصرها بدلاً من الطواف بأميركا الجنوبية عند رأس القرن أو حول أفريقيا عند رأس الرجاء الصالح فذهب البعض إلى إمكانية السفر في أقصى شاطئ أميركا الشمالية وبلوغ الأوقيانوس الباسيفيكي ومنها هذه الطريق بالمجاز الشمالي الغربي . فلو تسنى الأمر لتصر الطريق أميالاً هدية وإنشأ اقتصاداً جسيماً بالوقت والنفقة فشرع العلماء بالسلاط بالجهد والتفتيش وعثروا على عدة خيجان واجوان تسمت بأسمائهم منها زقاق بافن وخليج مدسن وبوغاز داقس . غير أن عدواً لدوداً ما زال يتعرضهم ويصدّمهم عن انمام مشروعهم الخطير وما ذلك إلا البرد الفارس

فإن البحر يتحوّل في المنطقة المتجمّدة إلى جدي صلب يدوب بعضه صيفاً وتتصل منه قطع كبيرة تعوم على سطوح كالأطواد^(١) وتسبب للمسافرين أخطاراً جسيمة . فإذا صدقت سفينة كسرهما قطعاً . وقد تهلون تلك القطع بالوان بيضاء خضراء وزرقاء وحمراء كالبلور الصافي تفتن الناظرين . أما الملاحون فيجاولون أبداً بجانبها والخيجان عن سبيلها

وأظنك سمعت بذكر القبطان فرنكلين الذي كان شجاعاً مقلماً مغامراً^(٢) أنه عند النية على اكتشاف الزقاق الشمالي الغربي وحاول ذلك مراراً ولكنّه ذهب

١٧ الزقاق الشمالي الغربي والسفن المسجونة في الجهد



سفينة عرسها الارياح

فريسة هذا الاكتشاف. فان سنة لصقت بالجهد ونجحت فيه امدًا طويلًا كان يتوقع في خلاله ذوب الثلوج وإطلاق سراحه فلم يفز بالمرغوب. غير انه اخذ يشجع رجاله ويحرضهم على الصبر والتجهد ويسلمهم بالالعاب والانشاد والتمزيكات على غير طائل. فاقبل الصيف وكاد يتقضى ولم يذُب الجهد. وفرغ الزاد واشتدّ البرد وهجرت الذئب والبعاب ذلك القطر ورحلت عنه الى بلاد ادفًا وتعذّر الصيد في الثلج. فاضطرّ فرنكلين وجماعته الى مغادرة السفينة وجرّ القوارب على الثلوج ونقلها الى مجر سائل لاجد فيه

فكشّر البرد القارس لم عن ناب المنية يفا هم يحاولون ذلك وتفتك بفرنكلين واكثر قومه فتكا ذريعًا. غير ان الباقيين ومن اتى بعدهم بلغوا البحر السائل وراء البحر التجهد بعد معاناة اشقّ الاعباب والمخاطر وفازوا بما كانوا ينامون لاجله ذلك الزمان المديد. ولكنهم رأوا عقيب تلك المصاعب واكتشاف الزقاق الشمالي الغربي انه يتعدّر اجتياز تلك الطريق لتراكم الثلج والجهد في سبيلها. فذهب البعض بعدئذ الى امكانية التعويض عن هذه الطريق بترعة تنصل بين اميركا الشمالية والجنوبية بترع البرزخ الضيق بينها. فاذا تمّ هذا المشروع امكن المسافر الانتقال تارة من الانالتيكبي الى الباسيفيكي بايسر مرام واقصر وقت

ثم زاد الدكتور كين الرحالة^(٢) الشهير على اكتشاف القبطان فرنكلين بأن بلغ فعلاً البحر السائل وراء البحر القطبي التجهد. وكان الموما اليو قد مكث الشتاء كلّهُ معجونا في الجهد. فلما اقبل الربيع وذاب الجهد أمب سنة وسار نحو القطب. وماخر^(٣) نحو اربع مئة ميل حتى رأى قطع الجهد غابت عن العيان واصبح في وسط مجر سائل صافٍ يحاكي ماءً مياه البحور المعتدلة. وكان لون ذلك الجمر ضاربا الى الاخضرار وماءهُ يكاد يكون حارًا. وكانت طيور الدجاج البرّي والراغ والقواص تطير عليه مجبوراً وارتياحاً

أما المواد فكانت عابلاً لابشوية^(٤) برد قارس حتى كاد الدكتور كين

لا يصدق كونه مدانياً القطب الشمالي . فابتعث ابتهاجاً لا مزيد عليه بالشور على
 هذا البحر وبالكرامة والشهرة التي سوف يفوز بها عند ابياه الى الاوطان حاملاً
 بشائر هذا الاكتشاف . فرفع في السفينة الرابطة الاميركية اشارة الى النصره
 والسرور . ولما كانت قد خارت قوى البحارة من الاتعب والمشقات ابوا
 التقدم الى الامام . فاجتازوا برفع اعلامهم فوق تلك البحار والتمتع بمنظر ذلك
 البحر القطبي الذي غامر العدد العديد من العلماء الاعلام تفتيحاً عنه وذهب
 اكثرهم فريسة البرد القارس والمحنتان الكبيرة . ثم عاد المكتشف يجماعته
 الى الوطن

غير ان قوماً آخرين اقتفوا خطواتهم وما زالت المغامرة الى تلك الانحاء
 تزداد بزيادة الاكتشاف والوقوف على حقائق جديدة . ويظن ان مهراً من رفاق
 الخنج البحار يجرى الى القطب الشمالي وان هذا موطن وجود هذا البحر السائل

(١) الجبال (٢) مخاطرًا (٣) الكثير الاسفار (٤) سافر
 بحراً (٥) يصيبه

كلاب المركبات والذب الابيض

الاسكيمو قوم قصار القامة يقطنون المنطقة المتجمدة حيث يشتد البرد
 فيتدثرون^(١) بالفرو والجلود

اما الفرو فمن الذب الابيض الموجود في ذلك الاقليم والجلود من عجل
 البحر اضعف الحجة المستدير الرأس القاطن تلك البحار فيصنعون منها لباسهم
 اما الكلاب فاعظم الحيوانات نفعاً للاسكيمو لانها تقوم عندهم مقام الخيل
 العديده الوجود في تلك الاقطار لتعذر عطنها وطريق سير عليها

فإذا شاء الاسكبي^٤ اضطرَّ الى الركوب في مركبة تجرُّها الكلاب. وهي مركبة لا دولاب لها يصنعها بنفوس من عظام الببال^(٦) ويغطيها بجلد عجل البحر. ثم يثدّها الى الكلاب بسور قدّما من الجلد المذكور. ويسوقها بالسوط^(٧) فتسير به المسافات الشاسعة

ولما كان الدب الايض عدوا للدودا^(٨) لهذه الكلاب كانت مفرمة بطاردته والتك به ونجدة اسيادها على صيده للفوز بقوت وكسائه من لحمه وجزاه. فانارام صاحبها حينها على العدو نادى باسمه (نانوك) فتجمع^(٩) به طمعا بهيده

ويتقدّم هذه الكلاب كلب قطن كبير الجثة خبير بمجاهل تلك الارض ومعالها تلمّا يخطئ الطريق فيضع خطمة^(١٠) على الارض ويشدّ وراءها وكثيرا ما يقسو السائق على هذه الكلاب ولا يشبع اجوافها خاصة في الشتاء. وذلك لتلّة الزاد في هذا الفصل اذ يسرع عليه اشباعها. غير ان زوجته ارقى منه قلبا ولو فر عناية بها. فتضع لما كل ما تستطيع ونسح لما بالاضطجاع في حشمتها^(١١) وتعتني بقرىضها حين الحاجة. ولذلك كانت تحب ربة المنزل حجة شديدة وثبتها ايضا سارت ومتى نادى ناديا بادرت اليها وسحت لها ان تنوطها بالمركبة

وإذا رأت هذه الكلاب ما يوكل عدت اليه فتعدّر على السائق صدها ولو نزل عليها بالسياط بل لا تزاح من مكانها حتى تلتهمه^(١٢) عن آخره. اما الدب الايض فيسكن البرّ والبحر معا واسمه دب الجدل لانه يعيش على الثلوج. وفروه ابيض اللون لين الملس واصابه متصلة ببعضها كالبطّ والاوز ويستطيع السباحة كالسمك. ومتى صعد الى البرّ سبق الانسان عدوا وطرادا فاستحال عليه قصة الأ بالحملة والدهاء والكهون

وطعام الدب الايض الامماك والطيور والثعالب والرثة متى ظفر بها. وهو شديد الضرى^(١٣) ولا سيما حين المغيب^(١٤). والدب يصيد عجل البحر حين

يكون نائماً على الثلج . فينسلل اليه تسللاً لا تسمع به وقع اقدامه . فلا يشعر العجل
الأ وقد امسى غنمة الدب فيقتدره ولا يفادر لاعضائه اثرأ

- (١) يلبسون (٢) الحوت (٣) كراچ (٤) شديداً
(٥) شدة العدو (٦) نة (٧) البيت الصغير (٨) نيلة
(٩) التفك (١٠) المجموع

بيوت الثلج

ان المنطقة المتجمدة خالية من البيوت الحجرية والخشبية لخلوها من مواد
البناء ولجبل الاسكي واللابندي صناعة العمار . فلما مدن هنالك ولا اصدار
ولا صروح ولا قصور بل بيوت ثلجية يسكنونها شتاء ويخرجونها صيفاً . والجمد
عندم بمثابة الحجر الصقيل الناصع ^(١) بينون منه مساكن بأروتها من صبارة ^(٢)
البرد . فتمى كان البيت جديداً رأيتة نظيفاً ايض . ولأنته لا يلبث حتى ينسح
ويكدر لونه . وتمى اقبل الصيف يدوب

ويضيئون في تلك المنازل الثلجية سرجاً وقودها شم الحوت وعجى الحجر
ودهن الأسماك . بضرته في صحاف ضمها فتناديل عديدة . ويستعملونها كحجامر
للدفء والطبخ والانارة . وذلك بان يعلتوا الطاجن ^(٣) فوق الصفيحة المنضبة
فيطهون ^(٤) عليها اسماكهم التي كثيراً ما ياكلونها نيئة ولما لم يكن لهذه البيوت
مداخن يتساعد الدخان ويملا الغرفة ظلاماً وكتناً وقناراً ^(٥) ورائحة كريهة .
وكوى البيوت مصنوعة من جمد ايضاً . لا ترى فيها كراسي ولا موايد ولا
خراثن . لان القوم هنالك يجهلون صنع هذه الادوات والامتعة وتعوزم موادها .
فيشيدون حول الحجر دككاً ^(٦) ثلجية او مقاعد يغطونها بجلود اللجوس والاضجاع

والثلج يحوّل في هذه الاقطار الى جمد صلب يكاد يحاكي الحجار ويدوم
 الشتاء كله . ومتى حي البيت بالاضواء وانفاس البشر اخذ يدوب . فيسك
 الاسكبي قطعة ثلج جديدة ويدلك بها محل القطر فيصلح الخلال في الحال



التردي على الثلج

ومتى جاء الصيف يُسرّ الاسكبي بالخروج من بيتو الثلجي لانه يفتا يكون
 مضطجماً في فراشه ياخذ الثلج بقطر عليه . فيورثه الزكام او التلة الصدرية

فيقادره الصيف بأسره ويسكن في مضرب يضربه لنفسه في انجاد ذلك انظر
وصعبه

وقد يثر الاسكي على اخشاب تأتيه عنوا من بلاد غرية محمولة على
مجاري المياه ومجروقة على السواحل . فيأخذها ويبنى بها مسكنا . واذا تندر
وجودها بنى مأواه من الجمد كما تقدم القول

ولما كانت هذه الاصقاع قارسة البرد وافرة الجمد طوبلة الشتاء استحال
نمو الاشجار والنباتات في تربها . ولذلك خلت من الغلال والبقول والثمار .
وكان قوت سكانها الغالب الاسماك وعجول البحر والادهان الملائمة برد ذلك
الاقليم

فاذا قابلت ايها القارئ نفسك بهؤلاء النوم وتأملت مجرماتهم من أكثر
وسائل الراحة والرفاه والنعيم وبما انت متمتع به من تضارة العيش ورخاوي
الآجلى قلبك سرورا تشكر الخالق الجواد الذي ميزك بهذه النعم الثمينة
والمواهب الثمينة

(١) الشد يد الياض (٢) شدة (٣) نوع من القدر (٤) يطبخون
(٥) دخان اللحم (٦) مصاطب

الكرينلندي والحوت

ان الكرينلنديين همجرون ميونهم صيغا لصيد الحوت او البال المسهي
ولرس . ولها الحوت في شفته العليا عضو مستطيل يشاكل الحربة . فيركبون
القوارب المصنوعة من عظام الحوت والمغطاة بجلود عجل البحر ليدراوا (١)
عنهم الببال

ثم يأخذون بطاردة هاته الحيتان التي تعيش في البر والبحر على السواء .
فتساقط الى الماء بعضها فوق بعض وتعدو فراراً من حرمة الصياد . غير ان
القاصدين يجذفون وراهما انقرب فيأخذ منها الفخيل كل مأخذ وتبدي شجاعة



ولرس

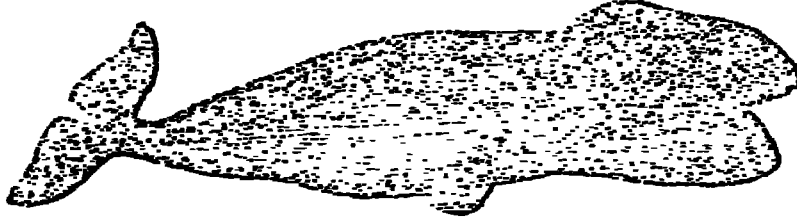
وتحمساً لا مزيد عليها . فتحيط بالزورق^(٢) وتحاول قلبه بمن فيه . فيجاهد
الصيادون معها جهاد الابطال ويرشقونها بالحرايب والنبال ويطعنونها
طعنات كبيرة الى ان تنضب المياه بدمائها وتسقط مائة

والكرينلندي مغرم بصيد هذه الحيتان لانها نافعة له كل النفع ولا سيما
اسنانها البيضاء اللامعة . فانها عاج نفيس يتاجر به ويتقات بلحمها ويستضيء
بشحمها ويكتسى بجلدها

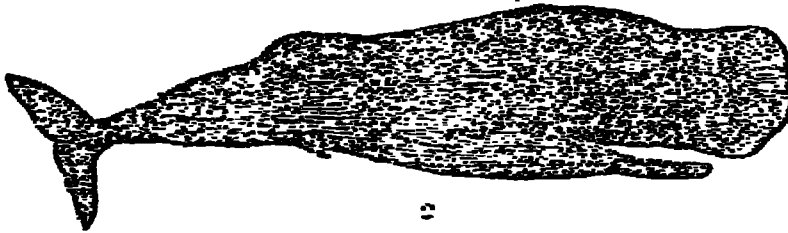
ولمذة الاسنان فائدة كبيرة للحوت فانه ينشعبها في الجهد ويمجر نفسه
بواسطتها . ومع ان هذا البال ضخ الجثة واسنانه هائلة المنظر فلا يضرب بالصيادين
ضرباً نادحاً^(٣) . اذ ليس له في مقدم فوه اسنان ويتعدر عليه اكل اللحم
فياكل اعشاب البحر والحويوانات الصدفية . واذا هاجمه الدب الابيض دافع
عن نفسه باسنانه التي هي سلاحه الوحيد

اما بيوت الكرينلنديين فبنيّة من حجار ضخمة ومعقوفة باخشاب تسوقها

مجارى المياه. ولا كان برد تلك البلاد قارساً خلت من الأشجار والمحوب واضح
الكرينلندي ضئيلاً^(٤) جداً باختنايه فلا يستعملها وقوداً بل يدفى بيته بالمصباح



٤



٥

البال

الكثير النائل كالاسكي ويقطن المتزل الواحد عديم عيال كثيرة تفصل
كلّاً منها حواجر خشية. ولذذ السيوت طاقات وكوئى ضيعة جداً لا يدخلها
الآ التتر^(٥) القليل من المراء. ومتى دخلها احد يجب ان يزحف على بطنه في

دهليز مظلم

والكرينلندي مولع كالاسكي بصيد عجل البحر طعاماً بلحوم. ولا يقنأ معلقاً
وعاء الطخ على المصباح النهار كله. واذا زار زائر قدم له قليلاً من اللحم على
سبل الضيافة. ويستعيز الكرينلندي بهذه اللحم وبما يصيده من الرنة عن
المحوب والبقول اذ لا وجود لها في تلك الربوع

(١) ليغيبوا (٢) سفينة صغيرة (٣) شديناً (٤) بجيلاً

(٥) ما لا يُعدّو

لابلندا واللابنديون

لابلندا واقعة في أقصى شمالي أوروبا عند المنطة المتجمدة. وأهلها قصار القامة يسكنون المضارب. فتراهم تارة يتسمنون^(١) الجبال ولونة يتبطنون الرهاد^(٢). حرصاً على حيوان ثورقف عليه معيشتهم وهو الرنة. فتمي اقبل الصيف يظهر بعوض لذاع يلذع الحيوان المذكور فيؤله فيفرّ الى الجبال فيتبعه اللابندي حيث يضرب خيمته. ومتى جاء الشتاء يغيب البعوض فيسوق اللابندي رنته الى السهول

أما خيمة اللابندي فصغيرة ضيقة الباب حتى لا يكاد الانسان يدخل فيه. وليس لتلك الخيمة مدخنة فيخرج الدخان من منشد صغير في اعلاها ومتى خرج سود وجوه سكانها فامسوا كالزوج. ولا يضيئون في تلك الخيام مصابيح او شموعاً بل يقتضرون على ضوء النار. ويجلسون ويضطجعون على جلود منشورة على الارض. ولا اناث عندهم ولا رياش^(٣) الا ما ليس جديراً بالذكر ولا ساعات عندهم لمعرفة الوقت بل يستدلون عليه بالنظر الى الشمس والغني عندهم من وفر عدد ما يملكه من حيوان الرنة. لان اللابندي قلماً يأكل سوى لحمها ولبنها ومتى قدم الشتاء وطار الدجاج البري الى اقطار اخرى وجد ما هاجر حتى تغدر صيد الاسماك يذهب الى قطع الرنة ويندج منه حيواناً فيقوم عنده مقام الغنم والبقير

ويحلب اللابندي اناث الرنة مساء ويمتزج منها لبناً خائراً حلواً تنوق لذته لبن البقر وتصنع منه زوجة جيتا. غير انه لا يصنع السمن ولا يستعمله في طعامه

وفضلاً عن نفع الرنة للحوم والالبان يجر المركبات على الثلوج بدلاً من الخيل اذ لا وجود لما عندهم. فينوط اللابندي قرونها بسير جلدي عوضاً

عن اللجام ويسافر اميالاً عديدة بدون مانع . ويصنعون هناك من جلد الرنة
كساءً وبساطاً ودثاراً وكنما يتفرون اليه من الرياش . وعليه أصبحت حياتهم
مرتبطة كل الارتباط بهذا الحيوان لانه يكسوهم ويقوتهم ويقلمهم من مكان الى
آخر فلا بدع اذا احبوه وقدروا به غنام
اما قوت هذا الحيوان فالاشنة النابتة تحت الثلوج . ومتى اقبل الشتاء
وكثير الجهد يجول بفنش عن الطخاب . فيبتش بخطبه الثلج وبلغ سميت الاشنة
ويأخذ بيلغ بها قافماً . وليس لهذا الحيوان مأوى اوزربية فيجول في القلوات
فوق الثلوج تحت البرد القارس ولا يلج به ضرر . ولو عاشت الخيل والابنار
هناك على هذا المنوال لتبليت عن آخرها . اما الرنة فقد خص بها الخالق
الحكيم تلك الاقطار لقيام حياة الابلنديين وعزائمهم

(١) برقون (٢) يسبرون وسط الوديان (٣) اللباس
الفاخر (٤) نوع من النبات

ايسلاندا والغياسر وجبل هيكلا

إِنَّ أَيْسْلَانْدَا وَأَيْمِجَةَ قُرْبَ الْهَيْطَةِ الْعَجَبَةِ . فَوْقَ هِضَابِ
وَأَكَامٍ وَصُخُورٍ تَكْثُرُ فِيهَا أَشْجَارُ السُّودَانِ وَالْمَوَادُّ الْخَشْرَقَةُ
الْبُرْكَانِيَّةُ . وَفِيهَا جَبَلٌ هَيْكَلًا أَلْيَضُ الرَّأْسِ الْمَشْتَعِلِ
الْجَوْفِ

وَتَهْدُ النَّيْرَانُ فِي جَوْفِ هَذَا الطُّورِ "الْبَادِخِ" إِلَى أَمْدٍ

بَعِيدٍ . فَتَلْتَفِي فِي سَبِيلِهَا بِيَاهِ غَزِيرَةٍ نَلَّا نَعْمُ^(١) هَذِهِ الْبِيَاهُ حَتَّى
تَعْلِي وَتَحْمِشُ^(٢) مِنْ فِعْلِ النَّارِ . وَإِذَا وَضَعْتَ أُذُنَكَ قُرْبَ الْأَرْضِ
سَمِعْتَ أَرْزَاقَ الْخَارِ وَزَمْزَمَةَ نَحَاكِي هَزِيمِ الرَّعْدِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ
الْمَاءَ وَالنَّارَ أَخَذَا يَلْتَقِيَانِ بَعْضُهُمَا . وَمَنْ وَجَدَ الْمَاءَ مِنْفَذًا خَرَجَ
شَوْبًا^(٣) كَمَا مِنْ بِنُوعٍ وَتَسَاقَطَ حَارًّا جَائِشًا فَتَسْتَطِيعُ سَلْقُ
بَيْضَةٍ فِيهِ . وَيَظَلُّ نَاشِبًا وَمُرْتَفِعًا إِلَى أَنْ يَكُونَ بُرْكَهَ صَافِيَةً
حَوْلَهَا الْحِجَارُ الْمُرَابِيَةُ مَعَ الْبِيَاهِ . ثُمَّ يَكْفُ بُرْهَةً وَيَعُودُ إِلَى
عَبْلِهِ بِقُوَّةٍ . وَهَكَذَا عَلَى التَّوَالِي وَالْتَعَابِ

وَيَقْصِدُ السَّيَاحُ هَذِهِ الْبِنَايِعَ لِلْفُرْجَةِ عَلَيْهَا . فَيَرَوْنَ عِدَّةَ
شَايِبَ وَمِيَازِبَ تَطْرُحُ أَمْوَاهَا إِلَى عُلُوِّ شَاهِقِي . وَيُعَايِنُونَ
بِلِكَ الْبُرْكَ الْحَارَّةَ تَحْتَهَا نَزْرٌ وَتَحْمِشُ^(٤) . وَالْأَرْضُ تَدْمِيمٌ كَالرَّعْدِ
وَالدُّخَانُ يَتَصَاعَدُ مِنْ دُرُورَةِ آتِلِ الْمَكْسُورِ بِالثَّلُوجِ . فَيُؤَلَّفُ
مَجْمُوعُ ذَلِكَ مَشْهَدًا يَأْخُذُ بِمَجَامِعِ الْقُلُوبِ

وَقَدْ أَشْتَعَلَ جَبَلُ هَيْكَلًا مَذْ عِشْرِينَ سَنَةً أَشْتِعَالًا هَائِلًا
حَتَّى لَمَعَتْ رِمَادُهُ جَزَائِرَ أَوْزَكِي بِقُرْبِ سَاحِلِ إِيْفُوسِيَا فَزَلَزَلَتْ
الْأَرْضُ وَسَمِعَتْ أَصْوَاتَ رَائِعَةٍ تَقُوقُ هَزِيمِ الرَّعْدِ قُوَّةً . وَإِذَا
بِالْجِبَلِ انْتَشَقَّ وَتَجَرَّ^(٥) وَأَخَذَ بِأَنْفَاءِ النِّيرَانِ وَالْدُّخَانِ وَتَسَاقَطَتْ

الْمَصْهُورَاتُ وَالْحَمَمُ^(١) تَجْرِي عَلَى جَوَانِبِهِ وَحَرَقَتْ كُلَّمَا صَادَفَتْهُ
فِي سَبِيلِهَا . وَكَانَ مَنْظَرُ ذَلِكَ الْجَبَلِ مِثْلَ مَا يَهْلَعُ النَّوَدُ مَلْتَمِحًا
بِضَبَابٍ وَبِخَارٍ وَرِمَادٍ . وَكَانَ هُنَاكَ نَهْرٌ بَارِدٌ جَارٍ قُرْبَهُ فَتَحَنَّنَ
مَاءُهُ وَمَاتَتْ أَسْمَاكُهُ فِي الْحَالِ

وَلَمْ يَنْقُضِ أَسْبُوعَانِ مِنْ ذَلِكَ الْحِينِ حَتَّى آسَأَنَفَ الْجَبَلُ
عَمَلَهُ الْهَائِلَ . فَارْتَعَدَتْ قُلُوبُ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ فَرَقًا^(٢) وَجَرَتْ
الْمَصْهُورَاتُ مَسَافَةً تَزِيدُ عَنِ الْعِشْرِينَ مِيلًا . وَحَاكَتْ نَهْرَانِيًّا
عَرِيضًا يَزِيدُ عَنِ الْبَيْلِ . ثُمَّ ذَابَ الْجَهْدُ وَالْفَلَجُ الَّذِي عَلَى
الْقَيْمَةِ . وَأَجْرَى سَبِيلًا عَرْمَرًا طَغَى عَلَى تِلْكَ الْبِلَادِ فَتَلَفَتْ
الْغِلَالُ وَالْعَصُولَاتُ وَمَاتَتْ الْهَاشِيَّةُ . وَالْمُتَسَكِّنُونَ أَرْزَأَهُ
فَادِحَةً^(٣)

وَيَسْمَا كَانَ الْجَبَلُ يَلْقَى تِلْكَ الْمَصْهُورَاتِ كَأَنَّ الرَّعْدُ
يَلْمِزُ الْبَرْقَ وَالْبَرْقُ يَوْمِضُ وَالْأَنْوَارُ الْحَمَرَاءُ تَتَصَاعَدُ إِلَى عِنَانِ
الْجَوْ . وَكَانَتْ بَعْضُ الْحِجَارِ الْهَرَامِيَّةِ مِنْ ذَلِكَ الْأَيَّامِ^(٤) ضَخْمَةً
جِدًّا تَحْمِلُهَا قُوَّةُ النَّارِ إِلَى مَسَافَةِ خَمْسَةِ أَمْيَالٍ أَوْ يَزِيدُ
وَلَا يُوْجَدُ فِي ابْسَلَانِنَا سِوَى مَدِينَةٍ وَاحِدَةٍ بِقُرْبِ شَاطِئِ
الْبَحْرِ أَشْبَهَ بِقَرْيَةٍ كَبِيرَةٍ . وَلَا يَقْطُنُ الْقَوْمُ هُنَاكَ إِلَّا عَلَى

السواحل البحرية لصيد الأسماك
 أما بيوتهم فصغيرة ومبنية من الخشب ينقشون أبوابها
 ويلوثونها للزينة. ولما لم تكن فنادق للمسافرين في هذه
 البلاد استعملوا الكنائس لهذه الغاية. والعجب أنك ترى في
 هذه العباد صناديق جهة بضعون ضمها الثياب. وليست
 لهذه الكنائس أفعال ولا منافع فيدخلها من شاء بلا معارض
 ويضع في صندوقه ويأخذ منه ما يريد. ويودع الفلاح عياله
 وجوالته في الكنيسة. ويأكل المسافرون فيها ويستنون
 وللإسلانديين جياذ صغيرة سريعة الجري تخب وتخرج
 في عتاب ذلك الصعيد وعراقبيه ويندر أن تعثر. وهم يصيدون
 الأسماك صيفا ويحسونها ويقيدونها للشتاء ويأكلونها بالسمن.
 ويكاد يكون ذلك طعام الفقراء الوحيد. أما الأغنياء
 فيأكلون لحم البقر والضأن وخبز الذرة. لأن الخنطة
 لا تنمو في ذلك القطر

- (١) جبل (٢) حال (٣) تبطن (٤) تهج
 (٥) دفعة من المطر (٦) يشتد غليانها (٧) المواد اللاتية
 (٨) كلما احترق من النار (٩) فرعا (١٠) ثقيلة
 (١١) الجبل العظيم (١٢) تجدد في السير

هنود اميركا او سكانها الاصليون

ولباسهم ومعبوداتهم وطبهم

هنود اميركا طوال القامة حسان المنظر لولا وثم^(١) اجسامهم وتلونونها. وهم
يخندون بسيور يلفونها حول اقلامهم. ويلبسون جوارب من اديم^(٢) او نسيج
بجيطونها حول ارجلهم ولا يترعونها قط. ويرتدون قميص قصير يلفون فوقه
معلقة من جلد. ويرينون رؤوسهم بريش الطيور الملونة. ويتشون اجسامهم
بالالوان والصور الغريبة

ولم كما لا للزينة يلحونه في اعياد واحتفالات معينة فقط. وهو مصنوع
من جلد الجاموس او الابل وله على اطرافه حواش من شعور البشر الذين
قتلهم في الحروب

ويعد هولاء الهنود الما يسمونه الروح العظيم ويدعونه ابا. ويذهبون الى
وجود روح شرير يستطيع الغلبة على الروح الصالح فيرهبونه ويقنون بأنة
خشية اصابتهم بالاضرار والاسواء. ومتى مرض الهندي وشعر بدنوا اجلوا بهت
فدعا برجل العلاج او الطبيب فيصف له هذا الدجال او المشعوذ ملاجات
صعها من اعشاب الغابات. اما هذا العلاج فاما ان يرفع الليل او يضره ككئة
مضطر الى اخذه في كل حال لان لا طبيب غيره (من نوعه) هناك. ويذعي
هذا الرجل بالسلطة على الروح الشرير ولذلك يدعو الهندي ساعة
احضاره^(٣) فيأتي لابسا جلد وحش كاسر حتى تخاله^(٤) الوحش نفعة داخلًا.
ويأخذ بصوت اصواتا قبيحة هائلة ويهز رعدة ويرقص ويقضض^(٥) العظام ويهز

ويخرج . فلو نظرت على تلك الحالة لما لك منظره وطرده على الفور . غير ان
 الهنود ينظرون صامتين صمت الرهبة والمهابة لاعتمادهم ان تلك الهيئة والاصوات
 خاصة طرد الروح الشرير
 فاذا قضى (١) الليل وسط ذلك الضجيج والجملة (٧) قال هذه هي مشيئة
 الروح العظيم ورزم ادواته وانطلق يارس اعماله القبيحة عند فراش طبل آخر

(١) غرز الابرة في البدن لتلويته (٢) جلد مذبوح
 (٣) قرب الموت (٤) تظنه (٥) التفضضة صوت كسر العظام
 (٦) مات (٧) اختلاط الاصوات

هنود اميركا

اطفالهم وقتيانهم وشيوخهم ومسكنهم

وتحمل النساء اطفالهن على ظهورهن في شبه اسرة خشبية مستطيلة مكشوفة
 لما اطارات (١) خشب ضيقة لضبط الطفل متصبا لا يستطيع الحراك . فتربط
 المرأة الإطار الاعلى بعير وتعلقه برأسها وتذهب به ابنا شامت . وتحب المرأة
 الهندية طفلها عجة شديدة واذا مات اهدت من الاشجار والاحزان والوعويل
 ما يقصر عن وصفه اليراع وملأت سريره القارغ بالريش وحملت على ظهرها
 شهورا . ومتى جلست وضعت به قربها مستنفا الى جوار خبيتها . وتذبت صاحبة
 الحرقى وفنته ورثته رثاء شجيا
 ومتى كبر الطفل اخرجته والدته من السرير وصحت له بالزحف على

الاعشاب وعمل ما يريد . ثم متى شب واستطاع المشي يطلق ابواه له العنان فيذهب للسباحة في النهر والطراد مع امه في البوادي لغص الوحوش وسباع قصص الشيوخ المبتجة عن المارك التي خاضوا غارها^(٢) وعدد القتلى الذين اجمعوا بهم الاعلاء

غير ان الغلام لا يكون قد بلغ حيثئذ السن الذي يؤمله للانتظام في سلك رجال البأس والحرب . فيتعم عليه التربص والانتظار ريثما يبلغ السادسة عشرة . فيقاد^(٣) او يتخذ اللعب مع الاولاد ويحاول الانخراط مع رجال الحرب . فيفكرون عليه ذلك ولا يسمحون له بما يروم حتى يأتي بجواب العلاج اما كيفية حصوله عليه فمن غرائب الامور

وذلك بان يذهب القتي الى غار بعيد عن عشيرته ويجلس على الارض صائماً اربعة ايام متوالية . تشرق عليه الشمس وتغرب بدون ان يدوق طعاماً او يشرب ماء لانه عزم على الصيام الى ختام هذه الايام ولو ادى ذلك الى حنقه . فتأخذ قوته بالانحطاط وهيمته بالتور ويتبع على الثرى منمخاً عينيه . فيتصور في نهاية الزمن المعبين ان الروح العظيم انباه عن سر صنع جواب العلاج وتكون حاله وتقدر حال سبات نخله احلام عن امور عابها في البقطة كصيد الجاموس ونحوه . متى استيقظ تحيل ان الروح العظيم انباه عن صنع الجراب من جلد الجاموس غير ان ذلك لم يكن سوى اضغاث احلام . لانه اذا رأى في نومه كلباً او فرساً او جرناً يخطر له ان قد اوجى اليه بصنع الجراب من جلده

وعلى هذا يصنع الهنود جرهم من جميع المواد الموجودة تحت الشمس . فيمض ذلك القتي المسكين خائراً العزم مصاباً بالدوار ويخرج من الغار مترجماً^(٤) مرتجماً كالشوان^(٥) . ومتى بلغ المضرب^(٦) طلب طعاماً فتأني له به امة في الحال . فيلتم منه قدراً كبيراً ثم يتأهب لصيد الجاموس . فيمتطي جواده ويطلق له العنان الى البادية

ثم متى وقع بصره على جاموس لا يهولة منظره الرائع ولا شعره الكث^(٧)
المتلبد وز فرناذ اذا اتلان وعيناه البراقتان بل يحث نحوه فرسه السريع ويسبته
ذنباً^(٨) واما جاً^(٩) ثم يصوب اليه السهم القنال ويرمي به بأسرع من لمح البصر.
ثم يعقل عليه سهاً آخر ثم آخر الى ان يقع مجنولاً^(١٠) على الثرى

ولا تعوز الغلام مواد لصنع ذلك الجراب فيبادر لهله. وحينئذ يجتئ^(١١) له
الانتظام في سلك رجال قومو وشجانهم. ويذهب الهندي الى ان هذا الجراب
يقبض من اضرار الروح الشريرة ولا يجب ابداله بال العالم ولا تستطيع شراره منه
باندراهم ولو آدبت له ملكة ذهباً. الا اذا صادف احد دعاة الانجيل واتدى
الى الذين المنيعي وعرف عن الاله القديم ووقفت له تمآراً وليلاً فيغادر ذلك
الجراب ويطره الى الرياح

ومنى طعن الهندي في السن وهم وتعدّر عليه الصيد والسنر والتمثال
والرقص اصبح كلاً^(١٢) على اولاده وعشيرته فيتخصون منه بالطريق الآتية. وذلك
بان يأخضوه الى البادية حيث ينصبون له مظلة ويزودونه بقليل من الطعام
والشراب ثم يودعونه ويطلقون. فيظل وحده في تلك الصحراء لاسميره له
ولا جليس محاطاً بحيلة الثور وخوار الجوايس وهو غير مبال بذلك بل يرضخ^(١٣)
للتندر المخنوم صابراً. لانه حين كان شاباً غادر اياه على هذا المنوال تنسو.
فيقول لاولاده ان يذهبوا ويتركوه لانه امسى ثقلاً عليهم وتجدر به المواراة عن
ابصارهم. قيموت ذلك المنكود الحظ جوعاً او تفرسه الضواري. وكثيراً ما يمر
السياج في تلك الطريق فيشاندون خيمة جلد صغيرة فيدخلونها واذا برمة
عظام منشرة على ثراها. وفي قد باتت جدتاً لذلك الشيخ الذي دفن فيها حياً
والهنود يقطنون خصاصاً خشبية او خياماً مصنوعة من جلد الجاموس.
يرفعونها على اعمدة طويلة ويدبغونها دبقاً حسناً حتى تصبح لينة الملمس جميلة
المنظر لا تؤثر بها الامطار بل تسيل عليها فتجف في الحال وتزداد ليئاً.

فيغيطون هذه الجلود بعضها مع بعض ويسمنون منها مضرًا فسيكًا بشهوة بصور
اشخاص وحيوانات وطيور مختلفة

- (١) خشب الخمل وكل ما احاط بشيء (٢) الماء الكبير (٣) يترك
(٤) متابلًا من سكر وغيره (٥) سكران (٦) الخبثة الكبيرة
(٧) كثيف (٨) امرأًا (٩) صريعًا الى الارض (١٠) تملأ (١١) ينفض

هنود اميركا

اعبادهم

لَهُنودُ امِيرِكا عِيدٌ بِسُمُونَةِ عِيدِ الذَّرَّةِ اخْضَرًا. يَتَأَهَّبُونَ لَهُ
بِالانْقِطَاعِ عَنِ الْأَعْمَالِ وَالْقِنَالِ حَتَّى عَنِ مَنَاولَةِ الطَّعَامِ
فَيَتَضَوَّرُونَ جوعًا إِضْرَامًا لِشَهْوَتِهِمْ. ثُمَّ مَتَى أَنِ الْأَوَانُ وَجَسَّ
النِّسَاءُ الْحُبُوبَ فَرَأَيْنَهَا صَالِحَةً لِلْأَكْلِ يَجْشِدُ أَيْلُ الثَّرْبَةِ
مَعًا إِلَى الْمَاحَةِ الْفَسِيحَةِ وَيَضْرِمُونَ نَارًا يَضَعُونَ عَلَيْهَا مِرْجَلًا
كَبِيرًا يَهْلَأُونَهُ بِالذَّرَّةِ. ثُمَّ يَأْخُذُونَ بِالرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ حَوْلَهُ
حِينَ سَلَى الذَّرَّةُ مِحْطِينَ بِهِ إِحْاطَةَ السَّوَارِ بِالْمِحْصِمِ.
فَيَرْقُصُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الْحَلْفَةِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ مِنْ أَطْيَابِهِمْ أَوْ

مَشْعُورِيهِمْ^(٥١) حَامِلِينَ بِأَيْدِيهِمْ سَنَابِلَ الذَّرَّةِ وَأَجْرَاسًا يَجْلِبُونَ^(٥٢)
بِهَا. وَيَطُوقُونَ هَذِهِ الْحَلْقَةَ زُعَمَاءُ الْقَوْمِ وَرِجَالُ الْحَرْبِ حَامِلِينَ
سَنَابِلَ الذَّرَّةِ أَيْضًا رَاقِصِينَ وَمُنْشِدِينَ نَشَائِدَ الشُّكْرِ لِلرُّوحِ
الْعَظِيمِ وَيَقْدِمُونَ لَهُ مِرْجَلِ الذَّرَّةِ الْأَوَّلِ

ثُمَّ يَضْرِمُونَ نَارًا غَيْرَهَا يَضْعُونَ عَلَيْهَا الْهَرَاجِلَ. وَمَتَى
نَجَزَ الطَّيْحَ شَرَعَ الزُّعَمَاءُ بِاللِّقْمِ أَوْلَادًا مِنْ جِنَانٍ يَضَعُونَهَا عَلَى
الْأَرْضِ وَيَدِّ كُلِّ مِنْهُمْ مِلْعَقَةٌ مَصْنُوعَةٌ مِنْ قَرْنِ الْجَامُوسِ.
وَمَتَى فَرَغَ هَؤُلَاءُ مِنَ الطَّعَامِ أَحَاطَ سَائِرُ رِجَالِ الْعَشِيرَةِ
وَأَوْلَادُهَا بِتِلْكَ الْجِنَانِ فِي نَوْبَتِهِمْ وَالتَّهَبُوا قَدْرًا مَا اسْتَطَاعُوا بَيْنَهَا
رَفَاتِهِمْ يَرْقُصُونَ وَيَغْنُونَ وَيَبْرَحُونَ. وَيَدُومُ هَذَا الْعِيدُ إِلَى فِرَاقِ
الذَّرَّةِ الْخَضْرَاءِ. أَمَّا الْفَضْلَةُ الْبَاقِيَةُ فَيَبْرُكُوتُهَا فِي الْحَقُولِ إِلَى
أَنْ تَنْضَجَ لِلْحِصَادِ

وَاللَّهُودِ عِيدٌ آخَرٌ يُسَمُّونَهُ عِيدَ الشَّرَابِ يَدُومُ يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةَ
يَنْتَظِعُونَ فِي خِلَالِهَا عَنْ مَنَاوَلَةِ الطَّعَامِ وَالْعَمَلِ وَلَا يَشْتَغِلُونَ
بِشَيْءٍ سِوَى نَهْلِ الشَّرَابِ. وَهُوَ مُسْكِرٌ قَوِي تَصْنَعُهُ النِّسَاءُ مِنْ
أَصُولِ نَبَاتٍ اسْمُهُ مَايُوقُ. وَذَلِكَ بِأَنْ يَقْطَعْنَ هَذِهِ الْجُذُورَ
فِطْعًا وَيَغْلِيْنَهَا عَلَى النَّارِ حَتَّى تَلِينَ. وَمَتَى بَرَدَتْ يَبْضَغْنَهَا

بِأَنْوَاعِهِمْ. ثُمَّ يَضَعْنَهَا بَعْدَ الْهَضْعِ فِي وَعَاءٍ مَاءٍ وَيَغْلِيْنَهَا ثَانِيَةً
 عَلَى النَّارِ وَمِنْ مَجْرِكَمَهَا. ثُمَّ يَصْبِيْنَهَا فِي جِرَارٍ وَيَدْفِنُهَا تَحْتَ
 أَرْضِ الْبَيْتِ بَعْدَ سَدِّهَا سَدًّا مُحْكَمًا. وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ يَأْخُذُ
 الشَّرَابُ بِالْإِخْتِهَارِ وَحَيْثُ يَبْدَأُ الْعِيدُ
 فَتَضْرِمُ النِّسَاءُ النَّارَ حَوْلَ تِلْكَ الْجِرَارِ لِتَسْخِنَهَا. ثُمَّ يَهْرُولُ
 رِجَالُ الْقَرْيَةِ إِلَى الْبَيْتِ بِالرَّقْصِ وَالْغِنَاءِ. فَتَدُورُ النِّسَاءُ
 عَلَيْهِمْ بِطَاسَاتِ الشَّرَابِ الْمَهْضُوعَةِ مِنَ الْبَقَطِينِ. فَيَطْلُونَ
 يَنْهَلُونَ وَيَرْقُصُونَ وَيَعْرَبِدُونَ^(١) حَتَّى يَأْتُوا عَلَى آخِرِ قَطْرَةٍ مِنْ
 ذَلِكَ الشَّرَابِ. وَمَتَى فَرَعَتْ جِرَارُ الْبَيْتِ الْوَاحِدِ انْطَلَقُوا
 إِلَى غَيْرِهِ وَأَسْتَأْنَفُوا الْعَمَلَ إِلَى أَنْ يَنْفَدَ الرَّاحُ مِنْ جَمِيعِ
 الْبُيُوتِ^(٢)

- (١) تَلَوَى مِنْ أَلْمِ الْجُوعِ (٢) مَنْ يَرِي الشَّيْءَ بغير ما هو عليه لِحْتِ
 فِي الْبَدَنِ (٣) (شَامِيطٌ) (٤) يَصَوْتُونَ شَدِيدًا (٥) قِصَاعٌ كَبِيرَةٌ
 (٦) يَسْرَعُ فِي الْمَشْيِ (٧) نَسْوَةٌ اخْتَلَفَتْ مِنَ السُّكْرِ (٨) يَفْرَغُ

هنود اميركا

جاموسهم وصيدُهُ

قد خصَّ الخالق ائقدير كل امة برزق يلائم قطرها وهواء بلادها .
واعطى الالابندي الرنة والاسكي عجل البحر والحوت والبدي المحل والشم
وابن المنطقة الحارة جوز الهند والامثار الرطبة والهندي الاميركي الجاموس



وهو حيوان واقر العدد في تلك الاقطار يتألب^(١) قطعانا تعد بعشرات
الالوف تسرح وترح في تلك الراحات والمقار^(٢) القسية الارجاء وتعد عشائر
الهنود بطعام دائم تعذر عليهم الحياة بدونه . فيولون الولايم صيئا ويقدون
لحبة شتاء ويصنعون من جلده لبايا حسنا ومضربا فصيحا وفراشا ودثارا^(٣)
واخذية وسروجيا ولجها واسواطيا . ومن عظامه قعبا^(٤) ومقامع حرب وآلات
موسيقية وملاعق ومغارف ودبايس وحرايا . ومن عروقها اوتار اقواس وخيوطا
لخياطة الثياب والخيم . ومن حوافره القراء النفيس . ومن فلبه^(٥) الحبال

واقارذ والبرشات . والمخالصة انك ترى معيشة هنود اميركا جميعاً تعلق على
الجاموس

والهنود براعة فائقة بدفع الجلود ومعالجتها حتى يسعاد بفحصها رزقهم
وانائم وادوات مسكنهم . وهم يصيدون الجاموس على خيل سريعة الجري
يقصونها في البرادي . وذلك بان يمتطوا صهوات الجياد المطبعة ويطاردون
الخول البرية ويرمونها باحولة^(٦) تحاكي الشبكة لما انثوطة^(٧) يثدونها حول
اعتانها شدا وثقاً ويجريها الى خيامهم حيث يثابون بتطعيمها فتصبح اليقة سهلة
القياد . وعلى هذا كانت البادية تمد الهندي بالخول والجاموس معاً

ومتى ذهب الهندي الى صيد الجاموس اطلق العنان لفرسه حاملاً على
ظهره جعبته المأى بالسهم فينطلق به الجواد ينجب على ذلك الصعيد . حتى
اذا لحق بقطع الجاموس سدّد نحوه النبال ولا يكاد يخطئ المرعى . ويظل
يشب السهم كومبض البرق الى ان يصيب مقاتها ويظفر منها بالرزق الواسع
والهنود ايام صيد مذكورة يجتشد فيها رجال انثرة ممتطين جيادهم يهبون
الطريق حتى يبلغوا الواحة حيث قطع الجاموس برعى الاعشاب . فيجيطون به
احاطة المالة بالتمر ثم يزارون كالاسود ويجهون عليه مصويين نحوه السهام
ويرشونها بها من كل صوب . فتسمع حينئذ ضجيجاً وضوضاء وجلبة تكاد تريبك
بالصم . ويرتفع العثير^(٨) الى عنان الجوّ . وتختلط الخيل والجاموس والرجال
معاً اخلاطاً هائلاً . وتشاهد عراقاً ولحمة دموية تجلي غالباً عن نصرة
الصيادين . لان للهنود حفة غربية ورشاقة ومهارة بري السهام وركوب الخيل .
واذا سقط احدهم عن جواده عاد فعلاً متنه باسرع من لح البصر وبلغ مكان
الآمن

ويدوم النص الى ان تفرغ الجعب ويصرع القطيع عن آخره الى الترى
مضرباً بدمائه . ومتى فجز الصيد يذهب الصيادون تاركين الجاموس ركناً
متلبدة في ذلك الميدان . ثم تأتي النساء في اليوم اشابع لاكمال العمل . لان الرجال

يظنون انهم آكلوا ما قُرِضَ عليهم فيجلسون في المضارب بدخون. وتأخذ النساء بسلخ الجواميس وتقطع لحومها. وملا عمل شاق يشغل زماناً مديداً ثم يرجعن الى الخيام حاملات احمالاً ثقيلة يوشكن السقوط تحتهما فتتلو اصوات الفرح في العشيرة لوفرة الطعام. ويحمل الرجال رؤوس الجواميس الكبيرة وقرونها على اكتافهم ويرقصون رقصاً جنونياً. ومتى اعيان احد من شدة الحركة وعزم على الانحناء او التوكؤ برمي احد الحضور بهم مكسور الطرف فيتناوت ما قطعاً الى الارض فتشخذ النساء ملهمن لذبح كانه جاموس ويحمرته الى الخارج. ويدوم الرقص الى ان تجر تلك الجواميس البشرية الواحد بعد الآخر وتيب عن العيان. ثم يأمر المشعوذ باستئناف الرقص فيدخل الرجال ويرقصون اياماً متوالية الى ان تأتيم انباء تبشرهم بحضور قطع آخر من الجاموس. ويتقدمون ان الرقص على دلا المنوال كان باعثاً على جديده. فتى وردت اليهم البشائر ينتهي الرقص ويقبض الرجال اعنة الصافنات^(١) وينطلقون ركضاً الى الصيد. وحينئذ ينف الطيب الدجال تناف الشكر والامتنان. ويجري الصيادون في صيدهم على المهاج الآف الذكر

- (١) يجمع (٢) الفلوات لاماء فيها (٣) ما يغطي به النائم
 (٤) برذعة الحمار (٥) الشعر الغليظ (٦) مصيدة من جبل طويل
 (٧) عقدة يسهل انخلالها (شوطة) (٨) التراب والغبار (٩) من
 الخيل القائم على ثلاث قوائم

الارياف المشتعلة في اميركا

ان غرائب الطبيعة في هذه القارة العجيبة وافرة جداً . ففيها الانهر الكبيرة والغياض القسيحة والطيور البديعة الالوان والاشكال والوحوش والجوارح النادرة الخال . والواحات او السهول الواسعة الممتدة اميالاً لا يدرك البصر نهايتها . فهذه السهول تكثر فيها الاعشاب والنباتات التي تجف صيفاً وتحترق بحيرة تستقط من اثافي^(١) المنود او شرر يتناثر من غلايينهم او من احتكاكها بعضها ببعض فتشتعل اشتعالاً هائلاً

واذا لم يتلذذ المنود النار بتجريد الارض حولها من الاعشاب منعاً لانتشار اللهب اندلع لسان النار الى سائر الجهات وانتشر انتشاراً يروع الابصار ويهلع^(٢) القلوب . فتدرك وحوش تلك السهول بالمليقة شيوخ النيران فتعدو عدواً شديداً الى كل الجهات فراراً من لهبها . فتعاين الخيل البرية تجري كهبوب الرياح واعرافها طائرة في الهواء . والجواميس تركض باشد قوعها . والتمور تحترق الحطى قطعاناً في عواء وهرير . والنور تحوم في الهواء . وسائر الحيوانات في سباق وطراد وصياح وزعيق وتعب ولرثباك والنار تزداد شوباً واضطراباً وزمزمة^(٣) وامتداداً . فتحالما امواج بحر حمراء او سيولاً قرمزية متدفقة يتعذر^(٤) حصرها او اطفائها . واذا اقتت التقادير السياج وايضا السيل في تلك السهول المشتعلة بانوا فريسة حرماً ان لم يتلذذوا الخطب^(٥) بالفرار السريع او بتجريد الارض حولهم من الاعشاب قبل وصول النار اليهم

(١) حجار توضع عليها القدر للطبخ (٢) يلقى جداً (٣) صوت

بميدلة دوي (٤) يتعسر (٥) امر مكروه

آجام اميركا والحداة

آجة الارز في اميركا دغل (١) مظلم ملآن باشجار الارز الباذخة (٢). وهذه الاشجار الينة (٣) متلاصقة ببعضها حتى يتعسر المرور بينها . وهي ذات جنوع مجردة الأ عند رؤوسها حيث ترى اغصاناً مشتبكة اشتباكاً يحجب النور عن الابصار . ومتى هبّ الريح هبّت تلك الجنوع وتنفث بعضها وتصبّت اصواتاً راقية (٤)

فهذه الآجام يصعب على الانسان اختراقها . اما ارضها فقائمة (٥) موحلة اذا حاول الرجل المشي عليها غاص في الوحل الى ركبتيه . وهناك قطع حطب كبيرة تسدّ الطريق وتناد (٦) وسياج وغار وعطيق كثيف مالى السيل يتخلل تلك الآجة كلها . وفيها ايضاً برك ومجترات كبيرة تسبح فيها التاسع والكركدن وتكن في الوحول لانها تحب ظلام تلك الغابات

وهناك ايضاً مالك الحزين والحداة او الرخم المولمة كالتساج بأجة الارز . وهي طائر ليلي كالبيوم يطير في دجى الليل اليهم . وترد منه اسراب في فصل الربيع الى هذه الآجة وتستقر على اطراف الاشجار . اما الفراخ التي لا اعشاش لما تشرع في العمل وتبنى اوكارها في رؤوس الاشجار العالية

اما انثى الحداة فتضع اربع بيوض أكبر قليلاً من بيوض الدجاج . ومتى تفقت (٧) البيوض عن الفراخ وتفتق عليها بضعة اسابيع تأخذ بالتسلق (٨) على الاغصان . فلا يجتم الظلام حتى تخرج الحداات من اوكارها في طلب الطعام فتعم على الماء وتتصب على قدميها مترقبة الاسماك والضفادع . حتى متى لمحت سمكة تلتصق عليها وتخطمها بمناقدها الطويل وتقتربها . ولا يعوز هذه الطيور زادا لوفرة الاسماك والحشرات في تلك البحيرات . غير ان الضفادع اشدّ يقظة وحذراً من الاسماك فانها متى رأت الحداة تقوص في الوحل وتنجب

زمانا راجية ان يطول على الحداة امد الاقطار فتصرف . غير ان الحداة
شديدة المكر والدناء جزيلة الصبر . فلبت هناك في ارتقاب وسهر الى ان



يخطر للضفدعة انصرف الحداة عن وكرها فتد رأسها الصغير من الشق فتشب
يو الحداة على النور متقادها الطويل وتجرها من الوكر وتقتربها
والحداة قرم^(١) شديد للطعام فتصيد اسماكاً وضفادع وافرة العدد . ثم
تذهب الى الآجة حيث تقف على رجل واحدة حتى يهضم الطعام . ثم تستأنف
الصيد . والمهرد يستعملون ريش الحداة ويضعونه على رؤوسهم للزينة

نرى بالحداة الصبر الجميلا فترقبُ صيدها وقتاً طويلا
وتتظرُ الفرائسَ في تأنٍ تعلمنا يو الصبر الجميلا
فكم خير العجول بطيش طبع . ومن بأن جنى خيراً جريلاً

وَمِنْ رَقَبِ الزَّمَانِ بَرُطٌ صَبِيحٌ رَأَى لِحَاجِجَ مَنْصَدِهِ سَيِّلًا
فِي الْقُرْصِ الثَّمِينَةِ كُلِّ رَجِيحٍ نَرَى طُولَ الْأَنَاءِ لَهَا دَلِيلًا

- (١) شجر كثيف ملتفت (٢) عالية (٣) كثيرة ملتفة
(٤) منزعة (٥) ذات ندى (٦) شجرة خشوك (٧) تثبت
(٨) نور (٩) شهوة شديدة الى اللحم

حمام اميركا والكستور وشجرة الماهوكاني

اما غابات اميركا وادغالها فيأوي اليها اسراب حمام تُعدّ بالملايين حتى
يبلغ طول السرب منها حين طيرانه مئتين واربعين ميلاً وعرضه ميلاً واحداً
فيجذب نور الشمس . ويدوم اجتيازه من مكان الى آخر ثلاثة ايام متوالية .
فتراه يتلألأ في نور الشمس باللون احمره وخضراء وزرقاء وله خفيف^(١) وهزم
بجاذبي الرعد . فتدعر الخيل وتجنل وترقص اهاجاً . ومتى بلغ السرب الغابة
المقصودة يستقر على الاغصان ويأخذ بالتهام الفواكه والمحجوب حتى لا يبقى لها
اثر . ويكلف من الاثمار والفروع ما يزيد عما قد تناوله . وهذه الطيور تخلق في
الجو كثيراً حتى لا يستطيع الصيادون اصابتها ورميها بالنار والسهام . ولكن متى
استقرت على الارض تلتقط الجوز والبَلُوط بسدودن نحوها المرامي فيصيرون
منها عدداً وافراً يزيد عن حاجتهم

وهناك ايضاً الكستور البناء والمهندس . فهذه الحيوان يبني بيته في مجرى
المياه من الرداغ^(٢) والصلصال^(٣) واغصان الشجر . فتجتمع هذه الحيوانات

قطمانا وتأخذ في بناء مساكنها معا. وتشيد لها عُرقاً وحجراً ونواقد وملاخل مُتَشَتَّة
تكدد تضارع بيوت البشر. ولما كانت تخشى طغيان الماء على بيوتها ويهددها
بسيول الامطار شتاء تبنى لها حواجز متينة من قصبان ولزناد تفرزها في ارض
النهر وتسدّها بالطين .

وتقوم استناتها الحادة مقام المنشار. ولا يقر لها قرار حتى تكمل بناء هذه
السدود . ومتى كملت تشرع ببناء البيوت العجيبة المنظر. وذلك بأن تنضد^(٤)
الاعصان بعضها فوق بعض وتلتصق اعلاها بما تحته الصاقاً محكما لا ينفصه
شيء مما يحتاج اليه من هندسة البناء. فيحكم الناظر اليه ان جهال الاملين دونها
قطنة. ويظن ان حمل تلك الاعصان لا يأتي لها من الحيوان الخبير لغلظها
وضخامتها. وفي هذا المأوى تلد وتألّف. ويقع بينها من التواد والناس ما يميل
يو كل الى صاحبه

وهذه الحيوانات تاكل اعشاب المياه وقشور الاشجار والحبوب والخبث^(٥)
وما تستطيع الثور عليه . وفي الصيف تقطع اعصاناً وعسالج^(٦) وانجها وتضعها
قبالة بيوتها لتفتت بها شتاء . ويصنع من جلودها كبات^(٧) وقبعات للرجال
والنساء والمهود يمتطيون لحومها فيقتصونها لهذه الغاية . اما الاميركيون
اليض فلا تنفع مجلودها التي تولّف صتقا لها في التجارة . ولها الحيوان عند
عائتيه كسب يستخرج منه علاج ثمين يدعى جند بادستر نافع لاسترخاء
الاعصاب وخاصة للثنيان الذي يعرض للنساء وغير ذلك من امراضهن

وهناك ايضا شجر الماهوكاني المين النيس . اما مناجة فقرب خليج
هندراس . وهذه الاشجار ذات جنوع ضخمة واعصان كالاذرع متشعبة انتشاراً
اقنيا اوراقها خضراء لامعة وازهارها بيضاء صغيرة . تُصنع من اخشابها مواد
وكراسي وخزائن وادوات فاخرة يتنافس باحرازها الكبراه والسراة^(٨) والامراء
لصفالة لونها ولين ملمسها ومثانة مادتها وارتفاع اثمارها . وتعدّ اخشابها صتقا ثميناً
في التجارة . قيل ان شجرة ماهوكاني واحدة بيعت بشحو التي ليرة

ويكثر في تلك القارة أيضاً قصب السكر والقطن والمحبوب والثمار على
تمدد اصنافها . فيربلون منها ومن مصنوعاتها الى الخارج اقلاراً جسمية للتجارة
والربح فضلاً عن المناجم الغنية والمعادن الثمينة التي تُستخرج منها

(١) صوت الرياح والاصحمة (٢) طين او وحل شديد (٣) الطين
المخلوط بالرمل (٤) تيجل (٥) الرطب من النبات (٦) اول ما
يبعث من الاغصان (٧) قلمسات مدورة (٨) الاسياد الشرفاء الاصغياء

غِطْلُ البرازيلِ وهنودها

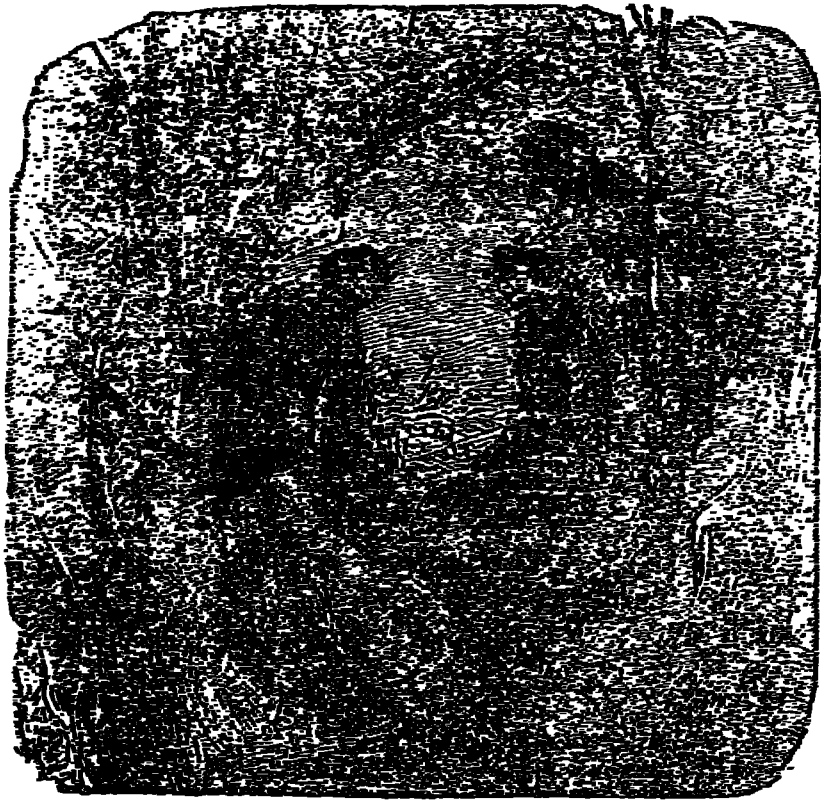
غِطْلٌ " البرازيلِ تُعدُّ من عجائبِ اللهِ في خلقه . ففي هذه
الأدغالِ أدواحٌ باذخةٌ آثيةٌ^(١) تقوُّ منايرَ الكنائسِ ارتفاعاً .
وهي آثيةُ المنابتِ غيباءٌ^(٢) مشبِكةٌ تغلُّها أنجمٌ وشجيراتٌ
وأعشابٌ متليدةٌ يتعدَّرُ أخترافها والهرورُ بينها الأعلى الهندي
المتبرنٌ منذُ الحداثةِ على اجنابها

وبعرشٍ على أعصانِ تلكِ الأشجارِ اليافِ ولحائمٍ منها ما
بحاكي الجبالِ ومنها ما بضارعِ الألويةِ تتصلُّ بعضها ببعضٍ
من فرعٍ إلى آخرٍ وتدعى أسادا^(٣) نباتيةً . وتلتفُّ على سوقِ
الأشجارِ وأعصانها إلى مسافةِ أميالٍ عديدةٍ تهشي عليها القردة

وَتَشْتَقِي بِهَا أَوْ تَطِيرُ وَتَوَاتِبُ وَتَلْعَابُ بِحَرَكَاتٍ جَبُونِيَّةٍ تُضْمِكُ

التكلى

وَتَكْتُرُ فِي هَذِهِ الْغَابَاتِ الْحَيَوَانَاتُ النَّادِرَةُ الْبَيْتَالِ وَالطُّيُورُ
الْبَدِيعَةُ الْأَلْوَانِ كَالنَّهْنِيمَةِ وَالْبَرَّاقِ وَاللُّقْلُقِ وَالْكُرْكِيِّ وَالْبَيْغَاءِ
وَالطُّوبِيرِ الدَّنَانِ. وَهُوَ أَصْفَرُ الطُّيُورِ حَجْمًا وَأَجْمَلُهَا لَوْنًا. وَمَتَى



أَشْرَقَتِ الشَّمْسُ رَأَيْتَ رِيَشَ هَذِهِ الطُّيُورِ بَيَّالَتْ فِي نُورِهَا
تَالِقًا بِهَا يَبْهَرُ الْأَبْصَارَ وَسَمِعْتَ لَهَا تَغْرِيلًا شَجِيًّا مُطْرَبًا يَنْجُحُ

الْأَقْدَةَ. وَهِيَ تَطِيرُ مِنْ شَجَرَةٍ إِلَى أُخْرَى بِهَيْزِيدِ الْجُبُورِ
وَالجَنْدِلِ. وَهَنَّاكَ أَيْضًا الْوُحُوشُ الْكَاسِرَةُ كَالنَّهْرِ وَالْفَهْدِ
وَالضَّبُعِ وَالذَّبِّ وَمَا أَشْبَهَ

وَهَنَّاكَ يَطْلُقُ النَّهْيُ وَتَشْتَدُّ الْحَرَارَةُ لِانْحِيَاكِ الْهَوَاءِ
بِسَبَبِ اشْتِبَاكِ الْأَغْصَانِ. فَتَرَى بَعْدَ وَكْفِ عَوَارِضِ الْمُنِ
الْهَيْئَةَ الضَّبَابِ مُعْلَقًا عَلَى فِئَمِ الْأَشْجَارِ يَكْلِمُهَا بِأَكَاوِيلِ
بِيضَاءِ وَسُودَاءِ

وَسُودُ عَلَى ذَلِكَ الْأَيْكِ فِي هَوَاجِرِ النَّهَارِ السُّكُونِ وَالصَّمْتِ
الْكَامِلِ. فَإِنَّ الضُّوَارِيَّ وَالْكُوَاسِرَ وَالْجَوَارِحَ تَأْوِي أَوْجِرَهَا
وَلَوْ كَارَهَا. غَيْرَ أَنَّهُ يَخْلُلُ ذَلِكَ السُّكُونُ أَوْنَةً صَوْتِ انْقِصَافِ
شَجَرَةٍ أَوْ زَعِيْقُ حَيَوَانٍ وَتَبَّ عَلَيْهِ وَحْشٌ وَأَفْتَرَسَةٌ. ثُمَّ يَبُودُ
الصَّمْتُ النَّامُ إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ

فَلَا يَدْنُو الْغُرُوبُ حَتَّى تَهْبُ الْبِهَائِمُ وَالْوُحُوشُ وَالطُّيُورُ
مِنْ رُقَادِهَا. وَتَأْخُذُ الْحَيَوَانَاتُ بِالْجَوْلَانِ وَتَوَاتُ الْأَخْتِجَةُ
بِالطُّيْرَانِ. فَتَسْمَعُ زُمْجَرَةً وَنَعْبًا وَعَوَاءً وَفِجْجًا وَزَيْبًا وَمَوَاءً وَهَرَجًا
وَمَرْجًا يَكَادُ يَرْمِيكَ بِالصَّمِّ. وَيَنْصُ الدُّوْحُ بِسَكَاتِهِ فَتَطْفِرُ
وَتَوَاتِبُ وَتَرْخَفُ وَتَكْبِنُ وَتَصَارِعُ وَتَعْدُو لِأَقْبِرَاسٍ بَعْضُهَا بَعْضًا

أَمَا أَرْضُ تِلْكَ الْغِيَاضِ فَعَلَى غَايَةِ الْخَضْبِ وَالْحُودَةِ .
 فَتَعَابِينُ فِيهَا طَبَقَاتٍ كَثِيفَةً مِنَ السِّمَادِ النَّبَاتِيِّ بِسَبَبِ أَرْتِكَامِ
 الْأَشْجَارِ الْقَدِيمَةِ الْمُنْكَسِرَةِ وَالنَّبَاتَاتِ الْمُخْلَجَةِ الْمَتَعَفِنَةِ . تَقَضَّتْ
 عَلَيْهَا قُرُونٌ مُتَوَالِيَةٌ إِلَى أَنْ بَلَغَتْ الْإِخْتِمَارَ التَّامَ . ثُمَّ أَخَذَتْ
 بِالْإِنْخِطَاطِ وَالْفَنَاءِ وَالْتَعَفُنِ بَعْدَ أَنْ مَرَّ عَلَى بَعْضِهَا النَّاعِمُ أَنْ
 يَزِيدُ . فَلَوْ بَسَطَ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلًا هِنْدِيًّا أَيْدِيَهُمْ حَوْلَ
 إِحْدَى هَذِهِ الْأَدْوَاحِ لَهَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يُطَوِّقُومَا . فَلَا عَجَبَ
 إِذَا ضَلَّ طَارِقُ هَذِهِ الْغَابَاتِ وَنَاهَ بَيْنَ أَشْجَارِهَا . فَأَيْهٌ وَتَوَصَّاحٌ
 بِهَيْلٍ صَوْتِهِ مُسْتَجِيرًا وَمُسْتَجَبًا بِرِفَاقِهِ لَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ . فَيَقْضِي
 عَلَيْهِ التَّدْرُ الشُّوومُ بِالنِّيهِ وَالْجَوْلَانِ إِلَى أَنْ يَهْوَتْ هُنَاكَ
 كَهْدًا أَوْ يَهْسِي فَرِيسَةَ الضُّوَارِي

وَتَجْرِي بَيْنَ تِلْكَ الْأَشْجَارِ أَنْهَارٌ كَبِيرَةٌ وَجَدَاوِلٌ . وَتَخْلُقُهَا
 أَيْضًا بُرُكٌ وَبَحِيرَاتٌ وَأَجْلَمٌ كَثِيرَةٌ وَقَرَّتْ فِيهَا الْأَسْمَاكُ
 وَالتَّمَاسِجُ يُسَجُّ فِيهَا الْهُنُودُ بَغِيَةَ الصِّيدِ وَالْقَنْصِ . لِأَنَّهُمْ يَرَوْنَ
 قَطَعَ تِلْكَ الطَّرِيقِ فِي الْبِيَاهِ أَبْسَرَ مِمَّا عَلَى الْبَابَةِ الْغَاصَّةِ
 بِالْأَنْجِيمِ وَالْأَعْتَابِ

أَمَا هَوْلَاءُ الْهُنُودِ فَيَخْتَلِفُونَ عَنْ هُنُودِ أَمِيرِكَا الشِّمَالِيَّةِ

بأنهم منتشرون زرافات^(١) في قري أو أكثنان متفرقة أو في
هذه الأذغال نفسها

ولها كان هواء هذه البلاد حاراً وفرت في غاباتها الأثمار
فكانت قوتاً لهم يغنيهم في الغالب عن تجشم^(٢) مشاق
الصيد . فيغتنون بالهوز وجنور نبات الهانيوق
وسباني الكلام عليه



حوت الطير بالافراخ ظاهر بديع مثالو بسبي البصائر
وقد اسي الارز لنا مثالا بفرط حوتو نحو الاصاغر
فجعلها على الاكاف رقنا ومحبها باضبي العزم باير

اذا هم العدو فدى نفوس ال
 صغار بنعم كالسبع كايـ
 يحن لنا التمل في اوزي
 مجب خالص سام وياهر
 تطوق عتقنا بصفات رفق
 ولطف ساحر طوق الجواهر
 نفاق عن ضعيف من ظلوم
 ونفذه بيأس العزم ظافر
 ونصنع في الحياة فعال خير
 تجل وذكرها كالطيب عاير
 انا شالت نعمتنا تركنا
 لمن يأتي النضائل والمائر

- (١) الشجر الكثير اللث (٢) الاشجار العظيمة (٣) متأصلة
 (٤) ملتقة (٥) قشر الشجر (٦) جبال من ليف (٧) منصبة
 كثيراً (٨) الشجر الكثير اللث (٩) جماعات من الناس
 (١٠) تكلف على مشقة

نبات الدقيق البرازيلي وحيوان

التابن

يسمى هذا النبات في لغتهم مانيوق اما استخراجُه واعادةُ للطعام فتقوم
 به نساؤهم على الاسلوب الآتي
 وذلك بأن تقلع اولاً الجذور من ارض تلك الغابات . ثم تقسل وتُحرق
 بمدقة خشية الى ان تفحول الى لب حروس . ثم يوضع ذلك اللب في كيس
 مصنوع من ورقة خضراء كبيرة وتعلق بعود فوق النار . فيسبل العصير ويمجري
 الى يقطينة مجهزة معدة لقبوله . وهو عصير سام تسمى النساء فيه سهام رجائين .
 ثم يصفو العصير بعد هنيئة ويحفظ ويحول الى قنات يفضاه تشبه النشا يفسلها

بالماء لترع العصير السامَ عَمَّها . ثم يصنعنَ منها كَمَكًا للطعام . والبرازيليون البيض يستعملون هذا العجينة أيضاً بثبابة^(١) الدقيق ويطحنونه في مطاحن وتصنعون منه خبزاً . ولا تكاد تخلو صحنة طعام منه

وتعدُّ نبال دولاه المنود قتالة لانها مغنوسة بعصير هذا النبات البالغ ارتفاعه قامة الانسان . وهو مقبول الجذوع مبرومها منطى بعقد . ويضع الرجال اشق الاعمال على طاق النساء . فبز اللواتي يجمعن هذا النبات وبعدهة ويمارسن أكثر الحدم . اما الرجال فيضطجعون خلال ذلك على همد الراحة يدخنون . ولما كانت هذه البلاد شديدة الحرارة اكفى اهلوما باقل لباس ولرقتهم ولكن لا بد من تبرين رؤوسهم بريش الطيور وحل المدي^(٢) والمخناجر في مناطقهم

وما ينصه المنود في تلك الغابات وحش يُسمى تابر يفوق النمر شراسة ووشاقة حديد السمع والشم . فيضطر الصياد الهندي الى الكون له والترص زماناً بصير وجلادة لا مزيد طليها . فيقف على دكة من خشب ينصبها بين الاشجار ويده البندقية والقوس والسهم حيث ينتظر قدومه ساعات متوالية بدون ادنى حركة ولا يعرف الملل . ومتى سمع خيفاً بين الاشجار حث خطاه متوارياً^(٣) الى ان يقع بصره على الفريسة فيرميها بالنبال المسمومة او البندقية وقتلاً بجعل الغرض . واذا اخطاه يهجم عليه الوحش فيتماركان عراكاً مائلاً الى ان يستظهر^(٤) الهندي على خصمه في الغالب فيقطع بالمدية طعنة قتالة ويحز به الى خصه للاقتناع بلحمه وجلده . ويستطيب البرازيليون لحم هذا الحيوان ويحسبونه طعاماً ايضاً

(١) مكان (٢) شفرات (٣) مختلفاً (٤) يغلب

البرازيل وسكانها وصيد هنودها

بلاد البرازيل واقرة الانهر الكبيرة والجبال الشامخة ومناجم الذهب والفضة وتكثر فيها وابل الامطار وعوارض المزن^(١) فتنمو فيها الاعشاب والبقول نمتا غريباً حتى لا تكاد تجد قناراً ولا صحاري في ذلك الاقليم البديع الجمال . ولا تلم^(٢) به الزلازل المادمة المنازل والامصار . ولا تتأوبه^(٣) الرياح القارسة ولا الرزاع الشديدة . فهو اقليم خصه الخالق بالخصب وغزارة المياه والنضارة

اما سكانه فمن القوم البيض والسود والمنود النحاسي الالوان . اما البيض فمن نسل الاسبانيين والبرتوغال . والسود من نسل الزنوج الارقاء . والمنود سكان البلاد الاصليون . يقطن بعضهم الآن البيوت الحجرية ويعاشرون البيض ويعاملونهم وتلوح عليهم سمات التدين . غير ان فطرتهم الاصلية لا تختلف عن اخوتهم في شمالي امريكا اختلافاً يذكر . لان الفريق الاكبر يفضل الانسلال عن البيض والسكنى في الغابات ولا يود ان يزعم نفسه بالتعلم والاقلاء بغيره . وقد انحط بعض كبراء الاسبانيين الى القفر المدقع^(٤) فوطنوا الغابات والادغال كالمنود وهجروا منازل البشر واتخذوا لهم اكداناً^(٥) في اشجار الغاب . يترفون الصيد نهراً ويقوسدون الاشجار ليلاً فراراً من الوحوش . ويكتفون بأحسن الدثار واللباس والاثاث مترقبين عن الشغل ومزاوله الاعمال وقد برع هؤلاء المنود في صيد الطيور بالسهام القتالة . فيضطج المتدي على اثرى ويحني القوس برجليه وجبته ملاءى بالنبال على جانبيه . فلا يعان الطائر يرف في كبد الفضاء حتى يترع^(٦) بالقوس ويرمية بأسرع من لمخ البصر وقتاً يجتلي المرى حتى انه يصيب السخنة في سباحتها لانها تسبح وتغطس تحت سطح الماء ثم ترفع خياشيمها بغية الشمس فينبعد الماء تبعثاً قلماً بلاخنة

الناظر. غير ان بصر المندي سريع التمييز فيري سهمة في الهواء. فاذا زاغ
 السهم وانحرف سقط على ذبل^(٧) الخنفاة ولم يضرها. ولكن اذا حلق^(٨) السهم
 في الجو متصباً اقلب في نزوله واصاب ظهرها فيثبته فتغوص في الماء.
 غير ان للسهم خيطاً طويلاً ملتناً عليه حتى الرأس. فيأخذ بالانشلال عن
 السهم ويعوم ريش النبله على الماء. فيثب المندي الى قاريه في الحال ويجذب
 الخيط ويجر الخنفاة اليه. ثم يطلق بغنيمته فائراً
 وللهند هناك عنا القوس والسهم سلاح آخر غريب وهو قصبه النخ. وهي
 انبويه طويلة مصنوعة من قطعتي خشب النخل مجزقتين ملتحمتين ببعضها كل
 الاتحام. والقصبه كلها مطلية بالشمع وهي ثقيلة جداً ولا يطبق حملها الا الرجل
 القوي. اما غلمان الهنود فيتمنونون بقصبات صغيرة
 وليست هذه السهام كبيرة بل حادة الاطراف ومغموسة بالسّم. فيطلقها
 المندي من تلك القصبه بالنخ فتسمع لها دويّاً وصليلاً^(٩) مويسداً على الطريدة
 ياحكام فيصيب مقاتلها. وتنفوق هذه القصبه البندقية من بعض الوجوه. منها
 انها لا تصوت مثلها صوتاً قوياً يفرع الطرائد
 فاذا صوب المندي هذه القصبه على سرب فرود او بيناه وربما ما اخذت
 تنساقط فتل او جرحي فلا يتم^(١٠) حتى يركم من صيده ركماً. اما الرجل الايض
 فلا يحسن استعمالها كالمندي. لانه لا يستطيع ضبطها وتسيدها نظيره. ويتعذر
 عليه تجويها بمن حيوان كما فعل ذاك

- (١) السحاب (٢) تتل (٣) تأتي مرة بعد اخرى
 (٤) مذبل (٥) ميوت (٦) بري (٧) صدقة الخنفاة
 (٨) اوتفع (٩) صوت وقع الحديد (١٠) يكت او يطلق

وصف الصيد

من قصيدة لآبي الطيب المتني

.
 وفي رفاقِ الأرضِ والرمالِ
 مفرد المهر عن الرمالِ (١)
 وشدة الضن لا الاستبدالِ
 فمن يضر بن على التصهالِ
 يسك فاه خشية السعالِ
 فلم يزل (٢) ما طار غير آلِ
 وما احتى بالماء والدحالِ
 ان الفوم عدد الآجالِ
 بين المروج النبع والآجالِ (٣)
 داني الخنايص (٤) من الأشبالِ
 مجمع الاضداد والاشكالِ
 خاف طيها عوز الكمالِ
 فقيدت الأيل في الجبالِ
 تسير سير التعم الأرسالِ
 ولدن تحت اقل الاحمالِ
 لا تشرك الاجسام في المزالِ
 أربهن أشع الأشمالِ
 زيادة في سبة الجمالِ
 مار لصيد الوحش في الجبالِ
 على دماء الانس والاصالِ
 من عظم الهبة لا اللالِ
 بما يفر كمن سوى انسالِ
 كل طيل فوقها تحالِ
 من مطلع الشمس الى الزوالِ
 وما علا فانقل في الادغالِ
 من المحرام اللحم والحلالِ
 سنيا ليدشت الارزن (٥) الطوالِ
 مجاور الختير للربالِ
 مشرف الدب على الغزالِ
 كان فناخمر ذا الافصالِ
 فجذما بالليل والقبالِ
 طوع وهوق الخيل والرجالِ
 معنة ييس الاجبالِ (٦)
 قد معهن من الغوالي
 اذا تلفتن الى الأظلالِ
 كما تخلفن للإذلالِ
 والعضوليس ناعما في حالِ

لسائر الجسم من الخبال
مرتديات بقي الضال
يكدن يكدن من الأطال^(١)
يصلحن للاضحاك لا الاجلال
لم تكد بالمك ولا الفوالي
ومن ذكي الطيب بالدمال
لعددا من شبكات المال
شبهة الإديار بالاقبال
فاخلفت في ولي نبال
قد اودعها عتل^(٢) الرجال
فهن يهوين من الفلال^(٣)
يرفلن في الجوع على الحال
ينين فيها نيمة المكسال
لا يشككن من الكلال
فكان عنهما سبب الترحال
فوحش نجيد منه في بلبال
نوافر الضباب والاورال
والظي والختساء والديال

وأوقت القدر^(٧) من الأرحال
نواخر الاطفال للأكفال
لما لى سود بلا سبال
كل اثث نبتها متقال
نرضى من الادهان بالاصال
لوسرحت في عارضي محثال
بين قضاة السوء والأخفال
لا تؤثر الوجهة على الفثال
من اسفل الطود ومن معال
في كل كبد كيدي نعال
مقلوبة الاطلاق والارقال^(١١)
في طرق سريعة الايصال
على القفي^(١٢) اعجل الجبال
ولا يجاذرن من الضلال
تشويق إكثار الى اقلال
يجتن في سلى وفي قبال^(١٣)
والخاضبات الريد^(١٤) والرزال
يسمن من اخباره الأزوال

- (١) قطمان من الخيل (٢) ينج (٣) اسم مكان (٤) الأجام
(٥) اولاد الخنازير (٦) اصول الشجر (٧) اشرفت المنة (٨) الخواصر
(٩) القفي الفارسية (١٠) اعلى الجبل (١١) ضرب من المشي
(١٢) جمع قفا (١٣) جبال في البادية (١٤) في لونها غبرة

جسر القروء

لقروء في ادغال البرازيل حركات غريبة منها التسلق على غصون
الاشجار والوثوب من شجرة الى اخرى . ولا كانت الاشجار هناك مثبته
امكنها السير عليها ابداً بدون ان تمس اقلها الارض . ولا يوقنها عن السير
سوى اعتراض الانهر فانها لا تحسن السباحة . واذ ذاك تولف من افرادها
جسراً لحياً تقطع عليه من جهة الى اخرى

فتى بلغت النهر تحت قيادة الزعيم السامر في الساقه (١) تربصت (٢)
للتشار والانتظار (٣) واخذت تصوت اصواتاً غريبة كأنها تبحث في الامر ثم قسم
النبة على العبور بأن تركب من اجسامها جسراً تجاز عليه الماء بالوسيلة الآتية .
وهي ان يتشبث القرد الاول باعلى شجرة ضابطاً احد اغصانها يديه ورجليه
وذنيه ثم يسك به رقيقة على هذا المنوال نفسه ثم يتشبث الثالث بالثاني كذلك
والم جراً . ويصبح الجميع كجبل طويل يهتز ويخطر عدة خطرات تقوى بالتتابع
الى ان يُحذف الى الجانب الآخر فيتمسك الاخير باغصان الشجرة الواقعة على
الضفة المقابلة فيكمل بناء الجسر ثم تأخذ سائر القروء الواقعة لمعاينة العمل
بالعبور . واذ انقطعت احدى حلقات هذا الجسر يهبط القروء في الماء ويغرق
بعضهم . واذ اسعفهم الحظ بعدم انقسام (٤) عرى هذا القطار (٥) تمر عليه تلك
القردة سالمة . ثم يفك الاول نفسه من الغصن المسك به ويمهتز تلك الارجوحة
خطراً متتابعاً الى ان يصل الجميع بسلام الى الشجرة على الضفة (٦) الاخرى

- (١) مؤخر الجيش (٢) انتظرت (٣) المشاورة (٤) انقطاع
(٥) قطعة من الايل على نمق واحد (٦) جانب النهر

زنايق الماء الكبيرة

تموهن الزنايق العجيبة في البحيرات والبرك المتجمعة من نهر الامازون .
ومحيط اوراق هذه الازهار ثنائي عشرة قدماً . اما الزنايق الكبيرة البيضاء
فتنصب فوق الماء . والاوراق متينة جداً حتى يستطيع الولد ان يقف عليها
بدون ان يغرق وتشي عليها الطيور الكبيرة

واسم هذه الازهار بلغة تلك البلاد جا كانا وموطنها في الغابات والاحراج
الواقعة قرب النهر . فتمت خيم الفسق (١) اخذت اكواعها (٢) بالفتح . فتراما اولاً
بيضاء ناصعة (٣) ثم تلون باللون الوردى ثم القرمزي القاتم وتطر الهواء بأرج (٤)
ذكي الرائحة . ومتى بلغت ثلاثة ايام من عمرها ذبلت وهبطت تحت الماء لانفراج
بزور جديدة . فيأخذ الهنود هذه البنور ويقطونها ويستهلمونها طعاماً . وقد وضع
احد السياج بعض هذه البتلات (٥) في قارب فلم يسع اكثر من اثنين منها

(١) شدة ظلام الليل (٢) جمع كم وهو الغلاف الذي ينشق
عن القرو ومحيط به (٣) شديدة البياض (٤) الريح الطيب
(٥) فبيلات مقطعة عن احمها

حمام الأطفال النخلي وشمع النخل

شجر النخل في البرازيل غياذ كبيرة قرنية تغلف كباغ
الزهر قبل تفجئها . فتمت نصبت الازهار شقت الغلاف

وَفَتَحَتْ أَكْهَامَهَا . فَتَنْصِبُ تِلْكَ الْأَعْبَادَ ^(١) أَوْتَةً وَتَنْذِي أُخْرَى
 وَتَسْلَلُ فِي نُورِ الشَّمْسِ ثُمَّ تَسْقُطُ مِنْ نَفْسِهَا . فَتَلْقِطُهَا الْهَرَاءُ
 الْهِنْدِيَّةُ وَتَسْتَعْبِلُهَا حَبَامًا تَغْمِلُ فِيهِ صِغَارَهَا . وَتَسْتَحْدِمُهَا
 لِغَابَاتٍ مِثْلِيَّةٍ أُخْرَى عَالِيَةً تَقُومُ عِنْدَمَا مَقَامَ الْقِصَاعِ
 الْكَبِيرَةِ وَالطُّسُوتِ . وَلَا تَضُرُّ لِشِرَائِعًا بَلْ تَغْنَمُهَا مِنْ
 الْغَابَاتِ

وَيَسْتَعْبِلُ الْبَرَّازِيلِيُونَ وَالْهِنْدِيُّونَ أَشْجَارَ النَّخْلِ لِإِنْفَاعِ فِي
 أُمُورِ شَتَّى كَالطَّعَامِ وَالْخَبْرِ وَالنِّيَابِ وَالْأَثَاثِ وَبِنَاءِ الْبُيُوتِ
 وَهَلْمٌ جَرًّا

وَقَدْ وَفَّرَتْ عَلَى ضِفَافِ أَنْهْرِ الْبَرَّازِيلِ أَشْجَارٌ تُدْعَى النَّخْلُ
 الشَّمْعِيُّ يُسْتَخْرَجُ الْهِنْدِيُّونَ مِنْ أَوْزَاقِهَا الْغَضَّةَ شَبَعًا بَانَ يَقْطَعُونَ
 تِلْكَ الْأَوْزَاقَ وَيُحْفِنُونَهَا فِي الشَّمْسِ . فَيَسْقُطُ مِنْ سَطْحِهَا بَعْدَ
 الْجَنَافِ حَرَائِفُ يُذَيَّبُونَهَا عَلَى النَّارِ فَتَصْجُرُ شَبَعًا أَيْضًا حَسَنًا
 ثُمَّ مَتَّى يَرُدُّ جِهْدًا وَصَلَبًا وَعَمِلَ مِنْهُ شَمْعٌ لِلِإِضَاءَةِ

وَيَسْتَخْرَجُ الْأَهْلُونَ مِنَ النَّخْلِ الشَّمْعِيِّ أَيْضًا طَعَامًا . لِأَنَّهُ
 يَجِبُ نَهْرًا أَسْوَدًا لَمِعًا بِقَدْرِ حَجْمِ الْبَيْضَةِ . فَيَغْلُوهُ عَلَى النَّارِ
 وَقَتًا طَوِيلًا ثُمَّ يَأْكُلُونَهُ مَعَ اللَّبَنِ . أَمَا جُذُوعُ هَذَا النَّخْلِ

فَمَلَّأِي مِنْ لُبِّ لَيْنٍ أَيْضَ لَذِيذِ الطَّعْمِ . فَتَنِي جَاعَ الْهِنْدِيِّ
وَطَلَبَ الطَّعَامَ عَهْدَ إِلَى أَحَدِهَا وَقَطَعَ جِذْعَهَا وَأَسْتَخْرَجَ
الْأَلْبَّ وَأَقْنَاتِ بِهِ .

(١) غلاف الزهر

سهول اللانوس في اميركا الجنوبية

ان هذه القارة تدهش العقول بفزارة امهرها واتساع غاباتها وعلو جبالها
وامتداد سهولها ووفرة نباتها. فان فروعا كثيرة من نهر الامازون تفوق الانانوب
حجمًا، وغياض كيانا وحدها نبع عدة ممالك كبريطانيا. وارفتاق جبال الالب
يعد جزيًا بالنسبة لجبال الاندس. وسهول المانيا الشمالية وهولندا تحسب
كلاشيء بالمقابلة مع سهول اللانوس في فينيترولا وغرناطة الجديدة البالغة
مساحتها ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع

فترى هذه السهول بجزر الاحدلة نارة مغطاة بالاعشاب والبقول وطورًا
جرداء بلنما عنترقة من القبط لا جدول يجري فيها لتبريد ظها المسافر ولا
بر فيها ولا ينبوع ولا ظل سوى بعض شجيرات نخل لا تكاد تظلل المساح
المحرور

وهذه السهول تمتد من سفح الجبال الى شاطئ البحر والى مصب نهر
اورينوكو العظيم. وهي واقعة بالقرب من خط الاستواء. ولكنها تختلف عن
صحاري خط الاستواء الافريقية بكثرة امطارها شتاء واكتسائها بالاعشاب
المخضراء شتاء ووريبها

ولكن متى أتى الصيف لبح القبيظ الاعشاب وجنّف الينابيع والبُرك وثارَت
الاعاصير^(١) الرملية . فتهتز الارض قبل قدومها وترتجف كمن زلزال عنيف .
ثم يكفهر^(٢) الجوّ من غيوم الرمال المرتفعة في الهواء . وهبّ الرياح من كل
الجهات دفعة واحدة فتتلاطم مجاريها بعضها ببعض تلامم امواج البحار . ويرتفع
الرميل ارتفاعاً عمودياً الى عنان^(٣) الافق كالاعاصير المائية . ويأخذ هذا العمود
بالانكشاف والتقدم الى الامام مسافة شاسعة . ويلوح كأنه على شفاة^(٤) الانهار^(٥)
ومنظلياً ما يصادفة في سيله . فتُدعّر^(٦) الكواكب واليهائم والطيور وتنجي الى
مكان تستر فيه . ثم تسكن الزعازع بعد حين فتشغ الغيوم وتبعث الغزاة^(٧)
بشاعها فتطلي الرضاء^(٨) كما كان قبيل تلك الصرصر^(٩)

ومتى انقضى فصل الصيف تكبد زرقه الجوّ وتشتت الغيوم وبلغف
الفلك بالضباب وتدمدم الرعود ويح ويحي^(١٠) العيث ووايلة^(١١) فنجبا الطبيعة
وتنمض من سباتها بسرعة غريبة وتكسي تلك السهول كأنه بقوة سحرية يسطا
الاخضرار الزبرجدي وتبعث ازهاراً تبهير الابصار وتطرّ الهواء وتجع الاطيار
ويرد الحيوان الماء ينهل ما بروي^(١٢) اواره^(١٣) بعد ان هبّ من رقاده . فتدري
الخيل البرية والثيران في المرعى والنمر يكن للوثوب عليها . والتاسع الكبيرة
والاقاعي المائية المدفونة في الوحول تنشط من وسنها^(١٤) وتعدو الى الانهر .
وتسابق البُرك والجيرات الجديدة غاصّة بالحياه الحيوانية تسبح فيها اسراب
لا تخشى من طيور الماء . وتبرز خلائق جديدة من الهوام والحشرات من كل
الانواع والاشكال وترحف الى خصاص^(١٥) الهنود . ثم يقول ذلك السهل
التصح بالدرجج الى بحيرة يعود الطرف عنها كليلاً

فقد يضطجع الهندي حيثذ او المسافر في احد الخصاص على تلك الضفاف
فيدري الارض تحث تحرك فيعروء العجب والذهول . فيلتمت للوقوف على
حقيقة الامر واذا بتساج كبير بارز من الطين يتناول بعنقه للخروج من ذلك
الجذث^(١٥) ولتفسس الهواء . فيجنان بعينيه كأنه دُهِش مما يراه امامه . فيفرّ سكان

المُخَصُّ مذعورين ويفسحون له مجالاً للافلات . فلا يتم حتى يتخلص من قبره .



الصلصالي ويزحف زحفاً بطيئاً ثم يفرض في الجبيرة ويتوارى عن العيان

- (١) الريح عهب من الارض كالمود الى السماء (٢) الليل تراكم
 واشتد ظلامه (٣) ما علا وارفع (٤) حرف المكان وحده
 (٥) سقوط (٦) تخاف (٧) الشمس (٨) الارض الحامية
 الحارة (٩) ريح شديدة المهبوب (١٠) مطر الربيع الاول
 (١١) المطر الشديد الضخم القطر (١٢) عطشة (١٣) نوحها
 (١٤) يموت من القصب (١٥) قبر

حيوانات سهول لانوس و بطخ الكاكس و حرق الاعشاب

اما البهائم والكواسر في تلك السهول فوافرة جداً . منها المواشي البرية
والخيل والبعال والوحوش الضواري كالتمر الاميركي والاسد المسى بيوما
والتمساح . فتي حي البهير^(١) صيفاً تجف الرياح وتنشف البرك ويشد التيط .
فيظن الانسان والحيوان ويدفن التمساح نفسه في الوحل عند ضفاف الانهر
وتجيم الخيل تسابق الرياح ممدودة الاعناق وتجول البغال تنفش عن نبات
غزير العصارة باردها كبير الزهر والحج لذيد الطم شاتك اسمه بطخ الكاكس
ينمو هناك حتى على الرمضاء

فتشر البغال الصادقة^(٢) بفطرها الطبيعية الشوك عن هذا الثمر بموافرها
القوية وتمص عصيره فتبرد غليها . وقد تدخل الاشواك الكبيرة في حوافرها
فتجرحها وتجعلها تجمع^(٣) . ومتى خيم النسق ثنناقص حرارة الهواء وتفوز الاحياء
ببعض الراحة . غير ان البهائم قلما تمتنع بالجوع^(٤) . فان خفافيش كبيرة تجوم
حولها فاذا استقرت على فرس او بقرة عضها عضاً لا تكاد تشعر باليه فتأخذ
تمص دمها الى ان تأتي على آخره . فيقع الحيوان المنكود الحظ ماتماً . وقد تمص
هذه الخفافيش دماء البشر وهم رقود في الغلاة ومستغرقون في النوم فتضكهم
فتكها بالحيوان

ويستغرق الكركدن والتمساح في سبات النوم صيفاً استغرق دب الشمال
شتمه . وتجر سائر الحيوانات تلك الحزون^(٥) الى الغابات والامهر . وهكذا يفعل
المنود سكان ذلك الاقليم . وقد تحرق تلك الاعشاب الجافة احتراقاً هائلاً

الى مساحة مئات من الاميال . فتشاهد النار والليهب يرتفعان الى عنان الجوى
ويسيران كوميض^(٦) البرق . وينشر الدخان كحباب كثيف متلبّد فيظلم
النساء وتسمع لحنيف^(٧) الاعشاب اصواتاً راقية . فاذا لم تشارك الامر بالصعود
على راية او يميز النبات حولك على النور تدرك النار وتلتهمك في الحال

(١) شدة الحر (٢) عطشانة (٣) تخرج (٤) النوم
(٥) السهول (٦) لحن خفيف (٧) صوت الرياح والاصحجة

الانوار في الأشجار

من سهول لانوس ما هو آهل معمور بالقرى ومنها ما هو مقفر خال من
السكان ملوثة بالمجومات البرية

ومن غرائب النبات النامي فيها نخل ناصر عند مصب نهر اور ينوكو
يدعى نخل المروحة لامتداد فروعه كالارواح وهو مصدر ارزاق الهنود فيصنعون
من لبو خبزاً مخدّباً ومن عصيره خمرّاً ولا يخشون معه جوعاً

وعند ما تهر السهول تلك السهول شتاء . ماذا يصيب الهنود وكيف
يعيشون . انهم يعلقون احشاشهم^(١) بالاشجار وهي خصاص ارضها حصر منموجة
من الياف النخل . فينوطونها^(٢) بالاعصان ويصنعون لها جدراناً من طفال^(٣) .

فيذخرون فيها المؤونة ويرتبون اثانها الزبد ويضرمون فيها النيران للاستدفاء
والطبخ . ولما كانت ارضها رطبة امسوا لا يخشون احتراقها . فاذا عجزت القوارب
والسفن في النهر رأى ركابها ليلاً الانوار تشتعل في الاشجار فيعلمون ان الهنود
ساكنها بطون^(٤) طعامهم ويستدفئون

(١) صوت صغيرة (٢) بر بطون (٣) طين يابس (٤) يطبخون

ارض الجبارة

فِي أَفْصَى قَارَةِ امْبِرْكَالِ الْجَنُوبِيَّةِ بِلَادٌ وَّاسِعَةٌ اسْمُهَا بَانَا كُونِيَا
 وَهِيَ بِلَادٌ مَتَبَدِيَّةٌ قَارِسَةٌ الْبَرْدِ. لَيْسَ فِيهَا سِرَى حُرُونٍ يَرْتَجِعُ
 بَعْضُهَا عَنِ الْآخِرِ أَرْتِقَاعٌ صَعِيدٌ مَنْضُدٌ تَنْبَتُ فِيهَا الْأَعْشَابُ
 الْمُخْشِنَةُ الْهَتْلِبِدَةُ وَتُخَلُّ سَهُولًا أَوْدِيَّةٌ تَنْبَتُ فِيهَا الْبَقُولُ أَيْضًا
 وَتَهْبُ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ شَتَاءً رِيَاحٌ صَرَصْرٌ وَصِنْفَا قَصِيرٌ
 حَارٌّ يَلْفُحُ بِقَيْظِهِ الْأَعْشَابَ وَالْبَقُولَ. وَهِيَ قَلِيلَةُ الْأَمْطَارِ
 وَالْأَنْهَارِ وَالْجُدَاوِلِ إِلَّا فِي الْأَوْدِيَّةِ حَيْثُ تَوْجَدُ يَنْابِيعٌ وَبُرُكٌ
 يَعَافُ طَعْمَهَا النَّوْقُ إِنَّهَا يَضْطَرُّ سُكَّانُ الْبِلَادِ إِلَى الْإِسْتِقَاءِ
 مِنْهَا

وَتَقطنُ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ أُمَّةٌ هِنْدِيَّةٌ هَمِيَّةٌ طَوِيلَةُ الْقَامَةِ
 جِدًّا حَتَّى تَخَالِفُهَا مِنْ نَسْلِ نَبِيِّ عِنَاقِ الْجَبَارَةِ الْأَقْدَمِينَ. لِباسُهُمْ
 بَرَانِسٌ جَلْدٌ مِنْ حَيَوَانٍ بِجَاكِي الْأَمَّا يَعِيشُ فِي بَانَا كُونِيَا وَهُوَ
 سَرِيحٌ الْجَزِي بِسَرَحٍ قِطْعَانًا وَاسْمُهُ غُونَا كُو. يَكْسُو الْأَهْلِيْنَ
 بِجِلْدِهِ وَيَقْتُوهُمْ بِلِحْيِهِ

وَعِنْدَ ذَلِكَ الْبِلَادِ قِبَاحُ الصُّورَةِ وَمَنْظَرٌ رَائِعٌ وَشَعِيرٌ

طَوِيلَةٌ خَشِينَةٌ كَثَّةٌ مَدْلَاءَةٌ إِلَى أَكْثَافِهِمْ وَرُوسُهُمْ كَبِيرَةٌ وَعِظَامُ
خُدُودِهِمْ مُرْتَفِعَةٌ بَارِزَةٌ. وَيَنْفُشُونَ أَجْسَامَهُمْ مِنْ فِيهِ الرَّأْسِ
إِلَى اسْفَلِ الْقَدَمِ بِالْأَلْوَانِ وَالصُّورِ الْغَرِيبَةِ وَيَطْوِقُونَ
أَعْيُنَهُمْ بِدَوَائِرٍ بَيضاءَ. وَيَسْكُنُونَ فِي خِصَاصٍ أَوْ مَضَارِبَ
مَصْنُوعَةٍ مِنْ جِلْدِ الْحَيَوَانِ الْإِنْفِ الذِّكْرِ لَهَا مَدْخَلٌ مِنْ
جَانِبٍ وَاحِدٍ. فَإِذَا رُزَتْ تَلِكُ الْحَيَامِ رَأَيْتَ فِيهَا بَضْعَةً
جُلُودٌ يَخْتُونُهَا فِرَاشًا وَدِنَارًا وَأَسْلِحَةً قَلِيلَةً لِلصَّيْدِ وَالنِّعَالِ. أَمَّا
هَذِهِ الْأَسْلِحَةُ فَهِيَ مَحْدَدَةُ الطَّرْفِ تُضَارِعُ الْأَخْجَرَ وَمِقْلَاعٌ
هُوَ سَيْرٌ مِنْ جِلْدٍ طُولُهُ عَشْرُ أَقْدَامٍ أَوْ اثْنَا عَشْرَةَ يَنْتَهِي
بِنِصْفِ غِلَافِ جِلْدِيٍّ. فَهِيَ رَامٌ الْهِنْدِيُّ الْقَنْصَ عَلَامَتُهُ
جَوَادِيهِ السَّرِيعِ وَأَخَذَ حَجْرَيْنِ كَبِيرَيْنِ أَوْ كَرَيْنِ فَوَضَعَ
أَحَدَهُمَا فِي الْمِقْلَاعِ وَقَتَلَهُ حَوْلَ رَأْسِهِ وَشَرَعَ بِمُخَضَّرٍ عَلَى
فَرَسِهِ. ثُمَّ مَجَذَفُ الْمِقْلَاعِ وَالْحَجْرَ مَعًا عَلَى الطَّرِيدَةِ. فَيَطِيرَانِ
فِي الْهَوَاءِ وَلَهُمَا تَوْبِيٌّ وَحَنِيفٌ فَيُصِيبُ الْحَجْرَ الطَّرِيدَةَ وَيَقْتُلُهَا
عَلَى النَّوْرِ غَالِبًا. وَإِذَا أَخْطَأَ الْحَجْرَ الْهَرَمِيُّ النَّفَّ السَّيْرَ حَوْلَهَا
وَأَوْقَفَهَا عَنِ الْفِرَارِ. فَيَتَرَجَّلُ الْهِنْدِيُّ وَيَتَرَلُّ عَلَيْهَا بِالْهَيْدِيَّةِ
فَيَجْرِي عَمَّا غِصَصَ الْهَيْدِيَّةِ

وَكثيرًا مَا يَنْطَلِقُ الْهُنُودُ إِلَى الصَّيْدِ جِيوشًا مَكْتَبَةً
مَمْتَنِينَ صَهَوَاتٍ جِيَادِهِمْ وَيَهَاجِرُونَ قَطِيعَ الْغَوَانَا كَوْمَعًا.



فَتَسْمَعُ نَوِيَّ الْمَقَالِيعِ فِي الْهَوَاءِ وَتَرَى الْخِيُولَ تَسَابِقُ الرِّيَّاحَ
وَالطَّرَائِدَ تَسْقُطُ فُرَادَى وَمَشَى وَثَلَاثَ وَرَبَاعَ إِلَى أَنْ يَبُودَ
الصَّيَّادُونَ بِالْغَنَائِمِ الْوَافِرَةِ
وَيَصِيدُ الْهُنُودُ أَيْضًا طَائِرًا طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ كَبِيرَ الْجَنَفِ
يُشَاكِلُ النِّعَامَ إِلَّا أَنَّهُ أَصْغَرُ مِنْهَا قَلِيلًا. وَهُوَ سَرِيعُ الْجَرِيِّ

لَا تَكَادُ تُدْرِكُهُ الْخَيْلُ طَرِيءَ اللَّحْمِ لَذِيذِ الطَّعْمِ يَعْتَبِرُهُ الْهِنُودُ
كُلَّ الْأَعْنَابِ

وَكُلَّمَا بَرَعَ الْهِنْدِيُّ فِي الصَّيْدِ زَادَتْ كَرَامَتُهُ عِنْدَ عَشِيرَتِهِ
وَأَرْتَفَعَ شَأْنُهُ . وَالْخَيْلُ هُنَاكَ وَافِرَةٌ الْعَدَدِ فَيَسْتَطِيبُهَا الْهِنُودُ
وَيَجُولُونَ عَلَيْهَا مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ . وَقَدْ يَسْلُبُونَهَا مِنَ الْبِلَادِ
الْجَاوِرَةِ . فَإِنَّ سَرِقَةَ الْخَيْلِ شَائِعَةٌ عِنْدَ هَذِهِ الْقَبَائِلِ الْهَجْمِيَّةِ
حَتَّى أَصْبَحَتْ حِرْقَةٌ تَأْتِي مُحْتَرِفًا بِالرُّزْقِ وَالْإِعْنَابِ

- (١) يكره (٢) مكين (٣) ظهر (٤) يركض
(٥) ما غصَّ به الانسان (٦) موت (٧) مجبحة (٨) راكبين
(٩) مفاصل الفرس

سهول البامباس وسكانها وجبالها

إذا سُرَّحت الطرف في خريطة اميركا الجنوبية رأيت في جنوبيها ولاية
كبيرة تُدعى بونس ايرس . وفي الناحية السفلى منها سهل فسيح جداً يُدعى
بامباس قسمة الأول مغطى بالعوج والعليق الطويل الكثيف الشائك الذي
يتعدَّد حرقه حتى طلى الحيوان . لكن متى انقضى زمان تذبل الازهار والسوق
ويجفك بعضها ببعض فتتماقط . ثم تتناثر في الهواء . ويصح الغيث مدراراً (١)
وتعصف الرياح فلا يبقى لذلك النبات اثر . ويهت مكانه البرسيم (٢) الغض
الاخضر الجميل

اما القسم الثاني فمكسو بالاعشاب . ومتى اجترت العليق والبرسيم اتيت
بجراً من الاعشاب المتوجهة الى آمد اميال اسمها بامباس . وعابت وراءها غياضاً
كبيرة متفرقة الاشجار . ولذلك كان هذا السهل المكسو بالبرسيم والبقول (٤)
والبرسيم والاشجار غاية في الغرابة

اما عشب البامباس فجميل جداً تحاكي اوراقه الريش وهي فضية اللون
ومتى هبّ الهواء ترى الازهار تلعب وتتموج كزبد البحر الابيض المتألق في شعاع
الشمس . وشاهد الخيول البرية تعدو خيلاً واهاجاً في سائر سهول هذه القارة
ويقطن ههنا الاقليم جبل (٤) مغرم بقص الخيل البرية . فلا تكاد صنارهم
تدب على الارض حتى يركبهم متون الجياد ويمرتوم على الطراد والصيد . ومتى
شبهوا ركضوا وراء الخيول وقصروها بالوهق (٥) . ويقضي هؤلاء القوم زمانهم على
ظهور الخيل . اما اصلهم فمن بقايا الاسبانيين ولا يعيشون معيشة الهنود فلا يجولون
ويرحلون نظيرهم . لان معيشتهم تعلق على الابنار البرية المتبسرة في تلك السهول .
فتمت فرغ زاد احدهم بعلو جواده وبأخذ يده الوهق ويتطلق الى البادية
ويرمي الوهق حول قرني الطريدة فيصرعها الى الارض . ثم يخرج مدينة
الطويلة ويدبجها فيتنفع بلحمها وجلدها

ولا يتم هذه العشيبة بزرع القطن والبقول وغرس الحلائق وبناء البيوت
بل تهرأخاشاً من تراب مجبول بين الاعشاب اليابسة . ومن الغريب انهم
يصنعون مقاعد من رؤوس الخيل . ويضعون اطفالهم في اسرة من جلد
الجاموس يعلقونها في السقف ويلبسون رداء قصيراً من جلد وتلوح عليهم
ملاعح العجيبة . واذا اطلقوا لخيولهم الاشته (٦) سارت بهم كالبرق المخالف
ورأيت شعورهم السوداء تطير مع الرياح

ويأوي تلك السهول ايضاً هنود اشد توحشاً من اولئك متمنون نظيرهم
على ركوب الصافنات (٧) بل اقدر منهم على مطاردتها واسرع عدواً فيبجسون على
خصاص البيض احياناً ويجرقونها ويتكون بهم فتكا ذريعاً

وفي جنوبي اميركا ايضا جبال الاندس العظيمة المغطاة بالثلوج الثلاثة التي
تطاول شعورها^(١٠) العباب وتمتد الى الساحل الغربي . ومتى اجتاز السياح
تلك الجبال الشاهقة يضطرون الى المسير في طريق وعرة المسلك ضيقها
لا تكاد قدما المسافرين يجان فيها مكاناً تظاؤون وهي تشرف على وهاد^(١١) وهاوي^(١٠)
عميقة ترمي ناظرها بالدوار^(١١) . واذا زلت بسالكها القدم هوى الى اسفل تلك
الموة فتمزق قطعاً

ولما كانت البغال هناك متمرنة على سلوكها ومطبوعة على شدة الحذر
والتحفظ آثر المسافرون ركوبها على السير مشاة . ولكن لا بد من ان يصحبوا معهم
دليلاً هدياً يهديهم الى آمن المسالك . فيطلقون لبغالهم العنان ويتركونها
تذهب كيف شامت واثقين بغطتها وحذرها . فقد تبلغ صخوراً ملساء مرتفعة
كجبلار البيت فلا تحاول المشي عليها . بل تطبق قوائمها الاربع معاً وتزج^(١٢) من
قبة الجلود^(١٢) الى حضيضه فصل سالة

واكثر قم جبال الاندس بركانية يُحسب احدها اعلى بركان في العالم واسمها
كونوباكسي . وهذه القبة الباذخة تسمى النجوم وهي مخروطية ملساء . فتي هاج
هنا البركان رأيت مشهداً يروعك هولاً وجماله . فيظلم هذا الجبل وتكهر سائر
الجبال حوله ويدلم^(١٤) الافق بالدخان . ثم يسكب سيولاً من المصهورات^(١٥)
البركانية . وتذوب الثلوج وتسيل كطوفان يطغي على تلك البطاج ويجمع منه
برك وجلاول . ومتى سكن الجبل تأخذ الانهر الخبوة بالتجمع والبحري ويتألف
منها غمران وجلاول . ثم تبدأ هذه الجلاول بالانساع وتهدر عليها السيول
والخنادل^(١٦) فتطغي طغياناً عظيماً وتسبح فيها الاسماك التي تنفض السمكي في هذه
الحال لتستر عن اعين الاعلاء

وبعد انقضاء بضع سنين تسع هذه البرك وتزداد الاسماك فيها . ثم متى
هاج البركان يتزلزل الجبل ويرجف . لان الزلزال يتقدم انفجار البركان وكلما
امتد ذلك الطود تشقق وانفتحت الاخاديد^(١٧) واللاع^(١٨) على جوانبه ثم يسكب

سهولاً من الوحل والماء ويطر على تلك الاصقاع اسماكاً لا عدد لما
فقد اطرت مرةً من تلك البراكين اسماكاً واقرة وانتشرت في تلك البلاد
على مساحة ميلين او يزيد حتى كان الناظر لا يرى على مدى بصره سوى
الاسماك الكاسية هذه البقاع . فكان ذلك حاملاً على تلف غلال الخمول
ومحصولاتها وبعثاً على الحميات الناشئة من فساد المراء برائحة الاسماك المتعفنة

- (١) سيلاً غزيراً (٢) حب القُرْط (٣) نبت طيب الرائحة
(٤) طاقة من الناس (٥) الجبل في طرفيه انشوية لصيد الحيوان
(٦) جمع عنان وهو سير الجمام (٧) الخجل (٨) جمع شُعفة وهي رأس الجبل
(٩) جمع وهدة وهي الهوة في الارض (١٠) ما المنخفض من الارض في سهوله
(١١) دوران في الرأس (١٢) تتراقت (١٣) صخر (١٤) يكثف
ظلامه (١٥) مواد ذائبة (١٦) ترع (١٧) جمع اخدود
وهو الحفرة المستطيلة في الارض (١٨) مسابيل الماء

— ١٠٠١ —

شجرة اللبن وحيوان اللاما

تتو عند - نيفس جبال الاندس اشجار تثبت على الصخور وهي عالية جداً
ولا تثبت اصولها في الصخر بل تثبت به بعض الثبوت ولذا انها متينة كالجلد .
ولا نبات اخضر سائماً . ويتفع منها اهل تلك البلاد كثيراً بأن يستخرجوا منها
لبناً يضارع لبن اتيان

فتي نشرت النزالة جوفها^(١) الذهبية على تلك البطائح^(٢) رأيت جمهوراً
من البيض والفضة منتصبين حاملين قضاغ يقطنون يستندون من تلك الاشجار
لبناً سحوراً . فيسبون بنوهم انفسهم فيسيل عصير ابيض يشاكل الخشب لونا

وطعمًا فيلأون منه قصاعهم ويرجعون . وقد يجلس بعضهم ويتهل اللب في
الحال . غير ان أكثرهم يأخونه لاولادهم في المتل . وهو احلى من اللبن
الحيواني وادس

وفي ييروحيوان نافع يجاكي الجبل بعض المحاكاة لكفة اصغر منه حجباً اسمه
اللاما . ولا يوجد في غير اميركا وموطنه خصوصاً ملكة ييرو ولة طباع الابل
من وجه الصبر على العطش وقلة الاكل . ويستخدمة الهنود لحمل الاحمال
والركوب بدلاً من الخيل والجبال

ولما اليهم منية السلوك في الاماكن الوعرة الصخرية فلا يمشي ولا تنزل
قوائمهم . ولما كانت تلك الجبال غنية بمناجم الفضة يستخدمه القوم لنقل ركازها (٢)
ويتنافس اربابها بتربيتهم رؤسهم بالمجركسات وعنته بالاجراس ويسوقونه قطارات
على تلك الاطواد (٤) الباذخة (٥)

واذا همظ (٦) رب هذه الراحة متنها بوقر (٧) ثقيل تنقط على الارض فلا
تمض ولو تنزل عليها بالمباط الى ان يجتف عنها الجبل
ومن هلا الحيوان ما هو وحشي يصرح قطعاناً على الجبال ويصعد الى
قممها . وهو اشد نشاطاً وعدواً ومرحاً من الاليفة . فيشب ويقفز بين الصخور
كالإيل والوعل والماعز . واذا رأى انساناً ركض مرتقياً الصخور الملساء حتى
يبلغ شفة الجبل

وعلى ظهر هذه المطية كساء صوفي لين يميزه الهنود وينزلونه ويجوكون منه
نسيجاً حسناً . وتصدر منه الى بريطانيا وغيرها مقادير وافرة حيث تغزل الآلات
البنجارية وتنجت وتصنع منه النساء اردية جميلة وبروداً

(١) ستايرما (٢) الاماكن المستوية (٣) معدنها الخلفي

(٤) الجبال (٥) العالية (٦) حمل الراحة فانسها (٧) يحمل

ثقل (٨) اثواباً مخططة

النمل الأبيض موطنه وتركيبه

واقسامه وطباعه

موطن هذا النمل في الاندلس الغربية والشرقية وإفريقية وإميركا الجنوبية وسينغال وهو من طائفة النورويترا

ولكل نملة اربعة اجنحة ورأس مثلث الزوايا وفك قوي وشقة صغيرة وصدر مطبق وطرف يضيء مركب من عقد مرتبطة بمفاصل . ولها حُجَات (١)

لداغة خُصت بها الاتى والخنثى فقط . ولجسدها كيس صغير تخرج منه مادة حامضة تقتل راتحتها الحشرات المؤذية . وله قوة عضلية عظيمة فيجمل ما يزيد على ثقل جسمه باثني عشرة مرة . ويعيش طواقب وفرادى ويحضر صغاره . وهو مؤلف من ذكر واتى وخنثى وقمل . فالاول والثاني للتوليد والثالث للحراسة والجنديّة والرابع للبناء والترميم والتهوين وهو الاوفر عدداً

اما الاتى فأصغر حجماً من سواها وهي مستديرة الرأس قصيرة الفكين بالنسبة لسائر انواعها كبيرة العينين بارزتها واسعة الاجنحة وعلمها اعالة الصغار وتربيتها . واما الخنثى فاقبل عدداً واكبر حجماً طويلاً الرأس والفكين . ويحسب معدّلاً واحداً بالتمه . وهي حارسة زمن السلم وحنديّة آن الحرب

ويخرج هذا النمل بعد كمال نموه في الخريف ربوات وملايين واحداً في طلب الرزق . ثم يأخذ في الطيران قبلاً الفضاء ويدخل البيوت ويطلق المصابيح . وقد يلج (٢) السفن ويغطي وجه الارض والماء . ثم لا يلبث ويخلع اجنحة فيصبح قريسة اعلاؤه الكثيرين . فتطلبه الطيور والحشرات والحيوانات حتى

البشر طعاماً . قيل انه لذيد الطعم كيتجاج محلى بسكر او قشدة محلاة او رفاق بلوز . ولا يكاد يفلت من تلك الكنايب الحصاة بالملايين زوج واحد لتوليد طاقة جديدة . فان اسعد الحظ انشى وفازت بالسلامة عثرت عليها عاملات طاقة اخرى فاتتبتها ملكة او اماً لمستعمرة جديدة وأدت لها الخضوع والولاء (٢) وشرعت يجامها من الاعلاء فتغظها ضمن حجرة من طفال على قدر حجمها لا يسع مدخلها سواها وحقى فلا تستطيع الخروج منه لانه يضيق بعد جنافه . فتأخذ باعداد المآذن (٣) . ثم تنقلها النعلة الى حجرة خاصة . وتقدم لها الطعام وتي كبرت صفارها وسعت العاملات النقى (٤) الملكي

وتضع الاثى ٦٠ ذراً (٥) في الدقيقة او ٨٠٠٠٠ في ٢٤ ساعة وطول حياتها ستان . اما بيت الملكة فلا يجلو من الحراس والجنود ولها ايضاً عُرف خاصة وشغلها الخنارة والدفاع . والنعلة تملأ بيوت الملكة للاعتناء ببيوضها . وتخدم الصغار خدمة عجيبة فتحملها في افواهها وتضعها في اماكن امينة . فتكون اولاً بزوراً يمضاه ثم تبليها باللعب وتكومها كوماً في الارض ثم تحضنها لتدقنها وتنقلها من حجرة الى اخرى والى الخارج لتستدق في نحو ربع ساعة . وتمضغ الطعام وترقبها اياه بصبر جريل . فتمضغ الصغار بلسانها . فاذا دخلت قرية هذا النمل رأيت بعضه يرق وغيره يحرس ويدافع . وسواه يرم البناء المنهدم وبعضه يعلم وغيره ينقل او يستريح الخ

(١) ابرة الزنبور وغيره يلدغ بها (٢) يدخل (٣) الحبة والنصرة والترب (٤) يبيض النمل (٥) سرب في الارض لانه يخرج الى مكان (٦) صغار النمل

النبل الايض . قراءة العجيبه

ان قري هذا النبل عجيبة تلوح لناظرها كقري البشر وهي مخروطية الشكل
تعلو عن الارض خمس اقلام اوست سطحها الخارجي مجرد من كل نبات . غير
ان قمتها مكسوة بالاعشاب . وهي منطاة بقبة خارجية او صفالة مبنية تظلل
داخلها من حر الهواء وبرده

واقسام البناء منفصلة بعضها عن بعض بنظام غريب وغرف شتى تذمل
الالباب . منها مخادع للملكات وتربية صغارها وكلها مذخرة بثروة وافرة . وهذه
البيوت ترتفع اولاً كابراج مخروطية^(١) تضارع قالب السكر . والقلة تشيد البيت
الواحد الى علو قدم او قدمين ثم تشتغل ببناء غيره . وتوسع قواعد تدريجياً
وتكثره من الوسط وثلاً القسمات بينه ثم تغطي الكل بقبة كبيرة . ومتى نجرت من
وصلها تزعت الابراج الوسطى المستخدمة كصفالة او كقالب واستعملت موادها
لبناء الحجر اللاخية

ومتى بلغ البناء الى نصفه وقف الحراس للحراسة واشتغل البنية في العمار .
ثم متى تم البناء اصحبت تلك الابراج صالحة للكاشفة والمراقبة . قيل ان خمسة
رجال وقفوا آونة^(٢) على احلامها واكتشفوا سفينة تخبر في عباب^(٣) البحر . اما
القبة الخارجية فتصلح لتظليل البناء الداخلي وايصال الحرارة اللازمة لقف
البيوض

اما حجرة الملكة فتفوق غيرها جمالاً واتساعاً . وهي واقعة في مركز البناء
اقبية الشكل تخاذي علو الارض ونحاكي نصف قشرة بيضة . وقدرها الاولي
عقدة اصبع ثم تزداد الى خمس عقد اوست حسب كبر الملكة ونومها . ومعها
عقدة واحدة او يزيد واكثرها من طفال متين مغطاة بستف ولما ابواب
وملاخل لا تدخلها الا العماكر والقلة ولا تستطيع الملكة ولا الملك الخروج

منها . وحول نفق الملكة عُرف كثيرة ذات اقطار واشكال متنوعة وكلها اقواس وقناطر . وفي نفق الى بعضها بمداخل ودهاليز تحيط بها مخادع ومخازن لثرية الذرّ ضمنها مؤونة وافرة . وبعض هذه الثرى خشبية ملتصقة ببعضها بالصمغ وكلها محيطة بحجرة الملكة

فلنا ان غرفة الملكة تُوسّع تدريجياً وكذلك عُرف الذرّ . فان العاملات يهدم تلك المخادع ثم توسعها حسب حجم الملكة فتراها اولاً بقدر البندقة ثم تُكَبَّر الى ان تبلغ قدر رأس الولد . وبعد توسيع غرفة الملكة تحاط بمخادع الفعلة والمجنود لحراسة الرثيمة والرئيس المنوط بها سعادتها ووجودها . اما موقع قصر الملكة ففي دهليز او الخوص^(٤) متعرج ملتفت محيطة قدم او اكثر . وحوله اروقة وماس ورواشن . والمخادع منفصلة عن بعضها بعُرف فارغة ترتفع الى علو ثلاثة ارباع البرج . وفي وسطها تحت القبة ردهة^(٥) تحاكي ساحة الكعبة مطوّقة باقواس غوثية الشكل كاجنحة البناء وحولها حجّ وعُرف عديدة . وهذه الاقواس تسند بعضها بعضاً والبناء الخارجي يسندها جميعاً . وللخادع سطوح حطحة بعضها كبير بقدر فم المدفع . وكلها مبطنّة بسباع^(٦) متين وتصل بعضها بدهاليز واروقة عجيبة . ويصعد ويتزل اليها بسلام . وقد تبلغ طبقات الثرية الواحدة عشرين طبقة . ومتى اشتدّ الحرّ في الطبقة العليا تأخذ صغارها الى الدنيا . اما سكانها شتاء في الطبقة العليا . ومتى آوت للرقاد توصل الابواب ويقف بعضها خارجاً للحرارة

- (١) مجسم يتدنى من سطح ويرتفع مستدقاً حتى ينتهي الى سطح اصغر من قاعدته (٢) حيناً (٣) معظم الميل وارتفاعه (٤) مجسم النطاة (٥) خيزرة او بيت كبير (٦) طين جين

النبل الايض بناوذة القرى وحر وبه^٤

تقدم الكلام ان سرب النبل الطائر يصبح فريسة الطير والمجبان. والذي يعلم ينطلق لبني قرية اخرى. فيحضر الارض ويهيئ التبن والطين والرمل المبلول وفتات الخشب. ويقسم القرية كما ذكرنا آنفاً الى حجر وماش واحراد ودهاليز واقية ورواقات وجدران وسفوف واعمد وطبقات. ويصنع ذلك كله بهندسة غريبة. ومتى حني العجير ينقل الفعلة الذر الى الطبقة السفلى. وتعمل العاملات مواد البناء باسنانها ونعجمها وترسم البناء في عقولها بالمليقة^(١). ثم تشيد^(٢) الجدران وتضع السقف وتقسّم الغرف والملاخل وترفع الاعمد. فاذا زرت هذه القرى رأيت فيها الفعلة والمجنود تشتغل بنظام وترتيب. وشاهدت بعضها يحمل الطين وغيرها الخشب او الماء او البص^(٣). وسواها يجلب الطعام او يجرس وهلم جرا. وتعاين لتلك الخادع جسوراً تصلها ببعضها على شكل اهلبيجي^(٤) ومدعومة باقواس متينة

واذا اصاب تلك البيوت عارض فهدمها اشغلت بهمة لا تعرف الكلال لاعادتها وترميمها فتبني في ليلة واحدة بيتاً طوله اربع او خمس اذرع. واذا تغير الوف من هذه الغرف اوصدتها^(٥) بالظفال الصباح التابع. واذا هدم الكل على شرط بقاء الملك والملكة في قيد الحياة غطت سائر الاماكن التي تدخلها المياه وسيول الامطار. فقد يبلغ طول القرية خمس عشرة قدماً او عشرين ومحيطها من ثلاثين الى اربعين قدماً

وتنتشر تلك المساكن الى تغيرات شتى دائمة هذا البناء والترميم. وتضطر يوماً الى زيادة محيطها الخارجي وخر سرديب ودهاليز جديدة منطاة تؤدي الى مخازن واهراء اخرى حين فراغ الاولى. ولما عمل آخر خطير وهو جمع الطعام واذاخاره

وتبدو حكمة الفل وقطنة وتديره بتعميم الشغل . فان لكل فتحة عملاً
 خاصاً لا يتداخل به غيرها . فتمى هاجم عدو قربة نمل ودنا من الاسوار تولدت (٧)



الغلة غير القادرة على القتال وانحبت الى الداخل وخرجت العساكر المفروض
 عليها اصلاح نار الحرب . فاذا كان الخطر قليلاً يخرج جندي واحد للكاشفة
 ثم يدخل ويعلم قومه . فتبرز بعدئذ اثنتان او ثلاثة زاخرة تحت الخفي . ثم يبعها

الجيش الحارب ويأخذ عدده يتزايد تدريجياً . واذ ذاك تبدو على تلك الكراديس^(٧) الجرارة ملاح الغبظ وتلدغ كل من صادفة في سبيلها . واذ دام الهجوم على القرية ازداد المرح^(٨) والمرج^(٩) والمياج . واذ لقطت النملة بدأ أو رجلاً لسعتها شديداً حتى يلتقي فكاً ما ببعضها فيسيل الدم ولا تلبث ممسكاً ولو مزقت قطعاً . ولكن ان لم يجدد الهجوم الاول يعتزل الجنود وترحف النملة من سائر الجهات نحو الثغرة حاملة بافواها جصاً بقدر جسمها فترم المهدم وتعي مادة البناء مرصوفة كالحجر . ومتى بلغت الثغرة رست كل نملة حملها بسهولة وانتظام واشتغل الجميع بلا ارتباك ولا تشويش وبدون ان تعرقل الواحدة الاخرى وان بلغ عددهن الملايين . واذ ذاك تعيب العساكر الأربعة انفار تجول بين النملة للحراسة لا للاعانة في العمل

وترى النملة الجندية تستند على الحائط وتلتفت الى كل الجهات كأنها تناظر على الشغل . وآونة ترفع رأسها وتضرب بجبهتها حائط الفتح فتسمع لذلك فجياً^(١٠) فيبصر رفاقها بطنين كأن ذلك علامة التجميل . لانه كلما حدث ذلك ضاعفت خطواتها واشتغلت بافر اجتهاد . وكلما تجدد الهجوم تجدد العمل فدخل النملة الى داخل ويزحف الجيش الى خارج . ومتى خمدت نار الحرب تبرز النملة وتستأنف الشغل وتعتزل العساكر . فلا يجارب الفاعل ولو تقام^(١١) الخطب ولا يشتغل العسكري ولو عظمت الحاجة

قال احد الساج " بينما كنت جائلاً للصيد واذا بفتح كفتح الاقوى فاستمرت الامر ولم ازل ثقباً . ولكني ما عمت^(١٢) حتى شاهدت جيشاً من النمل خارجاً من نفق لا يزيد عرضه على خمس عقد اوست وكان عدده واقراً جداً . ثم انقسم سطران وشي بترتيب يُجَب مئة . ثم تشعب فرقاً كل منها خمس ثلاث اوست وزحف باستقامة بلا انحراف يميناً او يسرة . وكان هذا الجيش من نوع النملة ومع كل فرقة جندي واحد كبير الحجم . ثم نظرت سطوراً من الجنود زاحفة يميناً وشمالاً للحراسة والمراقبة . واذا بها علت اوراق النبات للكاشفة . وكانت هذه

المجنود تقع بصوت شديد فيجيبها الفعلة بمنزل ذلك فتصرع خطاماً دلالة على
انها فهمت المعنى واطاعت الامر. وكان اولئك المخفراء ساكتين لا يأتون حركة
بينما كان الفعلة يشتغلون مهمة لا مزيد عليها. ثم اتى جناح الجيش ببعضها
على مسافة خمس عشرة خطوة من نقطة الانفصال وظلت تسير ساعة او اكثر
وانا اراقبها وهي لا تزيد ولا تنقص ولا تتحرف عن سيرها الا المجنود فانها كانت
تزداد هدناً وتقف احياناً على الحال المرتفعة لحفظ المراقبة والنظام

قوة الاتحاد

حبل السفين من الألياف قد صُعبا فهي الضعيفة لكن عزما اجنهما
من كل خيطٍ دقيقٍ بالماء هوى لو مسه ولد بالاصبع انقطعا
لكن اذا التهمت تتوى على الحج لو مست الصخر في صدامها انصدعا
هذا مثال لشدة الازر محبب بالآل والصبر ان أصغوا له نغما
فالضعف بالحج يسي قوة عظمت واليأس بالبغيض من ارباب انتزعا

الفناعة

ان الفناعة كثر فائق الثمن فهي الغنى وهناء العقل والبدن
والمرتضى بقضاء الله معتبط يسراً وعسراً وفي الخيرات واليمن
يرضى ويشكر مولاه القدير لما أولاه من نعم في السر والعلن
أنظر ترى الطير في اقفاصها ابتجت اذ تطرب الممع في تغريدها الحمن
من كان من نعمة الرحمن مكفياً فهو الغني بما قد نال من من

- (١) طبيعة (٢) ترفع (٣) الجبين او ما يعمل من مطبوخه حجارة
(٤) ذي دائرة الى الطول على شكل الاهليج (٥) اطبقت وانخفت
(٦) اخفت (٧) جمع كردسة وهي القطعة العظيمة من الخيل
(٨) فتنة واختلاط (٩) اختلاط واضطراب (١٠) صوت الاقبي
من فيها (١١) عظم واشتد (١٢) لبثت او ابطأت

النمل الأبيض . أضراره

النمل الأبيض من الحشرات الجزيلة الضرر في الإندس
 الغربية والشرقية. فينزل تحت أسس البيوت والتخازن إلى
 عنق أقدام كثيرة ويشق ما يصادفه في سبيله. أو يدخل
 من أسافل الأعمدة الواقعة على جوانب البناء ويشق متبعاً
 آثار الألياف إلى الأعلى. أو يصنع ثقوباً مستطيلة وتجاويف
 ويبرز من الجانِبِ الآخر. ومنه ما يشق الخشب في الأعمدة
 ويصعد غيره إليه. وهو يستطيب اللبن وتشارة الخشب
 وباني برداغ^١ ويصنع أنابيب في أماكن وافرة ويقرض
 الأخشاب والجسور ويساعده الجرذان على ذلك. فلا يعظم حتى
 يخرب البيوت يخر الأعمدة وتوهينها كخر الدود الشجر. وإنما
 رأى أن العود أو الجسر أو شك الهبوط لخره أتى بالحص وسد
 الثقب بمخافة تعجز عنها القرايح البشرية

وقد يرى أرباب المنازل عند هدمها أن الأعمدة
 والدعامم تحولت إلى ما يشبه الصدف وأصبحت صلصالاً^٢
 بيننا كالترديد. فقد وضع أحد العلماء في مكان مجهرًا وغاب

بضعة أشهر فوجد عند أبيه ^(١٠) أن النمل الأبيض توطن فيه
 ونخره حتى لم يبق إلا الممدن والزجاج . وأوى بعضه مرة
 براميل خبز فتقبها وسأل منها الشراب وعلى هذا النمط ينخر
 الرقوف والخزائن وغيرها . فتراه يشتغل أبدا بالتقب والتقب
 ويستغل من دعامته إلى أخرى حتى يأتي على آخرها
 وهو مولع بشجر الأرز والسرو فيقطعه وينقله بسرعة غريبة
 ويجرف العود بدهاء جليل حتى لا يبدو على ظاهره شيء
 من آثار التلف . ولكنك إذا وضعت عليه متاعا هبط إلى
 الأرض . ومكره عجب حتى يعجز البشر عن كشفه . فإذا
 دخل صندوقا أو خزانة ليلا ألهم مخنوباتها وقرضها قبل
 الصبح . روى عالم مقيم في اليابان أن النمل الأبيض
 نخر مائدته وفتح فيها أنابيب كثيرة وصلت إلى الأرض في
 ليلة واحدة

وزد على ذلك أنه يفتس كل ما يصادفه في طريقه من
 أحذية ونعال وقماش وكتب حتى أنك قلما تجد في أميركا
 الاستوائية أوراقا غيرها أكثر من نصف قرن . ويكثر
 النمل في البلاد الحارة حتى يتعذر على المسافرين سلوكها .

فَإِنَّ النَّهْلَ يَزْحَفُ مِنْ قُرَاهُ أَسْرَابًا وَجِيوشًا عَرْمَرَمِيَّةً وَيَلْسَمُهُمْ
وَيَطْعَمُهُمْ طَعْنَ الْحِرَابِ الْحَادَّةِ

وَمَنْ هَاجَمَ النَّهْلُ الْأَيْضُ الْأَشْجَارَ فِي الْغِيَاضِ وَالْحُقُولِ
سَارَ حَسَبَ مَجْرَى الْأَحْوَالِ. فَإِذَا صَادَفَ عِيدَانًا فِي سِيَاحٍ
لَمْ تَنَاصِلْ أَخَذَ بِإِتْلَافِهَا. وَلَكِنْ إِذَا رَأَى قِشْرَهَا مَتِينًا دَخَلَهَا
مِنَ الْأَسْفَلِ وَنَخَّرَهَا فَتَبَدُّ عَلَيْهَا صُورَةُ عُودٍ أَخْضَرَ تَنْظَلُّ
تَحْتَهُ طَائِفَةٌ نَهْلٍ تَائِمَةٌ أَوْ هَوَامٌ أُخْرَى إِلَى أَنْ تَنْثُرَهُ الرِّيحُ.
وَإِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ التَّهْوِيَةَ بِإِيقَاعِ الْقِشْرِ غَطَّى الْعُودَ كُلَّهُ بِجِصٍّ
فِيَلُوحُ كَأَنَّهُ مَغْمُوسٌ بِصِلْصَالٍ جَافٍ. ثُمَّ يَشْتَغِلُ تَحْتَ هَذَا
الْغَطَاءِ بِالْقَضْمِ وَلَا يُغَادِرُ شَيْئًا مِنَ الْعُودِ وَالْقِشْرِ إِلَّا مَا كَانَ
كَافِيًا لِحِيلِهِ. وَطَوْرًا لَا يَتْرُكُ مِنْهُ ذَرَّةً حَتَّى إِذَا مَسَسَتْهُ بَصَاكَ
يَتَنَاثَرُ تَحْتَ أَقْدَامِكَ وَيُنْجَبُ أَخْتِجَابِ الْخِيَالِ. وَهُوَ يَدْخُلُ فِي
الْغَالِبِ سَاقِ الشَّجَرَةِ. قَالَ أَحَدُ السِّيَاحِ "كُنْتُ أَمْرًا
بِأَشْجَارٍ قَدِيمَةٍ فَأَرَاهَا مَطْرُوحَةً وَأُظْنَاهَا سَالِبَةً فَادُّوسٌ عَلَيْهَا
كَأَنِّي كُنْتُ خِيَالًا. لِأَنَّهَا تَتَنَاثَرُ هِبَاءً تَحْتَ أَقْدَامِي فَاسْقُطُ
إِلَى الْأَرْضِ وَتَهْتَمُّ أَعْضَالِي"

قَالَ بَعْضُ الْبَاحِثِينَ فِي عِلْمِ الطَّبِيعَةِ. إِنَّ النَّهْلَ

الْأَبْيَضَ فَلَمَّا يَقْرُضُ الْأَشْجَارَ الْحَيَّةَ الْغَضَّةَ الْحَدِيثَةَ بَلَّ يَخْرُجُ
بِالْأَكْثَرِ الْأَشْجَارَ الْيَابِسَةَ الْمَلْقَاةَ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ الَّتِي بَلَّغَتْ
سِنَّ الشَّجُوخَةَ فَيَتَلَفُّهَا حَالًا. وَهَكَذَا يُنْظَفُ الْأَرْضُ مِنَ
الْحَشَّاشِ^(١) وَالنَّبَاتَاتِ الَّتِي دَبَّ فِيهَا الْفَسَادُ فَيَقْصُرُ زَمَانُ
تَعْطِيلِهَا الْأَرْضَ وَلَا يَبْلُغُ مِنْ فِيهِ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ وَابْنَهَا
وَضَعْتَهُ. وَعَلَى ذَلِكَ يَنْبَغِي بِاقْرَابِ أَنْ كُلَّ الْعِيدَانِ وَالْمَجْدُوعِ
الْيَابِسَةِ وَالْأَشْجَارِ السَّعِيمَةِ مِنَ الْغَابَاتِ بَلَّ يَأْكُلُ مَوَادَّ
الْمَدِينِ الْخَرِبَةِ حَتَّى لَا تَكَادَ تَنْقُضِي سَنَتَانِ أَوْ ثَلَاثَ حَتَّى يَنْبُتَ
مَكَانَهَا غَيْضَةٌ نَاصِرَةٌ وَلَا يَبْقَى لِلْمَدِينَةِ أَثَرٌ

- (١) بهاء وطن أو الرقيق منه والوحل (٢) طينا خلط بالرمل
(٣) نسبة إلى عمره وهو الجيش الكثير (٤) كسر باطراف الاسنان
(٥) حشرات الارض

النمل الأبيض الصغير

يوجد نوع آخر من النمل الأبيض اصغر من النمل المار ذكره يبنى بيوتاً
عمودية الشكل من تراب أسود طويلاً ثلاث أقدام ذات سقف اهليجي تحاكي
طاحون الهواء ولا يكبرها بل يشيد غيرها بصورة متينة يتعددها وإن دُكَّ

الاساس . واذنا هُدم احد البيوت اخذ الاساس الاول وجعله دعامة البيت الثاني ورُسخته رسوخاً امتن من السابق وبني عليه عُرفاً وحُجراً غير متقطعة ومنه نوع آخر يعمر قراه في الاشجار فيثقبها ولا يترك منها الا النشر ليظل تحتها . ويحفر فيها بيوتاً قد يبلغ حجمها برمول سكر . فيأخذ نشارة الخشب ويعبئها بنوع من الصمغ كجص متين ويبنى بها قرى قوية بتعدد قلعها الا بتكبير الميادين . ومتى كبر بيضة قليلاً يغطيها بما يحاكي فيلج (١) حريرية فتعلم النملة بالسليقة الزمان اللازم لتفتوه وتأتي ثلاث اواربع غلات وتقتب العليجة من اعلاها وتخل عنها المحيوط بريقة فتخرج من الغلاف ثم تأخذ تطعم الصغار وتعلمها ملاخل البيت ومخارجه وتمارججه همه لا تدري الكلال . وللنمل قوة اتصال الافكار لبعضه بواسطة قرويه فتتمس بها الواحدة الاخرى وتخبرها بالخطر وزمان الرحيل وطريق السفر وشروق الشمس وغروبها ومكان القوت الخ . وهو قوي الذاكرة فاذا التفت غلمات بعد ايام عرفت الواحدة الاخرى وحيثما بعضها . وحاسة الشم في النمل قوية جداً وكذلك قوة البصر

(١) في الخارج شرقة حرير

النمل الاحمر المحارب والنمل الاسود

من اوصاف ملا النمل انه يزحف جيوشاً وكراديس وكثائب (١) بنظام عسكري يُجيب منه . ويوم (٢) آفة يقطنها عدوه الاسود . فلا يراه النجم زاحقاً حتى يظن بالخطر ويبادر للدخول في قريته ويحاول طرده وردة على الاعقاب . غير ان الاحمر يستظهر (٣) على الاسود ويدخل قريته الملائى بالعرف والمداخل . فيلج العرف حيث صفار النمل الاسود وماذنه والطعام المدخور لها

فيسلب بعض النمل الغازي هذا الطعام ويخرج به غائماً ظافراً . ويجعل غيره
 البيوض والصغار وينطلق بها يعدو الى ثقته بدون ان يمسا بضرر . ويقادر
 قرية خصمه قاعاً (٤) صنفاً (٥) لا عيال فيها ولا مؤونة
 ومتى بلغ ثقته لاقاه جند آخر من الخدم والاعوان من التي كانت قد غنمت
 في الطفولة واستعبدت كما استعبد هولاء . فيجمل هذه الصغار الى الداخل ويطعمها
 ويدققها ويدللها كما لو كانت من اولاده الى ان تبلغ نموها الكامل وتمي قدرة
 على العمل . واذ ذاك تصير رقيقة سيدامها الحاربات الغائات . فتعمل كل ما
 تامرما به وتعملها من مكان الى آخر . وملا النمل يعيش في اماكن شتى ويُدعى
 النمل الامازوني لانه مُغرَم بالحروب

(١) جمع كنية وهي الجيش (٢) يقصد (٣) يغلب
 (٤) ارضاً سهلة (٥) ارضاً مستوية

بعض صفات النمل العامّة وانواعه

ان حبة النمل لصغاره عجيبة جداً . ثم الطاعة للملكة الدالة على الولاء
 والخلوص . ثم اجتهاده في الشغل الدائم . ثم العناية والاهتمام بمصلحة ومراعاة
 الخير العام . ثم اتحادة وحكمتة وفطنة بيناء البيوت والقرى وادخار الطعام . ثم
 امتياز الملكة والملك ومجدما الفائق وصفاتها السامية . ثم نظامه الترييب وتنظيمه
 الشغل وعدم مزاحمة بعضه بعضاً . ثم تغيراته العجيبة ونفعه في نظام الطبيعة . فسبحان
 المبدع الحكيم

اما انواعه فعديدة منها نمل الخشب . والنمل الطيار . والنمل الغازي
 الذي يعيش بالصيد والقنص . والنمل الراحل الذي يعيش بتربية الحشرات

كالبشر بتربية المواشي، وهو يتألب طوائف وكتائب وبجارب، والنمل الحضري المعروف عندنا، والنمل الأبيض المار ذكره، والنمل الشجري، والنمل الأحمر الذي يستعد الأسود وقد سبق ذكرها إلى غير ذلك

اوراق الشجر الماشية والنمل

في البرازيل نمل كبير يتسلق اشجار البن وغيرها ويقطع الاوراق قطعاً مستديراً كلاً منها بقدر الربع المجدي ثم يجرها إلى قاعدة الشجرة فترتك هناك ثم يزحف صاعداً ليأتي بغيرها فيقدم جيش آخر من رفاقه ويقطعها إلى القرية. اما فائدة هذه الاوراق فللدمام^(١) لانه يجلبها مع التراب والحصى ويدم^(٢) بها اروقة مداخل نفقوا المتعرجة لئلا تدخله الامطار ويثلف صغارها ولا كانت تلك الاوراق المحبولة تظلل النمل حتى لا يكاد يظهر رأيتها حين زيارتك تلك الغابات ماشية تغطي الارض كأن ما ارجلاً تسير عليها. فقد عجب احد الساج يوماً اذ رأى اوراقاً كثيرة ماشية تعدو^(٣) فجاملها^(٤) دوبيات^(٥) سائرة بانتظام فانحنى ليعاينها ويخبري^(٦) الامر واذا بالنمل تحمها بحث الخنثى نحو قرينته

ولا يكفني هذا النمل باوراق اشجار الادغال بل يأتي الحدائق والرياض ويتسلق اشجار البن والفاكهة فيقطع اوراقها بفكوكه الكبيرة الماشية مضاه الحسام ويجرد ما كل التجريد الى ان تصبح اعواداً جافة. ولا يقتصر على ذلك بل يزحف الى البيوت ليلاً ويسلب كل ما يصادفه في سبيله ومتى سار هذا النمل في غاب ذهاباً واياباً رصّ الارض تحته فصلبت حتى تخالفا قد رُصت بوطء الاقدام البشرية او محمول^(٧) المركبات. والبرازيليون يقطعون جذور نبات المانوق كما اسلفنا الكلام ويصنعون منها طعاماً. ويضعون

تلك الجذور في سلال يعلّقونها باوتاد . فاذا امتدى النمل اليها يجملها قطعة
قطعة حتى لا يغادر منها الى الصباح اثرًا
قصّ بعض البرازيليين على احد السياج نبأ هذا النمل واضرارهُ فلم يصدق
الى ان شاهد ذلك بعينه . فان خادمة ايقظة في احدى الليلي قائلاً النار
دخل سلال الطعام واخذ يقرضها . فتهض يتنّش في السلال واذا يجيش نمل
جرّار زاحف بين الباب والمائدة حيث كانت السلال موضوعة . وكان بعضهُ
داخلاً وبعضهُ خارجاً . ورأى باقواه الجيش الخارج قطع طعامٍ يعدونها الى
الغاب . وكانت السلال مبطّنة باوراق خضراء فكان النمل يقضم تلك الاوراق
ويقلها ايضاً فلم ان علة الخشخشة التي سمعها الخادم من النمل لا النار
ولا غروان المنود والبيض يدأبون باهلاك النمل الصار . ولكن متى
دخل النمل بيتاً لا يسهل طرده واملاكه . فاذا ابدت جيشاً تعقبه آخر ثم
آخر الى ان يبروك الكلال والعناء . فلا وسيلة انجح من وضع بارود في سيله
وحرقه . وهذا النمل الكبير لا يعيش الا في اقاليم اميركا الحارة

(١) كل ما طلي به (٢) يطلي او يبيض (٣) تركض
(٤) فقطها (٥) تصير دابات (٦) يتوحى ويقصد (٧) دوايب

آكل النمل

هذا الحيوان يقطن في برازيل وغينيا . اما طوله فيزيد على سبع اقللام
وارتفاعه نحو قدمين . وطول لسانه ثلاثون عقدة وخطية (١) طويل دقيق .
وعيناه صغيرتان سوداويان . وله في كل من يديه اربع اصابع وفي كل من
رجليه خمس والاصبعان المتوسطان شديدتان منعقتان كثيراً . واهله (٢) طلي
سنام ظهره اسود نخاعله شبيهة . ومن قفاه يمد خط اسود الى كفيه طرفه ابيض .

وشعر ذنبيه طويل أسود خشن وهو عديم الأسنان . ولا تلد اثناة في المرة
غير واحد

ومن طبيعته حريص على أكل النمل وإملاكو . وليس للنمل عدو أشد
فتكاً منه ولا أكثر اساءةً وعدواً . ولسانه في الغالب منتشعب وهو آلة الوحيدة
للانترزاق . ولما كان عاجزاً عن حماية نفسه بماله من القوة والحيلة حين يدهمه
ما هو أشد بأساً منه عمد الى السكنى في النياض المدفنة او في الجبال الخالية .
وقد يخفي أحياناً تحت الورق اليابس ولا يخرج من مأواه تجبياً للخطر إلا اذا
دعاه داعي السغب^(٢) . واذا خرج ساعة واحدة كتته المروثة اباناً لكبح حجم النمل
في تلك البلاد ووفرة عدده

ومتى شعر بحمل فيه نمل تسأل اليورويدنا ساكننا حتى اذا استقر في موضع
ملائم مد لسانه الدبق وتلقف^(٤) به ما شاء . وكلما تناول به قدرأ بلعة وكرّر
العمل حتى يتعمق فيرجع الى وجاره . ولهذا الحيوان مخالب حادة يمش بها قري
النمل ثم يمد لسانه الطويل اللزج فيخاف النمل ويخرج بغية الهجاء . لكثة يمشي على
لسان عدوه فيلتصق به فيجذب الى فيه ويلتهمه

ولا كسل النمل فضل عظيم على هنود اميركا لانه يقيم اضرامه . لكنهم
كثيراً ما يصيدونه لانهم يستحبون لحمه . فاذا امطرت السماء وقف جامداً ورفع
ذنبه الكث^(٥) فوق رأسه كظلة . ولما كان الهنود ارباب دماء في الصيد
يقرون الارض باصابعهم فتصوت صوتاً مجاكي وقع المطر . فيقف آكل النمل
مبهوتاً ظاناً ان الثوب يبع فيبادر الصياد نحوه ويقنصه

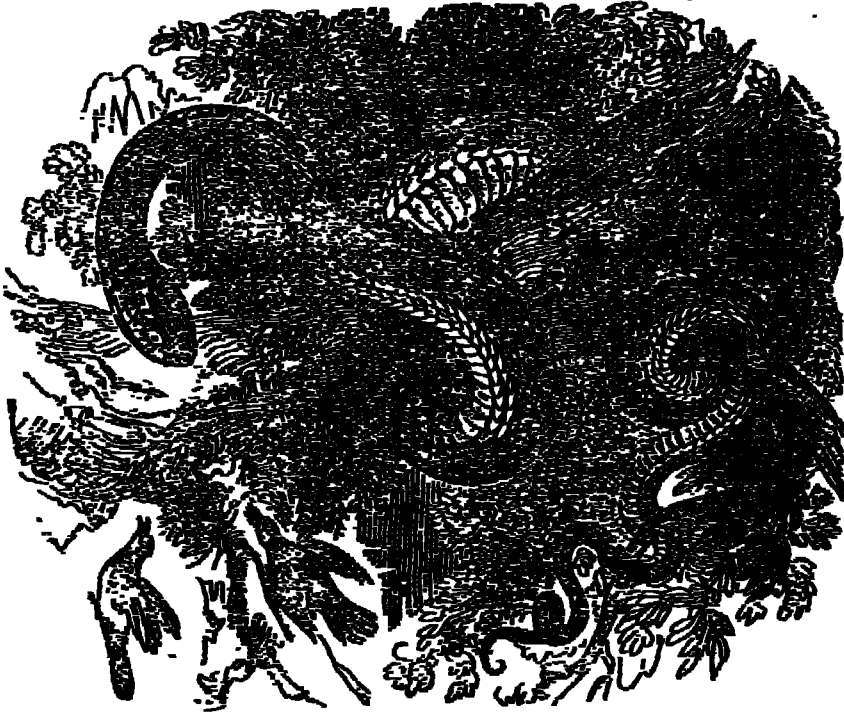
ومع انه مجاذر اعلاه مجيد واهتمامه يفتي بأسمه اذا اقتحم دافع عن نفسه
بجاليه ويطش بخصوصه . فيغلب الكلب بل الثمر الاميركي ويغلك بها

(١) مقدم انثوونيو (٢) شعرة (٣) الجوع (٤) تناول

بسرعة (٥) الكثيف

الاعشاش المدلاة

للطيور الساكنة في احراش البرازيل اعلاء فخاكة . منها القروذ التي تلتصق في الاعشاش حتى اذا رأت ما يوكل سلبته في الحال . فانها مؤلمة بالبيوض ولوح الاتسان بها ومنها الافاعي التي تنساب متسللة وتسلق الاشجار فاذا ابصر بها الطائر عراه الملع^(١) وطار حول رأسها يصيح ويزعق كأنه يرجو



طرد ما عن عشه . غير ان الافعى لا تكترث بصياحه بل تحلق به عينها البرأتين واذا تجرأ ودنا منها فتحت فاما وتلقته في الحال
فا الوسيلة لنجاة تلك الطيور من هذه الاعلاء الالذاء . الجواب قد علمتها الطبيعة ماذا تفعل . فانها تبني عشها في آمن مكان تدلها عليه السليقة^(٢) وتعلقه في مركز لا تعلقه الافاعي ولا القروذ

اما شكل ذلك العُشِّ فيماكي الردن^(٢) المصروف مدلى من شجرة فوق نهر
او جدول له في اسفله فوهة لدخول الطائر. ودلهيز ضيق يتصل باخره بيت
فسبح حيث يضع الطائر بيوضه ولا يتخفى عدواً. لان لا احد يقرباً على الدنوم
ذلك العُشِّ الا ذوات الاجنحة

ويبنى الطائر هذا الزكر من اعشاب منسوجة فيصبح متيناً جداً حتى اذا
رمت قطيعه واتلافه بعسر عليك الامر جداً. ولما كان هذا العش مظلماً بيده
الطائر بوسيلة غريبة اذ يلتقط عدداً من الجباب^(٣) ويلصقها بجدرانها بواسطة
قطع من رداغ^(٥) مبتل قضيته كمرج صغيرة
وتكثر هذه الطيور في اميركا الجنوبية حيث يشاهد السياح مئات من
الاعشاش المدلاة في الغابات وعلى ضفاف الانهر. ومن الطائر الصائد الجباب
ما يعيش في افريقية ايضاً

(١) الخوف (٢) الطبيعة (٣) الجيب (٤) سراج الليل

(٥) طين

شجرة الصمغ الهندي او المغاط

تبعث شجرة هذا الصمغ في اميركا الجنوبية عند نهر الامازون وهو كما لا يخفى
اكبر نهر في المسكونة طوله نحو الف ميل. ومن الانهر الصابة فيه نهر فيو جزائر
واطلة غمقة يجرها الماء شتاء. ولكن متى جاء الصيف تجف ونصب صالحة لوطاه
الاقلام. فعلى هذه الجزائر تنمو شجرة الصمغ الهندي
ويأتي القوم سنوياً لاستدراار عصيرها بأن يدوروا مساء حول تلك الاشجار

ويضعون قشورها فيسبل منها عصير لثني يجمعونه في اوعية خزفية او اصداق
كبيرة يضعونها تحمها لمذه الغاية ثم
يطلق الرجال تاركين المصير
يقطرون ثم يأتون صباحاً ويرون الآنية
ملآى فيغمسون فيها القوالب . وتهي
جنت كرروا غمسها الى ان يحيط بها
عصير صغبي . ثم يضرمون ناراً
وقودها جوز النخل . فيرتفع دخان
كثيف يرفعون فوقه تلك القوالب
حتى يجف المصير كل الجذف
ويسود لونه فيصبح شمعاً هنيئاً معداً
للبيع



اما الادوات النافعة المصنوعة
من هذا الصمغ فلا تُحصى . منها
الأكياس والتبعات واغطية الاحذية
والردية والبرانس والعباءات والخيام
والقوارب والجسور ايضاً والطواق
دواليب المركبات والانابيب . فان
هذا الصمغ مادة لا يخرقها الماء ولو

اشتدّت العواض والسيول وعلى ذلك كان هذا الصمغ نافعاً جداً للسان

حيات الماء الرعّادة

سَلَّحت الطبيعة كلَّ حيٍّ بسلاحٍ خاصٍ للدفاع عن نفسه فَنصَّت بعضها بمخالب^(١) وغيرها ببرائن^(٢) وسواها بانياب وبعضها بقوة عضلية او باصطافٍ وهلمَّ جراً . ولِبعض الحيات المائية سلاحٌ غريبٌ وهو الكهر بائية فتترعد بها على خصمها وتمزقه من دولا ب البرق . ومتى غضبت دفعت هذه القوة على الانسان فرجف وعراه الدوار وسقط الى الارض

وهذه الحيات تعيش في انهر اميركا الجنوبية الكبيرة كالامازون والاورينوكو . فاذا ذهب الهندي يستعم صا دفا احياناً فتنازله يبرقها ورعدما الطبيعيين ولا يتمكن من صيدها في الانهر العظيمة الا بنبات يلتقي في الماء فيعروها الدوار كالشارب الثل^(٣) . فيستطيع الهندي حينئذٍ صيدها وقتلها واذا غرط عليها في البرك والجداول اهلكها بسهولة . فقد تكثرت تلك الحيات في بحيرات لانوس وتقل الاما ك بالارعاد عليها وتقتربها

ومتى عزم المنود على صيدها اتوا بالخيل والبغال ودفعوها الى البحيرة لتفرغ الحيات عليها تجسب كهر بائيتها فتتقد قوتها . غير ان الخيل تأتي التبول الى الماء فراراً من ضربات الحيات البرقية . غير ان المنود يرغونها على خوضها فتسبح الحيات تحتها وتضعها فيلم بها الام والدوار فتحبط وترفس كماها اصببت بالجنون . وتنتفش اعراقها وتنصب وتلدح اعينها شرراً وتصل وتحم وتأتي بحركات تروع ناظرها . وزد على ذلك صياح المنود وزعيقهم وتلاطم المياه . فيدوم هذا المشهد الى ان تنفق الاحشاش قوتها الكهر بائية وحينئذٍ تبغي الراحة والطعام لتبديد زخمها . فيأتي المنود حينئذٍ ويطعنونها بالحرا ب عند ضفاف البحيرة .

فاذا اتفق ان مندباً طعن حية قبل نفاذ كهر بائيتها تصفة حالاً فيسقط على
الثرى او في الماء مغشياً عليه

(١) ظفر كل سبع (٢) كف الاسد ونحوه (٣) السكران

ماس البرازيل

يوجد في انهر ملا الاقليم حجر الماس الكرم الذي يذاب الزوج باستحراجه
وقد اكتشف هنا الحجر زنجي كان يفتش عن الذهب واذا به رأى بين الحصى
والرمل حجراً لامعة تآلق^(١) فالتفاما الى الارض ولم يكثرث بها. غير ان رجلاً
ايض من يعرفون قيمة الماس طعن تلك الحجارة واخذها ثم قش عن غيرها
وانبأ رفاقة. فاقبلوا الى تلك المناجم^(٢) المائتة ينقلون ركازها واتعدى بهم
آخرون وما زال العمل جارياً هناك تحت مناظرة البيض. وذلك بأن يخوض
المنود النهر ويضعون فيه قصاعاً كبيرة يجرى اليها الماء من الطرف الواحد
ويخرج من الآخر. فيملأ وحل النهر ورملة القصة. اما الماء الداخل فيترع
الوحل عن الماس وينسلة. ولا يفتأ الزوج بهزون القصة راجين وجود الماس
فلا يجيب رجائهم في الغالب

فاذا ألتفتك الاقدار عند احد هذه الانهار وشاهدت الاعمال التجارية
هنالك رأيت الزوج منصبين على العمل مجدلاً لا مزيد عليه. والناظر جالساً على
كرسي براقب شغلهم حذراً من ان يخلصوا شيئاً من المال لانفسهم. واذا وجد
الزنجي مائة صق يديه فرحاً فيصكها بين السباية والايهام ويدفعها للناظر.
فيضعها المذكور في وعاء ماء ولا يتنضي النهار حتى ترى ماسات وافرة في ذلك

الرعاة . وإذا اسعد المحظ زنجياً رقيقاً بأن وجد ماسة كبيرة سُرَّكل السرور
لعلموا ان سيدهُ يتقنه من رقبو بسبب تلك الماسة

(١) تلح (٢) ارض المعادن

شجرة الشينكونا

ان منابت الشينكونا التي تُستخرج منها الكينا في مملكة يرو . ولما كان
الهنود القاطنون ذلك الاقليم معرضين للبرداء انحنى في احد الايام رجل
ليشرب من بركة في الغابة فرأى طعم الماء مرّاً ولما كان جسيماً ملتهباً بالحمى نهل
كميةً وافرة من هذا الماء . فشر بعدئذ ان صحته اخذت تحسّن ثم تعافى تماماً .
اما طلة مرارة ذلك الماء فمن قشر شجرة الشينكونا . فانباً الهنود رفاقة عن واسطة
شفاؤهم فذاعت منافع هذه الشجرة واستعمل قشرها القوم علاجاً
وقد سُميت شينكونا على اسم امرأة كانت مُصابة بالبرداء فشُفيت منها
بفجرح هذا الماء . وقد يُسمى هذا العلاج الدواء البيروفي
اما كيفية الحصول على هذا القشر فهي ان يذهب الرجال الى الغاب
للتغيش عن شجرة الشينكونا بتولى قيادتهم رئيسٌ ويمد كلٌ منهم فأس ليتطعموا
بها الانجم والليف واللحاء^(١) والاشواك التي تعترض طريقهم . ويصحبون ايضاً
معهم خيمة يزرعون حولها حطة لانهم لا يدرون متى يعودون
ثم يتشعبون فیرقاً يفتشون عن الشجرة المذكورة . فاذا لحوا في سيلهم اوراقاً
جافة علوا على النور اذا كانت قد تناثرت من الشجرة المتصودة . ثم يذرون
جهة مهب الريح ويتطلقون الى تلك الناحية . وقد يسهرون اياماً ولا يهتدون الى
الشجرة . وكثيراً ما يضعون الطريق ويجهون بين الجذوع الكبيرة والعلقى

فهلكون وتنقطع اخبارهم. وعلى ذلك كان دون الحصول على قشور الشبكونا
خرط القناد (٢)

ومى غير المنود على الشجرة اخذوا يقطعونها بفؤوسهم ولكنها نطل واقفة
متصبة لان اللب والحاء المتفك طيها يضبطها كل الضبط فلانستط الى
الارض فيضطرون الى تقطيع وحل الشجرة من شبكونا. ثم يترعون القشر عن
الساق ويبعونه للتجار والصيدلة فيصنعون منه الكينا

(١) قشر الشجر (٢) شجر شائك (دليل الصعوبة)

الطواف حول الارض

١

يُمْكِنُ الطَّوْفَ حَوْلَ الدُّنْيَا فِي أَقَلِّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ.
فَإِذَا جَعَلْنَا مَدِينَةً لِيُقْرَبُوا مَثَلًا نُقْطَعُ السَّفَرَ تَرَبُّصٌ بِرُءُوسِهِمْ
رَبِّهَا نَرَى هَذِهِ الْبَلَدَ الْعَظِيمَةَ الشَّجَرِيَّةَ الَّتِي بَعْدَ تَقَدُّمِهَا
السَّرِيعِ مِنْ مُعْجَزَاتِ هَذَا الْقَرْنِ. فَقَدْ كَانَتْ سَنَةَ ١٧٠٠ فُرْصَةً
صَغِيرَةً لَا يُعْتَدُّ بِهَا وَلَا يَزِيدُ سُكَّانُهَا عَنْ ٨٠٠٠ فَبَلَّغُوا سَنَةَ
١٨٠٠ نَحْوَ ٧٧٠٠٠ ثُمَّ أَصْبَحُوا الْآنَ أَكْثَرَ مِنْ نِصْفِ
مِلْيُونٍ وَهِيَ تُحْسَبُ الْمَدِينَةَ الثَّانِيَةَ فِي بَرِيطَانِيَا وَلَيْسَ لِهَرَاتِهَا

مِثْلُ فِي الْعَالَمِ بِأَسْرِهِ . فَإِنَّ مَسَاحَةَ أَرْضِهَا ٧٠٠ فدانٍ
 إنكليزي . وَيَبْلُغُ طُولُ هَذِهِ الْهَرَاتِي ١٧ مِيلًا أَي نَحْوَ سِتِّ
 سَاعَاتٍ

ثُمَّ إِذَا انْجَرْنَا مِنْ لِقْرُبُولَ إِلَى نِيُو يُوْرُوكَ فِي أَسْرَعِ الْبَوَاخِرِ
 بَلَّغْنَاهَا فِي خَمْسَةِ أَيَّامٍ وَنِصْفٍ . وَهِيَ مَدِينَةٌ مَبْنِيَةٌ عَلَى
 جَزِيرَةٍ مَسَاحَتِهَا اثْنَانِ وَعِشْرُونَ مِيلًا مَرْتَبًا . وَهِيَ وَاقِعَةٌ عِنْدَ
 مَصْبِ نَهْرِ هَدْسُنْ وَتَحْتَوِي عَلَى أَحْيَاءَ وَشَوَارِعَ مَتَطَهَّةٍ يَبْلُغُ
 طُولُ بَعْضِهَا أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ هَذِهِ الْمَدِينَةَ مَبْنِيَةٌ
 عِنْدَ طَرَفِ سِكَّةِ الْأَتْلَانْتِيكِ وَالْبَاسِينِيكِ الْحَدِيدِيَّةِ الشَّرْقِيَّةِ .
 وَسَانَ فَرَنْسِيْسْكُو وَاقِعَةٌ فِي طَرَفِهَا الْآخِرِ الْغَرْبِيِّ . وَالْمَسَافَةُ
 بَيْنَهُمَا ٢٢١٥ مِيلًا فَيُمْكِنُ قَطْعُهَا فِي ١٥٤ سَاعَةً أَوْ سِتَّةَ أَيَّامٍ
 وَنِصْفٍ . فَهَذِهِ السِّكَّةُ الْعَظِيمَةُ تَنْقُلُ الْمَسَافِرَ بَيْنَ مَنَاطِرِ
 وَمَشَاهِدِ بِكُلِّ اللِّسَانِ عَنْ وَصْفِهَا . وَيَبْنِي نَبَاتَاتٍ وَحُقُولَ
 لَا نَهَابَةَ لِإِخْصَائِهَا وَفِي كُلِّ دَرَجَاتِ الْمَدِينَةِ وَالْهَمِيمَةِ ٥٠
 وَتَقْلَهُ فِي أَقَالِيمٍ مُخْتَصِبَةٍ نَاضِرَةٍ جَيِّدَةٍ التُّرْبَةُ كَثِيرَةٌ الزَّرْعُ
 وَبَيْنَ غَابَاتِ مُشْتَبِكَةِ الْأَشْجَارِ وَصَحَارِي وَغِيَاضٍ وَوَحَاثٍ
 وَجَلَامِدٍ وَأُودِيَّةٍ تَزْهُو بِالْكَلَالِ وَالْخَمَائِلِ وَالْكُرُومِ وَالْجَنَابَاتِ

وَالْحَدَائِقِ . فَقَدْ بَرَى الْمَسَافِرُ حِينَ بُلُوغِ الْقِطَارِ قِبَةَ رَابِعَةٍ
 أَوْ أَخْدُودًا طَائِفَةً مِنَ الْهُنُودِ الْحُمْرِ الْأَلْوَانِ مُتَرَدِّدِينَ
 بِالْجُلُودِ وَعَلَى رُؤُوسِهِمْ أَعْرَافُ الرِّيشِ بِرَأْفِيقُونَ بِهَزِيدِ الدِّمَشَةِ
 مُرُورَ الْجَوَادِ النَّارِيِّ . وَبِحَنَازِرِ هَذَا الْخَطِّ جِبَالًا صَخْرِيَّةً لَا يَنْتَقِصُ
 عَلْوُهَا عَنْ ١٢٤٢ قَدَمَا عَنْ سَطْحِ الْبَحْرِ . وَذَلِكَ أَعْظَمُ عَلْوٍ
 بَلَغَتْهُ السِّكَّةُ الْحَدِيدِيَّةُ إِلَى الْآنِ . وَالْخَطُّ عِنْدَ هَذَا الْإِرْتِقَاعِ
 مُسْتَوٍ بَيْنَ الثَّلُوجِ بِأَخْشَابٍ مَتِينَةٍ جِدًّا . وَلَا جَرَمَ أَنَّ هَذَا السَّقْفَ
 الطَّوِيلَ وَالثَّقَنَةَ الْمَشْفُورَةَ فِي الصُّخُورِ مَسَافَةَ أَمْيَالٍ عَدِيدَةٍ مِمَّا
 يَجْعَلُ هَذَا السَّرْبَ مِنْ عَجَائِبِ هَذَا الزَّمَانِ

وَالْخَطُّ كُلُّهُ يَنْقَسِمُ إِلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ . الْأَوَّلُ مِنْ نِيُورُوكَ
 إِلَى شِيكَاغُو . وَالثَّانِي مِنْ شِيكَاغُو إِلَى أُوْمَاهَا . وَالثَّلَاثُ مِنْ
 أُوْمَاهَا إِلَى أُوغِدَنْ . وَالرَّابِعُ مِنْ أُوغِدَنْ إِلَى سَانِ فَرَنْسِيْسْكُو

أَمَّا شِيكَاغُو فَوَاقِعَةٌ عَلَى بَحِيرَةِ مَشِيغَانِ وَهِيَ مَرْكَزُ الْوِلَايَاتِ الشَّمَالِيَّةِ
 التِّجَارِيَّةِ وَيُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهَا مِنْ نِيُورُوكَ فِي ثَلَاثِينَ سَاعَةً . وَهِيَ مِثَالُ يُعُجِبُ
 مِنْهُ فِي الْمَوْتِ وَالْفَلَاحِ . فَقَدْ كَانَتْ سَنَةَ ١٨٢١ مَحَلًّا صَغِيرًا لِلتِّجَارَةِ مَعَ الْهُنُودِ
 وَلَمْ يَكُنْ أُمَّلُهَا سَنَةَ ١٨٤٠ يَزِيدُونَ عَنْ خَمْسَةِ آلَافٍ نَسْمَةً وَقَدْ بَلَغَ سَكَانُهَا الْآنَ
 نَحْوَ مِلْيُونٍ وَرَبْعٍ . وَبِحَسَبِ سَوَاقِهَا مِنْ أَعْظَمِ أَسْوَاقِ الدُّنْيَا فِي الْأَخْشَابِ وَالْحَبُوبِ .
 وَقَدْ التَّهَمَّتْ النَّارُ سَنَةَ ١٨٧١ نَحْوَ ثَلَاثِ مِائَةِ الْمَدِينَةِ فَكَانَ حَرِّهَا أَشْبَهَ بِحَرِّ بَرِّي

موسكو الشهير في الخارج ولكنهما لم تغم حتى تجدد بناؤهما على منوال امير روتن
وجمالاً . وقد اتاح لما الحظ ان تكون محل المشهد الكولبي العام لتذكار ٤٠٠
سنة من اكتشاف اميركا

اما المسافة من شيكاغو الى اوهايو فتبلغ خمس مئة ميل وهي واقعة بين
امصار زاوية وقرى ناضرة وفي وسط مناخ فم وحول حطة تمتد الى سهول
مكسوة بالاعشاب والارياق^(٥) . واشهر مدينة في هذه الطريق دارلنكتون
الواقعة على نهر ميسيسي المسمى هلا الاقليم باسمو

واما المدينة اوهايو فلي ضفة هذا النهر الغربية . ومركزها في طرف القسم
الاخير . وتعد مثالا آخر عجيبا في نجاح الملائن الاميركية . فان بدء تأسيسها
كان عام ١٨٥٤ فبلغ عدد سكانها الآن نحو ٢٠٠٠٠٠ وهي نقطة تقاطع سكك
الحديد الشمالية والجنوبية والشرقية والغربية ولا يتقضي زمان يذكر حتى تصبح
حاضرة الولايات الغربية كلها

ثم ترى في غربي اوهايو وادي نهر بلات واقليم سهول الاعشاب الكبير .
وهي مروج تتراوح وتزهو بالقول النضرة مساحتها الوف من الاميال يعود
البر عنها كليا . تحتلها سلاسل صخور وادوية تراها الاعين مجرا لاحد له وهي
مغطاة بالكلا والقول والازهار التي يبيع اخضرارها الاقلدة ويورج^(٦) غيرها
الموا . وتجري عليها الجلول والغدران والسواقي وتسم^(٧) فيها قطعان
الجواميس والابائل والجامير . وتشاهد في اقصاها الذئاب كامة تراقب
فرائسها والطيور ترف في الهواء فتجيب نور الشمس وتدعو المعافر الى الصيد
والنص والتزود قدر ما يشاء . وترى في هاتيك الحزين^(٨) آحسا ما زرقاء
توسط ينها جلامد وعراقيب^(٩) . ثم تحتل احيانا صحاري جرداء تآوي اليها
كلاب السهول . غير ان تلك المناظر سواء كانت سهولا نضرة او مناووز متفرة
او مضابا قصية مما تدهش الابصار باتساعها وانتدادها ورجة ادبها يعلوها
جلد لامع وجو صاف تهب عليها نسائم رخيمة تلطف حرارة هواها

ويقطن هذه السهول ملايين من البشر . ومع ذلك تراها صالحة لسكنى
ملايين غيرهم . فقد تدفق اليها سبيل عرومية من الملق قادمين من آسيا
ولوربا الغاصّة بسكانها . وما فتئت محالما النسيمة الخالية تدعو غيرهم الى المحلول
في ارجائها فان مساحتها لا تنقص عن ضعف مساحة الهند برمتها وتقوتها
اعتدالاً وخصباً . والطبيعة تبسم عن ثغر الجبال والنضارة ولا يفتقر قاطنوها الى
ابواب ومعامل تقيم وتصدّق القادمين عنهم بل هي مفتوحة الارتاج^(١٠) لمن شاء
فيأتيها على الرحب والسعة . ويجد حقولاً خضراء لم تسمها الايدي فتترحب
بكل ذراع نشيطة تشتغل في تربتها وبكل محراث يجذب وراهه العمران والمدنية

(١) نوحش (٢) بقعة معشبة في الصحراء (٣) الكفرة المستطيلة
(٤) الخيز تحت الارض والقناة (٥) السهول ذات اعشاب (٦) ببطر
(٧) نرعى (٨) سهول (٩) صخور ووعور (١٠) الابواب

الطواف حول الارض

٢

ومنى غادر القطار هذه السهول وراهه اخذ بالصعود على قم جبال باذخة
واجتاز الاطواد^(١) الصخرية . اما اعلى موقف في هذا الخط فواقع كما قلنا بين
اوماما ولوغن واسمة شرمان على اسم الجنرال الاميركي الشهير . ويدوم الخط
في الخمس مئة ميل التابعة على ارتفاع ٦٥٠٠ قدم عن سطح البحر .
ثم يدخل القطار قبل اوغن باربعين ميلاً خور^(٢) الصدى وهو من
اغرب مناظر الطريق باسرها . فتعابث هناك عميقاً^(٣) عميقاً صغرياً طولة
سبعة اميال وعرضه في اوله بين النصف ميل والثلاثة ارباع الميل . وعن
اليمن جلامد شاهقة ممتدة ارتفاعها من ٢٠٠ الى ٨٠٠ قدم جرداه قد

خذدعها السهول الجارفة . والجانب الأيسر مظلّل من العواصف والأمطار
ومركّب من هضاب مرتفعة ارتفاعاً تدريجياً من صخور متزلّجة (٤) مكسوة
بالاعشاب بحري منها في الوسط نهر شفاف حُر في مجراه اللام قناة عمها
عشرون قدماً تعللها حروف صخور وركام جلابد تلتطم عليها المياه وتجرف
ما تصادف في سيلها فتدق وتثقب بقوة وسرعة عظيمين . ثم يضيّق ذلك
الاضود في وسطه فيشتدّ جريان النهر ويزداد توغُّر صفاته ونضارة الاعشاب
والبقول على حافته وتشكل الصخور الى هيئة باشكال غريبة . فيها ما هو
بصورة هرم او اجمة او حراب او قُب أو حصون او تاريس او كتاس متهدمة
فيما هي ملا المشهد بلاد الجان الحجرية ويزود نخلة الشاعر والمصور بمواد
لا تقاد لرصوها وصورها

وهذا الخط الواقع بين اوغدن وسان فرانسيسكو يُسمّى بسكة الحديد
الباسيفيكية المركزية . وهو يحيط ببيرة الملح الكبيرة شمالاً ويحترق صحراء امريكا
العظيمة ويدنو من جبال الالب الباسيفيكية . ومتى قطع الخط هذه الجبال
بلغ علوّ آخر عظيمًا يرتفع عن سطح البحر ٧٠٤٨ قدماً . ثم يهبط في احسور (٥)
طوله نحو مئة ميل

ثم يأتي بنا هذا المنحدر الى مدينة ساكرامنتو وهي حاضرة الولاية الذهبية
اي كاليفورنيا وهي تقطع ملتقى خطوط تجارية كثيرة . ولنا هنا دليل غريب
على ان الغرب الأقصى هو بدء الشرق . لان أكثر الطبقات الدنيا من سكان
هذه البلدة صينيون كما في سان فرانسيسكو

ولا يخفى ان سان فرانسيسكو ليست بواقعة على طرف هذا الخط بل
اوكلاند وهي مشيدة على ساحل خليج سان فرانسيسكو الشرقي . وتربى بين هذين
المكانين باخرة كبيرة جداً تقفل القطار كلة بركايو واستحو على الخليج في عشرين
دقيقة . اما سان فرانسيسكو فبنية على شاطئ خليجها الغربي عند طرف شبه
جزيرة تمتد شمالاً بين ملا الجون والباسيفيك . واذا شاهدت هذه المدينة من

الارض المرتفعة فوق اوكسلاند تلقاء الخليج رأيت لما منظرًا بديعاً . وعانيت
 قسمها الشمالي متفرقاً فوق سلاسل مضاب رملية تكاد تكون مجردة من الأشجار .
 اما قسمها الجنوبي وهو مركز الاشغال فاوفر نظاماً وجمالاً . ويخني على شوارع
 واحياء قوية طويلة تنتهي بارصنة^(٦) ومرافق حسنة . وترى على شبه الجزيرة هذه
 البالغ عرض طرفها الشمالي سبعة او ثمانية اميال خطاً طويلاً من الباسيفيك
 لا يدركه البصر . والى اليمين الباب الذهبي الذي يصل الاوقيانوس بالخليج .
 ويعلو هذا الجون عند طرفه الاضيق البالغ عرضة ميلاً واحداً مغل^(٧) ومنازة
 بحرية يعلمان عن سان فرنسيسكو خمسة اميال الى الجهة الشمالية الغربية
 واكثر بيوت هذه البلد مبنية من الخشب . غير ان المنازل الحجرية
 اخذت الآن قوم مقامها . اذ نسق لم جلب موادها بسهولة من جزيرة في
 الخليج شادوا بها الجانب الاوفر من البناءات العامة . وهي ذات تركيب هندي
 نفيس . وعلى ذلك ترى المساكن والقصور الخاصة الجميلة اخذت تزداد على
 قدم السرعة وهي تقدم مع قدم البلد
 فاصبحت هذه المدينة السادسة في الامة بين مدن الولايات المتحدة
 التجارية وبلغ عدد سكانها نحو ٢٠٠ ٠٠٠ وهي الآن الفرضة الاولى على ساحل
 الباسيفيك . ويتوقع القوم ان تسمى باتصالها مع سكة الباسيفيك الحديدية
 مخزن الغلال الاول في اميركا الغربية
 اما هواء هذه البلاد فمعتدل كل الاعتدال بدليل وفرة الازهار الدائمة
 البديعة التي لا تكاد تعرفها الولايات الشرقية . وهذه الازهار مختلفة الاشكال
 والانواع ولا تجود في الولايات الاخرى وان جادت كانت تضاربتا صناعية
 وفي فصول معينة . اما منا فتراما في زهو دائم . وتشاهد بين تلك المضاب
 الرملية جنات وحدائق وشمائل تنهر الالباب وتأخذ يجامع القلوب
 ثم يجتاز المسافر من سان فرنسيسكو الباسيفيك الى هونغ كونغ اما عن
 طريق يوكوما في اليابان او عن طريق هونولولو في جزائر هندوچ . ثم

يستأنف من هذه النقطة سفرة البرية ويقطع اسيا الوسطى . ولكنه يصادف هنالك مصاعب شدة في الحصول على وسائط النقل ويكابد مواج شتى تعيق سفره . ولذلك الاولى به ان يسير من هونغ كونغ في الطريق البحرية الى يون دوغال في سيلان . ومن ثم الى عدن فالسويس فالاسكندرية عن طريق الهند العادية

اما اقصر طريق من الاسكندرية الى لوندرا وليفربول فمن طريق برتدزي وتورين . وهذه السفرة يمكن الآن انتمائها في سبعة ايام لا يصرف منها في البحر اكثر من ثلاثة . اما برتدزي فكانت في الزمن القديم موقف الامبراطورية الرومانية البحرية . وهي واقعة على ساحل الادرياتيك عند طرف ايطاليا الجنوبي الشرقي . وهي متصلة بالخط الحديدي مع فلورنسا وتورين . والسكة الحديدية تمر بين تورين وكامبري الاخرسية في وسط جبال الالب على سرب^(١) مون سيميس الشهير . وحسب هذا السرداب اتقطع دليل على نصرة فن الهندسة العميلة الحديث . فقد اجلأ و بنقر هذه القناة سنة ١٨٥٧ على جانبي الجبل المتقابلين والتي العملة بعضهم ببعض في وسط الجبل يوم عيد الميلاد سنة ١٨٢٠ . وسار القطار الحديدي الاول في هذا السرب البالغ طوله ثمانية اميال والذي كلف ثلاثة ملايين ليرة انكليزية في ايلول سنة ١٨٧١

ثم بعد سفر بضع ساعات يبلغ المسافر باريس ويرى نفسه بعد ساعات اخرى قليلة في لوندرا فليفربول واذا ذاك يكون قد اكمل الطواف حول الكرة الارضية . قيل ان هذه السفرة العظيمة لا تشغل اكثر من ٦٠ يوما . اما مساحتها فلا تقل عن ٢٢٧٠٠ ميل

- (١) الجبال العظيمة (٢) المنخفض من الارض (٣) واديا
 (٤) متخلقة (٥) ارض منحدرة (٦) جمع رصيف (٧) حصن
 (٨) قناة تحت الارض

غرائب الصين

الزجاج المسماة تيفون

تصف احياناً في هذه المملكة الراضة الاكثاف رياح زرع مائلة تجم عنها اضرار بالغة . فقد يخرج الصيادون في احد الاصباح الصافية لصيد السمك واذا بالهواء تغير فجأة واخذ يعصف عصفاً شديداً والبحر يهيج ويزيد فيعلم الصيادون ما هو آت وان القاصفة^(١) اوشكت القدوم ثم ترتفع الامواج كالجبال وتخفض انخفاض الودية فنجرف السفن وترتش ارتعاش الريشة في هب الريح وهذه الزجاج^(٢) هب في فصول معينة من السنة تسمى عند تيفون . فتى شعر الصياد بهبوبها طوى شبكته باسرع من لمح البصر وجذف يعدو الى المرفأ وكثيراً ما تدركه العاصفة وتنسف قارية نمف المياه فيقلب بين فيو اما القوم في الاصار والقرى فتى رأوا الهواء تغير واخذ يعصف اركبوا الى الفرار يعدون في الشوارع ماتيت " القاصفة . القاصفة " فتشرع الايدي على القور فحرك وتنتقل فيتلون المحصر والانجبة المبعوطة فوق البيوت لتظليلها . ويدعمون البيوت العتيقة المتلاعبة للسقوط بالدعائم . ويسرع الفلاحون الى الحقل ويجمعون ما يستطيع جمعه من الغلال وينقلونها الى المساكن . ويقطفون الفواكه عن الاشجار . ويدخلون الآنية والائمة البيوت . ويفعلون ذلك كله بسرعة تكاد تحاكي وبض البرق . لانهم اذا ابطأوا اتلفت الزجاج المحصولات والاثار وثارها ونسفها الى التهر

ثم متى اكملوا هذه الاحياطات عجلوا فدخلوا البيوت . فلان تلبت العاصفة ان تصف وتدم تجرف وتنسف كل ما تصادفة امامها . وقد تقلع الاشجار الكبيرة من الاصول ويهدم المنازل . وكل عصفة تفوق سالفها شدة وهولاً .

وتسبح قطعقة الحصى والحجار والتراب وهي تتماقط من السقوف والجدران
فتسقط بها الكراسي والموائد والرفوف

ولا تستطيع حيثئذ الوقوف خارج الابواب واذا فعلت ذلك قلبتك
الريح على الارض بل حملتك ورفعتك في الهواء. ثم يرتفع النهر ويطنو^(٢)
فوق ضفافه^(٣) فتصبح البلاد باسرها كجيرة واسعة. وكثيراً ما تكسر الزراع
مراعي السفن في المراتي وتقذفها وهي تستغيث برحمة الامواج وهذا المشهد المائل
يدوم نهاراً وليلة ثم يسكن المياح وتغيراً القوم على الخروج من منازلهم
ومنى خرجوا رأوا منظرًا غريباً وعابثوا الاسواق والشوارع ملأته بالاسواخ
والفرديد متكسراً والبيوت مهتمة والمخلائق والبساتين ممرأة من اوراقها
واثمارها والخلال الباقية في المخول لعبت بها ايدي سبافئرها الى كل الجهات
واشجاراً كبيرة متقلعة من الاصول

(١) الريح الشديدة (٢) المواصف (٣) بفيض (٤) شطوطو

اكل اعشاش الطيور

في الارض كنوز وافرة يتنامر الانسان بجياد لاجلها. فمنها دُرر في اعماق
البحر وذهب في المناجم ونجم حجري في حُر عميقة ان اطلت لروياها اُصبت
بالدوار. وعلى ذلك ترى المرء يخطو بنفسه طمعاً يبلوغ ذخائر الطبيعة المحجوبة
عن ابصاره في اماكن لا تكاد تصلها الايدي

ولكن من يا تُرى يتنامر بجيادته للحصول على صحفة طعام طيب من اعشاش
الطيور. ذلك الطعام الاتيق على موائد سراه^(١) الصين. فلا يبالي الصيني
بسر منال تلك الاعشاش ولا بما يتعرض في سيله من الانعاب والاختطار

ووفرة الثغرات للفوز بهذا الصف الغريب. فاذا مررت بأسواق الصين رأيت
الاعشاش تُباع في المحالين والمخازن بيع سائر السلع
أما مكان صدورها فمن جزيرة جاوا حيث تكثر على الشواطئ الصخور
الثمّاء^(١) والجلاميد^(٢) والكهوف الشاهقة. وحيث تتلاطم الأمواج وتأوي الطيور
إلى تلك الملاهي الصخرية حتى لا تكاد تراها لتكاد تزيد والجمع



أما ربّ ذلك العش فمن طاقة السنونو وبني عشه ويقوت فراخه في
تلك الكهوف حيث يعسر وجود مكان يصلح لبناء الأوكار غير أن الطائر يعثر
على محل ملائم فيربط وكه^(٣) في سقف الغار أو جوانبه. هذه هي الاعشاش التي
ياكلها الصيبيون. أما الكهف شاهق في ذروة الصخر يتلاطم البحر عند حضيضه
بالأمواج الزاخرة. فكيف بطرارة الصياد الجواب يدليه رفاقة من قنة^(٤) الصخر

يسلم من جبال حتى يبلغ النار . فاذا انتطح الجبل او اصاب الرجل الدوار
هوى الى الاعماق فتتمزق قطعاً . ومتى بلغ الكهف رأى ارضه منقطعة بماه
البحر فينشبت بالحجار الصلدة البارزة من جدران النار ويمكن عليها قدميه .
ومتى وصل الى السقف ربط حول الحجار جبالاً من جانب الى آخر فيصنع ما
يحاطي الجسر ويقف عليه يتطلع الاوكار ويضعها في سل . ويعاني في خلال ذلك
اخطاراً مائة لا يجترأ على اقتحامها بدون ان يقدم اولاً لاله صلاة يستد منه
الوقاية ويضع قرباناً على ضريح مكتشف هذه الكهوف

ويستطيب الصينيون هذه الاعشاش المصنوعة من عشب بحري نبي
يو الطائر وكرة طبقات منضدة بعضها فوق بعض . وهذا العشب لين الملس
يحكي اللب المهرس

اما مشكلة فكلام لا طعم له . غير ان الصيني يمزج معه في طهيهِ (٧) بهارات
وتوابل كثيرة فيمسي سائناً لذبتاً

ولما كان اليابانيون اوفردهاء من الصينيين علموا ان اعشاش هذه الطيور
مصنوعة من عشب البحر . فياخذون العشب نفسه ويدقونه حتى يلين ثم
ينلونه فيصنع ملاماً ويعلمون منه اعشاشاً صناعية كاذبة يأتون بها اسواق الصين
ويبعونها كالاعشاش الحقيقية

(١) اكابر (٢) العالية (٣) الصخور الكبيرة (٤) عشة
(٥) قبة (٦) فيتمسك (٧) طنجو

موائد الصينيين

يستعمل الصينيون على موائدهم شوكلات غريبة الشكل . وهي قطعنا عاج
دقيقنا الطرف موصولتان ببعضها من الوسط بحيث فيعصر على الاجبي الاكل

بها . اما الصينيون فيحتملونها برشاقة وخفة يُجِبُّ منها . فاذا وُضِعَ لديك على المائدة صحنه مرقّ ضمها قِطْعَ لَحْمٍ وَكُنْتَ جَائِعًا اضطررت ان تغمس هذه الشوكة وتعالج وتكدّ زمانا الى ان تلتقط قطعة اللحم . ولكن لا تكاد ترفعا الى فيك حتى تزعج قطعنا العاج عن بعضها فتسقط في الصحفة او على حضنك . فتلتزم ان تستأنف العمل وربما كررت ثلاث او اربع مرّات على غير طائل فتجاس من مناولة ما يشع الجوف

اما مضيئك الصيني فيضبط نفسه عن الضحك تأدبًا ويرثي لحالك فيبادر لاسعافك بأن يأخذ شوكة التي كانت قد دخلت فاه مرارًا ويلتقط القطع لاجلك . ثم يرفع الشوكة الى فيك فتلتفتها من يده . ويظلّ يأكل ويطعمك الى ان تشبع حقيقة او تدعي الشبع تجلّا من تعب

ولما كان الصينيون لا يودّون الاجانب قليًا يهزأون بهم في غيابهم لجهلهم استعمال الشوكة وان ضبطوا انفسهم في حضرتهم احتشامًا . فيقولون أرايتم هذا الاجنبيّ البليد فانه يجيئل وضع الطعام في فيه

والصينيون يتأقنون بالطعام على موائدهم ويكثرون الوانة ولا سيما مراتهم واعيانهم في الولايم والمآدب . فيدوم الجلوس حول الخوان^(١) ساعات متوالية وهم يتناولون الشاي قبل الغداء او العشاء لامة ولا بعده ولا يتعوثة في ابريق الماء الغالي بل يضعون بضع اوراق منه في فنجان ويسكبون عليها الماء الحار . ولما كان الصينيون من ابرع البشر بهل الشاي تحسب هذه الطريقة الفضلى لاستعماله

ويزين الصيني مائدته بسلال الفاكة وباقات الازهار لتحللها صحاف من مرقّ البنور والحلويات على انواعها . ويقطع اللحم قطعًا صغيرة للتمكن من ضبطها بالشوكة المار ذكرها . اما اصناف الطعام فمن الاسماك والدجاج والطيور والضان والخترير والمرر والفار مطبية^(٢) الوانا يطول شرحها قال احد السراة^(٣) الاجانب وقد دعي الى مأدبة صينية "عددت الوان

الطعام بالتمات وجلسنا حول المائدة ست ساعات كاملة" فذه المدة لا تكاد
 تُصدَّق لو لم تُروِّعْ عن بُوتق بَصحة قواله
 اما القراء فبما كلون كل ما تطوله ايديهم حتى الكلاب والقطط والجرذان
 والفأر. فاذا مررت بالاسواق رأيت الكلاب والهررة في اقاصى تُعرَّض للبيح.
 وسمعت السنابير تمود والكلاب تنبح كأنها عالمة بوشك مصرعها (٤). وتعاين ايضا
 الجردان والفأر معلوخة ومنوطة بخيوط ومهياة للطبخ. بعضها في حوانيت الباعة
 وبعضها محمولة على الايدي تُعرَّض على الشارين
 على ان الاغنياء ايضا قد يطهون القطط والكلاب تنويها لصنوف الطعام
 لكنهم لا يحبون مزاحة القراء على طعامهم. ولا يرغبون في الجردان والفأر الملقوق.
 فقد صحَّ المثل القائل "لا جلال في الذوق" فان افقر القراء عندنا ربما فضل
 الموت جوعا على ان يأكل كلبا او جردا

(١) يفتنون (٢) المائدة (٣) مطبوخة (٤) موعها

صيد السمك بالطيور

لِلصَّيْبِيِّينَ وَكَلْعَ عَظِيمٍ بِأَكْلِ الْأَسْمَاكِ وَلِذَلِكَ تَعَدَّدَتْ
 طُرُقُ الصَّيْدِ عِنْدَهُمْ وَبَرَعُوا بِاسْتِعْمَالِهَا وَمِنْ هَذِهِ الْأَسَالِيبِ
 مَا يَأْتِي
 يَغْوُضُ الصَّيَّادُ فِي الْبَحِيرَةِ أَوْ النَّهْرِ حَامِلًا يَدَيْهِ سَاةً. ثُمَّ
 يَرْفَعُ يَدَيْهِ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهُوَ يَغْوُضُ الْمَاءَ وَيَتْرَلُهَا بِمَجْطَةِ قَوِيَّةٍ.

بِئْسَ مَا تَكُونُ قَدَمَاهُ غَائِصَتَيْنِ فِي الْوَحْلِ أَسْفَلَ الْبِرْكَةِ فَتَذَعُرُ
 الْأَسْمَاكَ مِنْ هَذِهِ الْخَبْطَةِ وَتَغْوِضُ فِي الطِّينِ لِلْأَخْيَابِ فَيَشْعُرُ
 بِهَا الصَّيَادُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَيَنْغَسِسُ فِي الْبَاءِ بِيَضْعِ ثَوَانٍ ثُمَّ يَنْهَضُ
 وَالسَّمَكَةُ فِي يَدِهِ فَيَطْرَحُهَا فِي السَّلِّ وَيَسْتَأْنِفُ الْعَمَلَ وَلَا
 يَخْرُجُ مِنَ الْبَاءِ حَتَّى يَبْلَأَ سَلَّهُ

وَمِنْ وَسَائِلِ الصِّيدِ عِنْدَهُمْ أَنْ يَرْكَبَ الصَّيَادُ الْقَارِبَ
 أَخْنَامَةً طَيُورًا أَسْمَهَا "كُورْمُورَان". فَتَسْتَقِرُّ عَلَى جَوَانِبِ



الْفَلَكَ . وَقَدْ يَبْلُغُ عَدَدُ هَذِهِ الطُّيُورِ اثْنَيْ عَشَرَ وَمَتَى وَصَلَ
 إِلَى الْبَصَادِ خَاطَبَ الطُّيُورَ طَالِبًا مِنْهَا الشَّرُوعَ بِالْعَمَلِ

فَنَهْمٌ كَلَامَةٌ وَتَطِيعَةٌ وَتَسْقُطُ فِي الْهَاءِ تَنْشِئُ عَنِ السَّهْكِ. وَلَهَا
 كَانَ مِنْ طَبَعِهَا النَّهْمُ^(١) الشَّدِيدُ يَرْبُطُ صَاحِبَهَا حَوْلَ حَقْوَمِهَا
 خَيْطًا لِيَبْنَعَهَا مِنْ بَلْعِ السَّمَكَةِ عِنْدَ صَيْدِهَا. فَتَقِي لَحَّ الطَّائِرِ
 سَمَكَةً أَنْتَضَّ عَلَيْهَا كَوْمِضُ الْبَرْقِ وَخَطْفَهَا بِنِتْقَادِهِ وَرَفَعَهَا
 إِلَى سَطْحِ الْهَاءِ. فَيُنَادِيهِ مَعْلِبُهُ وَيَدْعُوهُ لِلْعَبِيءِ فَيَأْتِي حَامِلًا
 السَّمَكَةَ وَيَضَعُهَا فِي الْقَارِبِ ثُمَّ يَنْطَلِقُ لِيَصِيدَ غَيْرَهَا
 وَعَلَى هَذَا الْبِنْوَالِ يَسْتَطِيعُ الصَّيَادُ صَيْدَ أَسْهَاقِ وَأَفْرِقَةٍ
 فِي الْيَوْمِ. فَإِذَا كَانَتْ طَيْرُهُ حَسَنَةً التَّدْرِبِ أَمَكَةً الْفَوْزِ
 بِرِزْقٍ جَزِيلٍ. وَإِذَا تَكَاسَلَ الطَّائِرُ وَجَحَّ لِلْعَبِيءِ وَاللَّهُوَضْرَبَ
 الصَّيَادُ الْهَاءَ الْقَرِيبَ مِنْهُ بَعْصَاهُ الطَّوِيلَةَ ضَرْبَةً قَوِيَةً فَيَعْرُونَ
 الطَّائِرَ الْفَرَقُ^(٢) وَيَشْتَغِلُ بِالصَّيْدِ جَادًا جِدَّ النَّحْلَةِ

(١) كثرة الأكل (٢) الخوف

—x—

خيار البحر

خيار البحر حيوانٌ حيٌّ بشكل الخيار يعوم على الماء. أما جسده فهلامي
 لين بدون عظام وله خاصّة الفلص والهدد كيف يشاء
 ومن هنا الخيار صنف يوكل اسمه تريغ بحسب عند الصينيين نافعاً

الصحة ويحب من مولانا الجديدة . ومكان وجوده فيها على ساحل بقطة قوم
برابرة اشرس من الضاري . غير ان ذلك لا يصد قوارب الصيادين عن
طروق هذا الاقليم

وهذه القوارب تأتي من ملقا وراياها بارعون بصيد هذا الصنف الذي
يبيعونه للصينيين . ويحبون معهم اباريق معدنية لغلي الماء ومتى بنوا خصاً
لظليلهم من الحر يبدؤون بالصيد فاذا حي العجير^(١) فاصوا في الماء وعابوا
خيار البحر زاحاً في قاع اليم^(٢) وشكلة يضارع لون الارض الزاحف عليها .
غير ان بصر الصياد الجاد يقع حالاً عليه . ولو لم تكن الشمس على سمت الرأس
لما استطاع ان يميز هذا الحيوان تمييزاً واضحاً

ولا يستطيع الثواصون البقاء تحت الماء اكثر من بضع ثوان . غير انهم
لا يتأون بهبطون ويصعدون الى ان يأتوا قاربهم . ثم يخلصون بهشون الصيد
للاسواق . وذلك بان يترعى^(٣) اباريق الحديد بالماء ويضعوها على النار الى
ان تغلي . ثم يطرحوا الخيار في الماء الغالية وينظفونه ويدخون على النار ويحرقونه
في الشمس فيصير صالحاً للبيع والاستعمال واذا امطرت السماء جففوه في مكان
مظلل

(١) الحر (٢) البحر (٣) يأتوا

تصغير الاقدام

يحبب الصينيون صغر اقدام النساء حسناً فاتماً . فتشد الوالدة قدي
ابنتها الصغيرة شداً وثيقاً لا يناف نموها . فتتم مائر اعضاء الجسم ولتألف
الرجلين باقية . فتي كبرت الفتاة كان جسمها جتم صينة وقدماما قدي طفلة .

يسرع عليها حمل جسمها الثقيل لاختلال النسبة بينها . ويمشي مشياً تجلاً وخملاً
 وذلك مما يهيج الذوق العليم وترق له القلوب
 فاذا شاهدت مخدرات^(١) الصين رأيت اقلاماً لا تزيد عن اقلام
 الاطفال ينجم^(٢) يماً وشالاً ويصعدن الزفراء^(٣) نعباً ولماً . وقد حرمن
 من قوة المشي السليم ولذة اللعب والمرح والعدو . واذا عاب الصبيون مخدرة
 تشي بقدمين طبيعتين عابوها واتقدوها بقولهم انظروا هذه المرأة كيف
 تشي مشياً صحيحاً بقدمين كبيرتين

ويستلخ الصبيون المرأة السميكة . فكما تضخم جسمها راقمت في اعينهم . ولما
 كان لا يطلب من السيدات هنالك المشي الا حين الضرورة القصوى وكن
 جالسات على حد الراحة والبطالة كان اكثرهن سمينات . فجلس المرأة عند
 في حديقة بيتها تحذمها الخادومات ويأتينها بالطعام والشاي والحلوى وكل ما
 تريد . ومتى خرجت من البيت حملها رجلان على كرسي تحاكي المحفة^(٤) اسمها
 عند سبلان) ومن عوائد النساء هنالك التخبج والتبرج^(٥) وملازمة المتزل
 حيث يلهمون بشغل التطريز والتصوير والموسيقى ونظم الاشعار
 اما التغيرات فلا يهمن تصغير اقلام بنائهن . لانهن مضطرات الى مزاوله
 الاعمال والاستزاق فلا يجيبن السير خمماً ويشين متصبات مشي الرجال .
 وعلى ذلك كان صغر الاقلام مما تمتاز به مخدرات السراة فقط . شاهد احد
 السياج يوماً مخدرة صينية في حتى وصخب^(٦) شديدين تشتم وتعتف وتنتف
 شعرها كأنها مختلة الشعور . ثم اقلت بنسها الى الارض وزفست بقدميها
 الصغيرتين ورفعتها في الهواء . فلم يقالك المائح نعمة من الضحك

- (١) النساء الملازمات الخدر (٢) يعرجن (٣) استيعاب
 النفس من شدة الغم (٤) مركب للنساء كالمودج (٥) اظهار الزينة
 (٦) رفع الصوت

اعراس الصين

متى بلغت الفتاة عند الصينيين السن الملائم اختيار والدتها لها بعلاً ولا يُسمح لها برويتها ومعاشرته بل بنوب والدتها عنها بمعاونة معلمة الزيجة وعند الخطبة وكذلك لا يؤذن للخطيب بمشاهدة خطيبته قبل الزفاف ثم متى حان يوم العرس البسوا العروس اردية ندية ووشعرها (١) بوشاج (٢) وهي ووضعوها في محفة وانطلقوا بها لتشاهد عرسها المرة الاولى ويرافق العروس جمهور المدعوين حاملين المشاغل امامها ولو كان الزفاف نهاراً . ويسير امام المحفة جوق موسيقي يوقع (٣) على الزمور والطبول وآلات الطرب . . اما المحفة فيوصلونها ويقفلونها بقل يحمل متناحاً اقدم الخدم واكبرهم سناً ولا يفتح تلك المحفة الا العريس . ومتى بلغ الموكب البيت وضعوا المحفة عند الباب فيخرج العريس وقلبة يخفق شوقاً لرؤية حليمة (٤) لم يقع عليها بصره بعد . فيفتح الباب بالمتعاج ويتطلع بالعروس فيرى القاب (٥) مسدولاً على وجهها فيرفعه . فاذا راقت في عينيه واستطاع طلوعها دعاها للدخول الى منزله على الرحب والسحة . فتبسط الموائد وتدور كاسات الشراب وتبدأ الانشاد والاغاني الموسيقية والرقص ويتم زفاف الفتاة . وان لم تررق في عينيه واستفجع منظرها اطلق باب المحفة سريعاً وامر حاملها بالنكص (٦) على الاعتقاب فيعود اقوم بعروهم صامتين يعثرون باذيال العار والنجل

(١) البسوا الوشاج (٢) قلادة جوهر (٣) بيني الحان الغناء على موقعها (٤) زوجة (٥) قناع تستدي المرأة وجهها (٦) الرجوع الى الوراء

الأرز والشاي

لِلصِّينِيِّينَ عِنَايَةٌ كُبْرَى بِالزَّرَاعَةِ وَاتِّهَامٌ وَابْتِهَامٌ بِدَرَسِهَا
وَإِقَانِهَا . وَمِنْ أَدَلَّةِ ذَلِكَ خُرُوجُ الْإِمْبِرَاطُورِ بِنَفْسِهِ مَرَّةً فِي
الْعَامِ يُوْزِرُّهُ وَرِجَالِ مَجْلِسِهِ فَيَضُطُّ السِّكَّةَ بِيَدِهِ وَيَحْرُثُ
بِضَعَةِ أَثْلَامٍ ثُمَّ يَقْتَدِي بِهِ الْوُزَرَاءُ وَأَعْيَانُ الدَّوْلَةِ وَكِبَرَاؤُهَا .
وَكَذَلِكَ الْوَلَاةُ وَالْمُحْكَمُونَ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ الْمَمْلَكَةِ

وَمِنْ أَعْمُرٍ مَحْصُولَاتِ الصِّينِ الْأَرُزُّ وَالشَّايُ . أَمَّا الْأَوَّلُ
فَلَا يَعْشُرُ إِلَّا مَغْمُورًا بِالْبِهَاءِ فَيَرْفَعُ الْفَلَاحُ مِنْهَا الْأَرْضَ
طَبَقَاتٍ فَوْقَ بَعْضِهَا لِاسْتِنْبَاتِ الْأَرُزِّ . فَتَرَى سَنَابِلَهُ تَهْجُرُ
وَتَزْدُجُ بِأَخْضَارِهَا الزَّرَجْدِي مَغْمُوسَةً بِالْبِهَاءِ

وَهُوَ يَجْرِي إِلَيْهَا مِنْ نَهْرٍ قَرِيبٍ بِاللَّهْ تَدْعَى دُولَابَ الْبِهَاءِ
تَدْفَعُ الْبِهَاءَ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا فَتَسِيلُ مُنْحَدِرَةً وَتَسْقِي سَائِرَ
الطَّبَقَاتِ الْمُنْضَدَةِ . وَتَرَى الْفَرَوِيَّ مُنْصَبًا عَلَى الشُّغْلِ فِي

فَصْلِ الرَّبِيعِ لِتَهَيِّئَةِ سَنَابِلِ الْأَرُزِّ وَتَرْفِيقِهَا

فَهَذَا عَمَلٌ شَاقٌّ يَنْتَقِرُ إِلَى كَدِّ وَجِدِّ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِمَا . لِأَنَّ
الْحَتُولَ حِينَئِذٍ تَكُونُ مَغْمُورَةً بِالْبِهَاءِ لَكِنَّ الصِّينِيَّ لَا يَأْتِي

بذَلِكَ بَلْ يَفُوصُ فِي الْوَحْلِ جَدَلًا^(١) نَشِيطًا وَتَعُوصُ مَعَهُ
 الْجَمَائِيسُ الْمُسْتَحْدَمَةُ فِي الْفِلَاحَةِ. فَيَفْرِقُ تِلْكَ السَّنَابِلَ عَنْ
 بَعْضِهَا قَلِيلًا. وَمَنْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ أَبْقَاهَا مَغْمُورَةً فِي الْمَاءِ إِلَى
 أَنْ تَصْفَرَ وَتَأْخُذَ بِالتَّفْحِجِ. فَيَجَسِرُ^(٢) الْمَاءَ عَنْهَا وَجَوِّلَهَا إِلَى
 مَجَارٍ أُخْرَى

وَيَتَصَرَّفُ الصِّينِيُّ بِالْأَنْهَرِ وَالْجَدَاوِلِ كَمَا يَشَاءُ. فَيَرْفَعُهَا
 إِلَى الْجِبَالِ وَيَحْدِرُهَا إِلَى الْأَوْدِيَةِ وَيَجْعَلُهَا تَتَرَجُّجُ وَتَلْتَفُ
 وَتَخْضَعُ لِإِرَادَتِهِ كُلِّ الْخُضُوعِ

أَمَّا الشَّايُ فَاتَّجِمُ^(٣) بَسْتَنِيَتُونَهَا فِي الْغِيَاضِ وَالْحَدَائِقِ. وَهِيَ
 ذَاتُ أَزْهَارٍ بَيْضَاءَ جَبِيلَةٍ. وَلِكُلِّ قَرْوِيٍّ فِي الصِّينِ حَدِيثَةٌ
 شَايٍ يَبِيعُ مِنْهَا مَا يَزِيدُ عَنْ حَاجَتِهِ وَيَبْتَاعُ بِفَيْتِهِ طَعَامًا
 وَلِبَاسًا لِعَائِلَتِهِ. وَمَنْ كَانَ لِإِنْسَانٍ قِطْعَةٌ أَرْضٍ وَزَرَعَهَا بِاتَّجِمِ
 هَذَا النَّبَاتِ سُمِّيَ فَلَاحَ الشَّايِ

فَإِنَّ تَنْضِجَ الْأَوْزَاقِ وَيَأْزِفُ^(٤) جَمْعُهَا يَنْصَبُ الْفَلَاحُ
 وَعَائِلَتُهُ عَلَى الشَّغْلِ مَجِدِّ لَمْ يَزِدْ عَلَيْهِ. فَيَقْطِفُونَ تِلْكَ الْأَوْزَاقَ
 وَيَضَعُونَهَا فِي سِلَالٍ. ثُمَّ يَجْعَلُونَهَا إِلَى الْبَيْتِ حَيْثُ يَجْفِفُونَهَا عَلَى
 النَّارِ فِي طَوَاجِنِ حَدِيدٍ. وَيَشْتَغِلُ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِتَقْلِيلِهَا

وَتَحْرِيكِيهَا. ثُمَّ يَرْتَعُونَهَا حَالَهَا تَبْدَأُ تَفْرُقُ وَيَشْرُونَهَا عَلَى مَائِدَةٍ
وَيَلْفُونَ تِلْكَ الْأَوْزَاقَ بِأَيْدِيهِمْ ضَاغِطِينَ عَلَيْهَا لِإِخْرَاجِ
العَصِيرِ. ثُمَّ يَضْمُونَهَا فِي الْهَوَاءِ لِتَجْفَأَ وَيُعِيدُونَهَا إِلَى الطَّاجِنِ
فَوْقَ النَّارِ إِذْ تَأْخُذُ بِالْتَّجْعِدِ وَالتَّقْلُصِ وَيَبْدُو عَلَيْهَا صُورَةُ
الشَّيْءِ الْمُسْتَعْمَلِ عِنْدَنَا

ثُمَّ يَضَعُ الْفَلَاحُ أَوْزَاقَ الشَّيْءِ بَعْدَ جَفَافِهَا فِي سَلٍّ خَاصٍ
بِهَا وَيَجْعَلُهُ عَلَى كَيْفِهِ بِقَضِيبٍ مِنْ خَيْرِ رَانَ وَيَطْنُقُ إِلَى الْبَدِينَةِ
حَيْثُ يَرَى تَاجِرَ الشَّيْءِ بِانْتِظَارِهِ. فَإِذَا أَعْجَبَهُ النَّوعُ شَرَى
مَطْلُوبَهُ وَادَى الْقَيْمَةَ نَقُودًا نَحَاسِيَةً أَوْ فِضَّةً فَيَسْبِطُهَا
الْفَلَاحُ فِي سِلْكِ وَيَعُودُ آثِيًا إِلَى مَتْرَلِهِ

وَلَا يَخْفَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ الشَّيْءِ حَدِيثُ الْعَهْدِ. فَقَدْ أَهْدَى
أَحَدُ سُرَاهِ الْإِنْكِلِيزِ يَوْمًا قَدْرًا مِنَ الشَّيْءِ فَأَتَتْهُمُ مَعَ زَوْجَتِهِ
عَلَى كَيْفِيَّةٍ طَيِّبَةٍ فَقَرَّرَ رَأْيُهَا عَلَى سَلْفِهِ وَأَكَلَهُ مَعَ لَحْمِ الْخَيْزُرِ
الْمَقْدَدِ. فَوَضَعُوا الْأَوْزَاقَ فَوْقَ قِطْعَةِ اللَّحْمِ وَأَكَلُوهُمَا مَعًا.
أَمَّا الْعَصِيرُ فَكَبُوهُ عَلَى الْأَرْضِ. وَكَانَتْ أَثْبَاتُ الشَّيْءِ
حَيْثُ بِأَهْطَةٍ جَيًّا. وَكَانَتْ يَنَاوِلُهُ رَبُّ الْبَيْتِ لِيُصِيفَهُ فِي
فَنَاجِينَ صَغِيرَةٍ كَمَا تَقْدُمُ الْقَهْوَةُ. أَمَّا الْآنَ فَأَصْبَحَ اسْتِعْمَالُهُ

شائماً في سائر العالم المتبدن حتى حَسِبَهُ البعضُ مِنَ
 الْحَاجَاتِ^(١) الَّتِي لَا غِنَى عَنْهَا فِي الْحَيَاةِ . وَمِنْ خَوَاصِهِ
 الْإِنْسَانُ وَالْتَنِيَةُ إِنَّمَا الْإِكْتَارُ مِنْهُ لَا يَخْلُو مِنَ الضَّرْرِ
 وَلَا يَهْرُجُ الصِّبْيَانُ الشَّيْءَ بِالسُّكَّرِ بَلْ يَتَنَاوَلُونَهُ
 وَيَقْدِمُونَهُ لِضِيُوفِهِمْ صِرْفًا بِدُونِ تَحْلِيَةٍ

(١) موضوع بعضها فوق بعض (٢) قَرِحًا (٣) يكشف
 (٤) يترب (٥) يعلق (٦) راجعاً (٧) الامور الضرورية

شجرة الشمع

في الصين شجرة تُدعى شجرة الشمع وهي ذات اوراق حمراء وكفجتها^(١) ضمنها
 بزور واقرة . ومتى نضجت هذه الكفاف تنفقت وانفتحت فظهرت بزورها الملامى
 بمادة زيتية بعصرتها ويستخرجون منها دهناً يصنعون منه الشموع
 اما اوان جمعها ففي فصل الشتاء بعد سقوط الاوراق . فيجربون تلك
 البزور الال على النار ثم يدقونها بمدقات في هاون كبير ويشلونها الى مصاف
 يضغطون عليها تلك المادة المهروسة ويستخرجون عصيرها الشهي المشاكل^(٢)
 الزيت . فترى ذلك العصير الال كثيراً خائراً ومخاً . ثم يصعونه في آله تترع
 عنه الامساخ فيرسب الدردي^(٣) في قرار الوعاء ويخرج الزيت ايض ناصعاً
 صافي اللون صالحاً لعمل الشمع

غير انه يبقى سائلاً سريع الذوبان بالاشتعال . فيغطي الصانع الشمع
بقشرة من الشمع او الشهد ليزيده صلابة وقوة ويلونه بالوان حمراء وخضراء
وصفراء . ومن هذه الشموع ما هو كبير جدًا يضئونه في مآكل الاصنام ويرسمون
عليه احرفاً ذميمة

اما فئات هذه الشموع فمن عيلان اخشاب جافة مغسوة بماء الحناء
تشتعل اشتعال الفاتل النطنية . ولما كان الصينيون على جانب عظيم من
الاتصاف ولا يتركون مادة تذهب سدًى يستعملون تلك البزور بعد عصرها
وقوداً لكوافينهم او ساداً للحولم

قال القاضي ناصح الدين الارجاني في وصف شمعة

وهي من بدائع المنظومات

| | |
|---|--|
| أظهرت قلبها للناس من فيها | تمت باسرار ليل كان يخفيها |
| الأ ترقبه ناراً من تراقبها | قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن |
| في الحى يجني عليه ضرب هاديا | سفيهة لم ينزل طول اللسان لها |
| انفاسها بدوام من تظلمها | غرفة في دموع وفي تحرقها |
| عهد الخيط ^(٥) قبات الوجد يكبها | تنفست نفس المجهور اذ ذكرت |
| نسيم ریح اذا وافي يجيبها | ينشئ عليها الردى مما ألم بها |
| في الارض فاشتعلت منه نواصيها | بدت كبحم هوى في اثر غفيرة ^(٦) |
| من السماء فاسى طوع املها | نجيم رأى الارض اولى أن يتورها |
| في وجه دهاء ^(٧) يزهبها تجليها | كانها غرة قد سال شادخها |
| فكلما احسبت قامت تحاكيها | او ضرة خلت للشمس حاسدة |
| عساكر الليل اذ حلت بيادها | وحيدة بسان الريح مازمة |
| الأ واقمر للابصار داجيها | ما طبعت قط في ارض مخيبة |

لما غرامبُ نبدو من محاسنها
 فالوجهُ الورْدُ الأ في تناولها
 قد اثمرت وردةً حمراء طالمةً
 وردُ نثاك يو الأبدى اذا قُطِقت
 صفرٌ غلامها حمرٌ عمائمها
 كصعدة^(١٠) في حشا الفناء طاعنة
 ككرة الليل مها اقبلت ظلمٌ
 وصيفة^(١١) لست منها قاضياً وطراً
 صفراء مندية في اللون ان فُتت
 فالهندُ تغلُّ بالبران انفسها
 ما أن تزال بيت الله لاهية
 تحمي الليالي نوراً وهي تغلُّها
 قُدَّت على قدرِ ثوبٍ قد نبطها
 غرغرة^(١٢) ما تنفك قالية^(١٣)
 شباد شباد^(١٤) لا تُكسى غلامها^(١٥)
 قناة ظلام ما تنفك بأكلها
 مقوحة العين تنفي ليلها سهراً
 وربما نال من اطرافها مرضٌ
 اهلاً بها في سواد الليل معدة
 لولا اختلاف بنا طبعا بواحدة
 بأنها في سواد الليل مظهرة
 وبيننا عبرت ان هم نظروا
 ما عاندتها الليالي في مطالبها
 ولا رمتها بعيد من احبها

اذا تفكرت يوماً في معانيها
 والقائمة الغصن الأ في تنبها
 تجني على الكف ان اهويت تجيبها
 وما على غصنها شوكٌ يوقئها
 سود ذوائبها^(١٦) ييض لبالها
 تنفي اسافلها غنيا اعاليها
 امست لما لحظة الصبح تُذكيها^(١٧)
 ان انت لم تكسها تاجاً يحليها
 والقذ واللين ان اتمت تشيها
 وعندها ان ذاك القتل يجيبها
 وما بها علة في الصدر تلبيها
 بس الجزاء لعمر الله تجزيها
 ولم يقد عليه الثوب كاسيها
 تنص لهما^(١٨) طورا وتغليها
 ليل الشيبه الأ حين تليها
 سناها طول طعن اذ يشظيها^(١٩)
 نعم وافناؤها آياه يفنيها
 لم يشف منه بغير القطع شافيا
 اذ المهموم دعت قلبي دواعيا
 وللطباع اختلاف في مابها
 تلك التي في سواد القلبي اخفيها
 مفاضها^(٢٠) خوف واث وهي تجزيها
 ولا عنتها العوادي^(٢١) في مباحها
 كما رمتي بقرب من اعادها

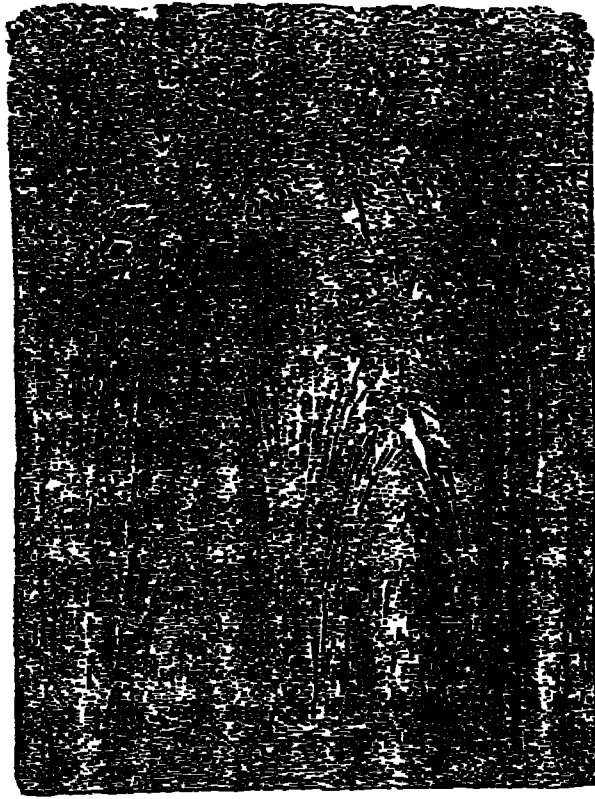
ولا تُكابدُ حَسَادًا أكابِدُما ولا تُلَاحِجُ (٢١) نفي دهرٍ اداجِها
 أبَدَتْ اليَ اجسامًا في خِلالِ بَكي وغَرَنِي أَنْ مَحَضَ الحَزَنُ نَحْوِها
 فَلَكَ في جِجِ ليلي وَهيَ واقِفَةٌ ونَحْنُ في حَضْرَةٍ جَلَّتْ اباديها
 لو أَنها عَلِمَتْ في قَرَبٍ مَن نَعِيَتْ من الوَرَى لَنَنَّتْ اعطافها تِها
 تَرَى المِصابِغَ زُمَرا من جِوانِها وقد جَلا صِفَةَ النِبراهِ (٢٢) ذاكِها
 كَأَنَّهُنَّ نِجْمٌ الأَقْصَى نازِلَةٌ جِاءَتْ تُقْبِلُ ارضًا أنتَ واطِها

- (١) سنبله ممتلئة مكترة (٢) موافق او مائل (٣) الراسب
 من الكدر (٥) الشريك المشارك في حقوق الملك (٦) الشديد
 الدهاء او شعر ناصية الدابة (٧) الغرة التي فشت في الوجه من الناصية الى
 الاتف (٨) خالصة الحمرة اوليلة تسع وعشرين من الشهر (٩) نواصي
 او منبها من الرأس (١٠) قناة مستوية (١١) توقدها (١٢) جارية
 دون المرامقة (١٣) كثيرة الشعر (١٤) ضاربة رأسها او هاجرة
 (١٥) الشعر المجاوز شعبة الاذن (١٦) مغبرة الرأس متلبدة الشعر
 ومشرقة (١٧) نواصي او ضامر شعر (١٨) يفرقها (١٩) قلة
 او نقص (٢٠) اعلاء (٢١) تسانر بالعلوة (٢٢) الارض او
 ارض كثيرة الشجر

القنا وورق الكتابة

ان غابات الصين ملاة بشجر القنا البري النافع كل النفع للصينيين .
 ولذلك يستنبوثة في منابت خاصة ويندلون قصارى الجهد في ترفيقه وتحسينه
 وقد عُدَّ ملا النبات من فصيلة الاعشاب لكنه قد يبلغ في المنطقة الحارة

تجاً عظيماً حتى يماكي جذعه جذوع الأشجار الكبيرة . وترى عليه عقداً تصارع
عقد سوق الحنطة . وله في رؤوس جذوعه أوراق تشبه الريش خضراء كالزبرجد
وعلى ذلك كان شجر القنا نافعاً وجميلاً



فلا تكاد ترى بناء او متاعاً في الصين ان برأ او مجرداً الا وقد صنع من
خشب . ومن ذلك ورق الكتابة . وكيفية عمله ان ينفس الرجل السالمج^(١) بالماء
ثم يترجها ويقطعها قطعاً ويجففها في الشمس ثم يغليها ويصنعها فتصبح كلب الثمر
المروس . ثم يترجها بنوع من الصمغ يستخرج من نبات بري . ويدق
الجميع مما حتى يمتلئ يصب في وعاء

ثم ينفس الثالب المصنوع من خشب القنا في هذا السائل فيلتصق به
لامتزاج هذه المادة مع الصمغ . ثم متى جف اضحى متيناً وملساً فيترعه

عن القالب وينشره في الشمس الى ان يجف جيداً ويصير طرياً (٢) صالحاً
للكتابة

قلنا ان للصينيين مزية الاقتصاد ولا يتركون مقدار ذرة تدفب سدئ
ولذلك تراهم بعد استعمال تلك الاوراق بالكتابة عليها يلتقطها الشيوخ والحجرات
فيتدعون الحبر عنها ثم يدقونها ويغسلونها ويصنعون منها طروساً جديدة
وتخدون هذا العمل حرفة للاستزاق
واذا زرت بيوت الصين رأيت اكثرها مبنياً من قنا وطين عجول
بجانب بل ترى القسم الاوفر من الامتعة والاواني والاثاث مصنوعة منه ايضاً

(١) الجهد والغاية (٢) قضبان شجرية مخضرة (٣) صحيفة



المدينة العائمة على المياه ومجمر التدفئة

يجري في مدينة كتون نهر كبير عريض يكاد يكون مجراً يقطن على
سطحيه خلق كثير ولا يخرج بعضهم الى البر الا نادراً. قترى في ذلك النهر
ميوتا خشبية قائمة على اعمدة مغروزة في النهر تبدو لناظرها كعارض فرجة تشاهد
بينها الاسواق والمحلات والمخازن فخلها المياه بتقل القوم اليها على القوارب
وليس لبعضهم ميوت قط بل يصرفون حياتهم كلها في الزوارق. وفي
تسطحي سطح النهر قترى كدبنة كبيرة على المياه وقد تعددت اشكال هذه القوارب
وتنوعت ميثاقها. اما زوارق القراء فمخيفة التركيب مركبة من بضعة الحاج
ملتصحة مع بعضها بالمسامير يسوقها الملاح بمخلاف طويل فيخرج ويدخل بين
سائر القوارب آمناً من الانقلاب والغرق

وتجول بين تلك البيوت قوارب الحلاقين الصغيرة . وتعاين اربابها
متصين على الاشغال يمارسون حرفتهم المهمة عندهم . لان عليهم الاهتمام بتربية
خُصَل الشعر الطويلة المسترسلة على اكتاف الصينيين
وتُبَاع فيها كل اصناف الطعام . فتشاهد قوارب برمتها مملآى بالاوز
والبط وغيرهما بالدجاج والحمام وبعضها بالغنم وسواها بالقطط والكلاب والقطار
ويطلقون بعض تلك الحيوانات الى البرّ نهراً لاجل المرعى ويأتون بها مساء .
اما اصحاب هذه الحيوانات فيسكنون في بيت من خشب وسط القارب . لان
لكل زورق تقريباً بيتاً خشبياً لسكنى صاحبه وعائلته .

واجمل تلك القوارب زوارق الازهار . فانك ترى بيوتها حسنة المنظر
تدلى من سقف جُجْرها المصابيح والفوانيس المتوشة المزخرفة المزدانة بالصُور
والراني وسائر انواع الزينة

ولاغنياء الصين زوارق على النهر يتناقصون ويقامون بزينةها وتشمها
وجمالها وينوتها على اشكال مختلفة حسب ذوقهم وكما يختر لكل منهم . وترفع
في هذا النهر الصوضاء والمجبة (١) . فتسمع هذا ينادي على بضاعة وذاك يضرب
على الآلة الموسيقية وغيره يساوم لشراء السلع . والشاء (٢) تقعو والسنابير تموه
والكلاب تنبح وهلم جرا . والخلاصة انك تعانف على وجه المياه زحاما ومشهدا
غاية في العراية

وقد يشتد البرد في الصين فتجلد الامهر ويشتد الزهرير فكيف يستدفنون
اذ لا كوايت نار عندهم ولا اثنائي (٣) . وقد يشتد حرّ الشمس في النهار وان
شتاء فلا يزالون باضرام النيران بل يلبسون جلايب (٤) او جيبا او برانس
مبطنة يجلد الغنم . فتى قرص البرد صباحا لبسوا جبين او ثلاثا ومتى اضحى النهار
وزادت الحرارة خلعوا جبة وعند الظهيرة خلعوا اخرى وحملوا المظلات اتقاء
حرّ الشمس . وفي المساء يبرد الهواء فيستأنفون لبس تلك الاربديّة
اما النساء فتى قرصن البرد حمان كانوا نحاسيا بشكل السنة تقطيو

شعرية من معدنوه. يضر من فيه نار فحم ويتلته حيثما ذهب. ومتى جلسن وضعتة على المائدة او على الارض ويدفثن يارجلهن وايديهن. واذا حملت القمر مائة^(٥) او المربة ولداً فبطلت كانوا صغيراً من ملا النوع تحت قدميه للتدفئة. ولا توقد النساء هذه الجمار الا حين اشتداد صيارة البرد وقرس الهواء

(١) اختلاط الاصوات (٢) الضأن والمزى (٣) حجار
يوضع عليها القدر للطبخ (٤) قصان او ثياب واسعة (٥) وكيلة او
امينة الدخل والمخرج

وليمة الصينيين لأقمتهم

يحتفل الصينيون بالمدب في الاسواق لأقمتهم المصنوعة من الخشب
والمحار ويصلون لها ويستعطفونها بالقرابين والمدايا
دخل احد المباح مدينة صينية فرأى المصايح والانوار الوافرة تضيء في
الاسواق والشوارع كأن القوم مشتغلون بزينة باهرة. ثم شاهد مائدة طويلة
مبسوطة في السوق عليها الصحف والجفان^(١) الكيرة مترعة^(٢). وطبخ في بيض
تلك الجفان اغناماً وخازير مقلوة برمتها. وفي غيرها طيور الاوز والبط
وسائر صنوف الطعام الشهية. وكانت الكراسي موضوعة حول المائدة والشوكات
واباريق الشراب والكؤوس كأنها معدة لجمهور المدعوين. واجواق الموسيقى
تضرب على الآلات وتوقع الالحان الشجية^(٣). غير أنه لم يكن اناس يونس
تلك المائدة بل كانت مبسوطة للآلهة الوهمية والموسيقى توقع لتسليتهم
ثم بعد انقضاء زمان قال الصينيون "فرغت الآلهة من مناولة الطعام".
على انه لم يمسن شي من ذلك. فاقبل القوم على الطعام واتهموا عن آخره

ولا يخفى ان بعض الصليبيين بعدون كنفوشيوس الفيلسوف الشهير الذي
 نفع قبل التاريخ المسيحي نحو قرنين . وبعضهم بعدون بوذه وهو انسان ادعى انه
 تحول الى اله ويقومون له القاتيل العظيمة في المياكل . وبعد غيرهم اسلافهم ان
 الاله اخرى وهمية . غير ان دُعاه (٤) الدين المسيحي دخلوا هذه المملكة الفسيحة
 منذ عهد غير بعيد وانتشروا في بعض مدنها واخذوا ينشرون انوار الدين
 الانجيلي بين اهلها . فامتدى بعضهم الى الايمان ويرجى ان يعود الدين الحق
 على تلك الاقطار التي يعد سكانها بثبات الملايين

(١) فصاع كبيرة (٢) مائة (٣) مطربة ومحزنة (٤) داعون

او مبشرون

ابن السماء

هَذَا الْقَبُ امْبْرَاطُورِ الصِّينِ . وَيَكَادُ بِحَسَبِ هَذَا الْاِنْسَانِ
 بَيْنَ الصِّينِيِّينَ الْهَاءَ وَلَا يَشْرَفُ بِمُشَاهَدَتِهِ سِوَى بَعْضِ الْخَاصَّةِ
 الْهَفْرِيِّينَ مِنَ الْعَرْشِ وَالسُّفْرَاءِ . فِيهِكَ مُنْجِبًا فِي بِلَاطِهِ
 الْوَسِيعِ . وَلَا يُخْرَجُ مِنْهُ إِلَّا فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ الْكَبِيرَةِ
 وَالْاِحْتِفَالَاتِ النَّادِرَةِ وَيَحْسِبُ نَفْسَهُ أَسْمَى مَقَامًا مِنْ أَنْ تَرْمُقَهُ
 الْأَبْصَارُ . فَيُخْرَجُ فِي رَأْسِ السَّنَةِ بِهَوَكِبٍ جَلِيلٍ وَيَسِيرُ فِي
 أَسْوَاقٍ يَأْكِنُ لِزُورِ الْهَيْكَلِ حَيْثُ ضَرَبَ أُسْلَافِهِ . وَلَكِنْ

لَا يَجْرَأُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُطْلَقَ وَيُلْحَقَهُ مِنَ الرَّوَاشِينِ وَالْكُؤَى بَلْ
تُغْلَقُ جَمِيعُهَا وَتُوصَدُ الْأَبْوَابُ وَيُجَنَّبُ الْخَلْقُ حِينَ مَرُورِهِ فِي
مَنَازِلِهِمْ. فَإِذَا وُجِدَ إِنْسَانٌ حَيْتَفِي فِي الْأَزِقَّةِ وَالشَّوَارِعِ -
حُكْمٌ عَلَيْهِ بِالْإِعْتِمَادِ. وَيَبْشُرُ أَمَامَ الْإِمْبِرَاطُورِ الْهِنْدُونِ
هَاتِفِينَ أَحْوَا الرُّؤُوسِ أَمَامَ سَيِّدِ الْأَرْضِ. وَيَسْبِقُ هَذَا
الْمُرَكَّبَ إِلَى الْهَيْكَلِ أَمْرَاءَ النَّتْرِ قَادِمِينَ مِنْ أَقْصَى الْهَيْلَكَةِ
وَوَلَايَاتِهَا الْخَارِجَةِ يَنْتَظِرُونَ تَشْرِيفَ سَيِّدِهِمْ أَوْ بِالْحَرِيِّ
إِلَهُمِ الْجَلِيلِ. فَحَالَهَا يَطْرُقُ هَتَافُ الْهِنْدِيِّينَ أَسْمَاعِهِمْ
يَسْقُطُونَ عَلَى الْأَرْضِ قَبْلَ أَنْ تَجْلِيَ عَلَيْهِمْ أَنْوَارُ مَجِيئِهِ وَتَبْسُ
وُجُوهُهُمُ النَّرَى. وَقَدْ يَكُونُ عَدَدُهُمْ زَهَاءَ الْهَيْتِينَ. فَيَضْجَعُونَ
عَلَى صُدُورِهِمْ سَطُورًا مَنْظُومَةً وَرَاءَ بَعْضِهَا وَلَا يَجْرَأُ أَحَدٌ عَلَى
رَفْعِ هَامَتِهِ عَنِ الْأَرْضِ قَطُّ

فَقِيلَ إِنَّ أَحَدَ الْأَمْرَاءِ فِي مَقْدَمَةِ الصُّفُوفِ حَاوَلَ أَنْ يُلْحَقَ
كِسَاءَ الْإِمْبِرَاطُورِ الْأَصْفَرَ فَقُتِلَ فِي الْحَالِ. فَجَنَازَةُ الْإِمْبِرَاطُورِ
بَيْنَ صُفُوفِ الْأَمْرَاءِ الْهَسْتَلِقِينَ عَلَى النَّرَى حَتَّى يَبْلُغَ صُرْحِ
أَسْلَافِهِ فَيَسْجُدُ بِإِحْنَاءِ رَأْسِهِ. ثُمَّ يُخْرَجُ مَا رَأَيْنَ سَطُورِ الْأَمْرَاءِ
وَيَعُودُ إِلَى بِلَاطِهِ

وَمَتَى تَوَارَى عَنِ الْعَبَانِ يَنْهَضُ الْأَمْرَاءُ عَنِ الْأَرْضِ آتِينَ
 إِلَى بِلَادِهِمْ. وَيُكَابِدُ هَوْلًا أَمْخَانًا عَرَقَ الْغِرْبَةَ بِالْأَسْفَارِ
 مِنَ الْأَقْطَارِ النَّصِيَّةِ ذَهَابًا وَأَبَابًا لِلْفَوْزِ بِشَرَفِ السُّجُودِ لَدَى
 الْمَلِكِ بِدُونِ أَنْ يَسْتَمْعُوا بِرُؤْيَا طَلَعَتْهُ الْبُهَيْةُ. وَمُحْسِبُونَ
 أَنَّهُمْ نَالُوا كَرَامَةً عَظِيمَةً بِإِحْنَاءِ الْهَامِ^(٤) لَدَى ابْنِ السَّمَاءِ.
 وَلَكِنَّهُمْ يَثَابُونَ عَنِ ذَلِكَ بِأَنْ يُعْطَى لِكُلِّ مِنْهُمْ مَبْلَغًا زَهِيدًا مِنْ
 التُّنُودِ. وَرُبَّمَا كَانَتْ بَعْضُهَا زَائِنًا أَوْ لَا قِيَمَةَ لَهُ غَيْرَ أَنَّهُمْ
 لَا يَجْرَأُونَ عَلَى أَنْ يَفُوهَا بَيْنَتِ شَفَةِ. أَمَا الْأَمْبِرَاطُورُ
 فَضَرِبَ عَلَى قَبَائِلِ النَّتْرِ مَكُوسًا^(٥) مِنَ الْإِبِلِ وَالْأَبَائِلِ
 وَالْخَيْلِ وَمَحَاصِلِ الْأَرْضِ فَيُوثِقُونَهَا صَاغِرِينَ^(٦). وَهُوَ يُعْتَبَرُ
 هَوْلًا الْقَوْمِ فِي قَلْبِهِ بِهَتْرَلَةِ الْأَرْقَاءِ وَالْعَبِيدِ

(١) كَوَى (٢) مَقْدَار (٣) رَأْس (٤) كِتَابَةٌ عَنِ الشَّدَّةِ
 وَالْجَهْدِ وَالْمَشَقَّةِ (٥) رُوس (٦) دَرَاهِمٌ تَأْخُذُهَا أَعْوَانُ الْمَلْطَانِ
 عَلَى الْمَلْحِ (٧) ذَلِيلِينَ

دولاب الصلاة

ان قبائل النثر يعبدون بوذه غير ان بعضهم مسلمون موحدون. ويلقب
 كاهن بوذه عندهم بلاما ويلبس رداء اصفر طويلاً ويمسك بمسطرة حمره
 وعلى صدره خمسة ازرار مذهبه ويضع في عنقه طوق منخل ارجواني وقلنسوة
 صفراء عليها وردة حمره. ولا يخفى ان النثر يتنافسون بالالوان الزاهية.
 ويلقبون كل من ليس من الطنمة الكهنوتية بالرجل الاسود ولا يسمحون له
 بالتكلم في موضوع الدين واذا تكلم بهذا الصدد ضحك القوم عليه وهزأوا به.
 لانه لا يؤذن لغير الكهنة بالوعظ والكراسة

ويعلم اللاما العباد صلوات كثيرة يكررونها مراراً. غير ان العابد يصعب
 ويكلم من تكرارها فيلجأ الى دولاب الصلاة لينوب عنه. وهو آلة على شكل برميل
 يدبرها الانسان بشد الخيط. فتوضع تلك الآلة في مجرى الهواء وتدور بقوة
 فتستغني عن الايدي. وهذه الخالة^(١) من ورق صفيق تلتصق عليه الصلوات
 التي يكتبها اولئك الكهنة. وكلما أدبرت الخالة مرة كان ذلك كناية عن تلاوة
 الصلاة وكلما تكرر دوران الدولاب حُيب لمديره الفضل والثواب قدر
 دوراته

رأى احد المرسلين يوماً رجلين يتنازعان ويتشاجران عند الدولاب لان
 احدهما كان قد اتى اولاً واداره فجاه الثاني ولوقفة. ثم اخذ الخيط واداره لنفسه
 ففتح الاول على الثاني وتناهما حتى كاد يفضي^(٢) ذلك الى الصفع والملاكمة.
 واذا بكامن جاء وحسم النزاع بان ادار الدولاب عنها
 ويسكن هولاء الكهنة في تصور تدعى اديرة ويُفرض عليهم الطواف
 حول الدير والسجود على الترى عند كل خطوة. قال احد الساج "بينا

كنت ماراً عند احد هذه الاديرة رأيت رجلاً راكباً بغلاً يقود ورائه جملين .
فأجل البغل وشرد فاقع الرجل ساحباً مئة الجمالين فأجفلا ايضاً وهامت (٢)
تلك الرواحل (٤) في الفلاة على وجهها . فلم اعلم السبب الى ان لاحت مني الغفانة
حينئذ فابصرتُ كأننا منبجماً على الارض بكماثو الاصفر وذراعه ميسوطان
ووجهه يسّ الترى . فنظنت لعلّ الاجفال وعلمت ان ذاك الكائن يّودي
الفروض المحنومة عليه لمبوده

(١) الدولاب والبكرة الكبيرة (٢) يبلغ يو الى اريينهي (٣) ذهبت
وهي لاتدري ابن توجه (٤) من الابل الصالحة لان يجطّ عليها الرجل

امبراطور اليابان والامة اليابانية

اذا سرتحت الطرف في مملكة اليابان رأيتها جزيرة جميلة لوفرة حياقتها
الغناء (١) واخضرار حيوها وكثرة ازهارها وقظافة اسواقها ومنازلها . واليابانيين
عناية عظيمة ومهارة بمخدمة البساتين والرياض وقد فاقوا بذلك أما عديدة .
فترى امام كل بيت حديقة نفيسة تزهر باشجار وازهار منمطة انتظاماً بديهاً
ولهذه المملكة امبراطوران يسكن احدهما بلاطاً كبيراً تحفّ به المخلاتق
الهيبة والنباتات المسامية ويظل محتجباً في قصره ولا يسبح لاحد بان يراه لانه
عندهم اقدس من ان تبصره العيون . وهو يدعي بالحكم مع ارواح الموتى . واذا
شاء جعل من اراد قديماً عند موته . فيصلي الشعب لملا القديس بعدئذ كأنه
اله . فقد صار رجال كثيرون في اليابان قديسين على هذا المنوال . فكان

هذا الامبراطور رئيس ديني بمثله اله
ويحكم على الشعب امبراطور آخر اقل نجاحاً من الاول يُدعى طبون. لا يأذن
له الشعب بالخروج من المدينة ويضعون الرقباء والعيون لصدّه عن مبارحة
البلد. اما الامبراطور الحالي فقد خرق هذه الحجب والعوائد القديمة لانه رجل
عُرِف بالحكمة والحزم والانصاف ودأبه العناية بتغيير تبعه وترقيهم في معارج الفلاح
قد بعث بانجب شبان بلاده الى اوربا واميركا لتلقي العلوم والفنون والصنائع.
واحضر من هنالك امهر الاساتذة والصنائع لتعليم ابناء بلاده. وسن للملك
السُنن والشرائع العادلة بل تنازل عن بعض حقوق الموروثة بوضع نظمات
اساسية لرعيته وتعيين مجلس نواب جرياً على مهاج^(٢) اوربا المتقدمة
فحططت في بلاد هذا الملك الممالك وتمهدت الرعايب ومدّت السكك
الحديدية والاسلاك البرقية. وتشيدت المدارس والمعامل. واعطيت حرية
الاديان وانتشنت الجرائد ومجلات^(٣) العلم والمكاتب. واخذت ملكة اليابان
تجاري الامم المتقدمة في مضار^(٤) الترقى والتحديث. فبرع اليابانيون في العلوم
والصنائع وناقضوا بها مصنوعات اوربا بدقّة الصنعة واحكامها وجمالها. حتى
اقبل سراته اوربا واميركا واعياها في معرض باريس الاخير على اتباع
مصنوعاتهم النفيسة باعلى الاثمان. وتسايقوا على احرازها لثروة قصورهم ومنازلهم
والمباهاة بها. فكان المتاع الياباني الواحد يباع بمئات الليرات. ولا غرو
فان ذلك دليل قاطع على سمو قوايح هذه الامة بالاعمال اليدوية
وقد امتازوا ايضاً بفن الزراعة والاقبال على العلوم والمعارف. وقد
فُتحت الابواب هنالك لدخول دعاة الدين المسيحي واتشارهم في تلك المملكة
القسية الاكفاف^(٥). فامتدى خلق كبير وقال بالعالم الانجيلية. وما زالت
انوار الدين والعلم آخذة بالامتداد. والترقي سائر على قدم وساق وبضاعة
المعارف والآداب واتجه واي رواج. فلا بدع ان حُبيت هذه المملكة بعد
زمن غير بعيد في رتبة ممالك اوربا المتقدمة. والفضل في ذلك جميعه

لامبراطورها الحالي الشهم^(٦) الكرم الحكيم . ولا ريب في ان هذا الترقى السريع
لبن غرائب هذا القرن وبلاقيه

(١) كثيرة الشجر (٢) الطريق الواضح (٣) الصحيفة فيها
الحكمة (٤) الموضوع تضمن فيه الخيل (٥) جوانب اونواح (٦) الذكي
الفراد الموقد

—

مراوح اليابانيين وحوانيتهم

اصطلح اليابانيون على استعمال المراوح لتبريد اجسادهم بالتهوية في حرارة
الصيف . فيستعملون لذلك مروحتين تدعى احدها مروحة الحرب . وهي ذات
غلاف فولاذي محدد الطرف يستخدمة سلاحاً زمن القتال ومتى جلس الياباني
بعد الصلح للراحة استعمل المروحة للتهوية والتبريد

غير انه لا يستعمل هذه المروحة ان العلم بل يجلس في حديقة بيته ويبرد
نفسه بمروحة أخرى جميلة . وهي خفيفة جداً حتى لا تكاد تشعر بثقلها ولكنها
تجلب هواً كثيراً . يستعملها بعض اليابانيين احياناً للعب والتمشية . وذلك
بان يقصوا اوراقاً صغيرة ملونة ويصنعونها بشكل فراشات بيضاء . ثم يتخونها في
الهواء فتطير ويروحون بالمروحة ترويحاً لطيفاً فتظل تلك الفراشات طائرة
كأنها حية . وتلوح كأنها تطارد بعضها بعضاً وتكاد الواحدة ان تمس الاخرى .
ثم تستقر على ورقة خضراء او على المروحة ثم تطير في الهواء الى امد بعيد حتى
تخال الهواء لا يصلها . غير ان حركاتها تعلق على المروحة . والياباني خفة
ورشاقة غريبة يتلعيب هذه الفراشات . فيزاول^(١) ذلك في الاسواق والمخائن
والبيوت للهو والتمشية . واذا عابته يمارس ذلك رأيت مشهداً جميلاً يقف
الابصار

وإذا سرحت الطرف في جدو حاصمة اليابان رأيت حوائيت ومخازن كبيرة تباع فيها المنسوجات الحريرية والصوفية والقطنية على أنواعها . وفي غيرها الاواني والادوات الخزفية والفولاذية والخشبية الخ . ويبدو لك الحانوت قصراً كبيراً فيه الباعة والكتّاب وحوله رفوف وخزائن ومناضد متظمة صفوفاً توضع عليها المنسوجات والوانى . غير ان ثخبة البضائع وحجرة الاستقبال في الطبقة العليا . فالى هنالك يصعد المسامون والشارون ويجلسون على مقاعد حسنة مغطاة بنسيج احمر . ثم يقدمون للشاي قبل المساومة فنجان شاي وغليون تبغ . فيتبول المجلس برهة يشرب الشاي ويدخن . اما التاجر فيشتغل خلال ذلك بنشر المنسوجات الحريرية والصوفية والخمالية من سائر الالوان واكثرها من صنع اليابان نفسها . لان اليابانيين يربون دود الحرير كالصينيين بل يفوقونهم في احكام الصنعة . فيتخب الشاري ما يشاء ويسامم ويتقد الثمن

وهناك حوائيت خاصة بالمظلات (شمسيات) واخرى بالمراوح وغيرها بالاحذية . ومن الغريب ان اليابانيين يصنعون احذيتهم من الثبن غير انها قصيرة العمر فيلبسونها بضعة ايام ثم يخلعونها ويضعون اخرى جديدة . فاذا مرتت بازقة اليابان رأيت نوعاً كثيرة من هذا النوع ملقاة على الطريق اما مخدّرات اليابانيين فيركبن في محفة تدعى بالانكين ويسمى لمن بالبولان في الاسواق بدون نقاب . ولكن متى تزوجن حلقن جفونهن وسودن اسنانهن . فمزه عادة سبعة تشنع وجه النساء وتشنع طلعتن^(٤) . قيل ان علة ذلك كي لا يصبوا الى رؤيتهن احد سوى ازواجهن

(١) علاج وحاول (٢) يظهر (٣) آلة يَضد عليها المتاع

(٤) روية او وجه

أمة التتر وبواديها

إِنَّ مَوْطِنَ أُمَّةِ التُّرِّ أَوْسَطُ أَسِيَا فِي صَعِيدٍ مُرْتَفِعٍ عَنِ
 سَطْحِ الْبَحْرِ مَجْنُوبٍ عَلَى جِبَالٍ شَاهِقَةٍ وَبَوَادٍ وَوَاحَاتٍ. وَلَا
 يَغْرُبُ عَنْ فِطْنَةِ قَارِيِ التَّارِيخِ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ زَحَفَتْ فِي
 الْأَعْصُرِ الْمَتَوَسِّطَةِ عَلَى أَوْرَبَا وَأَسِيَا بَلْ عَلَى بَعْضِ أَفْرِيْقِيَّةِ
 مَجِيوشِهَا الْجَزَارَةَ. وَطَغَتْ عَلَى تِلْكَ الْقَارَاتِ كَطُوفَانِ عَرْمَرَمٍ
 حَتَّى أَنْ رُومِيَّةَ عَاصِمَةِ الْعَالَمِ الْمَتَمَدِّينِ لَمْ تَسَلَمْ وَفَتِنِدِ مِنْ فَتْكِ
 هَوْلَاءِ الْجَبَابِرَةِ. فَقَدْ تَخَدَّرَتْ هَذِهِ الْعَشَائِرُ الْعَهْمِيَّةُ عَلَى إِطَالِيَا
 وَغَيْرِهَا تَحْدَرُ السَّبِيلِ فَدَوَّخُوا^١ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ وَسَادُوا عُنُوقَهُ
 بِالصَّارِمِ الْبَتَّارِ

وَمِنْ هَذِهِ الْقَبَائِلِ أُمَّةُ الْهَانِسِ وَالْمَغُولِ. وَمِنْ الْأَوَّلَى
 أَيْلًا فَاتِحُ رُومِيَّةِ الْعَظِيمِ الَّذِي كَانَتْ الْوَالِدَاتُ يُخَنِّنُ أَوْلَادَهُنَّ
 بِذِكْرِ أَسْمِهِ فَيَرْتَبِدُونَ وَتَمَلِّعُ قُلُوبُهُنَّ. وَمِنْ الثَّانِيَةِ نِيْمُورْتَانُكُ
 وَجَنْكِيَزْخَانُ وَغَيْرُهُمَا

وَالسَّوَادُ الْأَعْظَمُ مِنْ أُمَّةِ التُّرِّ يَسْكُنُ الْبَوَادِي. وَهِيَ

مَنَازِرٌ وَأَفْعَةٌ عِنْدَ حَضِيضِ الْجِبَالِ . وَهُمْ يُسَمُّونَ إِلَى عَشَائِرِ
 شَتَّى مِنْهَا تَرُّ الْمَغُولِ وَتَرُّ الْقَلْمُوقِ وَتَرُّ الْجَزْغِيرِ . وَجَمِيعُهُمْ
 مِنْ نَسْلِ فَاغِي رُومِيَّةَ . أَمَّا الْمَغُولُ فَكَانُوا فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
 أُمَّةً عَظِيمَةً حَتَّى اضْطَرَّ إِمْبِرَاطُورُ الصِّينِ إِلَى بِنَاءِ السُّورِ
 الشَّهِيرِ الْمَعْدُودِ مِنْ عَجَائِبِ الدُّنْيَا لِصَدِّ هُجُومِهِمْ . وَيَبْلُغُ
 طُولُ السُّورِ الْمَذْكُورِ أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةِ مِيلٍ . وَكَانَ عَرْضُهُ
 فِي بَعْضِ الْأَمَاكِينِ كَافِيًا لِمَسِيرَتِهِ فُرْسَانِ مُتَحَادِينَ . وَهَذَا
 السُّورُ مَبْنِيٌّ عِنْدَ مَدِينِ الصِّينِ مِنْ حِجَارٍ وَفِي غَيْرِ مَحَالٍ مِنْ
 قَرْمِيدٍ أَوْ طِفَالٍ . وَلَمْ يَزَلْ هَذَا السُّورُ بَاقِيًا إِلَى يَوْمِنَا هَذَا
 وَلَكِنَّهُ لَمْ يَصُدِّ هَجَمَاتِ التَّتْرِ . فَإِنَّهُمْ غَزَوْا تِلْكَ الْبِلَادَ
 وَفَتَحُوهَا عَنُودَةً وَإِمْبِرَاطُورُهَا الْحَالِيُّ مِنْ أُمَّةِ التَّتْرِ . وَقَدْ اسْتَوْلَتْ
 رُوسِيَا الْآنَ عَلَى قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ هَذِهِ الْمَمْلَكَةِ . وَمِنْ مَدِينِهَا
 خِيَوَا وَبِخَارَى وَسَمَرْقَنْدُ وَطَشْقَنْدُ . وَقَدْ نَبَغَ فِي هَذِهِ الْمَدِينِ
 خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمُؤَلِّفِينَ . وَكَانَ فِيهَا مَدِينٌ أُخْرَى
 عَظِيمَةٌ دُرُسْتُ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا سِوَى أَطْلَالٍ وَرُسُومٍ بَالِيَةٍ
 فَانْحَطَّ الْآنَ التَّتْرُ سُكَّانُ الْبُؤَادِي عَنْ عَظَمَتِهِمُ الْقَدِيمَةِ
 وَأَصْبَحُوا شَعْبًا هَجِيًّا فَغِيرًا يَجُولُونَ كَعَرَبِ الْبَادِيَةِ وَيَسْكُنُونَ

اَنْجَامٌ . اَمَا هُوَ تِلْكَ الْبِلَادِ فَبَارِدٌ تَعْصِفُ فِي سَهُولِهَا رِيَّاحٌ
 صَرَصَرٌ ^(١) وَتَجَلِدُ الْاَنْهَارُ . وَلَا يَدُومُ الشِّتَاءُ فِي بَعْضِ اَنْجَاءِ
 النَّارِ اَكْثَرَ مِنْ شَهْرَيْنِ . فَتَحَاكِي فِي بَرْدِهَا الْهِنْدَةَ السَّجْدَةَ
 اَمَا الصَّحُوفُ فَيَدُومُ زَمَانًا طَوِيلًا . ثُمَّ تَهْبُ الرِّيَّاحُ فَتَرْفَعُ الْغُبَارَ
 اِلَى عَيْنَانِ الْجَوْفِ فَتَسْتُرُ الْاَشْبَاحَ عَنِ الْاَبْصَارِ وَتَسُدُّ الظُّلَامَ
 ذُبُولَهُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي دَجَى ^(٢) اللَّيْلِ الْبَيْهِيمِ ^(٣) . فَتَلْتَفِتُ السَّمَاءَ
 بِالسَّحَابِ وَيَهْتَطِلُ الْغَيْثُ سَيُولًا جَارِفَةً تَرْتَعِدُ لَهْوِهَا الْفَرَّاصُ ^(٤)
 فَكَأَنَّ الْغَيُومَ تَفَجَّرَتْ مِنْهَا الْجَدَاوِلُ فَتَغْطِي الْحُقُولَ وَالطَّرِيقَ
 وَتَطْنِي عَلَيْهَا

وَيَسْفُطُ مَعَ تِلْكَ الْاَمْطَارِ بَرْدٌ كَبِيرٌ يَقْتُلُ الْهَاشِيَةَ .
 فَتَضُرُّ الْاَمْطَارُ بِالْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ ضَرَرًا الْقَيْظِ ^(٥)
 وَتَحْتَمِلُ النَّارُ تَضَارِعَ سَحْنَةِ الصِّينِيِّينَ بِنْتُو ^(٦) عِظَامِ الْخَدِّ
 وَصِغْرِ الْاَعْيُنِ وَسَوَادِ الشَّعْرِ وَقِصْرِ الْقَامَةِ . وَيَبَايِنُونَهُمْ ^(٧)
 فِي الْعَوَائِدِ وَالْاَخْلَاقِ . فَإِنَّ النَّارَ اَمَةٌ مُتَبَدِّئَةٌ شَرِيسَةٌ مَوْلَعَةٌ
 بِالْحَرْبِ وَالْغَزْوِ وَالصِّدَامِ وَتُحِبُّ التَّرْحَلَ وَالْجَوْلَانَ وَالْهَيْامَ
 فِي الْفَلَوَاتِ وَالْاِسْتِقْلَالِ
 بِخِلَافِ الصِّينِيِّينَ فَانَّهُمْ يُؤَثِّرُونَ الْعِيشَةَ الْحَضْرِيَّةَ

وَيَهْتُونَ الْحَرْبَ وَيَصْبُونَ إِلَى التَّرَفِ وَالنَّعِيمِ

(١) المرتفع من الأرض (٢) بقعة خضراء أو روضة في قفر
 (٣) شديد (٤) قهروا واستولوا (٥) فلولات لآماء فيها (٦) المرتفع
 من آثار الدار (٧) ريح شديدة المهبوب والبرد (٨) ظلام (٩) ليل
 بهم أي لا ضوء فيه إلى الصباح (١٠) أوداج العنق أو مقاتلها (١١) شدة
 الحز (١٢) بروز إلى الخارج (١٣) بخالفون (١٤) سعة
 العيش والتعم

موارد ارزاق التتر ومعيشتهم

ان رزق التتر الاوفر من الابل ولماشية كالبدو. فتمى انجح^(١) الكلا في
 حرن^(٢) ضربوا فيه المضارب ولبنوا زمانا الى ان تنبجة^(٣) الماشية ثم يترحطون
 برودون مكانا آخر ترح فيه قطعانهم. وهم مقرمون بجم الغنم فيقطعون الرأس
 اربع قطع ويلقونها في طاجن حديد فيه الماء الغالي ويسلقونها. ثم يضعون اللحم
 في احضانهم ويقطعونه بالمدى^(٤) ويأكلونه. ويغسسون الصاع في المرق ويهملون^(٥)
 قدر ما يشاهون

ويكثر عندهم اللبن والشاي اما اللبن فمن الغنم والماعز وهم يفضلون لبن
 الافراس عليها. والحلب من اعمال النساء اليومية فيصنعن من اللبن كعكا
 بأن يحفرن في الأرض حفرا يضعن فيها طواجن الحديد المألئ باللبن ويضرمن
 تحتها نارا. ثم يقف غلام حامل عمدا وجلة لتجديد الوقود. فيغلي اللبن ويحرك
 الى ان يجثر كالقشدة ثم يقطع قطعاً مرتبة ويحفظ في الشمس ويبرسكل
 ويصنعون ايضاً شاياً كالترديد. وذلك بأن يبلوا اوراق الشاي ويلصقون

بعضها مع بعض بدم الجاموس ويضطونها في قالب ويتركونها حتى تصلب. ومثي
شاه التري مناولة الشاي كسره بالناس وفركه بين حجرين ووضعته في اناصيد
ومزج معه قليلاً من الخض والدقيق والملح وغلاه على النار فكان اشبه شيء
بالحصاء

ومن حيوانات التمر القرعوس^(٦). وهو يحول في تلك المنازح دائماً على
وجهه يسوم^(٧) الكلاً^(٨). فاذا رأى انساناً ركض فاسرع فيه النظر ثم عاد
فاتحج الاعشاب. وقد يأكل التري لحم الجمل وبطنه طعاماً مريضاً. ويتنع بلبن
النوق امتناع غيره بلبن البقر. يستعمل جلد الابل للآرب شئ فيصنع منه
خياماً وثياباً واحذية وسروجاً ويدبته دبناً حسناً

ولا يخفى ان مزية الجمل الصبر على الجوع والعطش. اما علة ذلك فسناماه
لانها ملآنان بمسام صغيرة مذخورة دهناً. فتمتد طعامه جُيب ذلك الدهن
الى معدته فغذاها. ولكن ان طال مدة الصوم يرق السنامان ويفقدان
مادتها الدهنية فيموت الحيوان. وهو يقع بالتمر اليسير فقد تكفيه حنفة قول
او كرسنة وقد يسوم الانجم والمليق والاعشاب الواقعة في طريقه. وعلى ذلك
كانت الابل لا تكلف التري نفقة كثيرة

واما صبره على العطش فنشأ من اكياس صغيرة مدلاة على جوانب
معدته نفعية بالماء. فيجذب منها الماء الى معدته جنب الدهن من سناميه
فيروي ظمأه امداً وقد يقتل السائح الصادي^(٩) جملة ويستخرج الماء من
اردائه^(١٠) الحمية وقاية لحياته. ومن مزايا الابل ايضاً قطع المسافات الشاسعة
بدون الشعور بالنصب. وعلة ذلك تركيب اقلها فانها مشطورة الى شطرين
او اصبعين طويلين لكل منها ظفر قصير. والاصبعان ملتصقان عند طرفها
بنشاء دهني تحته اخمص^(١١) قرني كثيف يكد من السير على رمال الصحاري
والرمضاء بلين وسهولة

واذا حث الجمل على السير في البوادي القصية قد يتأكل اخامص

قوائمه فتجرد حتى اللحم . فيضطر التتري الى ان يعله يجلد الغنم فينتفع بذلك زماناً . ومتى انقضى هذا الزمان اخذ الحيوان يجمع فيضطج على الارض ويتعذر على صاحبه اعماضة وان نزل عليه بالسياط . فيغادره مطروحاً في الفلاة فريسة للضواري

وتجول في تلك البوادي الخيل البرية جولانها في مغاور اميركا الشمالية . غير انها في هذا الاقليم كثة^(١٢) الشعر متلبدة . وعلى افواها وخطومها ملبّ طويل يضارع شعر المعزى اسمر اللون في الغالب وبعضه اسود وابيض وتعيش هذه الخيل رجالاً^(١٣) من عشرين الى ثلاثين بالانفراد عن جاراتها كل يوم الكلاً وحده . ومتى فاجأها عدو انضمت معاً للدفاع عن نفسها وطرده . ومن الداء اعلمها الذئاب والتتر

اما الذئاب في هذه الصحاري فصارية جنّاً شديدة النهم مهاجم رعي الخيل جيشاً تعوي وتكثر عن انباها المرعنة القتالة . فتضع الجياد الكبيرة هارها في الوسط وتقف حولها للدفاع عنها وتأخذ بالصهيل والرقص بموافرها وتنجح مهاج النصب والغيظ . غير ان الذئاب قد تكون وافرة العدد فلا تقوى الخيل على الدفاع فتعدو فراراً من انباها . فتتقبها الذئاب وتخطف بعضها وتقتربها

اما التتري فيخشى بأس الذئب ويقتنه فلا يكل ولا يني^(١٤) من مطاردته اياماً حتى يدركه ويفتك به . ولا بدع ان مقت التتر الذئاب لانها اضرى الوحوش واشدها بطشاً بالانسان . فلا يهابه ولا تفر منه بل مهاجمة بحماسة وحشية . وتقاد الماشية بدون ان تمسها بضرر وتدخل البيوت وتقبض على من تصادفة في سيلها من رقبته وتعدو به الى الفلاة حيث تقترنه ولا تقادر له اثراً فاذا لم التتر ذئباً امتطوا جيادهم واطلقوا لما الاعنة قابضين بايديهم قصباً طويلة في اطرافها جبال لكل منها انشوطة . فيرمون تلك الجبال حول عنق الذئب كوميض البرق ويجرّونه الى مصرعه^(١٥)

والتي عناية كبيرة بالخيل المنتصبة من البوادي وهيام جربيل بركوبها حتى يكاد يقضي زمانه على صهواتها^(١٧). فقد يأكل ويرقد ويقضي اشغاله في السرج بدون ان يتربّل. ومجاي التمر منود اميركا بالكسل والبطالة فلا يجبون الشغل ولذلك ترام قراء صعايلك

اما الابرار في تلك المحزون فقليلة. وقد تسافر العشيبة اميالاً لترود ماء لما ولواشيا. وقد يدحرجون حجراً على فم البئر كما كانت الحال في ايام ابراهيم الخليل. وهي رصوا الحجر اقبلت المطايا والخيل والاعنام والماعز للشرب. فتزاحمت ودفت بعضها بعضاً وقماتلت. واناورد البئر حمل كبير اجملت الخيل وذهبت لا تلوي على احد وارقع الصهيل والخبوار^(١٨) والجناء^(١٩) والبهيق من كل ناحية. وقد تكون البئر عميقة فيدلون اليها الادلية. وهي زقاق من جلد الماعز وخيلها من شعور الابل لعدم وجود قمارين وحيالين في تلك البوادي

- (١) اخصب (٢) سهل (٣) تذهب لترطاه (٤) سكاكين
 (٥) يشربون (٦) الجبل ذات السنامين (٧) ترعى
 (٨) عشب (٩) هيتا (١٠) عطشان (١١) اصل الاكام تستعمل
 للدرام والدنانير (١٢) ما لا يصيب الارض من باطن القدم (١٣) كثيفة
 الشعر (١٤) القطعة من الخيل (١٥) يتعب (١٦) مقلو
 (١٧) ظهورها (١٨) صوت البقر (١٩) صوت القتم

بعض غرائب تيبث

تُحسب تيبث اغني مالك المسكونة واقمرها. اما غناها فمن وفرة مناجم

الذهب والفضة . فيلتقط الرعاة ركاز^(١) هذين المعدنين من شقوق الجبال
واخاذيدما^(٢) . وليس فيها قنود نحاسية بل القنود اللالحة عديم في الدرهم
الفضية . واما فقرا فلان كنهه دينها البوذي وهياكلها تتصن ثروة سكانها
وتجفف مولد رزقهم

وترى ظامر البيوت مشوشا بالالوان الحمراء والصفراء والزرقاء وتلوح
لناظرها جميلة لكبها من داخل دنينة وقذرة وضيقه الجبال حتى لا يكاد ساكنها
يشتمع بجمرية الحركة . اما معيشة القوم فعلى الشاي غالبا وخبز الشعير الاسود
فالمحطة لا تيبهت هناك لان اكثر ذلك الاقليم جبلي قليل السهول
والمراعي

ويشتد قرس البرد في هذه الاصقاع لانها محاطة بالجبال الشاذقة المغطاة
بالثلوج الدائمة حتى يكاد زاعر هذا القطر شتاء يموت بردا . فقد مر احد السياج
ببهر فرأى فيه صور^(٣) ابقار وحشية جامدة لا تتحرك فخالها تسبح في الماء .
وشاهد رؤوسها وقرونها مرتفعة فوق المياه انما بدون حركة . فداننا منها وامين
النظر فنظن للسبب وذلك انها غاصت في الماء حين كان آخذا بالجمود فجد
سريعا وتصلب قبل خروجها منه حتى لم تعد تستطيع الحركة فطوتها الجمود
من سائر الجهات واماها

ويضطر اهل تيبهت الى اضرام النار في منازلهم للاصطلاء من البرد
القارس . اما موافدهم فمن طين ويتقنون كونه في السقف لخروج الدخان
ويختلف سكان تيبهت عن تر البادية بأنهم حصر يقطنون الامصار^(٤)
والقرى . اما اولئك فبدو رحل لا يأوون البيوت قط . فاننا انما تيبهت ابا
نزول المنازل العمورة فلا يبيتون في الفنادق بل يتصبون المضارب في فلوات
المدن وساحاتها كما يفعلون في مجاهل^(٥) البادية ومعالمها^(٦) حيث يصرمون
التيران تحبها ويطنخون الطعام . فاننا حاول رب بيت يحلم على طهي طعامهم
على كوابين المطابخ امتنعوا كل الامتناع . فانهم ينضفون مكى القلاة صيفا وشتاء

وَإِذَا أَوَى أَحَدُهُمْ مَيْتًا مَعْمُورًا حَسَبَ ذَلِكَ سَجًّا لَا يُطَاقُ وَلَا يُصَدَّقُ مَتَى يَفْلَتُ
مِنْهُ وَيَطْلُقُ سَاقِيَهُ لِلرَّجْحِ

(١) قِطْعَ النِّفْثَةِ وَالذَّمْبِ (٢) الْخَمْرَ الْمَسْطِطَةَ (٣) قِطْعَ الْبَقْرِ
(٤) الْمَدِينِ (٥) الْأَرْضَ الَّتِي لَا يُنْتَدَى فِيهَا (٦) مَا يُسْتَدَلُّ بِهِ
عَلَى الطَّرِيقِ

ياك تبيت

لِكُلِّ إِفْلِيمٍ حَيَوَانٌ خَاصٌّ يَجِيئُ مِنْهُ الْعِبَادُ رِزْقًا وَنَفْعًا. أَمَّا
حَيَوَانُ تَيْبِتٍ فَيُدْعَى يَاكُ. وَيُحِبُّ هَذَا الْبَهِيمُ السُّكْنَى فِي
الْجِبَالِ الْبَارِدَةِ. وَأَمَّا كِسَاؤُهُ فَشَعْرٌ مُتَجَدِّدٌ لِيُنَ الْهَلَسِي بِجَاكِي
الْفَرَوِ يَكْسُ ذَنْبَهُ الْأَرْضَ وَهُوَ يَهِي اللَّوْنُ جَبِيلُهُ. وَلَهُ فَرْتَانٌ
يُضَارِعَانِ قَرْنِي الْبَقْرِ وَسِنَامٌ بَيْنَ كَنْفَيْهِ. أَمَّا قَوَائِمُهُ فَفَصِيرَةٌ
جَدًّا حَتَّى تَرَى شَعْرَهُ الطَّوِيلَ يَمُجُّ وَرَأْسَهُ عَلَى الْأَرْضِ وَيَجْعَلُ
لَهُ مَنظَرًا شَنِيعًا. غَيْرَ أَنَّ أَهْلَ تَيْبِتٍ يَحْسِبُونَ هَذَا الْحَيَوَانَ
بِرَكَّةً عَظِيمَةً لَمْ

وَذَلِكَ لِأَنَّ لَبَنَ أَثْنَاهُ خَائِرٌ وَدَسِيمٌ وَغَزِيرٌ وَيَصْنَعُونَ مِنْهُ
سَهْنًا لَدِينًا. وَيَجُوكُونَ مِنْ شَعْرِهِ أَرْضِيَّةً نَفِيسَةً مَيْبِنَةً. وَيَنْسُجُونَ

مِنْ صُوفِهِ الطَّوِيلِ خِيَامًا وَيَقْتُلُونَ مِنْهُ حِبَالًا. أَمَا ذَنْبُهُ الْبِئْسَ
 اللَّوْنُ فَيَسْتَعْمِلُونَهُ لِلزَّيْنَةِ. وَيَسْتَخْدِمُونَ هَذَا الْحَيَّوانَ حَيًّا
 رَكُوبَةً^(١) فَيَسِيرُ بِهِمْ فِي الوُغُورِ وَالْعَرَائِيبِ^(٢) وَلَا تَزِلُّ قَدَمُهُ.
 وَيَصْنَعُونَ لِحْمَهُ طَعَامًا وَقُرُونَهُ أَمْشَاطًا وَنِصَابَاتٍ وَأَمْعَاءَهُ
 أَوْتَارًا وَالْمَخْلَاصَةَ كُلَّهُ رِيحٌ وَنَفْعٌ لِبَالِكِهِ. فَلَا يَدْعُ^(٣) إِنْ أَحْبَبَهُ
 النَّبِيُّ وَقَدَرَتْ ثَرْوَتُهُ بِقَدْرِ مَا فِي حَوْزَتِهِ مِنْ هَذَا الْحَيَّوانِ
 وَمِنْ طِبَاعِ أَثْنَاهُ مَحَبَّةٌ فَلَوْهَا حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ الْبَشَرُ مِنْهَا
 كَفَّتْ عَنْ إِعْطَاءِ اللَّبَنِ. وَإِذَا ذُبِحَ الْفَلَوُ أَوْ مَاتَ عَمِدَتْ
 الْمَرَأَةُ إِلَى قَوَائِمِهِ فَتَقَطِّعُهَا وَتَقْتُلُهَا أَمَامَ الْأُمِّ. فَتَنْعَطِفُ عَلَيْهَا
 تَلْحَسُهَا فَيَدْرُ لَبْنُهَا فَتَنْهَزُ الْمَرَأَةُ الْفُرْصَةَ وَتَحْلِبُهَا. وَمِنْ طِبَاعِ
 هَذَا الْحَيَّوانِ الْإِتْقِيَادُ وَالْخُضُوعُ لِصَاحِبِهِ

(١) ما يركب من الدواب (٢) طرق في الجبال (٣) لا عجب

عيد الزبدة في تيبث

يُسَمَّى التَّيْبِثِيُّونَ هَذَا الْمَوْسِمَ عِيدَ الْأَزْمَارِ لَكِنَّهُ بِالْحَقِيقَةِ عِيدُ الزَّبْدِ. فَمَنْ
 مَعْرُضٌ عَظِيمٌ مُؤَلَّفٌ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ وَحَيَّوانَاتٍ وَأَزْهَارٍ وَمَيُوتٍ وَحَلَاتِقٍ كُلِّهَا
 مَصْنُوعَةٌ مِنَ السَّمَنِ

فتى أن اوان هذا الموسم مرع القوم الى تيب قادمين من سائر بلاد التبر
للفرجة . فتنصن الطرق بقوافل الحجاج الآتين لمعاينة هذا المشهد الغريب .
ولما كان يوجد في تيب دير عظيم لكهنة بوذه كان لهذا العيد علاقة كبرى
بالدير المذكور

اما اعتاد هذا المخل الغريب فعلى الكيفية الآتية
يتم التبر بهذا العيد قبل اوانه بثلاثة اشهر ينصبون في خلالها على عمل
الصورة السمينة المزمعة ان تُعرض للفرجة . ويشتملون من الصباح الى المساء
في عمل الاشباح على اختلاف اشكالها وانواعها . فتراهم كل دقيقة يغمسون
ايديهم في الماء لتبريدها

ويحفظون بهذا العيد في وسط الشتاء وذلك يعانون من قرس البرد الما
لا يوصف . ثم متى انجزوا عمل تلك الصورة اشتغلوا بتقشها . لان لا بد من
ظهورها مكشورة بالكساء الكامل

ومتى بدأ العيد غصت المدينة ورصانتها (١) بالمخلق حتى لا تكاد تسمع
الجواهر الخشدة اليها من سائر الجهات . فتسمع نغمة (٢) الغنم وخوار (٣) البقر
وتبج الكلاب من سائر الانحاء . وترى المضارب منصوبة في الفلوات يسكنها
الزائرون الذين لم يفوزوا بماوي في البيوت والقنادق . وتعاين هناك قبائل
التبر وعشائهم على اختلاف ازيائهم وعوائدهم يطوف بعضهم حول الدير
ويصيحون على الارض في كل خطوة لاستعطاف بوذه واسترضائه
ثم متى كملت معدات العيد رأيت مشهدا غاية في الغرابة

فانهم يضعون تلك الصورة على دكك ومناضد مرتفعة تلقاه المياكل تخطلها
آنية حمراء وصفراء . ولما كان هذا الاحتفال يجري ليلا رأيت أضواء وانوارا
ملونة بجهة نهر الابصار . ومن هذه الغائيل والاشباح ما هو كبير جدا . فتعال
الحوانات السمينة حية تكاد تمشي . وتعاين صور البشر والثور والذئب
والغنم وغيرها مما لا يحصى . وتكاد تمشي شعرها وصورها لا تتجلاء حقيقة الامر

فيا اذا كانت جلودها الرهية اصلية. وتشاهد بين تلك الذي بوزده نفسه
مجلده الايض وشعره الطويل المسترسل. وما يُعجب منه ان الاشباح كلها
من السمن

وفي سائر الاسواق والشوارع لعبات وخيالات سمينة متوشحة بوشاحات
الكهنة. وترى خدام الدين هولاء يمشون ذهاباً واياباً بين تلك المعارض. ومتى
فرغ القوم من الفرجة والفرس بهذه الاصنام بدأت افراح الليلة واناشيدها.
فيرقصون ويغنون ويصيحون ويدفنون بعضهم بعضاً كأنهم أصبحوا بالجنون.
هلا والكهنة يصعدون ويتلون حاملين مشاعل ملهبة لحفظ نظام الجمهور
والحفاظة على التائيل من العقوط. وتدمع المرح (٤) والمرج (٥) والغناء والرقص
والزعيق الى الصباح. فلا يزرع الفجر حتى ينتهي المشهد ويختم الاحتفال
فيتلون تلك التائيل السمينة ويطرحونها في حفرة قرب المدينة فتذهب
اعاب ثلاثة اشهر ادراج الرياح كأنها لم تكن. فقد كابد القوم هذه المشقة كلها
وعانوا نقات السفر وخطارة وذلوا مقلراً جسيماً من السمن لاجل ليلة واحدة.
ثم تنفض الحفلة وينطلق الزوار مشاة صامتين واديهم مدلاة نحو الارض ولم
يثابوا على ملا العناء والتفقه الأ بهرج ومجون (٦) وخلاعة ليلة واحدة

(١) السواد والقرى (٢) صوت الغنم (٣) صوت البقر
(٤) فنة واختلاط (٥) قلق واضطراب (٦) هزل

هيكل الذهب في تيب

يمر السفر في تيب لان أكثر طرفها في الجبال الشاهقة ومساكنها حروف
وعرية ضيقة وجرف (١) تكاد تنهار (٢) ولذلك كان سلوكها خطراً. وتُدعى

جبال تيبب الشمالية الجبال الزرقاء والجنوبية حملايا والبلاد المأهولة واقعة
بينها . اما سكانها فمن عشائر التتر وملكها شخص يُجَبب منه يسكن على قمة طود
صخري في ناحية لانا

أما لانا فعاصمة تيبب . وبلاط هذا الملك ميكن كبير مشيد بين مياكل
كثيرة حوله . وتعلو ذلك الميكل قبة مصنعة بالوراح ذهبية وهو قائم على اعيدة
من تزار^(٢) ايضا . وقد مرّ بك ان الذهب يكثر في تلك الجبال
وتزيد رخصه هذه الراجية كمنة الدين البرودي وخلق كثير قادمين من
سائر انحاء بلاد التتر وينبطون على الارض للعبود . فيشرف عليهم الملك ابام
الاعباد والمواسم من رواق بلاطو بغية رمتهم بنظره

ولذلك البلاط مدخل فصيح تزدو على جانبيه الاشجار الخضفة الجميلة .
ولا يزال غاصا بالزائرين الآتين البعض فرسان والبعض مشاة ليعبدوا
الملك لانهم يعتبرونه كاله ويقولون ان روح بوذه حلت فيه وجعلته قديسا .
وقد عاش في هذا الميكل منذ الطفولة لان الكهنة احضروه اليه منذ كان
صغيرا

على انه ليس من نسل الملوك بل كان ولدا اختاره الكهنة منذ نعومة الاظفار
وملكوه . اما كيفية اختياره ومبايعته فعلى الاسلوب التابع

يطلب الكهنة من الشعب اختيار ثلاثة اولاد واحضارهم اليهم . فيلقون
فرعة باسمهم مكتوبة على ثلاث اسماك ذهبية . ثم يضعون تلك الاسماك في اناة
ذهبي يهزونه لاختلاط الاسماك ببعضها ويكلفون كاهنا برفع احداهما ويقرأون
اسم الولد المكتوب عليها . ثم يبحثون فيحضرون الفتى الذي اصابته الفرعة
بموكب واحتفال ويعينونه ملكا شرعيا او رئيسا دينيا ومجمل الكهنة الى ميكل
الذهب حيث يحضرون عليه اللعب واللهو والركض شأن الاولاد امثاله .
فيقضي حياته في الميكل جالدا على وسادة وهارزا رأسه نحو الشعب القادم
لعبادته بوقار ومهابة

اما بيوت الكهنة فبالقرب من قصر الملك او بالحري الاله ولا يفعلون
شيئا سوى العناية بمجدهم. فلا غرو^(٥) ان تكون حياة هذا الانسان ثقيلة
عليه ومشوبة بالضجر والملال لانه يقضيها سجينا مقطعا عن الماشرات والعلم
ومعرفة امور الدنيا. وماذا تفيد هذه الابهة والحظية
ولا يخفى ان تبيت مملكة مستقلة تدفع عنها جبالها الشاه^(٦) التي تطوفها.
فقد حاول الصينيون مرارا فتحها فاستنعت عليها لماعتها^(٧) الطبيعية

- (١) عرض الجبل الاملس او ما تجرقة السول. (٢) تنهدم
(٣) ذهب (٤) يمنعون ويحجرون (٥) لا عجب (٦) العالمة
(٧) لغوتها وشدها

اثر قدم بوذه

إِنَّ أَهْلَ سَيْلَانَ وَغَيْرَهُمْ مِنْ عِبَادِ بُودَهَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُ حِينَ
فَارَقَ إِلَهُهُمْ هَذِهِ الْمَدِينَةَ تَرَكَ أَثَرَ قَدَمِهِ عَلَى فِئَةِ جَبَلٍ
شَاهِقٍ يُدْعَى قَنَةَ^(١) آدَمَ. فَيَعْتَبِرُونَ هَذَا الْأَثَرَ أَعْيَارًا لِأَيُّوصَافِ
وَيَزُورُونَ ذَلِكَ الْجَبَلَ مَرَّةً فِي السَّنَةِ وَيَقْدِمُونَ لِبُودَهَ
الْقَرَابِينَ وَالْهَدَايَا

أَمَّا الصُّعُودُ عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ فَبَيْنَ أَعْسَرِ الْأُمُورِ وَأَخْطَرِهَا
لِأَنَّ كَثِيرَ الْوُجُوهِ وَالْعَرَائِبِ وَفِيئَتَهُ مَخْرُوطِيَّةُ الشَّكْلِ

كَتَابِ سَكْرٍ وَيَضْرِبُ الْقَوْمَ إِلَى أَرْتِقَاءِ شَعْفَتِهِ ^(١) لِبُعَايْنِهِ قَدَمٌ

بُوذَةٌ

وَيَجْرِي عِنْدَ حَضِيضٍ هَذَا أَجْبَلٍ جَدُولٌ مَاءٌ يَفِيءُ
الزَّائِرُونَ عِنْدَهُ لِلِاسْتِحْبَامِ ثُمَّ يَأْخُذُ كُلُّ زَائِرٍ مَنْدِيلَةً عَنِ رَأْسِهِ
وَيَلْفُ بِهَا مَدِيئَتَهُ وَيَضَعُهَا عَلَى كَامَتِهِ. وَهَذِهِ الْهَدِيَّةُ مِنَ النَّوْدِ
أَوِ الْأَرْزِ أَوْ جُوزِ الْهِنْدِ أَوْ الْأَزْهَارِ. فَلَا يَجْتَازُونَ هَذَا الْجَدُولَ
حَتَّى تُضَجَّ الطَّرِيقُ وَعِوَةَ السَّالِكِ عَلَى بَعْضِ صُخُورِهَا
الْبَسَاءُ الْبَاذِخَةُ مَوَاطِيءُ مَحْفُورَةٌ بِالْأَزْمِيلِ لِتَسْهِيلِ الْإِرْتِقَاءِ
ثُمَّ يَبْلُغُ الزَّائِرُونَ بَعْدَ مَعَانَاةٍ أَنْعَابٍ لَا تُوصَفُ قِيَمَةٌ
الطَّوْدِ فَيَسْفِرُ لَدَيْهِمْ مَشْهُدٌ طَبِيعِيٌّ بَدِيعٌ يَشْتَبِلُ عَلَى سَهْوِلِ
الْجَزِيرَةِ وَغَابَاتِهَا وَرِيَاضِهَا. وَلَكِنَّهُمْ لَا يَكْتَرُونَ بِهِ لِأَنَّهُمْ لَمْ
يَصْعُدُوا لِشَاهِدَةٍ مِثْلِ ذَلِكَ بَلْ لِيَنْشَرَفُوا بِلَيْثِمِ أَثَرِ تِلْكَ
الْقَدَمِ الْوَهْبِيَّةِ. فَيَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَى خَيْبَةٍ صَغِيرَةٍ مَنْصُوبَةٍ
عَلَى الصَّخْرِ يُحِيطُ بِهَا جِنَارٌ وَهِيَ مَضْبُوتَةٌ بِسِلْسِلَةٍ حَدِيدِيَّةٍ.
وَلَوْ لَا هَذِهِ السِّلْسِلَةُ لَنَسَفَتِ الرِّيَاحُ تِلْكَ الْخَيْبَةَ فَتَهَرَّقَتْ.
فَتَحَتْ هَذِهِ الْخَيْبَةَ الْأَثَرُ الْمَحْسُوبُ عِنْدَهُمْ مَقْدَسًا. وَهِيَ
مُزْدَانَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَالْمُزْرَعَاتِ. وَهَذَا الْأَثَرُ كَبِيرٌ تَحَاكِي صُورَتَهُ

الْقَدَمَ الْحَقِيقَةَ كُلَّ الْحَاكَاةِ . وَالْأَطْرَافُ الْعُحِيطَةُ بِهَ مَطْلَبَةٌ
بِالذَّهَبِ . وَيَقُولُونَ إِنَّ بُوذَةَ وَضَعَتْ قَدَمَهُ الْوَاحِدَةَ عَلَى هَذِهِ
الْقَيْمَةِ وَوُثِبَ بِالْأُخْرَى إِلَى الْهِنْدِ

وَلَا يَدْخُلُ الزَّائِرُونَ الْخِيْمَةَ بَلْ يَقِفُونَ خَلْجًا يَتَفَرَّسُونَ
بِالْأَثَرِ ثُمَّ يَنْخَنُونَ إِلَى الْأَرْضِ وَيَرْفَعُونَ رِاحَاتِ أَيْدِيهِمْ
الْمَطْبَقَةَ مَعًا فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ . وَيَهْسُونَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ صَلَاةً
ثُمَّ يَقْدِمُونَ قَرَابِيصَهُمْ فَيَأْخُذُهَا الْكَاهِنُ وَيَضَعُهَا بِضَعِ دَقَائِقَ عَلَى
ذَلِكَ الْأَثَرِ . ثُمَّ يَهْبِطُ الزَّوَارُ عَنْ تِلْكَ الْقَيْمَةِ قَلِيلًا وَيَأْخُذُ
أَحَدُهُمْ كِتَابًا دِينِيًّا وَيَقْرَأُ لِلْجُمْهُورِ بِصَوْتِ جَهِيرٍ

أَمَّا الْهَدَايَا فَيَأْخُذُ أَكْثَرَهَا رَيْسُ الْكَهَنَةِ الْمُهَيِّمُ فِي
كَانْدِي حَاضِرَةً^{١١} سِيلَانَ وَالْبَابِي يَأْخُذُ الْكَهَنَةَ الْمُهَيِّبُونَ فِي
الْخِيْمَةِ . وَلَا يَسْكُنُ هُوَ دَائِمًا عَلَى الْجَبَلِ لِأَنَّ قَبْنَهُ مَخْطَأٌ
بِالْغَيْومِ الْهَتْلِبِدَةِ فَيَتَعَذَّرُ أَرْتِقَاؤُهُ شِتَاءً . بَلْ تَقْصِدُهُ الزَّوَارُ صَيْفًا
فِي صَفَاءِ الْهَوَاءِ وَحَيْثُ تَسْتَطِيعُ الْكَهَنَةُ الْمَهْكُ فِي الْخِيْمَةِ
وَالْتَزُولُ عَنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ أَعْسَرُ مِنَ الصُّعُودِ عَلَيْهِ لِأَنَّ
لَيْسَ لِطَرِيقِ الْأَبَابِ^{١٢} مَوَاطِيءَ كَالَّتِي فِي الذَّهَابِ . لَكِنَّهُمْ
يُدْلُونَ سُلَالِيْلَ حَلِيدِيَّةٍ يَتَشَبَّهُ بِهَا الْقَوْمُ فِي نُزُولِهِمْ . فَإِذَا

تَطَّلِعُ النَّاطِرُ بِهَا نَحْمَهُ عَرَاهُ الدَّوَارُ وَلَا حَ لَهَ كَأَنَّ الطَّرِيقَ
مَعْلُوقَةً فِي الْهَوَاءِ

(١) قلة الجبل (٢) رأس الجبل (٣) عالية (٤) يتكشف
ويظهر (٥) يتكلمون بصوت خفي (٦) مدينة (٧) الرجوع
(٨) (دوخة)

الفيل

اجمع علماء الطبيعة على ان الفيل اذكى جميع الحيوانات فطنةً ونباهةً. وفيه
من انهم ما يقبل به التأديب ويفعل ما يأمره به سائسة من العجود للملك
الى غير ذلك خيراً او شراً في حالتي السلم والحرب
ومن اخلاقه ان يقا تل بعضه بعضاً والمتهور يخضع للفاهر. وقد برز
بالانسان فلا يشعر به لحة خطوه واستقامته. غير ان الناظر الى ظاهره يسيء
وشكوه يحكم عليه بالبلادة. فحينئذ الضخمة^(١) وجلده الاصط العاري من الشعر
وقوائم الغليظة التي كأنها لم تخلق للحركة وصغر عيونه وسعة اذنيه المسترخيتين
كل ذلك يدل على اتصافه بالبله. ولكننا اذا اعتبرنا خصالة ظهر لنا خلاف
ذلك وعجبنا من نباهته وهو الغريب

والفيل اقدر جميع ذوات الاربع واكبرها. وليس البطش والاذى من طبيعه
بل هو رزين الخلق حليم جريء يبذل قصارى الجهد في الدفع عن نفسه
وعن صاحبه. ومن طبيعه الموالفة والموانسة. واذا تكبب اجالاً^(١) كان اعظمها
فطنة مدبراً لما وقتننا فتطبعة وتؤدي له الولاة وتقديه بارواحها. وهو يهتم

بأمورها ويحافظ على نظامها ويرود لما المياه ويفرد وحده أحياناً بقية الكباشنة



واتقاء الخطر . ويدود^(١) عنها العدو وييدي نحوها انطافاً وعباية ليست
 باقل من ولائها^(٢) وخطوصها
 واذا سارت القيلة سرياً اعتصرت^(٣) في رجليها اغصان الشجر . واذا

دخلت مزرعة لا تلبث حتى تفسد الحراث . ولا يكاد يصر فيها عن غارتها عدد
وافر من العساكر المسلحة . الا ان القناصين بطاردون ما كان ناهما ولا بد لم
من اعمال السلاح والحيلة لبلوغ الارب . لان القناص اذا اخطاه ولم يمكثه المرب
هم عليه عدوا فضره اولاً بناه ثم تناوله بخرطوم وورى به في الجو وراقب
سقوطه حتى يدوسه ويقته

ومن طبع القبيلة ايضاً المكك على شواطئ الانيار وفي الاماكن النديّة
والنخسن في الغياض الكثيفة . وهي تكدر الماء قبل ان تشربه وكثيراً ما تختره في
خراطيمها ثم تشبه اما للعب او لتأر من اساء اليها فينطلق انطلاق
الثوبوب . قيل ان فيلاً كان سائراً وحده في اسواق مدينة قد خرطومته الى
دكان خياط فتمسك احد الصناع بأبرة ليسلي نفسه واصحابه . فوطن القبيل ذاته
على الانتقام فهد الى بركة قدرة وملأ منها خرطومته ورجع الى الدكان واطلق
ما فيه على الصانع الذي اذاه وفي عنقه ما لحقه من العار

ووجود القبيلة في افريقية على ما يُظن أكثر ما في سواها . غير ان مجانسها
في اسيا اكبر واعظم واوفر نفعا لبني آدم وخصوصاً في الهند فانها تُدرّب وتُصرى
على الشغل والحركة في حالي السلم والحرب على افضل نظام . وتباع حسب
فخامتها والوانها . ولا يبيض منها يعبد اهل بورما وسيام كالاله سبحانه . وهناك
ياوي القصور الفسجية ويأكل الطعام الانيق ويُعين لخدمته ضباط من كبراء
رجال المملكة بل قد تُفرز لاعاليه كورة برمتها . ولا يجمعون عرش الملك الرفيع
كاملاً بدونه

قيل ان اربعة قرديين عثروا في سيام على فيل ابيض فكافأهم الملك بأن
اعطى كلّ منهم الفين وخمس مئة ريال ووظائف والقابا وعقارات . وقال احد
السياح " بينما كنت في مدينة جا فانبا القوم الملك بوجود فيل ابيض ولكن
لا يمكن اسماكه بدون ائلاف عشرة آلاف زنبيل ارز . فاجاب جلالة وما هي
العشرة الآلاف الزنبيل بالنسبة للفوز بفيل كريم كهذا . ثم اصدر امره على الفور

بأساكه". وتقطن الافئال البيض احياناً في مياكل نفيسة يتخذها الكهنة
والعظاء وتوضع في اعناقها السلاسل الذهبية المرصعة بالحجارة الكريمة وتعمل^(٥)
عليها الاجراس الفضية. وتفرش الثياب الجميلات الازهار تحت مواطئ اقدامها
عند سيرها في المراكب والمخلات. وتكسى بالانجحة الذهبية والمطرزات
الارجوانية. هذه حياة تحسدها عليها سائر افئال اسيا وافريقية بل كثيرين
من البشر

ثم ان الفيل متى اتقاد كان اطوع والبن جانباً من جميع الحيوانات .
ومحبة لسائمه احدى العير . فتدري حينئذ ان غاية حياته ليست الا لخدمة
صاحبه وطاعته . ويسهل تعليمه بان يُناخ ليهتطى^(٦) . ويتودد الى من له يد
معرفة . ويسمح لمديره ان يركب على عنقه ويسوقه بعصاً من حديد . وفي الغالب
تكفي كلمة واحدة منه لتخو على السير . اما الغريب فهذه ان بطيعة

وكانت ملوك الشرق قبل اختراع البنادق والمدافع يجلبون ذخائر الحرب
على الفيلة المضرة وبحار يون عليها في شبه مركبات او موادج او مخنات^(٧) . اما
الآن فأخص قبيها بنية الفناخر والمباهاة او لكونها قوية على حمل الاقال اذ
ليس صف من الحيوان يطيق الحمل اكثر منه . فان له قدرة على ان يجير من
ثلاثة آلاف رطل الى اربعة آلاف وعلى خرطوميه وحده الف رطل . وانا حثت
على السير مشى في اليوم الواحد مئة ميل تقريباً اما معدلة فحيمون او متون .
واهل الهند يعلمون الفيلة القتل بالجرمين والانتقام منهم فتمزقهم بخرطومها او
تنشب فيهم انيابها . ولكنها لا تميل الى ذلك طبعاً فهي انما تفعله قسراً
اطاعة للامر

(١) قطعاناً (مختصاً) بالسباع (٢) يدفع (٣) الهبة والنصرة
والقرب (٤) اكلت (٥) تحرك وتصوت (٦) يركب
(٧) مركب للتشاء كالمودج

الفيل

٢

ولا ينبغي ان للفيل ناين عظيمين بارزين من فكِّ الاعلى يستعملهما للدفاع
طولما نحو عشر اقدام وما حادان جدا حتى يستطيع بها ثقب اصق (١) جلد
واغظة. وعلامه العاج الثمين الذي يستخرجُه القناصون ويسعونه باثمان عالية.
ومر علة صيد الكبري. فاذا اسعد البخت قناصا وفاز بهذه الثمنية حسب نفسه
قد استعاض عوضا نفيسا عن جميع ما لقي من النصب (٢) بل عن المخطر في
قنصه. قيل ان الفيل يعيش اكثر من مئة سنة

اما خرطومُه فيجيب التركيب جريل الفائدة وله ثلاث منافع كبرى. اولها
حاسة الشم فهو كناية عن انف مرن مستطيل يمكِّنه من شم الطعام المحبوب عن
بصره فيختار افضله بل يشتم به عن بعد رائحة الضواري والبشر فينتفي المخطر.
والثانية امتصاص الماء ارواه لصداه (٣). والثالثة كونه له بمنزلة اليد فيتناول
به ما يشاء حتى اليرة والدُّبوس

واما طعامه فالاشجار والحطبة والبنور واغصان الاشجار وله ميل خاص
الى المواد الحلوة السكرية

ومن صفاته انه يجتر بعضه بعضا عند دنو المخطر باصوات خاصة. وتبلغ
الرقباء الخنثيه لرفاقها بان تصوت صوتا يجاكي تغريد الطيور

وتهاب الفيل سائر وحوش الغاب وتخزئه كل الاحترام ولا ينازعه احد
في سيله حتى الاسد نفسه لا ياتي الانحراف عن الطريق واخلاء مكان
لمروره. والتمر يتسلق الاشجار عند سماع وطء قدميه. واذا وردت وحوش
الغاب ماء لارواه ظليها ولحمت الفيل اجعدت عنه واخذت لسيد الغاب هذا
سيلا. فهز الزرافة عنقها ونصع صياح الفرق. ويغني وحيد القرن كانه

للوقوف على الحقيقة ومتى انجلي له الامر ركض يعدو من بأس القبيل . ويجول
التهد وجهة الى الفلاة

ولاتق القبيل انعطاف وعناية بدعافها ^(٤) يُجَب منها . وتعاني في قطعها
مشقة لا توصف . والقبيلة البرية تألف عراجل ^(٥) عددها من عشرين الى
ثلاثين . ولذو القطعان مع بعضها علائق ودبة . وقد تمتزج معاً بغية المباشرة
والالفة فيبلغ عددها مئتين او ثلاث مئة . واذا دهبها عدواً اناً قائم كل قطع
جيشة فترخف بانتظام وترتيب وحارب حرب الابطال

وقد يوجد بين القبيلة قبيلٌ وحيد طريد مني تمتنع سائر الاقبال ونجانبه .
وهو في الغالب جميلٌ هيئته الطلعة نفيس العاج . ويظن ان حلة طرده انه كان
ملكاً عانياً ظالماً ثارت عليه رعيته وخلعت عنها طاعته . او كان شريفاً قتل
احد انسابه او جار على رفاقه ونمدي عليهم . ومما يكن تر هذا القبيل ضد الجميع
والجميع ضده . ولكنهما لا نسيء معاملته بل ترغمة على الاعتزال عنها بل قد
تشرب معة وتتسل في بركة واحدة . انما لا نسمح له باجياز هذا الحد . فلا تألف
معة قط ولا تماشره بل تصر على جفائه . واذا صيد معها في وهي ^(٦) واحد ودنا
منها اتحدت معاً على ابعاده بالقوة . واذا تجرأ في الفلاة وقصد الاختلاط معها
قائلته الى ان ترغمة على الانزواء والانفراد

ولقص الاقبال اساليب شتى . منها انهم يستقيمون مكاناً فصيحاً يقضب
الخيزران المتينة ويتقنون له باباً للولوج وباباً آخر للخروج . غير ان الباب
الثاني لا يؤدي الى الفلاة بل الى محل ضيق لا يستطيع القبيل فيه حراكاً . فمتى
دخل هذه الزريبة ركض للخروج من الباب الثاني فيسبحن في ذلك المجلس
الضيق فيوصدون عليه الباب . ومتى وردت الاقبال الماء لارواء ظمائها علم
القناصون مكان ورودها وزمانه فشادوا هذه الزريبة في سيلها . ثم متى شعروا
بقدمها اضرموا ناراً شديدة حول ذلك المقص ودردبوا ^(٧) بالطبول ونفخوا
بالزمرور فتدعر الاقبال وتعدو هائمة على وجوهها . ولا ترى سبيلاً الا من ذلك

الباب المتوح فتدخله ولكنها لا تغم حتى تقع في الشرك فتتهيج وتزبد وتخبط
وتحاول كسر الأوتاد انما على غير طائل . ومتى هداً روعها قليلاً ادخلوا اليها
فيلاً مدرّباً اليها فيأخذ بموانئها وملاطفتها الى ان يسكن جأشها (١) فليلين
وتناد للخدمة مع رفيقائها

وقد اجاد الشاعر بوصف الفيل بقوله

| | |
|-------------------------------|----------------------------------|
| تلقاه عند قديم الدوح متسكناً | حليم طبع عظيم الخبير والخبير |
| كأنه ملك حفت به خول | قامت لهيبته في احسن الصور |
| حيث الظلال على نيقار قد حجت | عن حسن مرآة عين الشمس والقمر |
| وحيث طاهر ماء الكنك قد ذهبت | امواجه بذنوب المند والقدر |
| وحينك مزدحم الآجام تحميمها | جيشاً تكتب تكتيباً الى الظفر |
| مناك برقع ذو الخطوم في دغ | سلم الجميع جليل القدر والخطر |
| اذكى البهائم قلباً وهو أقدرها | وما به لعباد الله من ضرر |
| مناك بظفر دول الدهر عاصفة | صروفه بلوك الارض والبشر |
| يرى الممالك قد قامت وقد قعدت | بينما هي الصفو اذ باتت على كدر |
| فها يبالي بهكر الناس تقصده | للتك مكرًا للا امسى على حذر |
| ظنوا انجبارهم في كسر اعطيه | فحاولوه فبس الحصر من وطر |
| تاهوا بينهم جهلاً فما عدلوا | وهيموه وما اللاعي سوى الأشير (١) |
| ياسعده إن توارى عن دهائم | إذا لبات بلك غير ذي خطر |

او كما قال ابن حسن الجوهري

فيل كرضوى (١٠) حين يلبس من رفاق الغيم بردا
مثل الغمامة ملئت آكافها (١١) برقاً ووردا
رأس كقلة (١٢) شامق كسيت من الخلاء جلدا

فترأ من فرط الدلا ل مصعراً^(١٣) للناس ختاً
 يزهو بخرطوم كمثل الصولجان يرُد رداً
 يسطو ياريتي ليجين يحطمان الصخر هنا
 أذناه مروخان أسندنا إلى النودين^(١٤) ختلاً
 عيناه غامرتان طبقتا لجمع الضوء عبدا
 فك كقومة الخلع يلوك طول الدهر ختلاً
 تلقاه من بعد فتسببه غماماً قد تبدى
 متاً كبنان الخورتق مائلاً في الدهر كمتاً
 ردناً كدكة عبر مقاتل الأراك نهدا
 ذنباً كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزنلاً
 يخطو على أمثال اعمدة الخباء اذا تصدى
 او مثل اميال تُضدن من الصخور الصم تضا
 متوارداً حوض المية حيث لا يشناق وردا
 متهاكاً فكأنة متطلب ما لا يودى
 متلقاً^(١٥) بالكبرياء كأنة ملك مهدي
 أدنى الى الشيء البعيد يراد من وهم وأهدى
 اذكى من الايمان حتى لو رأى خلا لسناً

- (١) ضد مخيف وفي اللارج اسمك (٢) نسب (٣) عطش
 (٤) اولاد الفيل (٥) قطعان الفيلة (٦) الجبل في طرفه انشوية
 (٧) ضرباً (٨) رواع القلب عند الفزع (٩) المرح والبطر
 (١٠) جبل بالمدينة (١١) جوانبها اونواحيها (١٢) رأس الجبل
 (١٣) مبالاً عن نظر الناس بهاوتاً (١٤) معظم شعر الراس ما يلي الاذن
 (١٥) مشتلاً ومنطى

النهر في سيلان

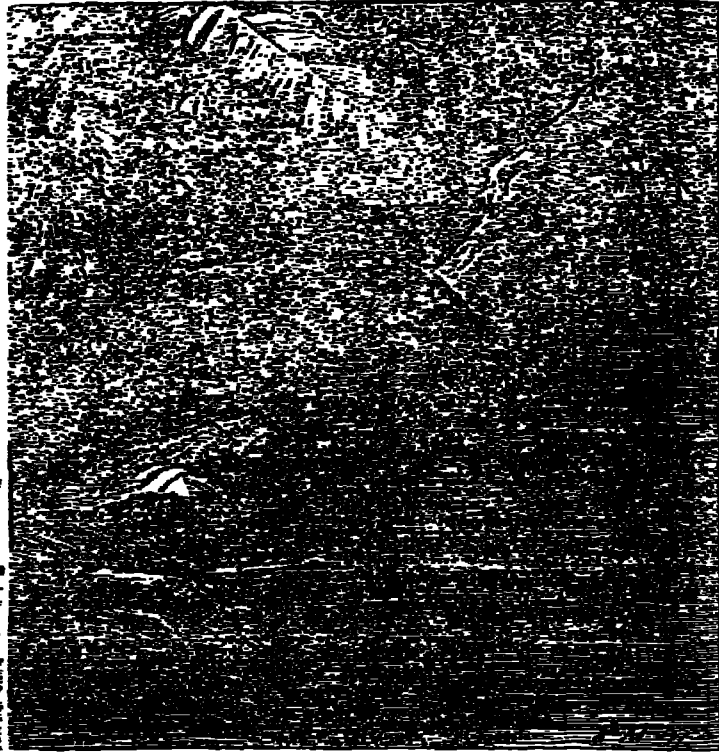
سيلان جزيرة بديعة بضوع^(١) في مواعها الرخيم آرج^(٢) الازهار العطرية وتزهو فيها الرياض والحلائق والغياض وتدفق على حصابها^(٣) الينابيع والانهر. وترقع في اقصاها الاطواد الشماء الممساء الجبال الزرقاء حيث يلجأ القوم ايام الحر والقيظ فيترطبون ويهناون وتكثر الوحوش الضارية في هذه الجزيرة. غير انه منذ دخلها رجال اوربا اخلوا يقصون تلك الوحوش ويفتكون بها فتكا ذريعا فلا يلبثون حتى يفتنوا ويريجو الناس من شرها

ومن هذه الوحوش النمر وهو اشدها فتكا ويطنا وموطنة الغابات حيث تكثر الانجم النباتية والبردي^(٤) والحلفاء. فهناك يكمن في وجاره ويتصد فرائسه فيريض على الارض حتى لا تباد تراه ويدب في الدغل ديبا لا تسمع معه وطء قدميه. فالويل للحيوان الذي يسوقه شوم الطالع الى ذلك المكمن فانه لا يعلم بوجود النمر حتى يشب عليه ويقترسه

والقوم في سيلان يخشون بطش النمر جدا واذا طلوا بكوتوه في ضواحي القرية لا يهدأ لم فرار حتى يقنصوه ويتقوا ضرره. وقد يذهبون لقتله على ظهور الاخيال. فيضعون عليها مركبة تشاكل المودج يتسلح ركبها بالبنادق والحرايب. غير انهم يدربون الفيل قبيلا ذلك ويترنونه بأن يضعوا امامه نرا مصبرا ويا مرونة يدوسه تحت قدميه. غير ان الفيل يدعر جدا من النمر وربما فر عند نظره خيا وان اقبل القوم على تعاليمه

ومنى بلغ الفناصون الغاب وعلم النمر الكامن قدومهم انسل وتوارى. ولكن اذا كان جائعا او اطلقت عليه بندقية فجرحة وشب يزأ زيرا مرعبا يربح الفيل فيجاول الفرار. غير ان راكبة يرغمة على التقدم ومهاجمة النمر

ويخاف النيل من ان يضر التمر بخرطوميه فيدفعه في الهواء ويضربه به
ضربة تصرعه الى الارض . غير ان التمر لما كان خفيف الحركة سريع الوثوب



يقفز كالمرّة وقد ينشب على جانب النيل ويتعلق به بجأله . واذ ذاك تشتد
ازمة (٥) المخطر على الراكب لان التمر ينشب في لحظة الى وسط المودج . غير ان
الرجال يكونون قد هبوا وابتادتهم وحرابهم . فيطلقونها عليه في الحال فيغير
صريعاً . اما الفيل فيعبره الفرق (٦) والملاح فلا يجزأ على حمل التمر على ظهره
وان كان قد أصيب بالرصاص وامسى جثة لا حياة فيها ولا حراك
وكا ان للاسد بعض اخلاق الكلب المحمودة كذلك للتمر ما لله من
الاخلاق الذميمة والطباع الخبيثة . ويشبهه ايضا في الهيئة والحلقة مشابها شديدة
غير انه اكبر منه جثة وقدرآ . وهو وان يكن ارفع ذوات الاربع لكفة احسنها
منظراً واخفها حركة . فتعومة شعره اليبى وانسدال خصله الكالكة على ظاهره

جنه ذات الصفة الفاقمة لما يعجب الناظر ويشوقه ان سلم من غوائل فتكوه .
فكان الحكمة الربانية تعلمنا في ما خصت به هذا الحيوان المتعال من حسن
الشكل والروثق ان الملاحظة والمجال اذا لم يكونا في الجوهر والذات كانا قلوبنا
الجدوى . وهذا الحيوان ما اخصت به اسيا واكثر وجوده في المند الشرقية .
ولا يؤثر في قسوة طبعه قسرة او ملاينة . وسواء على خبثه ان ينهش يد مطعمه
او مغذيه . والتبادر من ظاهر منظره انه ليس شرسا ولا غضوبا . ولكن قد علم
بالعبرة انه اعظم جميع الحيوان بطشا واشده توحشا

ومن طبعه الكون بين الاشجار التي على حافة النهر واقتناس ما يخفق له
من الحيوان ويدركه بجمحة غريبة ولو على امد بعيد . واذا اخطأ طريقه رجع
خازيا . واذا فاز حل قبيصة غير مكترث بقتلها وان تكن حيوانا ضخما كما
يجل المرء الفأرة

والذي علم من اخلاقه ما لم يُعهد في اخلاق الاسد اللوم والعنف والجهن
اذا دُهِش وحريم من مقصده . وصيد هذا الحيوان عند بعض امراء المند مع ما
له من البأس والقوة لمؤتمتص . وجلده غال . ولاسيا في الصين لانه يُقتَرش
على كراسي القضاة فيجلسون عليه

(١) تشتر رائحة (٢) الرائحة الطيبة (٣) الحصى (٤) نبات
له ساق طويلة تُصنع منه الحصر (٥) شدة (٦) الخوف

التخل السيلاني او شجرة الخبز

لهذه الشجرة الكريمة جذع طويل مستقيم يرتفع الى علو متي قدر . واوراقها
جميلة خضراء نحاسي المروحة تنفتح وتطبق نظيرها . وهي تثمنت الورقة كانت

كبيرة جداً حتى يستطيع ثلاثون رجلاً الظل تحتها . وهي ليست مع ذلك
ثقيلة الوزن بل يمكن رفعها بكل سهولة . ولذلك فصلح ان تكون مظلة حسنة .
فيستعملها المسافر الساعرون في تلك الانحاء فيظلهم من المطر ومن حر
الشمس

وهذه الاوراق صفيقة متينة حتى لا يخرقها النبت وان مطل سيولاً فهي بمنزلة
المنشع . ولذلك ترى سياحاً ومسافرين كثيرين يشرون ورقة من هذا الخجل على
اوتاد ويظلون تحتها . وقد جرت العادة في سيلان قديماً ان تحمل اوراق
هذا الخجل امام الكبراء والاعيان علامة على رفعتهم وسمو مقامهم . وكانوا يحملونها
مطبوقة كمروحة . ولهذا الشجرة نفع آخر عظيم وهو كون لبها يشبه دقيق
المحطة فيستخرجونه ويصنعون منه خبزاً حسناً

ولا تحمل هذه الشجرة ثمراً الى السنة الاخيرة من حياتها . فيبست في رأسها
حينئذ عناق^(١) ازهار صفراء جميلة تنشر اغصاناً كبيرة . ولبراعم^(٢) هذه الازهار
قشور او اغلفة متى اوشكت البروز تشقق بفرقة شديدة وظهرت الازهار . انما
يبقى منها رائحة قوية لا يمتطبع ملانها استنشاقها ولذلك يقطعون الشجرة
قبل تفرخها

(١) قنواو كباة من الخلة او العنود (٢) كيم ثم الشجر او زهرته
قبل ان تفتح

الطائر الدنان

لِهَذَا الطَّائِرِ الْجَمِيلِ أَكْثَرُ مِنْ عِشْرِينَ نَوْعًا . أَمَّا
مَوْطِنُهُ فَنَحْنُ غَابَاتِ الْبِلَادِ الْحَارَةِ فِي الْهِنْدِ وَأَمِيرِ كَا . وَهَلْ مِنْقَارُهُ

يَنْتَهِي بِطَرْفٍ شَبِيهِ بِاللُّوَبِ . وَلِسَانُهُ كَالْحَيْطِ وَرِجْلَاهُ
مَطَاوِئَتَانِ لِلْبَشِيِّ . أَمَّا حُجْبُهُ فَلَيْسَ وَاحِدًا فَقَدْ يَكُونُ أَكْبَرَهُ
مَجْمَعُ النَّهْنِيَةِ وَأَصْغَرُهُ مَجْمَعُ النَّحْلِ وَعَلَى هَذَا يَكُونُ أَصْغَرَ ذَوَاتِ
الْجَنَاحِ .

وَرِيشُ هَذَا الطَّائِرِ يَبِيُّ اللَّوْنِ نَفْسُهُ يَتَلَاوَأُ بِالْوَانِ قَوْسٍ
قَرِحٍ وَيَسِي أَبْصَارَ النَّاطِرِينَ . وَتَهُ عَلَى رَأْسِهِ عِرْفٌ أَخْضَرٌ
يَتَأَلَّى كَنَجْمٍ صَغِيرٍ . وَلَا تَكَادُ تُشْرِقُ الشَّمْسُ حَتَّى تَرَى
الدَّنَانَ عَلَى أَنْوَاءِهِ مُرْفَرًا عَلَى الْأَزْهَارِ . وَلِحْفَتِهِ حَرَكَةٌ
أَجْنَبِيَّةٌ لَا يَسْهَلُ تَبْيِيزُ لَوْنِهِ إِلَّا مِنْ لَبَعَانِهِ . وَدَابَّةُ النُّقْلِ
مِنْ زَهْرَةٍ إِلَى أُخْرَى وَاسْتِخْرَاجُ مَادَّتِهَا الْعَسَلِيَّةِ إِلَى أَنْ يُشْبِعَ
جَوْفَهُ . وَلِهَذَا الْغَايَةَ خُصَّ بِلِسَانٍ كَالْبَهْرَةِ صَاحِحٌ لِأَنَّ
يَنْشَبُ فِي أَكْثَامِ الزَّهْرِ

وَمِنْ طَبَعِهِ أَنَّهُ يُعَلِّقُ وَكْرَهُ فِي أَطْرَافِ الْأَغْصَانِ
وَالْعَسَالِجِ بِإِثْقَانٍ بَدِيعٍ وَبِحَشْوَةٍ حَشْوَالَيْسَ عَلَى إِحْكَامٍ .
صِنَاعَتِهِ مِنْ مَزِيدٍ . وَهُوَ خَفِيفٌ كَرِيشَةٍ وَمُدَلَّى فِي الْهَوَاءِ
كَكَاسِي صَغِيرَةٍ . أَمَّا يَبُوضُهُ فَقَدْرُ حَبَّةِ الْحَبِصِ وَيَبْضَاهُ
كَالنَّحْلِ . وَلَا تَزِيدُ عَنِ اثْنَتَيْنِ . وَيَعَاوِنُ الذَّكَرُ الْأُنْثَى

فِي الْحِضَانَةِ . وَتَنْفُ بِعَدِّ أَنْفِضَاءِ اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا مِنْ وَضْعِهَا .
 وَتَكُونُ حَيْثُ يَقْدِرُ الذَّبَابَةُ الزَّرْقَاءُ
 وَيَأْكُلُ هَذَا الطَّائِرُ أَحْيَانًا الْهَوَامَّ الْخَنْبِيَّةَ فِي قَاعِدَةِ
 الزَّهْرِ . فَتَبَى لِحَمَاهَا بَعِينَهُ الْبِرَاقَتَيْنِ أَنْشَبَ لِسَانَهُ بِهَا فَتَلَصَّقُ بِهِ
 لِأَنَّ فِي لِسَانِهِ مَادَّةَ لَرْجَةٍ ^(١) تُشَبِّهُ الْغُرَاءَ فَيَتَلَقَّفُهَا فِي فِيهِ وَيَلْعَقُهَا
 ثُمَّ يَنْشِبُ لِسَانَهُ عَلَى أُخْرَى وَهُوَ حَائِمٌ حَوْلَ الْأَزْهَارِ يَدِينُ
 بِمِنَاحِيهِ . وَمَتَى فَرَّغَ مِنَ التَّقَامِ الْهَوَامِّ مَصَّ قَلِيلًا مِنَ الْعَسَلِ
 وَعَادَ إِلَى عِشِّهِ

فَإِذَا زُرْتَ دَوْحَ هَذَا الطَّائِرِ شَمَّتَ عَيْرًا ^(٢) بَعِطْرُ تِلْكَ
 الْأَرْجَاءُ وَرَأَيْتَ الْأَزْهَارَ الْبَدِيعَةَ الْغَرِيبَةَ الْأَشْكَالِ تَزِينُ
 ذَلِكَ الْآيَكِ ^(٣) مِنْهَا بِصُورَةِ النَّحْلِ أَوْ الْفَرَّاشَةِ أَوْ الْقِرْدِ أَوْ
 النَّيْسِ . وَالْأَشْجَارُ الْغَضَّةُ تَهْوِجُ وَتَهَابِلُ بِأَغْصَانِهَا الْخَضْرَاءُ
 مَعَ النَّسِيمِ . وَهَذَا الطَّائِرُ وَالْوَفُّ غَيْرُهُ تَلَالَا بِالْوَأْنِهَا
 النَّفِيسَةَ بَيْنَ تِلْكَ الْغِيَاضِ وَتَسْجَعُ سَجْعًا بِأَخْذِ بِيَجَامِعِ الْقُلُوبِ
 فَتَشْمَلُ طَرَبًا مِنْ هَذَا الْمَشْهَدِ الْبَدِيعِ

(١) بلع (٢) خشبة ذات اطراف كالاصابع تُنْقَى بِهَا الْأَكْلَسُ

(٣) مالان واخضر من قضبان الشجر (٤) دبق وغروي (٥) اخلاط

من الطيب (٦) الغضة والشجر المنف الكثير

البيان

ان اصل هذه الشجرة العظيمة بزررة صغيرة تذف بها طائر من رأس ورقة من اوراق النخل الجميلة النابتة في ادواح الهند . ثم فرَّ وغادرها ملقاةً كأنها قد نُسيت . ثم اخذت تفرخ بفعل حرارة الشمس ووطوبئة الاطراف فبعت لها جُدْر ثم آخر ثم آخر الى ان ثبتت وتمكَّنت في اطراف تلك الاوراق السوداء البديعة . فكانت شجرة النخل موطنها ومنبها الوحيد . ثم اخذت تلك الجذور بالتمس والشدلي والالفاف كشبكة حول شجرة النخل القائمة في الدوح تزهر بقامها الرقيقة ونجباى باغصانها الغناء . ولكن منذ تشبَّثت بها تلك الجذور وضبطها بقوة لا تقوى على فصلها انقطعت العصارة المتعدية عن السريان في اعضائها واخذت تيمني وتخض رأسها الرفيع وقد زالت تضاريفها . وما فتئت الجذور ممسكة بها الى ان بلغت الارض ورسخت في التراب كالنخلة في سالف عهدها . اما الآن فقد افضى اجلها وقامت مقامها جذور البيان . وتلك الجذور من فصيلة تين يدعى بهذا الاسم . وهذه الدوحة ^(١) غاية في الغرابة لانها لا تبعت كسائر الاشجار بل تنمو على السلوين مختلفين مختلفين متميزين احدهما بالفناء الطيور البزر كما اسلفنا الكلام . وثانيهما بوسيلة تفوق الاولى غرابة . وذلك بأن تندلى منها حين بلوغ الشجرة النمو الكامل فروع وعمالج تلوح اولاً في الهواء ثم تنمو تدريجاً الى ان تمسَّ التراب . فيضرب كل عسلوج جذمه في الارض ويهي ساقاً تغلظ وتصلب على مر الزمان . ثم تندلى غيرها ويصيبها ما اصاب الاولى ويدوم ذلك اعواماً الى ان تبلغ الشجرة حجماً عظيماً جداً وتنتشر اغصانها الى مدى بعيد فقد يكون للدوحة الواحدة مئة ساق بفروع متولدة منها يتظلل تحمها سبعة آلاف رجل او يزيد . وهي بركة كبيرة لانباء السيل في تلك البلاد الحارة لانهم يتظللون تحمها من هيب ^(٢) الشمس ولظامها

والمنود مغرمون بهذه الشجرة ويرغبون في انماها. فيزعمون على الاغصان
عشباً مبلولاً فتسبب الرطوبة للعسلوج نمواً. ثم يصنعون له غلافاً صغيراً من
الخيزران فيجنيه الى الارض حيث لا يعم ويتأصل فيكون اولاً كحل دقيق
وكثيراً ما يصنع الراعي خيمة من شجر البيان اثناء حر الشمس. فيجوك
الاغصان معاً ويلاً القسحات الخالية بين سوق الشجر. وفي وقت قصير
يصنع لنفسه خيمة حسنة يستظل بها يراقب قطيعه المتبع (٢) الكلا (٤)
والرايض تحتها

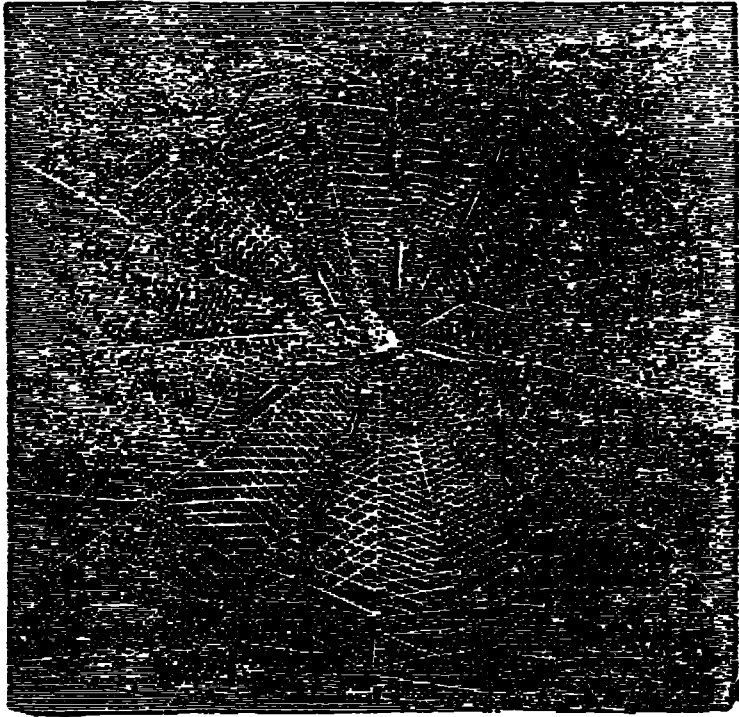
(١) شجرة كبيرة (٢) شدة الحر (٣) راعي او آكل (٤) عشب

الريلاء القانصة الطيور

ان هذه الريلاء الكبيرة عدوة الطائر الدنان اللدود. فتصعب له شركاً
اذا سقط فيه هيات ان يعلم. وملا الشرك من نسجها القوي الذي تحركه.
وهي تصنع لنفسها وكنا قطن فيه وتبطنه بمادة رقيقة كالحرير حيث تكمن لفرسها
وتأهب للوثوب على هذا الطائر بعد اشتباكه في شركها. وهذه الريلاء جبارة
بين انواعها. فترى ارجلها بغلظ ريش الدجاجة مغطاة بشعر خشن شائك
اذا مسته باناملك شاكك والبهك عدة ايام فهذا هو شركها الذي تقتبس به
الطيور الصغيرة

ومن هذه الريلاء نوع لا يقتصر على الكون في الوكن بل يحول بنية
الصيد فيتمسك الاشجار ويخجب تحت الاوراق. فاذا عثرت هذه الريلاء على
عش الطائر الدنان اقتربت فراخه. واذا لئمت الام آتية تنشب في الهواء

وتقبض عليها بمخالبها الكبيرة فيعتجبل عليها الفرار
 وهذه الرتيلاء تصيد طيوراً صغيرة أخرى منها خاطف الذباب الذي
 يعلق عنته في طرف غصن او عملوج وهو يشبه كأساً صغيرة يصنع من الزغب
 الذي يلتقطه من الهواء
 اما موطن الرتيلاء الكبيرة ففي الهند واهيركا الجنوبية. حكى ان احد السامج



رغب في احضار هذه الهوام الى وطنه في اوربا فسأل بعض الاولاد امسك
 واحدة فاحضروا له المطلوب في الغد وذلك بأن ربطوها الى قوس وجروها
 على الارض جراً الكلاب

خاطف الذباب

ان خاطف الذباب يشاكل الطائر الدنان جمالاً وهو صغير جداً بقدر
اغلة الاصبع ولا يزيد ثقله عن ريشة واحدة. فاذا جال بين زنايق الماء لا يعمل^(١)
المياه واذا استقر على اوراق النباتات الحساسة لا يتحى ولا تعجد لعدم الشعور
بثقله. واذا جنم على زهرة كبيرة من ازهار المنطقة الحارة جعلها خيمة يتظلل تحمها
وهذا الطائر يصنع عشة من زغب يحاكي القطن المتدرف يتناثر من شجرة
قطن حريري تشتق كنانجها ويطير زغبها في الهواء فيلنقطه ويحرك به عشة
يشبه كاساً صغيرة منوطاً في طرف غصن او عسلوج . ولا تقوم هذه المادة مقام
القطن العادي لرقنتها فتشرب عليها مئات من الطيور الصغيرة وتحملها بمناقيرها
الى اعشاشها فتصنع بها الاوكار ودثرها^(٢)

اما حجم هذا الطائر فليس واحداً كما علمت في الكلام عن الطائر
الدنان فان منه نوعاً جباراً بالنسبة لسائر صنوفه يبلغ قدر العصفور الدوري .
اما جناحاه فزهوان بالوان بيضاء . فمهما اخضر زبرجدي او احمر كالباقوت
او ابيض ناصع كالماس او مجموع الوان جواهر كريمة
ويأوي هذا الطائر المنطقة الحارة ويأكل المولم . فترى الوقامة تلعب في
ايكة لا يفجر انسان ان يسكنها لوفرة الاخطار والاعطاء الكامنة بين ادغالها .
لان الهواء هناك يحمل سماً زقاقاً^(٣) متناثراً من بعض الاشجار والانجم . والافاعي
والحيات تنساب بين الاعشاب والكواسر الضارية تجول بغية الفصص
والافتراس. غير ان خاطف الذباب يتكاثر رغماً عن هذه الاخطار المائلة
ويجرب اذبال اتيه والفتار

فتصان خاطف الذباب مجوم بين سوق الاشجار البائدة والازهار العجيبة
يرفرف اجنحة بيضة عظيمة حتى لا تكاد تراه . اما جملة فساكن لا يتحرك .

ثم ينشب متقاربه الطويل في اعماق الزهرة فيسحب الملمة او يمص العمل . وهذا الطائر حاد الخلق سريع الغضب فاذا رأى زهرة فارغة من المادة المحلوة حتى تفرق اوراقها وتوَّجَّحها قطعاً وثراها في الريح ومن هذا الطائر نوع يصيد النحل وموطنة اميركا . فيتف على عملوج ان سياج بقرب خلية يراقب خروج النحل ثم يشب ويخطفها الواحدة بعد الاخرى . اما النحل فيتناظر منه لسليبه النحل فيأخذ بندقيته ويكمن له ويقتصه ان استطاع اليه سبيلاً

وهذا الطائر شديد الغيرة في حماية اناثه لانه يطرد عنها حين الحضنة كل عدو يجرب على الايقاع بها . واذنا كان عشته في مزرعة لا يجاسر نسر ولا صفر على الايمان لاختطاف دجاج القرويين فان خاطف الذباب ينشب كالسهم الماروق^(٤) وتطلي ظهر النمر ويقده بعنف شديد فيؤله ويعذبه الى ان لا يرى نذحة^(٥) من الفرار والنجاة

وهو ايضا عدو لدود للافاعي التي تكثر في المنطقة الحارة . وهي سامة دقيقة الرأس فتساقب انسياها خفيًا حتى لا تسمع لما صورتها . وتدب بين الاوراق والاعشاب فلا تراها . والقوم هناك يخشون هذه الاراتم^(٦) جدًا لانها تدهم على حين غرة^(٧) . غير ان جيش هذه الطيور بروع الافعى ويدحرها على الاعشاب فتى لم خاطف الذباب والدنان الافعى صانا وزعنا شديداً . فتعلم سائر الطيور علة هذا الصراخ وتبادر جمهوراً واحداً . فتترى العنادل^(٨) والزققيات والدوري وغيرها مقبله كتائب وكراديس فتأخذ معاً بمطاردة الافعى وطردها . فتفرغ الحجة لسانها الشائك بدون طائل لان الطيور تحوم فوقها وهي لا تطولها . فلا تغادر الطيور للافعى راحة ولا سكوتاً فتحاول اخفاء نفسها ولا يجديها ذلك نفماً لان الطيور تتبعها تنصب وتصح صياحاً يرمي بالصم . فكأنها تنادي الانمان قائلة تعال وأعين فقد وجدنا عدوك وعدونا فلم تعاضد على املاكك ان الجوارح بالتنظيف تشتغل في اكلها جيئاً يا حبلنا العمل

طارت الى القفر اتماماً لخدمتها والجمرُ موردها والسهلُ والجبلُ
 قَتَّتْ فساد الاراضي وفي حائمة تنفي الخناشِ بزمٍ ما يوكلُ
 ياليت كنتُ كرخٍ في عزائمهِ اسعى مُجِدًّا وخلقُ السوءِ اعتلُ
 أجني الأطائب لا كالرخٍ مر محلاً نحو الخباثت بل كالنخل انتلُ

(١) تحرك (٢) ما يغطي بالنايم (٣) المر الغليظ الذي
 لا يطلق شربة (٤) النافذ (٥) سعة وفتح (٦) جمع ارنم وفي
 اخبت الجيات (٧) غفلة (٨) جمع عندليب وهو المزار

جوز الطيب وكبش القرنفل

في الهند الشرقية جزائر جميلة تدعى جزائر الاطياب فيها منابت الازهار
 العطرية وكبش القرنفل والقرقة وجوز الطيب الولدة من تلك الجهات
 اما شجرة كبش القرنفل فبديعة المنظر تضارع شجرة النار . وازهارها تهي
 على اطراف الاغصان عنوقاً ولونها يشبه الدراق . ومتى ذبلت الزهرة اخذ
 توجيهها الخارجي بالاصفرار ثم ضرب الى الاحرار فتسقط عن الشجرة وضمنها
 بزررة واحدة سوداء كبيرة بيضية الشكل هي كبش القرنفل فيحفظونها بعد جمعها
 في الشمس

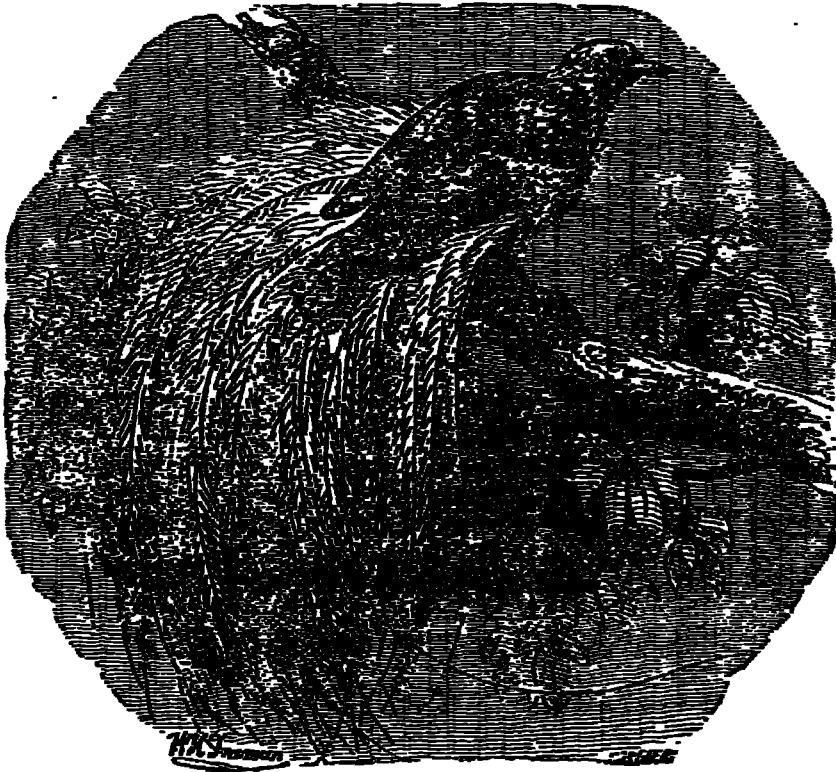
ولهذه الشجرة رائحة عطرية يورج عيبرها الهواء الى مدى بعيد ولكنها لا تحمل
 ثمرًا الى ان تمتق . فقد يتظر مستعبت هذه الاشجار نبع سين قبل استغلاله
 كبش القرنفل

اما جوز الطيب فيستنبت الآن في اماكن شتى غير ان تربة الاصلية
 في جزائر الاطياب التي كانت من املاك الفلنك . فرغب الفلنكيون

في حصرها لانفسهم ومنع الغير من استنباطها . وقلعوا كثيراً منها خشية كثرتها
واتسارها ومنع الغرباء عن التماجرة بها ولكنهم لم ينجحوا في ذلك المشروع

طائر الجنة

يقطن جزائر الاطياب هذه طائرٌ هبِّي نَفِيسٌ يُدْعَى طائر الجنة . وهو اجل
اشكال الطيور اجمالاً وافراداً . ويميز وجود نظيره بين ذوات الريش . ولما



كان وجوده في اقصى الممالك الشرقية بحيث معرفة ناقصة عند علماء اوربا الى
ان سافر الاستاذ اسونيراتي الى غينيا الجديدة فكشف الحجاب عنه واتى على
ذكر جملة انواع ما فات وصف الواصفين

ولا ينبغي ان الشيء اذا كان بديعاً عزيز الوجود نشأ عنه اختلاق الرمايات
والاقاويل . فقد زعم البعض ان طائر الجنة لا يسكن الا الجوف قط وانه يقتات
من ندى السماء ولا يقر على الارض اصلاً فقد تفوا بروايتهم هذه لزوم الساق له .
وقد اغتر الاوربيون زماناً طويلاً بتصديق مثل ذلك . ثم لما رأى اهل ملقا
البيولد عندم هذا الطائر رغبة السياح والمسافرين في شرائه لغرابة حسنه ورويق
ريشه واستدركوا ان رجليه لا تطابق بدنة البتة قطعوها . فتأيدت بذلك اوهام
الجهلاء التي اعتقدوها بعض التأيد . ولما كان هذا المخلوق حائراً من البهاء
والحسن ما يفوق محاسن الطبيعة بؤاوع^(١) مقاماً عالياً اكراماً لشأنه فاطلقوا عليه
هذا الاسم وسيظل الدهر موسوماً به

اما ريش هذا الطائر فناعم كالنخل ذهبي اللون يتغير كلما تغير النور .
وريش ذنبه طويل بديع يزهر بالوان بيضاء وصفراء عجمية^(٢) تبهير الابصار .
وهو نوعان يتميز احدهما في كبر الفراخ والثاني في كبر القبرة . وكلاهما يتميزان
عن سائر اصناف الطير ببهاء ريشها وخاصة ريش اذناها الطويلة الدقيقة .
ويطو هذا الريش في اطرافه زغب بارز من اعلى مؤخره ويمتد الى ابعد من
الذنب . غير ان هذا ليس بشائع في جميع انواعه واكثر نوع تركيب خاص
لا يوجد في غيره

ومن طبعه انه يجمع اسراباً ويختفي الى غياض الجزائر الشرقية حيث
يتوالد . ولما كانت البلاد التي يتناسل فيها عرضة لدواهي الصواعق والامطار
لا ترى فيها حينئذ من انواعه الا قليلاً . فيظن انها قطعت الى بلاد اخرى .
ثم تحشد في اوائل آب حتى تبلغ عدداً عظيماً فتنبع ملكاً بتقدمها ويقودها
ويهدبها . وقد ميزته عن سائرها بسمو حسن ريشه ورويقه وبامرتبه عليها
واقتمادها له عن رضى واختيار . وفي المساء تنزل في الغابة على شجر له حب
احمر يظهر انها تستأثره على غيره من الطعام
وقد انفرد الملك عن غيره بالمحاسن وفاق جميع سوقته . ويقرب حجة من

حجم الثمور واكثر ريشه الخارجى سنجابي وله بريق وبهجة . والوانه تبدو كأنها
حرير لطيف . ويرى له في بعض المحال لون معدني جلي يتألق . والنشابتان
البارزتان من مؤخره مسودتان لا زغب عليها وما تمتدتان من اسفل
الذنب والجناج عند طرفها شبه طرة شكلها كشكل دائرة كبيرة ذات لون
زمردي لماع . فحينما استقر الملك استقر جده وحينما طارت . وحينما تحاول
الخنوق عكس مجاري الهواء لان ريشها الطويل ينصف حينئذ ورائها ولا
يعرفها في الطيران . وهي تخلق كثيراً في الهواء لانها كلما طلت بلغت جواً ساكناً
صافياً ونجت من الرياح والمواصف
ولما وجد الافلون من صيد طائر الجنة وبيعوا للسباع ربما اخذوا يذميون
الى الحقل المذكور ويخفون بين الاشجار ومعهم القسي والسهام يجهدون في قتل
الملك اولاً لانهم اذا فازوا به سهل عليهم صيد الباقي

(١) اطوه (٢) ذميه

الكوكو

حَقِيقَةُ حَالِ هَذَا الطَّائِرِ وَالْبِلَادِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا لَمْ تَنْزَلْ
شُجُوبَةً . أَمَا شَكْلُهُ فَمِنْقَارُهُ وَمَخَالِبُهُ أضعفُ وَأصغرُ مِمَّا
لِلجَوَارِحِ . وَلَهُ عَلَى سَطْحِ مِنْقَارِهِ مِخَارَانِ مُسْتَدِيرَانِ نَائِثَانِ
يَتَمَيَّزُ بِهِمَا عَنِ سَائِرِ الطَّيْرِ . وَلَوْ أَنَّ بَطْنَهُ أَصْفَرُ . وَتَحْتَ صَدْرِهِ
خَطْرٌ سَوْدَاكٌ مُعْرِضَةٌ . وَأَعْلَى صَدْرِهِ وَرَأْسِهِ وَأَعْلَى ظَهْرِهِ

معلّمٌ مخطوطٌ سمرٌ جليّةٌ. وبعد قدومه إلى بلاد الإنجليز في
 الغالب بشير الرّبع. أما جمعه فلا خلاف في رحلته وجهال
 إيقاعه حتى أن اسمه نقل منه إلى جميع اللغات
 ومن طبعه أنه لا يبني عشه في الديار ولا في الأشجار
 بل يودع بيضه في عش غيره ويكل إليه حضانتها وتربيته
 فراخه وتدرّبها. ويتولى العمل في الغالب القويح وعصفور
 الزرّائب. وإذا اتفق تربية فراخه مع فراخ الهري في وكن
 واحد وقت واحد تعدى على الفراخ الأصلية وطردتها من
 وطنها. وإذ انشأ فرخ الكوكو وأكسسى ريشاً لا يتعم حتى
 ينسى مربيته ويرجع إلى ما جبل عليه من الأمواه والهيل
 أما رحله ومآواه شتاء فالعلمُ بهما قليلٌ كالعلم
 بمآوى الخفاف. وتزعم بعضهم أنه يهكث في جوف الشجر
 ساكن الحركة. حكى الأستاذ ويلوبي إن جنده أخذ يوماً
 ليحمل وفوداً في فرنٍ وإذ بالكوكو قد أتعش وخرج منه
 لها أحسن بالحراة وأخذ يزعم ويصيح. فلم يبق أحد من
 الحضور إلا عجب واستغرب الأمر. والظاهر أنه يلبث عديم
 الحركة أو يقطع إلى البلاد الحارة لأنه لا يطيق الأصفاع

الْبَارِدَةَ . وَقَدْ أَجَادَ وَاصِفُهُ بِقَوْلِهِ

جَمَالُ الْغِيَاضِ بِهَاءِ الرِّيَاضِ بِشِيرِ الرِّمَعِ حَلِيفُ الْمَفَرِّ
 إِذَا الْأُفْحُونُ زَكَا وَالْمَكَانُ زَمَا وَالزَّمَانُ خَلَا عَنْ غَيْرِ
 نَزَلَتْ لَدِينَا نَزْوَلًا كَرِيمًا وَأَطْرَمَتْ كُلَّ شَيْخٍ ذِي عَيْرِ
 يَقُولُ لَكَ الرَّوْضُ حِينَ تُبَاكِرُ مَغْنَاهُ أَمَلًا وَسَهْلًا وَنَزْرَ
 أَتَجْهِيكَ يَهْدِيكَ أَنَّى تُؤْمُ وَجَدُّكَ يَهْدِيكَ صَدَقَ الْأَثَرُ
 فَطَوَّفَ الْبِلَادَ الرَّبِّيَّ وَالرُّهَادَ وَتَجَمَّعُوا الرِّقَادَ لِنَيْلِ الْوَطَرِ
 يِرَاكُ الْغَلَامُ إِذَا حَامَ حَوْ لِ الْبِشَامِ لِيَجْنِي غَضَّ الزَّهْرِ
 فَيَدْمَسُ شَوْقًا إِذَا مَا شَجَاهُ رَجِيمٌ غِنَائِكَ عِنْدَ الشَّجَرِ
 فَيَمْسِي بِجَاوِلٍ مِنْ فِيهِ قَلْبٌ شَدِيدٌ (٢) وَالطَّرْفُ عَنْهُ حَسْرُ
 أَلَا بِأَكْثَرِ الرَّحِيلِ وَيَذُقُ الرَّعِيْلَ (٣) وَخَلَّ الرَّبِّيَّ وَالشَّجَرِ
 إِذَا مَا أَلَمَّ الشَّهَاءُ بِأَرْضِ تَبَاعَدَتْ عَمَّا وَرُدَّتْ أُخْرُ
 فَرَوْضُكَ طَوْلَ الزَّمَانِ تَضَيَّرُ وَجُوكَ خَالَ عَنِ الْمَكْفَهْرِ (٤)
 وَشَدُّوكَ رَاعِي السَّرُورِ وَعَامِكَ صَحْوٌ وَرَغْدٌ صَفَا عَنْ كَدْرِ
 فَمَا لِي بِنْتِي كُنْتُ اسْتَطَيْعُ طَيْرًا إِذَا لَصِقْتُكَ بِجَرًّا وَبَرِّ
 وَجُلْبَا الْبِلَادِ وَزُرْنَا الْعِبَادَ وَحَزْنَا الْمِرَادَ وَنَلْنَا الْوَطَرِ

(١) بارزان (٢) تروم (٣) دليل الخيل (٤) المظلم

الهوامُ المضيفة

ربما نظرت المحابب المعية في الدارج (سراج الليل) تضيء في الظلام
 وشاهدت نورها التليل المألوق كهم صغير على الأرض. فهي تضيء لهدي ذكرها

الذي يطير الى مكان وجودها . ولا يخفى ان نور هذه الدودة ضعيف بالنسبة الى الهوام والحشرات الاخرى

وتكثر هذه الحشرات في الجزائر الشرقية حيث تضيء كصابيح مشتعلة . فيستغني القوم بضوئها عن المصابيح العادية فيقرأون ويشتغلون على نورها كما لو كانت شموعاً . فهذا النور لا ينبعث من الزيت ولا من البنزول ولا من الشم بل من هذه الجمل المجهوعة معاً والموضوعة في مصباح قطع وتثاقق وتبعث بالنور الكافي للاضاءة . وهي نافعة كل النفع لاهل تلك البلاد . فاذا مشى احدكم في الظلام ربط خنفسة بكل من رجليه فتبيران له ويبصر الطريق . والزيغيات مغربات بالزينة فيضعن هذه الجمل المتلألئة على شعورهن فتلعب كالجواهر . ومتى ذهبت فتاة الى مرقص الصفتها بكساتها كله . فلا تأخذ في الرقص حتى ترى كأن رداءها منسوج من حمرات نار

وتوجد ايضاً فراشة كبيرة تدعى ذبابة النار تبعث من رأسها نوراً بهياً . اما هانتها فكبيرة مستطيلة معلّمة بالوان خضراء وحمراء . ومتى خيم الغسق رأيت رأسها الكبير يلمع كأنه شعلة نار . فتستطيع ان قرأ ادق الحروف على نوره . واذا رام الانسان مشعلاً عليه ان يربط بضع ذبابات منها بطرف عصاه فيغوز بأنور مشعل واجهه

أهدي لاحدى السيدات صندوق من ذبابات النار فسمعت في الليل طيناً شديداً . فدعرت ومحضت من فراشها واضاءت شمعة وفتحت الصندوق لتعطي حقيقتة الامر فرأت الصندوق مشعلاً كأنه بتار مضمرة . فراعها الامر ورمت بالشمعة من يدها . واذا بالذبابات طارت من الصندوق ولاح كأن رأس كل منها جنوة نار محلدة . ففطنت لعل ذلك واخذت تجمعها واحدة واحدة وتعيدها الى الصندوق . اما موطن هذه الهوام في المنطقة الحارة في الهند واميركا

طبقات امة الهند

تسمّ امة الهندية الى اربع مراتب وفرق . الاولى البراهمة وهم كهنة الهند
ويُفرض عليهم انفاق حياتهم في الدرس والتأمل في الامور المقدسة . والثانية
الامراء ورجال الحكومة والجنود . والثالثة التجار والفلاحون . والرابعة الصناع
والفعلة ويلقبون بمودرا

ومن اساطيرهم انه لما خلق الانمان خرج الكهنة من قم برهم والساكر من
ذراعيه والتجار من صدره والصناع من رجليه . وعلى ذلك كان البرهي اسمي
الكل مقاماً فيبول مطوقاً عتقة بجمل ايض يتوقع ان يجترمه الجبيع ويحطبه .
وبعض البراهمة باتسون صعايك غير ان ذلك لا يقبل من عجبهم وخيالاتهم (١) .
وقد يكون الصانع ذا ثروة واموال وافرة غير ان ذلك لا يجزؤه اعتباراً
وكرامة بين سائر الرتب . فلا يكاد يتنازل البرهي للكلام معه او النظر اليه .
اما الصانع فهو قر البرهي كل الوفاق ويفعل كل ما يرضيه . فيخدمه ويشفق له
الحطب ويحلب الماء ويشغل كرفيق

اما البرهي فيكاتفه بده قليلاً نحو دلالة على اعطائه البركة . وقد
تحل بالبرهي المتربة (٢) والقر المدقع (٣) ويثري الصانع حتى يضطر الاول الى
ان يجدم الثاني . فيستخدم عنده كطاهي طعام . لكنه وان بلغ هذه الدرجة لا يطلع
عن صلفه (٤) وعجبه بل يثني متجنّراً ويزدري بسببه . فتري آل المراتب الثلاث
الاولى يترفعون عن معاشره اهل الرتبة الرابعة والاختلاط معهم

وتوجد فرق اخرى كثيرة اصغر من هذه . يدعى اداناما پارياه وهي مردولة
جداً وتعامل معاملة الكلاب . حتى ان المودرا تفسد لا يدع ثوبه يمس احد
ابنائها لئلا يتجس . واذا دنوا من احد غيرهم اشار اليهم يده كي يتعلوا عنه
ولا يمسوه

وتحاول بريطانيا الحاكمة ودعاة الدين المسيحي هدم هذه الحجارة وإبطال هذه الرتب الطائفة معلمين الشعب بقول رسول الامم "ان الله صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض" وبأن نفس الپارياہ الخيرة عندهم لما قيمة ثمينة عند الله كفس البرهي. ولكن قل من بلغت الى هذا التعليم. غير ان تلك العوائد قد تناقصت قليلاً وبرجيات تنزل على مر الزمان مع امتداد المعارف والتقدم

وإذا قال احد هناك بالدين المسيحي خسر شرف رقبته فكان ذلك عندهم مثابة خسارة الحياة. فيمتنع اعز انسابه حتى زوجته وولاده ويطردونه من بينهم ولا يسمحون لاحد من قومهم بالدنوسه والتكلم معه

(١) كبرياتهم (٢) القتر (٣) الشديد (٤) كبرياء

مستشفى الحيوانات في الهند

يعتقد البراهمة بتناسخ الارواح وياتقال نفس الميت الى جسم انسان او حيوان او طائر بل الى جسم مائة او حشرة ولذلك يابون قتل كل حي من مخلوقات الله. وقد يضع بعض البراهمة قطعة نسيج رقيقة على افيالهم لولا تدخل فيها مائة او ذبابة فتبتلع

وفي صورت مستشفى كبير لحيوانات حيث يعنون بتمريضها كل العناية. فاذا شاغ كلب او حصان وتعدر عليه الشغل حبل الى المستشفى فيصرف هناك سائر ايامه. واذا مرض حيلان او الم به عارض أخذ اليه فيعالج ويخدم قارى في ذلك المستشفى الخيل والبنغال والتم والمزى والمجهر والقرود والافبال ونحوها. ويقول كبرياء البراهمة ان ملا المستشفى أسس رافة بالحيوان.

غير ان هؤلاء البراهمة انفسهم المدّعين بالشفقة على الحيوانات البكم يستأثرون الموت على الاكل مع احد السودرا اما البارياه فلا يمسه البرهي بانفله . قيل ان جماعة من البارياه ركبو يوماً قارباً يختر في النهر فاقبل القارب من فيه . وكان هنالك جمهور براهمة في وسعهم انقاذ اولئك المنكودي الحظ فلم يد احد منهم يدلاً لاسعافهم خشية التدنس من لمسهم

مدارس الهند

ومتى بلغ الغلام الهندي الخمس سنين ارسله ابوه الى مكتب القرية حيث تُقام المدرسة غالباً في القلاة . فيجلس الغلمان متربعين تحت ظل اشجار النخل الجبيلة على جلد نمر او فهد او على حصر مصنوعة من اوراق النخل . وتبتدى المدرسة باكراً جداً في الصباح قبل حمو الشمس . ومتى حي العجير انصرف التلاميذ (وأغليقت الابواب)

فيُعلم الولد الاحرف الهجائية ويُطلب منه كتابتها على التراب بانفله . ومتى تقدم في المعرفة كتبها على ورقة النخل فكانت له بمثابة اللوح . اما قلعة نفقذة من القصب او قضيب من الحديد قصير محدد الرأس . ويجلس المعلم على الارض وتلاميذه جلوس حوله فيتلو الاولاد الدروس مرتين في النهار واذا غلطوا ان تكاسلوا ضربهم بالقضيب

واجرة التعليم بخسة جداً . فان الولد يؤدي لاملوه عند اول مجيئه الى المدرسة نحو عشرين بارة شهرياً ومتى استطاع الكتابة قددهُ غرضاً ومكلاً كلما ترقّت معرفته زادت الاجرة

فيُعلم الغلام الصلاة للآلهة والقراءة البسيطة والكتابة . واذا رام الترقّي وكان قادراً على الشفقة تعلم لغات الهند وقواعدها واصول الحساب وكل ما في وسع

استاذة تعليمية . والمعلمون في الغالب براهمه اوسودرا
ومنى ناهز الولد التسع وكان والده من فرقة البراهمة طلبا انتظامه في
سلكهم لانه يُحسب الى ذلك الحين من طائفة السودرا . وقد يطلق الولد ومن
في هذا السن قاصداً حج بعض الاماكن المقدسة وكثيراً ما لا يعود الى بيته
اما كيفية انتظامه في سلك البراهمة فهي انهم يعطونه اولاً الحبل المقدس
المبروم من ثلاث خصل . كل خصلة تدل على واحد من الآلهة الثلاثة برم
ووشنو وسوا . ويجمع البراهمة الياف هذا الحبل من نبات يظفونها سماً . ولا تمسه
سوى ايديهم

ولما كان هذا الاحتمال يقضي بدعوة ضيوف كثيرين والقيام بفروض كثيرة
كان جزيل التفتات وافر الاتعاب يتعذر على البراهمة القراء اجراؤه بدون
اسعاف مالي . فيضطرون الى التمول من جيرانهم الاغنياء
فيأديرون مآدبه كبيرة الواحها الارز والفاكهة والسمن وجوز الهند وما اشبه
ذلك . ويلتزمون ان يطهروا الطعام في طواجن جديدة يتعاونها لهذه الغاية
ولا يستعملونها بعد ذلك قط . فيجلس الغلام على كرسي والحق ويدهن بالزيت
ويُلبس كساء جديداً ويوضع في عصفه طوق مرجان ودماج في ذراعيه وتكفل
عناية بالاثمد

ويجلس والده بجانبه والنساء يفتين له ويشدن ويدعون له بالتوفيق
والفلاح . ويحرون له فروضاً واحتفالات اخرى بطول شرحها . هذا والولائم
قائمة على قدم وساق واصوات الغناء والحاف وآلات الطرب ترن في المتل
عدة ايام

اما ملابس دعاة الدين المسيحي والحكومة الانكليزية فتختلف عن ملابس
الهنود بحسن النظام والادارة واصول التعليم وفروع

بيوت الهند

بيوت الفقراء في الهند دنيئة للغاية وهي أحفاش ذات
 غرقة واحدة جذراتها من قصب الخيزران المشبكة مكسوة
 من الداخل بحصر ومطينة بالسياع^(١) وسقفها من دمام^(٢) وتبين
 وكثيرا ما ترى أمام هذه الخصاص ساجا كثيرا أو توح^(٣) نخيل
 تنجبها عن الأبصار

أما خاصة القوم فيبنون بيوتهم من الأجر والأجر حول
 دار فسيحة. وللغرف أروقة تشرّف على داخل الدار
 وليس للفقراء أثاث ورياش^(٤) يذكر بل يقتصرون على
 حصيرة يجلسون عليها ويرقدون ويتناولون الطعام. وليس
 عندهم كراسي ولا موائد بل يقتنون فصعة خزف لوضع
 الأرز وسراجا مصنوعا من قشر التارجيل وملاعق خشبية
 وحجرين يستعملونها كهاون ومدق
 ولا يبالي الأغنياء أيضا بكثرة الأثاث إلا متى رغبوا في
 تقليد الإنكليز. فيركهون غرفهم حثيثا بامتعة أجنبية تعبر

الْحَرَكَةُ ضِمْنَهَا . أَمَا أَرْضُ الْغُرْفِ فَجُرْدَةٌ مِنَ الْبَسْطِ
وَالطَّنَافِسِ^(١) إِذْ لَا حَاجَةَ إِلَيْهَا لِصِقَالَةِ سَطْحِهَا بَلْ يَنْشُرُونَ
عَلَيْهَا نَسِجًا أَيْضًا وَيَضَعُونَ وُسَادَاتٍ لِلتَّوَكُّؤِ . وَيَدُلُّونَ مِرْوَحَةً
كَبِيرَةً مِنَ السَّقْفِ بِشُدُوتِهَا مَخِيطٌ فَتَهْتَرُ ذَمَابَا وَأَيَابَا لِتَبْرِيدِ
الْهَوَاءِ

وَيَبْدُلُ الْهِنْدُ أَقْصَى الْجُهْدِ فِي تَبْرِيدِ الْبَيْتِ . فَتَرَى لِكُلِّ
الْغُرْفِ شُرْفًا وَحُصْرَ خَيْرَانَ مَدْلَاةً مِنَ الرَّوَّاشِينِ^(٢) وَلَا يَكْفُ
الْحِطَامُ عَنْ رَشِّ الْحُصْرِ بِالْبَاءِ لِتَرْطِيبِ الْهَوَاءِ حِينَ دُخُولِهِ .
وَيَسْدُلُونَ حَوْلَ الْفُرْشِ لَيْلًا سَنَابِرَ رَقِيقَةً أَتَقَاءُ الْبَعُوضِ .
وَحَالَهَا تَغْرُبُ الشَّمْسُ عِنْدَهُمْ يَدْلُهُمُ الظَّلَامُ إِذْ مَا مِنْ شَفَقِ
فِي تِلْكَ الْبِلَادِ . وَمَتَى خِيَمَ الْفَسَقُ وَتَرَكَ مَنْفَذَ مَفْتُوحًا هَجَمَتْ
جِيُوشُ الْهَوَامِ إِلَى الدَّاخِلِ وَأَخَذَتْ تَحُومَ حَوْلِ الْبَصَائِحِ
بِكَثْرَةٍ عَظِيمَةٍ حَتَّى تُطْفِئَ الْأَضْوَاءَ

(١) بالطين (٢) ما يطلى به (٣) مجمع الأشجار (٤) لباس
فاخر (٥) العجائنات (٦) الشبايك

النهر المقدس

ان المنود يعتقدون قسماً وافراً من اوقاتهم في الحجّ وزياره الاماكن المقدسه التي منها مدن واتعه على ضفاف نهر الكك الشاغل مساحة كبيره من تلك البلاد. ويعتبر المنود هذا النهر مقدساً ويقصدونه من سائر الجهات للاستحمام بما هو زاعمين ان له خاصه التطهير من الائم . واذا مات المتعلم فيه كان على قبين من الدمام تنال الى السماء

وقد جاء في اساطير البراهمة. ان علة قلعة هذا النهر كون زوجة سيوا احد آنتهم وضعت يدها على سيل اللهب امام عيني زوجها. فاخطل نظام العالم برهة واحجب بصريو بنشاوره. فنضايق جدّاً وقطرت من جيبه قطرات ماء كانت ينبوع نهر الكك فاخذ يجري ويقذف منذ ذلك الحين

وفي الهند انهر اخرى مقدسه يقصدها الحجّاج . واذا تعذّر على الهندي زيارة النهر حاول جلب النهر اليه بأن يستعمل قعله يجلبون له الماء في جرار موضوعة في سلال تحمل على الاكتاف بواسطة دقراية لان الحمل على الرأس عندم امر دنيء ولا يفعل ذلك الا الاوباش والرعاع

وقد يبيع الهندي هذا الماء على سيل التجارة . وكلما كان النهر بعيداً زاد الثمن . ويستعملون كمية وافرة من هذا الماء في مياكل الاصنام لرشّ التماثيل . ويخضع الحمالون الناس بأن ياتوا بالماء من نهر قريب او بركة عادية ويدعوا انهم جلبوه من نهر مقدس

ويسافر الحجّاج قاصدين الانهر المقدسه في فصل الشتاء (ان صحّ وجود هذا النصل عندم) فترى البعض مشاة حاملين المزود على اكتافهم مزودة بريش الطاووس . والبعض فرساناً يجتالون على متون الجياد . والبعض في عجلات تجلب على رؤوس خيلها الاجراس . ولولاداً حاملين خرافاً او جلاء على اذرعهم .

وشيوخاً يسبرون مرتجفين بتوكأون على اولادهم طالين ان شمس حياتهم اوشكت
الغروب فيرغبون ان تتوفاهم آلمهم على ضفاف النهر المقدس . وتعاين مع هذا
الركب ايضاً رجالاً يجتمعون على ارجلهم ويكابدون اشد العناء في التقدم الى
الامام طامعين في الفاء عكاكيزم والانتفاس في النهر حتى الفرق . لانهم يخالون
ذلك طريق السماء والنبطة

ومتى بلغ الزائر نهر الككك جلس عند ضفتي وخلق رأسه طارحاً الشعر
في النهر المقدس . زاعماً ان كل شعرة تمش الماء فتحوّله مليون سنين سعادة في
الردوس . وعندما ان بعض الاماكن من نهر الككك او فرقلنة من غيرها .
وعلى ضفة النهر حيث ينحدر من الجبال ويحجري الى السهول قرية خيرة لا تزيد
يومها عن الالف عدداً يمتدونها كل الاحترام

ويبلغ عدد الحجاج في بعض السنين مليوناً وخمس مئة الف نعمة . ومتى
تجمع هذا الجيش الجرار نزل بعضهم في البلد ونصب غيرهم المضارب خارجها
واقظروا سروح الفرصة الملائمة للتبول في النهر . ثم يعطي احد البراهمة الاشارة
المعيّنة فيبادر الحجاج للانخراط في الماء وبأخفون بالمناجزة والتراع والملاكمة
بنية السبق اولاً الى المياه . ولما كانت طرق المدينة ولزقتها ضيقة كان الزحام
عظيماً جداً وقد يموت بعضهم من شدة الضغط

غير انهم منذ عهد غير بعيد وسعوا الاسواق لدره اخطار كهذه . ولكن ما
من مانع يقف في سيل هولاء الاغنياء ليصدّم عن اغراق انفسهم في النهر . اذ
كثيراً ما يمشي احدهم الى النهر رابطاً جرتين فارغبين على خاصرتيه لتمناه من
الفرق غير انه يملأها بكأس في يده فيهبط الى العنى . والبراهمة يصيحون
ويضحون الى ان لا يعود يرمى له اثر فقد ذهب شهيد الخرافات والاهوام

بنارس

هي اقدس مدينة في الهند، وفي اعتقاد البراهمة ان من سكن فيها ولو زماناً
 وجزئاً لا بد من ذهابه الى السماء. وهي واقعة على راية تشرف على نهر الكنك
 وهي ملاءة بالمياكل الواصلة الى حافة النهر. فاذا دنوت من هذه المدينة رأيتها
 ضيقة الشوارع والاسواق حتى يكاد يتعذر على الراكب اجيازها في بعض المحال
 اما يومها على الجانبين فتوشك ان تمس بعضها بعضاً واروقها ورواشنها
 في بعض الاماكن متصلة بعضها ببعض من جانب الى آخر فتحلمها اخاش (١)
 متداعية الى السقوط مغطاة بالغبار ونسج العنكبوت الذي يجامى الغلالة (٢)
 ويبدو كتائر مدلاة من الحائط. وهذه الاماكن الرثة مكسوة بصور القبل
 والقرود والجل والطاوس

ومض المياكن مزدان بتقوش جميلة تمثل الحيوانات والازهار واعصان
 الخجل لان الهند هياماً بتزيين ابنتهم بالقوش والصور. ويستعملون غلباً في
 نقشهم اللون الاحمر البادية صورة محمقة الاعين رائعتها. وتعاين في تلك الشوارع
 الضيقة ما لا يكاد ينجس من الحيوانات فضلاً عن ازدحام اقلام البشر
 ومن هذه الهائم الجاموس المقدس الايض اللون وله سنم بين كتفيه.
 وهو داجن (٣) البف يجول في الازقة والشوارع جولان الكلاب في بلاد الشرق
 ولا يخطر على بال احد ايلأؤ لاتهم يعتبرونه مقدساً. وعلى هلاكه مطلق
 الحرية فيهم على وجهه ويضع خطمة في ابواب البيوت والحوانيت كأنه يسأل
 اربابها طعاماً فلا يخطون عليه في سؤله. او يضح متدداً في الشوارع فيشغل
 الاماكن القليلة الفارغة ولا يسهل انهاضة لاتهم يحسبون ضرورة وازعاجه خطيئة.
 ولما اصبح كسلاً قليل الحركة. وبعض هذه الجواميس تشتغل قليلاً غير ان
 القوم يعاملونها معاملة الاحترام ولا يجرأون قط على قتل احدها

وقضلاً عن هذه الجواميس توجد قرود مقدسة . قيل ان فاتح مدينة سيلان كان الماء بصورة قرد ولذلك تقضي قرود بنارس حياة الرخاء والكسل . وتحشد في بعض انحاء المدينة وتسلق سقوف المياكل وتثبت بالاعمدة والارناد النائمة كما تفعل في غاباتها الطبيعية . فلما اتصرت على ذلك لما كان منها كبير ضرر لكتنها تدخل رؤوسها في حوانيت باعة الفاكهة والحلواء وتخطف ما تقدر عليه . واذا رأت ولداً في السوق حاملاً يده زائداً تثب عليه وتخطف الطعام من يده . والخلاصة ان اضرارها مما لاحدلة

(١) بيوت صغيرة (٢) ثوب رقيق كالشاش (٣) (جوي)

غياض الهند

وبعض حيوانها وطيرها

في اواسط الهند سهل فسيح يعود الطرف عنه كليلاً . لكثرة لايشبه حزون اميركا التي اسلفنا الكلام عليها بل هو سهل خصيب مثمر تجري في اديمه الانهر الكبيرة فتسقي وتكسوه بالاعشاب والاشجار . وللهنود عناية تذكر بزراعة الارض وفلاحها كناية اوروبا المتقدمة . وقد اتانا الانكليز بما لا يكاد يخصص من النباتات النافعة فجادت واخصبت . من ذلك الارز وقصب السكر والنبيلة والقطن والافيون وغيرها

اما بعض اقسام هذه السهول الخصيبة فتعذر زراعتها لان الاشجار والانجم متلبدة فيها ومشبكة حتى يكاد يستحيل على البشر خرقها . وهذه الغابات ممتدة الى مسافة اميال كثيرة . واذا سار فيها جيش شاكى الملاح رأى قطعها فوق طاقولان فروع ذلك الابك منتشرة اتشأراً يجب منه . فتعابن الافنان

الغضة تهر في بضعة شهور ثمًا غريبًا حتى يبلغ طولها ستين قدمًا ونيفًا . والانجم
الشائكة والفتاد تملأ كل فراغ وفضحة . والاعشاب نفسها تزيد عن قامة الانسان
طولاً وهي لينة اللس كالحرير . واذا حاول الانسان المرور بينها ضلَّ عن سبيل
لا محالة

والانكليز مواقف ومخافر في هذه السهول تمكث فيها الجنود حفظًا للنظام
يُدعى بعضها مخافر الغياض لقربها منها . ويزور الثمر القاطن تلك الغابات
احيانًا هذه المواقف ويخطف انسانًا وينطلق به الى عربته ^(١) فيقتربه . واذا
اشتدَّ به القرم ^(٢) زحف الى البيوت ودخل الاصطبلات ومرابط الخيل وخطف
مها ما تيسر فرسًا كان او حمارًا .

ولذلك مال هذا الوحش المسمى بالتمر الملكي اهل تلك البلاد فبدلوا
قصارى الجهد بقصو حتى امست مطاردته عندم عملاً عظيمًا يتنافسون به
غير ان عدواً لدوداً غير الانسان يفاجئ الثمر في اقصى غابو حين
يمتدُّ على الصياد بلوغه . وهو اقصى لئاعة تنساب بين الاوراق اليابسة او تلفت
حول الاشجار . فتى اضطجع الثمر للرقاد وحوله عظام الفرائس تدلت تلك الاقصى
فوقه من غصن وافرغت منها بعتوه . فيمض الثمر ويجار ويزجر ويكاد يهتز
غيظاً . غير انه لا يقضي زمان طويل حتى يمري السم الى سائر اجزاء جسمه
فيسقط جثة لا حراك بها

اما مخافر الغابة ومنازلها فتدعى بانغالو . وهي بيوت برية مبنية من الطين
سقفها من سباع او قريد . تُفتح حجراً الى رواشن في صدرها شباك ^(٣) من
خيزران حترًا من دخول الضباع والذئاب اليها . اذ يضطر سكانها الى فتح
الابواب ليلًا لشدة الحر ولولا تلك الشباك دخلت الضواري الثرف وخلفت
من ارادت لانها تجول حول الرواشن تزار وتعوي عواءً مائلاً
وقد تخفي المرر البرية تحت الجدران فتقاتل قتالاً مخيفاً وتموه مواه
شديداً . وتسمع عوي جيوش بنات آوى الجائلة في تلك الانحاء وصرير

المراسير وفق الضفادع كأنها تناظر بعضها بعضاً في الزعيق والضوضاء حتى
 يتعذر الرقاد الأعلى الذين تعودوا على هذه الاصوات المائلة فلا تنزعجهم كثيراً
 فيضع القوم أسرهم المرتفعة جداً عن الأرض في وسط الحجر خوقاً من
 الحشرات اللداعة التي تدب على الترى ويرخون عليها الكلال^(٥) بأحكام وضبط
 حذرًا من البعوض . ويضطرون الى الاسراع جداً في الدخول تحمها ويلقونها
 حولهم جيداً لان البعوض الخائم يراقب سئوح فرصة الدخول فاذا لم يجلب
 الايمان ولح فلسفة وحرمة لذة الوسن^(٦)

ويشاهد الساكنون في ضواحي هذه الغابات مخلوقات بديعة نادرة الخال .
 من ذلك الحمام الاخضر والبنفسجي الصدر يخفق اسراباً . والدوري الاصفر
 الصدر اللامع الذي يجال الناطر غيوماً ذهبية . والطيور الدنائة . وطيور الشمس
 المائلة كجواهر طائرة في الفضاء

ومن هذه الطيور الغيمة البيضاء البهية الريش المائلة بسرور على اشجار



الغابة فاذا زرت ذلك الدغل سمعتها تكسر بزور اثماره الوفيرة وتلتقط الحب

وتطير الى جلول او نهر لتستحم وتتمرغ عند حافة المياه ويهدر ويهدل كأنها
 زمرة اولاد تلعب معاً . وتنظرها في هاجرة النهار كقائم مكتبة جائمة في مكان
 ظليل تحت الاشجار . اما اوكارها ففي ثقب سوق الاشجار حيث تأوي ليلاً
 وتضليج على عهد الراحة

وهناك ايضاً الطاووس ناشراً ريشة الجميل وامامياً منجترأ ومجيباً بنفسه . وهو
 يفضن موضه في رؤوس الاشجار فتشاهد احبائنا على شجرة واحدة نحو اثني عشر
 طائراً من هذا النوع

وفي هذه النباتات ايضاً الطائر الخياط الذي يجاول اخفاء وكره عن
 الافاعي والقرود . فيجعله بالاوراق وذلك بأن يأخذ ورقة ذابله ويجعلها باسفل
 ورقة حية وبني عشاً في الفحة منها ويبطنه بنسج المنكبوت . فيهتز الوكن مع
 الريح بامتزاز الورقة . ولما كان هذا العش مخبواً بين الاوراق يصير تمييزه ان لم
 يدقق فيه النظر . ولما الطائر منقار دقيق يمتعله كإبرة للخياطة ويأخذ الخيوط
 من لحاء النبات ويخيط بها . اما حجمة فصغير مجاكي الطائر الدنان

يا ايها الطائر الخياط بالشجر انت المثال لنا بالمجد والظفر
 قد خلت بالمنكبوت العش مجهداً في حكمة عظمت عن حكمة البشر
 والشغل في ابرة المقامر يا عجا كيف احدثت لنا بالعقل والنظر
 لا ريب في أن رب الخلق من كرم اعطاك موهبة الاعمال بالنظر
 انت الوضع ولكن جده غير للقوم من دهرم من انفع العبر

وفي هذا الدوح ايضاً فراش كبير مكسو بالوان قرمزية وصفراء وزرقاء
 وخضراء وارجوانية والوان اخرى بيضاء تلح بين الازهار

وفي الدغل ايضاً جراد ممتح يقفز بين الحشيش ويتألق بلون اخضر
 زبرجدي وجعل مكسو باهلي الالوان تبدو كجواهر كريمة

ومنى خيم الغسق تجول الجياح ايضاً بين الاشجار حاملة المشاعل فتخال
 كأنك في بلاد الجان ولا تكاد تصدق مرأى عينك

قال ابو الطيب المتنبى يصف شعب بون

مغاني الشعب طيباً في المغاني
 ولكن التي العربي فيها
 ملاعب جنة لو سار فيها
 طبّت (٧) فرساننا والحبل حتى
 غدونا تنفض الاغصان فيها
 فيرت وقد حجب الحر عني
 والى الشرق منها في ثيابي
 لما تمرّ تشير اليك منه
 وأموه فصل بها حصاما
 ولو كانت دمشق ثى عياني
 بلجوجي (١٠) ما رفعت لضيف
 نحل به على قلب شجاع
 منازل لم يزل منها خيال
 اذا غنى الحمام الورق فيها
 ومن بالشعب أحوج من حنام
 وقد يتقارب الوصفان جناً
 يقول بشعب بون حصاني
 ابوكم آدم من المعاصي

بهزله الربيع من الزمان
 غريب الوجع واليد واللسان
 سليمان لمار بترجمان
 خشيت وإن كرم من الحيران (٨)
 على أعرافها مثل الجمان
 وجن من الضياء بما كفاها
 دنائير تفر من البيان
 بأشربة وقفن بلا أولان
 صلب الحلي في أيدي الغواني
 ليق الرد (٩) صيفي الجمان
 به اليران ندي الدخان
 وترحل منه عن قلب جبان
 يشعني إلى التوبندجان
 أجاية أغالي القيان (١١)
 اذا غنى وناح الى البيان
 وموصوفاهما متباعلان
 آعن هذا يسار الى الطعان
 وعلمكم مفارقة الجمان

(١) بيت الامد (٢) الجوع (٣) قضب مشبكة (٤) قتلهم
 (٥) (الناموسيات) (٦) النوم (٧) دعة (٨) الحيران في اللابة
 ان قف مكانها (٩) الخبز اذا قمت وبل بمرق (١٠) نسبة الى البلجوج
 وهو العود الذي يتقرب به (١١) جمع قينة وفي البحارية

فصلا الغيث والقيظ في الهند

اما الفصول في بلاد الهند فاثنتان فقط وما فصل التيث وفصل القيظ .
 اما الثاني فيبدأ في اول تشرين الثاني ويسوم الى نيسان فلا همطل قطرة غيث
 في هذه الاشهر كلها بل لا ترى سحابة في الجو . فتشر الشمس اشعة لظاهما يوماً
 بعد آخر الى ان يبلغ العجير كل سنبلة خضراء وكل عشب تضير فتبدو البلاد
 في ما خلا الاحراش والغابات جرداء مقفرة كأنها سكة مطروقة . بل تشفق
 الارض من القيظ فتفتح فيها اخاديد^(١) عميقة

ويشق المقر على السباح وبناء الميل زمن العجير من حرارة الطرق
 الجافة التي لا تحتمل . ويثير الريح العثير^(٢) سحاباً يضارع عواصف الرمال في
 بوادي افريقية ولولا سهول الامطار التي همطل في الفصل الثاني لحسبت الهند
 بلاد الجوع والموت

وفي اول ايار يأخذ الجو ينعم ويمتد العواصف القاصدة ويومض البرق
 ويمضاض يضيء الاقنى باسره ويسوم زماناً مديناً . وفي خلال ذلك يدمدم
 الرعد فتسمع هزيمة اولاً عن بعد ثم يقرب تدريجاً الى ان يهول السامع صوته .
 ونح المن المماعة^(٣) مدراراً وتنصب عيولاً غامرة كأن يمازيب السماء تقطعت
 واخذت تنجرف انجباراً راقماً . فاذا تطلع القوم من منازلهم رأوا كأن البلاد كلها
 تحت طوفان هائل . فتغطي الامهر وترتفع فوق ضفافها وتصبح الجبلول انهاراً
 والامهر مجاراً وتجرف الميول خصاص الفلاحين وغيرهم ويهدم ريث الابنية
 وينشر على البلاد ضباب كثيف يحجب نور الشمس وينهل الجيا عوارض
 جارفة . فتحوّل الامطار الارض الجافة الى سهول خضراء خصيبة

وتختلف اقاليم الهند بعضها عن بعض في مدة الفصول . فيدوم فصل
 التيث في بعضها ثمانية اشهر وفي غيرها اربعة . وتكثر في بنغال تغيرات الطقس

من المطر الى الصحو ومن الجوّ الصافي الى الضباب الكثيف كما في بريطانيا .
 اما الجبال فيبردها فارس جداً وكلما زادت شمماً (٤) زادت برداً . فاذا جال
 السائح في الهند رأى الاقليم الذي يشتهر والمياه الذي يصبو اليه تحت الرقيق

(١) حُرّ (٢) الغبار (٣) الامطار النزيرة (٤) علواً

جسور الهند

لَا يَتِمَّا لَكَ الْغَرِيبُ الْمَاشِي عَلَى بَعْضِ الْجُسُورِ فِي الْهِنْدِ
 مِنَ الرَّوْعِ وَالرُّعْبِ . فَإِنَّ لِلْأَنْهَارِ وَالْجُدَاوِلِ فِي الْجِبَالِ
 الشَّاهِقَةِ جُسُورًا يُصَابُ نَاطِرُهَا بِالْأَدْوَارِ . فَتَرَى هُنَا جِدْعَ
 شَجَرَةٍ مَطْرُوحًا فَوْقَ نَهْرٍ مُسَطَّحًا بَعْضُ التَّنَطُّحِ فِي الْوَسْطِ
 مُنَوَّطًا مِنْ طَرَفَيْهِ بِسُوقِ بَعْضِ الْأَنْجُمِ . يَقَطُّعُ النَّاسُ عَلَيْهِ
 رِجَالًا وَنِسَاءً وَأَوْلَادًا . وَالْحَيَوَانَاتُ الَّتِي تَسِيرُ عَلَيْهِ قَدْ لَا تَسْلَمُ
 مِنَ السَّقُوطِ . وَلَا سِيَّهَا إِذَا سَارَتْ فِطَارًا فَإِنَّ ثِقَلَهَا وَثِقَلَ
 مَحْمُولَاتِهَا يَزِيحُ الْجِسْرَ مِنْ مَكَانِهِ فَيَنْخَرِفُ الْجِدْعُ وَيَهْتَرُ فَتَسْقُطُ
 الْبِهَائِمُ فَتَخْرُقُ

وَالْجُسُورُ فِي الْبِحَالِ الْقَلِيلَةِ الْعَرْضِ تُصْنَعُ مِنْ حَبَلَيْنِ أَوْ
 ثَلَاثَةِ مَنُوطَةٍ بِأَوْتَادٍ وَمَغْرُوزَةٍ عَلَى بُضْفِي النَّهْرِ مُرْتَفِعَةٍ عَنِ الْمَاءِ

نحو ثَمَاني أقدامٍ . فَيَتَشَبَّثُ السَّافِرُ بِأَجْجَالٍ وَيَتَدَلَّى مِنْهَا .
 وَلَهَا إِطَارَاتٌ كَحَلَقَاتِ مَنْوُطَةٍ بِهَا . فَيَجْلِسُ الْإِنْسَانُ فِي الْإِطَارِ
 إِذَا شَاءَ وَيُدْفَعُ نَفْسَهُ بِيَدَيْهِ كَلَيْتَيْهَا حَتَّى يَبْلُغَ الضَّفَّةَ الْأُخْرَى .
 وَإِذَا كَانَ مِنْ تَرْوَعِهِمُ الْأَخْطَارُ وَيُصَابُونَ بِالدَّوَارِ أَعَانَهُ
 الْأُخْرُونَ عَلَى الْعُبُورِ . فَيَرْبُطُونَ عَيْنَيْهِ كَمَا لَا يَرَى الْهَاءَ مَا جِئَا
 وَمُزِيدًا تَحْتَهُ . ثُمَّ يَرْبُطُونَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِأَجْجَالٍ وَيَجْرُونَ بِجِبِلِّ
 آخِرٍ مَنْوُطٍ فِي وَسْطِهِ

وَفِي تِلْكَ أَجْجَالٍ عَشَائِرٌ كَثِيرَةٌ أَلَّتْ تِلْكَ الْجُسُورَ
 وَتَهَرَّتْ عَلَى أَجْنِيَازِهَا . وَفِي بَعْضِ الْعَمَالِ لَا تَرَى فَوْقَ الْأَنْهَارِ
 جُسُورًا قَطُّ . فَيَجْمَعُ السَّافِرُونَ كَبِيرَةً مِنَ الْبَقِطِينَ الْكَبِيرِ
 وَيَرْبُطُونَهَا فِي أَوْسَاطِهِمْ ثُمَّ يَنْغَسِقُونَ فِي النَّهْرِ بِقُودِهِمْ دَلِيلًا .
 فَيَرْفَعُ الْبَقِطِينَ حَامِلَةً فَوْقَ الْهَاءِ وَيَدْرَأُ عَنْهُ الْغَرَقَ . ثُمَّ يَهْسِكُ
 الْعَابِرُ بِاللِّدْلِيلِ وَيَعُومُ إِلَى الْجَانِبِ الْآخِرِ . وَجِبِلُّ الْأَدْلَاءِ
 أَمْعَةٌ السَّافِرِينَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَيَسْجُونَ مَضْبُوطِينَ بِالْبَقِطِينَ

الخفاش

الخفاش متوسط بين ذوات الاربع والطير. وقد أعيا علماء الطبيعة استقصاء احواله فلم يقدروا ان يجزموا بادخاله في احدى مراتب الحيوان. غير ان صفاته الغالبة تقرب من ذوات الاربع. وفي بعض الاحوال يشابه الانسان ومن طبعه انه يطير قرب غروب الشمس في ايام الصيف اللطيفة طلباً للحشرات. ومن الغريب ان البعوض يخرج في ذلك الوقت يطلب قوته ومن دم الانسان والحيوان فيلاقه الخفاش يطلب دمه فينزع طالب رزق على طالب رزق. فسيبان الحكيم. وفي غير ذلك المين يبقى في وكرة الذي يكون غالباً في الاماكن الخربة او في الاشجار المجوفة. حيث يقضي اكثر اوقاته نائمًا ولا يمرض نسمة للعطب بالخروج نهاراً او في وقت المطر. واذا دنا الشتاء لزم وكرة واستكن في بيوت حراك. ولما يطلب الماكن تحت الارض حيث ينشب مخالبه بشيء يتعلق به فيبقى مستريحاً لانهم الرطوبة ولا قلب الهوام. واذا عرض ان وقع عليه ضوء الشمس وهو على تلك الحال امتش وتحرك قبل الزمن المحدود غير انه يصبح حينئذ في خطر الجوع لعدم اذخاره الثروة او عرضة لصيد البوم او غيره من الكواسر. اما حجمة فتقدر النارة وله جلدة يطلق عليها اسم جناح وهي عبارة عن اربع اصابع في يديه طويلة ومتصلة بمجلاة رقيقة واصلة الى رجليه وذنيه. ومن عادة الاثني ان تلد في المرة من الفرخين الى الخمسة وترضعها كذوات الاتدي والخفاش في اوروبا غير مؤذ. اما في الاتالم الحارة فيخيف للغاية ولا سيما اذا تجمع اسراباً فيجذب نور الشمس عند غروبها. وفي الصباح يعلق باعلى الشجر كمثل الكثير.

ونمة خفاش غينيا وما دكسر واكثر جزائر البحر الجنوبي التي لا تغادر شيئاً من الثمر والهوام وغيرها مما تناله الا اكله اذ ربحاً. ومن طبعها اذا

أوت الغياض ان تصبح صباحًا مثلنًا ولكنها تصمت عند طلوع الجمر . وعرض
اجتمعها اربع اقلم وطولها قدم واحدة . وفي قبيحة المنظر نهمه سجة الطباع
ومن هذا الجنس الخنّاش الماصّ الدم الذي وان يكن منظره اقل شناعة
من المارّ ذكره لكنه اكثر ضرراً . ووجوده الغالب في نواحي اميركا الجنوبية
حيث يعيش على شجر الختل . ومن طبعه انه يترك وكره عند الماء ويغير اسراباً
كثيرة فيغطي القرى والمدن . ويحلّ بالناس والبهائم بلاه عظيم لانه يهلك
كل ما فيه حركة ونسمة حياة اذا وجهه نائمًا في الغلاة . واذا غشي الناس في
مراندهم فتلهم من الرقاد الى الموت لانه يدخل رأس لسانه الحاد في رواشهم (١)
ويخصّ الدم الى ان يشبع . ثم يصفق باجنحه ويروح بها . فتجبل هذه الحركة
النائم ان يستغرق بالنوم وعلى هذه الحالة يكون رقاد المسافر في القضاء خطر
عظيم . واذا اوى بيتاً فليو ان يجاذر النخاص التي يدخل منها هذا المصاص
الظالم للدماء . ولا يقتصر فنكهة على الآدميين فقط بل يهلك الحيوانات ايضاً .
حكى الاستاذ كونلامين ان الخنّاش اهلك في بعض جهات اميركا الجنوبية جميع
الماشية التي اتى بها المهاجرون

ومنه خنّاش جافا الكبير الذي يتظل تحت اشجار السنديان العظيمة .
وطول جناحيه ست اقلم . فينشب مخالبه الحادة ويتعلق بها وروسة مدلاة
الى اقل بصح ويخبط اخباطاً شنيعة

ومنى دنا المساء استيقظ شعر بالجموع . فيجبل نغمة من الوثاق ويشتر في
الجو انتشار الحباب . وتحمل الامهات افراخها بصدورها . ثم تأخذ باقتناص
الحشرات والطيور والجُرذان والفأر . ولكنها تؤثر الامار تستتر على اشجار الغياض
والبساتين وتستتر (٢) قدر ما تستطيع . فيستيقظ البعثان صباحاً ويرى اثاره
قد نهبت عن آخرها وفي هذا الخطاب الانعياء والقراء سواء

فيصوب رب الحديقة الى الانتقام من هذه السلاب . فيمكن لما في ضوء
الشمس حتى متى قدمت ترفرف باجنحتها الرقيقة مزودة على الاشجار يصوب

نحو ما بدقيته ويرى منها ما يتيسر انحصاراً على سرقة فأكبر

(١) عروق ظاهر الكف (٢) تبتلع

الغورلاً واوران اوتانغ او انسان

الغاب الوحشي

وقف علماء الطبيعة منذ نحو مئتي سنة على وجود هلا الفرد الاقرب شيئاً
بالانسان خلقاً وخلقاً . غير ان الانباء التي وصلت اوربا ليست بالنيا الاول
لان حكومة قرطبة بعثت منذ نحو الف سنة بهانو للتطواف حول افرقية بجرأ .
فاقلع بستين سفينة لكل منها خمسون مجلفاً بقلها جميعاً ثلاثون الف نسمة
رجالاً ونساء . فخط الموما الي انباء سفرته بالدقة والضبط ومن ذلك قوله
” اجزنا في اليوم الثالث جبال النار وبلغنا جونا يدعى القرن الجنوبي
فوجدنا في اقصى جزيرة كالاولى رأينا فيها عدداً وافراً من الناس الوحشين .
غير ان اكثرهم كانوا نساء ولمن اجسام مشعرة بماها اللامذة غورلاً . فآثرناهم
وطاردناهم ولكننا لم نستطع ان نمسك احداً لانهم تواتبن على الصخور والمراقيب
ودافعن عن انفسهن بالمحجار وقطع الصخر وقررن من امامنا . وبعد الجهد
ادركنا ثلاث اناث فعضن وخشن ولم يردن اتباعنا فقتلناهم ولخناهم
وارسلنا جلودهم الي قرطبة . ثم توقفنا عن السير لفراغ الزاد
قال الاستاذ ابن الطيبي ” الأرجح ان غورلاً افرقية الحديث الاكتشاف
هو نفس النوع الذي وصفه هانو وملاحوه في تاريخ سفرهم . وناقض غيره هلا
القول مقدماً على ذلك يثبت منها ان اثمار تلك الجزيرة لا تكفي لاشباع هذه

القرود النهمة . وان الذكور لا يسبحون باسماك انانهم بدون دفاع وحشي الى الموت . وقد ذكر بلينيوس الذي نبغ قبل التاريخ المسيحي بسنة قرون الغورلَا



في تاريخ الطيبي . ثم سُدلت الحُجُب عن انسان الغاب الوحشي هذا الى القرن السابع عشر بعد التاريخ المسيحي اذ اقدم اندراوس بانل على السياحة في افريقية الانتوائية وعان الغورلَا بنفسه وتحرى احواله وطباعه ونشر على العالم المتعلم نتائج سياحته سنة ١٧٤٨

وَيُدْعَى اعظم هذه الوحوش بونفو واصغرها انجيكو وهو يشي متصباً
وليس له ذنب . وله قدرة على تقليد الأدميين في اعمالهم وحركاتهم بصرف
غريب . وقد اجمع السياج على انه ذو نخة عجيبة ولباقة غريبة وشراسة طباع
ولكنهم اختلفوا على مقدار جنته فمنهم من قال ان طوله ثلاث اقدام ومنهم من
قال ست اقدام وبعضهم اوصله الى سبع اقدام . فهنا الاختلاف وان كان صحيحاً
فهو ناشئ من اختلاف البلاد والسن . ومن المقرر الثابت ان طوله في الغالب
يقدر الانسان غير انه اشد منه قوة . ولما كان اخذه حياً متصباً جداً ندر
وجوده في اوروبا

ومن طبعه انه بأوي الأجام الواقعة في جزائر ملقا وبورنيو وغيرها من
جزائر الشرق . ويوجد ايضاً في أقصى بلاد الهند وفي افريقية وفي مادكسكر .
وصيده في بعض هذه البلاد هو مستحب للامراء والملوك لكنه لا يجلو من
الغوائل المشؤومة

روى الامتاذ باتل ان هلا الحيوان يشبه الانسان في احوالها كلها ما عدا
الطلق وطلو القامة . اما وجهة فيوشك ان يكون كوجه البشر غير ان عليه
غائرتان في دماغه اكثر من الانسان . وله على كلا فكاه عارض طويل يشبه
وجهه ويكسو جنته شعر خفيف . واذا مشى سار سير الجري متصباً وبتفياً
ظلال الاشجار الغياض ويبني فيها حصاً يقيه من الحر والمطر . وقوته الثمر والورق
الشجر والحبوب والنبل لانه لا يأكل اللحوم

اما غريزة فنريية وخوفة قليل . فلا يصرم الزوج نارا بالقرب منه الا
ويعشوها^(١) عدواً ويصطي عليها . ومن طبعه ايضاً التأجل وقيل ان
يصادف احداً اعزل^(٢) ويرفق به . وهو قيم ساحة الفيل ويحم عليه بالنبود
لانه يقلد السلاح دون جميع اجناس الحيوان . والمخالصة انه ذو دماغ وقوة
وعنف . قيل ويسمي نساء الزنج . غير ان هذه الرواية عنة تنظر الى التثيت
وقد انكرها اكثر العلماء المحدثين ممن يوثق بصدق روايتهم

روى العلامة باقرن الفرنسي انه كان لواحد من هذا الحيوان ذكوة واحذانه^(١) بقضي بالعجب. فكان يمشي على رجليه متصباً رزين الحركات والسكنات وعلى وجهه امارات الغم بخلاف نوعي الميمون والفرد فان حركاتها لا تخلو من الجفاه والسفاهة وميلها مختل ولا يتنادان الا من الخوف وطبعها الضرر والاذى. اما هذا فكان ذا تدبير واتباه. ومجرد النظر اليه يكتفي لردعه وحلوه على الطاعة قال "وشاهدته مرة يشر يده الى الباب للجماعة. واخرى جالساً على مائدة وهو باسط منديله يمسح به شتية ويوصل الطعام الى فيه بالمعلقة والشوكة ويصب مشروباً في قديم ثم يمسح باقلام الشراب. ويأخذ القنجان والصحة ويضعها امامه ثم يضع سكرًا في القنجان ويصب فيه من الشاي ماشاء ويتركه قليلاً حتى يبرد قبل ان يشربه وكل هذا بدون ادنى اشارة من صاحبه. ومراراً كثيرة بدون ان يدعى الى ذلك"

"وكان في غابة الاقياد ومجانبة الاذية يدنو من الغراب بوقار ويعرض لاحسان الناس اليه اكثر من اضرامهم به. وكان يحب الحلوة وعلى الخصوص الملبس. فكان كل يطعمه من ذلك قدراً غير ان هذا الطعام قصر حياته. وكان قد حججه به الى لندن بعد ان مكث في باريس فصل الصيف فانت هناك. وكان يقتات بكل ما يقدم له. غير ان اكثر ميله الى التواكع ناخبها ويايسها. ولم يكن يعاف شرب قليل من الخمر ولكفة كان يؤثر استبداله بالحليب او بالشاي او بغير ذلك من المشروبات الحلوة بالسكر. ولا ريب في ان حركاته وامواره هذه كانت ناشئة من الترية فان الفرد بالطبع غيره بالطبع. وقد علم بالتجربة غير مرة انه لا يلبث حتى يبلغ كمال التحدي والحماكة ما في طاقته البلوغ اليه بخلاف نوع بني آدم. لكنه لم يظهر في شيء من افعاله ما دل على العقل"

وفي حياة الحيوان الكبرى للعلامة الدميري ما نصه "حكى ان رجلاً صحب معه خمرًا في سفينة ليبيعة ومعه فرد فكان الرجل اذا قصد بيع الخمر شابه^(٢)

بالماء ثم يباعه. فاخذ الفرد كس الدراهم وصد به فوق الدقل^(٦) وجعل يطرح دبناراً في البحر ودبناراً في السفينة حتى التقي ثمن الماء في البحر وثمن الخمر في السفينة

والغورلآ يتك بالزئوج السامرين في الغابات ويصادم الاقبال يديه القويين ويجذوع الاشجار قصي^(٧) ويهرب من شره. ولا يتسقى اقتناصة حياً لشدة بأسه. ولكنهم يقتنون صفارهُ بالسهام المسمومة. واطفاله تعلق يطون والذئبا وتشتبث بها كل الثبث. فاذا قتل الزئوج اما اخذوا الصغير المتدلي من بطنها. واذا مات احد الغورلآ غطاه رفاقة باغصان الشجر

وهو شديد القرم جريل النهم وموطنة اعالي الاشجار وقاية لصغارهِ من الضواري. ولا يتزوج الغورلآ باكثر من واحدة. ولا ياتي قتال البشر ومنازلهم ولا سبأ الزئوج فلا يفر من امامهم قط بل يهاجم بصوت مائل تسمع له دويأ وصدى مرعباً في الغاب فينتك بهم. اما مشية العادي فليس على رجله الخلفيتين بل على الاربع. فاذا سار على ملا الوضع كانت ذراعه طويلتين جداً حتى يرتفع رأسه وصدرة كثيراً عن الارض. اما الصغار فتسير متمبة حين يطاردها القانصون فيبدو منظرها كالزئوج انفسهم. وقد حاول بعضهم قنصها حية فأعيتة الحيل لشدة قوتها وتعدت اقيادها

واهل جزيرة سومطرا مغمومون باكل لحوم القروذ المقلوة ويظنون لحم الاوران من اناقة الموائد فيخرجون متقلدين القسي والسهام لصيده. اما الاوران فيجاول الفرار من طريقهم فيتسلقوا على الاشجار ويشب من شجرة الى أخرى فينبه القانصون ويطلقون عليه السهام فيأخذ منه الضيظ كل ما أخذ ويشرع بتكبير الاغصان والة عما على الارض. فيعني بهذا العمل على قسولانه بزئول الحجب عن ابصار الديادين الذين يتربصون الى ان يكسر هذه الحواجر. ثم يصوبون السهام نحو فيسقط الى الارض قتيلآ

والمنود مولعون ايضاً بالقريد المقلوة والمشوية ويأكلونها بقرم^(٧) شديد

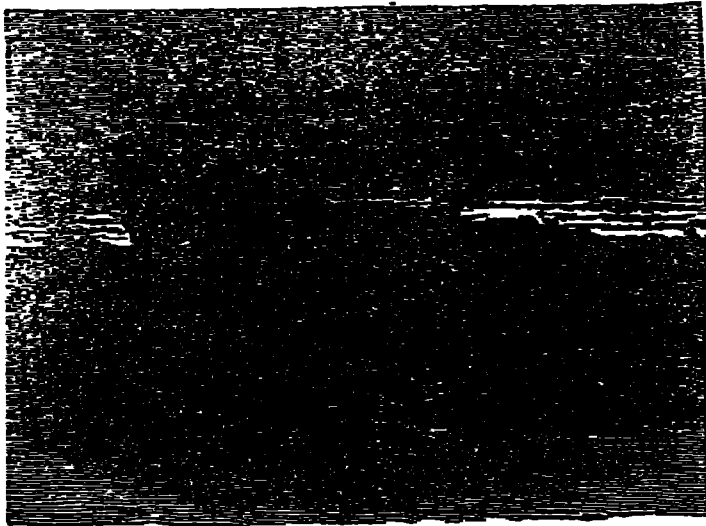
ويصنعون من جلودها اغطية للرأس وخوذًا يلبسونها ايام الاعياد والمواجم

- (١) يقصد ليلاً (٢) من لاسلاح له (٣) اقتداء (٤) خطية
 (٥) خشب الصنينة الطويل الذي يُعْتَق به الشراع (٦) قصوت
 (٧) بهم

الذئب

١

هذا الحيوان قريب من الكلاب وقد عَلِم انه يسفد^(١) معها احياناً وملكاً تأتي
 جرائه مشوية^(٢). وله رأس طويل وانف مروس واذنان متصتان مقلتان
 وذئب طويل كث وساقتان طويلتان واسنان كبيرة هائلة وشعر طويل. وهو



اطول من جميع صنوف الكلب السلوقي ولونه غالباً احمر يضرب الى الصفرة.
 وبعض انواعه ابيض. وفي بلاد كندا اسود وعيناه مزورتان^(٣) لونها اخضر

يقتد . ووجهه يجملتو وحشيتي يدل على ما فيه من الاخلاق والطباع
والذئب من الوحوش النهمه في اكل اللحوم ووسائله كثيرة . فان له من
القوة والانياب والخطه ما يلزم للطارد الفاتك . على انه كثيراً ما يموت جوعاً .
واذا طرده الانسان راد الاماكن القاصية الخالية من الشجر ولا يجسر على مهاجمة
القرى والبلاد الا متى تضرّ جوعاً . واذا غلب قرمته على خوفه كان هجومه
ماتلاً جداً فلا يسلم من وثباته انسان ولا بهيمة

ومن الادلة على نهم الذئاب وبطشها الحادثان الغابعان
قصّ احد القواد الجركيين على احد كتبة الانكليز الحكاية التالية قال
"في شتاء سنة ١٨٥٢ اذ كانت الحرب مشتبّه بيننا وبين الروس وكانت
الارض منذ شهور مغطّاة بالثلوج جمع الامير جيشاً ومهت به الى السهول لقتال
الاعداء . غير ان الروس استظفروا على ذلك الجيش فتشتت وعاد ناكهاً (٤)
على الاعقاب وهامت الجنود شرادم (٥) وزرافات (٦) نحو اوطانها . اما كركنتنا (٧)
فكانت مؤلفة من احد عشر فارساً متمطين الجياد الحسنة ومسلّحين بالبنادق
والقرمينات والسيوف ومعنا خمسة اسرى اربعة انفار وامرأة . فيينا كنا قطع
سهلاً فسيماً اذا بعانته (٨) ذئاب عددها سبعة تعدو وراياتنا فقتلنا منها ذئبين او
ثلاثة باطلاق الرصاص طمعاً يجلودها وتبدد الباقي . ثم اغذنا السير ولم نقص
برمة وجيزة حتى سمعنا خلفنا عواءً مربعاً لاح لنا اولاً كماصفة شديدة . واذا
باشباح كثيفة مظلمة انتشرت امامنا على الثلج كحجاب يعلو الاق . فهلعت (٩)
قلوبنا فرقاً (١٠) حين علمنا ان جيشنا عرمرماً من الذئاب يعمقنا

اما خيولنا فكان قد اضعفكم التعب والعياء من سفر اليوم بطولوه . غير ان
الحرف كساها اجمة فسارت تماكي هبوب الرياح وامجت بنا كأنها عالة بشدة
الاخطار التي تترصدنا . ولم يكن لنا حيثئذ ملجأ ناوي اليه لان اقرب عمار كان
يعد سبعة اميال على الاقل . وكانت الارض مترتجة بحرف الثلوج المتهاة (١١)
حتى نسر على خيولنا السير . فاثمنا انماراً وجزاً وعول رأينا على قضية

الاسرى الواحد بعد الآخر لمعطي سائر الانتار فرصة للفرار . فقتل احد
الفرسان حسامة وعرقب^(١٢) حصان المرأة فسقطت الى الارض وكانت قريبة
الذئب الاولى . واذا بصوت مائل ارتفع في عنان الجوّ ثم اعتبه الصمت الكامل
فالتفتنا الى وراثنا وعلنا انا سبقنا الذئب مسافة تذكر . فسكت افكارنا
بعض السكون ولكننا لم نكد نعدو قليلاً حتى رأيناها نسل^(١٣) في اعقابنا فاطلق
احدنا الرصاص على فرس احد الاسرى فتوقفت الذئب برمة ربنا
التهمة . ثم فعلنا بالثاني فعلنا بالاول وهكذا الثالث والرابع فغتمنا بهذا العمل
زباناً ومجالاً فصيحا . غير ان اعلاها الضارية الظامة الى الدماء تأثرتنا باشد
ضرى من ذي قبل . فكأنها شحذت اسنة نهبها بدم البشر . فاخذنا باطلاق
البنادق عليها انما على غير طائل . لاننا وان تكن قد جددنا بعضها على الثرى
كان سائرنا بسبل الى الامام ولا يقف دقيقة واحدة . فبينما نحن كذلك اذا
بمجادين من جياد فرساننا اضنكها العياء والفرج فسقطا الى الارض بيهلان
ومحمان كأنها طالان بالاموال التي ترصدتها . اما راكباها فمضا بهرعان
عن كوميض البرق ولكنها لم يستطيعا ادامة حث المخطى على جرف الطح
فقتلها الاعياء والونى فودعا رفاقها واسلما نفسها لحكم القضاء والقدر . واستلماً
حسامها وصاحا بالذئب صياح الابطال ودافعوا دفاع الجبابرة الصناديد
الى ان امسوا طعاماً هيناً لتلك الضواري

اما نحن الاحياء الباقون فبقنا على مسافة ميلين عن الجبل . غير ان خيولنا
ارشكت السقوط تعباً وسقياً^(١٤) والذئب على نحو مرى بندقية . فساد علينا
الفتوط والوجل وخلصنا انفسنا بين برائن^(١٥) الضواري وانبايا تمزقنا تمزيقاً .
واذا بشيخ ابي شايين من فرساننا ودع الرفاق حين ادرك هذه الحال المحرجة
وتعدر الناس وعرقب حسامة وقدم نفسه ضحيةً لنجاة ولديه العزيزين . فاعطى
عددنا الى ثمانية . فحشنا الجياد والذئب نسل وراثنا حتى كادت تدركنا
بانبايا الحاكة وتبطش بنا

قال الراوي "فجذبت طينجني واطلقت النار على اقرب رجل مني فاصابت الرصاصة في رأسه فارخى يديه واقلمت العظام ولكته ما فتى متصباً في سرجه بقلة الجواد الخائف . فاطلقت عليه النار مرة اخرى فسقط على الارض قبلاً فتوقفت الذئاب برهة اخرى عن مطاردتنا ريثما تلتفتة . فلاحنا منا الغنائة واذا بالجلي اماننا . وهو بناء من خشب شديد لوقاية السياج والمسافرين في مثل هذه الحال . وقد اسعدنا المظ بأن رأينا بابه مفتوحاً فولوجناه ولوجدناه بزجاج حديدي . واذا باصوات عواء الذئاب يترق كبد القضاء وزعيق انسان يريد المول اضغاثاً . فخلصنا من الشقوق والمخرب^(١٦) ورأينا رجلاً من رفقتنا كان قد وقع حصانة تحته فثببط عنا ولم نسمع به فاحاطت به الذئاب وقامت قتالاً راتماً على السبق الى اقتراسه . ثم جذبت باسرع من لمح البصر من سرجه والتهته مع جواده اماننا ولم تقادر لما اثرأ . ثم احاطت الذئاب بالمقل^(١٧) احاطة السوار بالمصم فوجدت حاجراً يحول دون فرائسها واخذت تصارع بعضها بعضاً . وهي تحاول نبش التراب عن اوتاد البناء ورفع الالواح الخشبية والقوم الى داخل . واذا كان البناء متيناً لم يكن نصيبها ساعته الا الفشل والخيبة . فاخذنا نطلق عليها النار من الشقوق فابلينا بها بلاه حسناً متعبين لدماء اصحابنا من انباها الضارية . غير ان الذئاب الحية لم نتم حتى اقتربت جنت رفاتها القتيلة وظلت تعوي وعمر حول القرقة الى مساء اليوم التالي اذ ثارت العواصف ودمدمت الرعود ولومضت البروق فأجملت ودُعرت وهامت على وجوها تامل الى اوجرها . اما نحن فاكذنا نصدق انفلاتنا ونجاتنا من هذا الخطب المائل . ففتحنا الباب وسرنا لا نلوي على احد حتى بلغنا اوطننا"

اما الرواية الثانية فمن المستر انكيس الانكليزي اثناء سياحه في سيبيريا قال "نصبتا المضارب نصف الليل مع جماعة من القلوق في فلاة فسيمة عند بحيرة صغيرة ثم اضرمنا النار واحاط بها الرجال يصطلون . واذا بعواء هائل يهد طرق آذاننا . فلم يصحى السهب وجمعوا خيولهم واخذوا يتفحصون السخيم

النارية . وعرفوا ان ذخائرهم وان اجادوا باغاثها لا تكفي لصد الاعلاء الناكة التي شمت رائحتها عن بعدٍ وارشكت الدنو منا . اما النار فكانت خامدة ولم تزدها ضرماً لان اختبار القلوب عليهم وجوب اخماد النار الى ان يقترب قطع الذئاب فينوزون بجير فرصة لتسديد المرامي عليها . ثم يضرمون جذوات^(١٨) الوعيد حتى يظلم ليبيها فيوقعون الذئاب في وجل وحيرة ويتمكنون من معرفة حال وجودها . فلم تنض برهة وجيزة حتى سمعنا صوت وقع اقدام كثيرة تسير نحونا . فاضرم الرجال النار وارفع ليبيها نحو الاق . فوقفت الذئاب منهية في وجوم^(١٩) رافعة آذانها واذنانها واعينها تحمق وتفتد كمشاعل نار . فاعطى احدنا الاشارة واطلقنا عليها البنادق دفعة واحدة فخرجنا عدداً وافراً مستدلين على ذلك بعوامها ومريرها العجائبي . ولم تنتض بضع دقائق حتى سمعنا وقع خطاها ناكسة على الاعقاب

غير انها لم تنهزم بل انفردت للاتقار في الوسيلة الافضل للمهاجمة ولم يطل زمان مشاروبها . لانا استدللنا من سهيل الجياد وحميمتها على وشك رجوعها وسمعنا صوت خطاها خلسة بين المضارب والجبيرة . ثم انشطرت الى شطرين لتسقى لما مهاجمة الخلة من الجانين . وكانت اعين الذئاب في انسلاما على القبح قدح ناراً وتضطرم في الظلام اللامس . ثم تقدمت الكتيبتان الى الامام فاطلقنا عليها الرصاص كالسبل مرة اخرى فتربصتا ووجمنا برهة ولكنها لم ترتنا الى الوراء

اما نحن ففترسنا بهذه العراجل الوحشية المحيطة بنا واذا بها تريد عن خمس مئة ذئب كل مكشور عن انياب المنية ومهول ظامناً الى دماننا . ولا تسل عما استولى علينا حيثئذ من الوجل والروع ولا سيما حين عجمت في آذاننا اصوات حانة اخرى جديدة تهمج نحونا فيسنا من الهجاء وايقناً بالهلاك العاجل . ولكن يا العجب العجيب من ان شدة ضرى اعدائنا كانت علة فجاتنا . فان الجيش الاول اخذ يعوي ويوعوع^(٢٠) عد دنو الجيش الثاني دليلاً على احتلام غيظو

وغيره من قدم وحوش غريبة تراجمه على اخطاف الفرائس من فيه بعد ان
 تأثرت وامست له مغتماً بارداً . وما دنا الخبيس ^(٢١) الثاني المرمر ^(٢٢) حتى
 تحوّل الأول من العواء الى تكشير الانياب ورفع البرائن . ثم استعرت بينها
 نار الصلّام وبانت المعركة عامة ودامت رحي الحرب تدور والعراك يطلّج الى
 ان بلغ القتال اشدّه . فلم يشعر الجيشان المتكافئان بانسلاخ القلوب لجلب
 الرقود وركبو فوق الجندوات المخادمة . فاعتمت النار حتى تصاعد لمبيها الى
 عمام الجوّ . فدُعرت الضاربي واخذت تعوي وهبّ وثواب في العواء . ثم
 كفت عن الحرب ووقفت في بهت وذهول . فسددنا عليها المرامي واطلقنا
 النار في الحين الملائم فتبددت وامجت ^(٢٣) في عمام هائل تاركه قتلاها الوفيرة
 في ساحة الوغى . اه

وقد روّبت الذئب احياناً تتبع العساكر الزاحية الى القتال . فانا ظفرت
 بتيل مجدل على الثرى او بمن لم يحكم دفنه او يجرح التهمة . واذا اعادت مرّة
 على اكل لحم الانسان فلا تعود ترغب عنه الى غيره . فتؤثر اكل الراعي
 على رعيته

- (١) يتروا ويتلوج (٢) مختلطة (٣) مخرفتان (٤) رجح
 (٥) جماعات قليلة (٦) جماعات عشرة او عشرون (٧) جماعة
 (٨) قطع من حمر الوحش (٩) جزءاً (١٠) خوفاً (١١) مهذمة
 (١٢) قطع عرقوب الفرس (١٣) تضطرب في هبوبها (مخصص بالذئب)
 (١٤) جوعاً (١٥) الكنفوف مع الاصابع (مخصص بالسباع والطيور)
 (١٦) ثوب (١٧) اللجأ (١٨) حمرات (١٩) سكوت
 من كثرة الغم والخوف (٢٠) بصوت (مخصص بالذئب والكلاب)
 (٢١) جيش (٢٢) الجيش الكثير (٢٣) جدت في الجري

الذئب

٢

لَا يَجْنِي أَنْ قَنَصَ الذِّئَابِ لِمَا هُوَ مَحْبُوبٌ عِنْدَ بَعْضِ الْكِبَرَاءِ
وَالْأَعْيَانِ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ قَنَصٌ لَا يَجْلُ بِهِ الْعَاقِلُ وَلَا يَنْغَصُ
لَهُ ذُو الْمِرْوَةِ وَالنَّخْوَةَ لِمَا فِيهِ مِنْ رَفْعِ الْمَضَارِّ وَرِيحِ أَشْيَاءِ
وَلِأَنَّ إِغَاثَةَ الْعَالَمِ مِنَ الْبَلَاءِ الْعَامِّ هُوَ الْعَمَلُ الْأَوْلى
بِالْأَجْرِ وَالنَّوَابِ سَوَاءٌ كَانَ بِالْقُوَّةِ أَمْ بِالْحِيلَةِ . وَقَدْ تُصَادُ
الذِّئَابُ بِالشِّبَاكِ أَوْ بِالطَّعَامِ الْمَسْمُومِ أَوْ بِجِرِّهَا إِلَى حُفْرِ
عَمِيقَةٍ تَسْقُطُ فِيهَا فَلَا تَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ وَالنَّجَاةَ

وَمَنْ أَوْشَكَتِ الذِّئْبَةُ الْوِلَادَةَ هَيَّأَتْ فِرَانًا وَثِيْرًا لِأَجْرِ جِرِّهَا
مِنَ الْمَوَادِّ اللَّيْنَةِ وَبَطْنَةً بِهَا يَسْقُطُ مِنْ فَرِّهَا . وَمَنْ وُلِدَتْ
الْأَجْرَاءُ نَعَوَّتْ قَلِيلًا عَلَى أَكْلِ اللَّحْمِ . ثُمَّ مَنَى بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ
أَشْهُرٍ اخْتَمَا وَالِدَاهَا وَمَرَّتَاهَا عَلَى الصِّيدِ وَأَخْبَهَالِ الْمَشَاقِّ
وَالْأَلَمِ بِلا شَكْوَى . فَيَلَّ إِنَّهَا يَعْضَاهَا وَيُسَيِّدَانِ مَعَامَلَتَهَا
وَيَجْرَانَهَا مِنْ أذْنَابِهَا . وَإِنَّا صَاحَتْ وَأَسْتَعَاثَتْ فَاصَاهَا إِلَى أَنْ
تَسْرِنَ عَلَى التَّجْلُدِ وَالصَّمْتِ

وَالذَّيْبَةُ مُولَعَةٌ بِأَجْرَيْتَيْهَا . وَتُسْرُ إِذَا اسْتَلَخَ صِغَارَهَا
 الْبَشْرُ وَدَلَّلُوهَا . قَالَ أَحَدُ السَّيَاحِ إِنَّهُ رَأَى الْهُنُودَ مِرْرًا
 يَنْهَبُونَ إِلَى كِنَاسِهَا ^{١١} وَيَلْعَبُونَ مَعَ أَجْرَائِهَا فَتُبْدِي لِذَلِكَ
 أَرْتِيَا حَا وَسُرُورًا . وَتَعْلَمُ الذَّيْبَةُ بَيْنَنَا أَنَّ صِغَارَهَا مَأْمُونَةٌ بَيْنَ
 أَيْدِي الْهُنُودِ لِأَنَّ أَكْثَرَهُمْ بِجَانِبُونَ الْإِبْقَاعَ بِهَا لِخِرَافَةِ
 شَائِعَةٍ بَيْنَهُمْ وَهِيَ أَنَّ سَفَكَ دَمِ الذَّيْبِ يَجْلِبُ اللَّعْنَةَ عَلَى فَاعِلِهِ
 إِلَى أَنْ يَكْفُرَ عَنْ ذَلِكَ

وَقَدْ وُصِفَتِ الذَّيْبَةُ بِالْمَكْرِ وَالْدهَاءِ حَتَّى فَاقَتْ مَخْبِئِهَا
 الْعَالِبَ وَبَنَاتِ أَوْى . وَمَتَى مَشَتْ حَمَّتْ آثَارَ مَوَاطِي أَفْدَامِهَا
 بِذَنبِهَا حَتَّى لَا يَهْتَدِيَ إِلَيْهَا أَحَدٌ . وَإِذَا سَارَتْ عَرَاجِلُ ^{١٢}
 تَبِعَتْ آثَارَ رَفِيقَاتِهَا بِدِقَّةٍ وَإِصَابَةٍ يُعْجَبُ مِنْهُمَا . بَلْ قَدْ
 تَهَارَتُ وَلَا تُبْدِي حِرَاكًا فَتَخَالُهَا جَنَّةٌ بِلَا رُوحٍ . وَهِيَ مُولَعَةٌ
 جِدًّا بِالْحِمِّ الْمُخْتَرِبِ فَتَشْتَمُ رَأِيحَهُ مِنْ بَعِيدٍ وَمَتَى لَعْنَهُ شَبَّ عَلَيْهِ
 وَشَلَقَتْهُ وَلَا تَصْدَعُ عَنْهُ نِبَالٌ وَلَا بِنَادِي . وَهِيَ شَدِيدَةُ الْقَرَمِ ^{١٣}
 حَتَّى لَا تَكَادُ تُشْبِهُهَا فَرَائِسُ كَثِيرَةٌ

وَقَدْ تَخَطَّفَتِ الذَّيْبَةُ فِي الْهِنْدِ أَطْفَالَ وَتَدْبَعُ بِهِمْ إِلَى
 لُجْرَتَيْهَا حَيْثُ تُرْضِعُهُمْ مَعَ جِرَائِهَا وَتُرِيهِمْ وَتَحْنُو عَلَيْهِمْ حَنُوهَا

عَلَى صِغَارِمَا. وَالنِّصْتَانِ النَّابِعَتَانِ بِهَذَا الصَّدِّ نُرْوِيَانِ عَنْ
يُوْنُقُ بِصِدْفِهِ. قَالَ

«كَانَ أَحَدُ أُمَّرَاءِ الْهِنْدِ يَوْمًا مُسَافِرًا لِقَضَاءِ حَاجَةٍ مَعَ
بَعْضِ أَعْوَانِهِ. وَإِذَا بِمَجَادِمِهِ لَحَّ ثَلَاثَةَ أَجْرَاءِ ذِيَابٍ تَشْرَبُ
مِنْ جَدْوَلٍ وَمَعَهَا غُلَامٌ لَا يَزِيدُ سِنُهُ عَنِ الْعَشْرِ. فَجَاجًا
الْمَجَادِمُ الْوَلَدَ وَقَبِضَ عَلَيْهِ. لَكِنَّهُ أَظْهَرَ مِنَ الشَّرَاسَةِ وَالْأَخْلَاقِ
الْوَحْشِيَّةِ مَا كَادَ يُعْنِي ذَلِكَ الْمَجَادِمُ عَنْ حَمَلِهِ. فَهَرَقَ ثِيَابَ
حَامِلِهِ. وَعَضَّهَ وَاللَّهُ جِدًّا. فَأَمَرَ الْأَمِيرُ بِتَقْيِيدِهِ وَوَضَعَهُ فِي
مِضْرَبِهِ. وَكَانَ يُطْعِمُهُ لَحْمًا نَيْشًا. ثُمَّ بَعْدَ أَيَّامٍ حَلَّةً وَأَطْلَقَهُ فِي
مَدِينَةِ بُونْدِي. وَإِذَا بِبَصْرِ الْغُلَامِ الْوَحْشِيِّ وَقَعَ عَلَى فِخْذِ لَحْمٍ
فِي حَانُوتِ جَزَارٍ فَخَطَفَهُ وَأَنْطَلَقَ بِهِ يَعْذُو هَارِبًا. فَأَطْلَقَ عَلَيْهِ
أَحَدُ حُرَّاسِ السُّوقِ سَهْمًا أَصَابَ فِخْذَهُ. فَرَفَعَهُ لَهْ خَادِمٌ أَحَدُ
الْجَّارِ وَأَخْرَجَ السَّهْمَ مِنْ جَسَدِهِ وَهَيَّأَ لَهُ فِرَاشًا عِنْدَ شَجَرَةٍ
غِيَاءً كَانَ بَيْتٌ تَحْتَهَا بَعْدَ أَنْ رَبَطَهُ بِوَتِدِ الْخَيْمَةِ. فَظَلَّ ذَلِكَ
الْوَلَدُ يَأْكُلُ اللَّحْمَ النَّيَّءَ إِلَى أَنْ عَوَّدَهُ الْمَجَادِمُ تَدْرِيجًا عَلَى أَكْلِ
الْأُرْزِ وَالنُّطْقَانِيِّ. وَكَانَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ بِذَلِكَ مَفَاصِلَهُ
بِالزَّيْتِ إِلَى أَنْ أَمَسَ الْوَلَدُ قَادِرًا عَلَى الْوُقُوفِ مُتَّصِبًا بَعْدَ

أَنْ تَقْضَى عَلَيْهِ نَحْوُ سِتَّةِ أَشْهُارٍ عَلَى الْأَرْبَعِ . ثُمَّ أَنْصَبَ
 الْخَادِمُ عَلَى نَعْلَيْهِ بِالْإِشَارَاتِ بَضْعَةَ شَهْرٍ . وَعَوْدَةَ الطَّاعَةِ حَتَّى
 تَعْلَمَ سَكَبَ الْمَاءِ بِالْكَاسِ وَإِشْعَالَ قَصَبَةِ الدُّخَانِ وَلَكِنَّهُ لَمْ
 يَتَعْلَمِ النَّطْقَ .

فِي إِحْدَى اللَّيَالِي بَيْنَمَا كَانَ الْوَلَدُ مُضْجِعًا تَحْتَ الشَّجَرَةِ
 رَأَى الْخَادِمَ ذَيْبَيْنِ يَنْسَلَانِ نَحْوَ الْوَلَدِ وَيَشْمَانِهِ وَيَلْبَسَانِهِ
 فَاسْتَيْقِظَ الْغُلَامُ وَلَكِنَّهُ لَمْ يَخَفْ وَلَمْ يَدْعُرْ . بَلْ وَضَعَ يَدَيْهِ
 عَلَى رَأْسَيْهِمَا فَأَخَذَا يَلْعَبَانِ وَيَتَوَاتَبَانِ . وَالْوَلَدُ يَرِشَقُهُمَا
 بِالْعُشْبِ وَالْتِبَنِ فَمَاحَوْلَ الْخَادِمِ طَرَدَهُمَا فَلَمْ يَسْتَطِعْ . وَلَكِنَّهُمَا
 لَمْ يَعْتَبِرَا حَتَّى غَادَرَا الْوَلَدَ وَأَنْطَلَقَا . ثُمَّ عَادَا فِي اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ
 وَمَعَهُمَا ذَيْبٌ ثَالِثٌ وَبَعْدَ بَضْعَةِ أَيَّامٍ رَجَعَا وَمَعَهُمَا ذَيْبٌ
 رَابِعٌ . وَقَدْ ظَنَّ الْخَادِمُ أَنَّ الذَّيْبَيْنِ اللَّذَيْنِ أَتَيَا أَوَّلًا كَانَا
 الْجُرُومَيْنِ اللَّذَيْنِ وَجَدَ الْوَلَدَ مَعَهُمَا وَقَدْ اسْتَدَلَّ عَلَيْهِ بِحَاسَةِ الشَّمِّ .
 وَقَدْ تَعَذَّرَ عَلَى الْخَادِمِ تَرْبِيَةُ الْوَلَدِ عَلَى الْعَوَائِدِ وَالْأَخْلَاقِ
 الْإِنْسِيَّةِ التَّهْدِيَّةِ . وَكَانَ كُلُّمَا أَنْتَقَلَ مَرِيئَهُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ
 يُجَاوِلُ الْوَلَدَ الْوَحْشِيَّ الْفِرَارَ إِلَى الْغَابِ وَاللِّجَاقِ بِالذَّنَابِ
 وَرِفَافِهِ . فَبِئْسَ أَحَدِ الْأَيَّامِ بَعَثَ التَّاجِرُ مَخَادِمَهُ لِنِضَاءِ حَاجَةٍ

خَارَجَ الْبَلْدَةَ فَنَعِمَ ذَلِكَ الذَّئْبُ الْبَشْرِيَّ الْفُرْصَةَ وَفَرَّ هَارِبًا
إِلَى الْأَدْعَالِ . وَلَمَّا عَادَ مَعْلِمُهُ رَأَى الْوَلَدَ قَدْ تَوَارَى عَنِ الْعِيَانِ
وَأَنْتَطَعَ خَبْرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْإِنْتِطَاعِ .

أَمَّا الرَّوَايَةُ الثَّانِيَةُ فِيهَا

إِنَّ فَلَاحًا مَأْكِنًا قَرْيَةً جُورِيَّةَ الْبَعِيدَةِ عَنْ مَدِينَةِ سُلْطَانِبُورِ
الْهِنْدِيَّةِ نَحْوَ عِشْرِينَ مِيلًا ذَهَبَ سَنَةَ ١٨٤٣ لِيَحْصِدَ غِلَالَةَ
الصِّينِيَّةِ وَأَخَذَ مَعَهُ زَوْجَتَهُ وَأَبْنَهُ الْبَالِغَ عِبْرَهُ ثَلَاثَ سِنِينَ .
وَكَانَ ذَلِكَ الْوَلَدُ قَدْ شَفِيَ حَدِيثًا مِنْ حَرَقِ كَوَاهُ فِي رُكْبَتَيْهِ وَغَادَرَ
أَثْرًا . فَبَيْنَمَا كَانَ الْآبُ يَحْصِدُ فِي الْمُخْتَلِ هَجَمَ عَلَى الْوَلَدِ فَجَاءَهُ
ذئبٌ خَطَفَهُ وَرَكَّضَ بِهِ بَعْدُو إِلَى الْأَوْدِيَّةِ وَالْأَخَادِيدِ . فَهَرَعَ
الْوَالِدَانِ وَرَأَى الذَّئْبَ يَتَّبِعُهُمَا الْقَوْمُ لِلتَّجْدَةِ وَالْإِغَاثَةِ . وَلَكِنَّهُمْ
لَمْ يُدْرِكُوا لِلذَّئْبِ وَفَرِسَتِهِ أَثْرًا . فَعَادُوا بِخَفِيِّ حَيْنٍ . ثُمَّ بَعْدَ
نَحْوِ سِتِّهِ أَعْوَامٍ كَانَ نَفْرَانِ مِنَ الْجُنُودِ الْإِسْبَاهِيَّةِ يَصِيدَانِ
الْمُخَارِيزَ عِنْدَ أَطْرَافِ الْغَابَةِ فَشَاهَدَا ثَلَاثَةَ أَجْرِيَّةِ ذئَابٍ وَصَيَّيَا
خَارِجَةً مِنَ الدَّغْلِ وَمَهْرِيَّةً نَحْوَ جَدُولِ الْمَاءِ لِلشَّرْبِ . ثُمَّ
رَكَّضَ الْأَرْبَعَةَ إِلَى غَارٍ فِي ذَلِكَ الْأَخْضُودِ . فَمَا تَرَاهَا الْجُنُودِيَانِ
بُطَارِدَانِهَا فَدَخَلَتِ الْأَجْرِيَّةُ الْكِنَاسَ وَكَادَ الصَّيِّ يَدْخُلُ مَعَهَا

وَإِذَا بِأَحَدِ النَّفَرَيْنِ قَبِضَ عَلَيْهِ مِنْ رِجْلِهِ وَجَرَّهُ عَنِ الْغَارِ
فَعَالَجَ الْوَلَدُ وَحَاوَلَ الْإِفْلَاتَ وَعَضَّ حَامِلَهُ وَنَهَشَ بِأَسْنَانِهِ
أَسْطُوَانَةَ الْبُنْدُقِيَّةِ حَتَّى كَادَ يَكْسِرُهَا. أَمَّا الْعَسْكَرِيُّ فَبَدَلَ
جُهْدَ الْمُسْتَطِيعِ فِي ضَبْطِهِ وَأَتَى بِهِ إِلَى بَيْتِهِ حَيْثُ حَفِظَتْهُ
عِشْرِينَ يَوْمًا كَانَ يُطْعِمُهُ فِي خَلَالِهَا لَحْمًا نَيْشًا مِنْ لُحُومِ الْأَرَابِ
وَالطُّيُورِ وَغَيْرِهَا وَلَكِنْ تَعَسَّرَ عَلَيْهِ بَعْدَ حِينٍ وَجُودُ طَعَامٍ كَافٍ
لِإِعَالَتِهِ. فَأَخَذَهُ إِلَى سُوقِ قَرْيَةِ كَالِيبُورِ وَطَلَبَ مِنَ الْحَسَنِينَ
إِسْعَافَ الْوَلَدِ إِلَى أَنْ تَبَسَّرَ وَجُودُ وَالِدِهِ فَيَطْلُبَانِهِ
وَكَانَتْ تُقَامُ فِي يَوْمٍ مَعِينٍ مِنَ الْأَسْبُوعِ فِي تِلْكَ الْقَرْيَةِ
سُوقٌ يَتَابَعُهَا أَهْلُ الْقَرْيَةِ الْجَوَارِةِ فَحَضَرَ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْأَيَّامِ
رَجُلٌ مِنْ قَرْيَةِ جُوزِيَّةٍ وَرَأَى الْوَلَدَ فِي السُّوقِ. وَلَهَا عَادَ قِصَّةُ
نَبَأِ الْغَلَامِ عَلَى جِيرَانِهِ. أَمَّا الْفَلَّاحُ أَبُو الْوَلَدِ فَكَانَ قَدِمَاتٍ
غَيْرَ أَنْ أَخْبَرَ نَعَى إِلَى أُمِّهِ النَّبِيِّ كَانَتْ لَا تَزَالُ فِي قَيْدِ الْحِجَابِ.
فَسَأَلَتِ الرَّجُلَ عَنِ الْإِشَارَاتِ الَّتِي رَأَاهَا بِالْوَلَدِ. فَأَنْبَأَهَا عَنْ
عَلَامَةِ الْحَرَقِ الْبَادِيَةِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَآثَارِ أَسْنَانِ الْحَيَوَانِ الظَّاهِرَةِ
عَلَى خَاصِرَتَيْهِ. فَانْطَلَقَتْ حَالًا إِلَى سُوقِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ وَرَأَتْ
فَضْلَاعَهَا ذَكَرَ عَلَامَةَ ثَالِثَةً وَهِيَ أَحْمِيَّةٌ خَلْقِيَّةٌ عَلَى فِخْذِهِ. فَأَخَذَتْهُ

عَلَى النَّوْرِ إِلَى مَتْرَلِهَا حَيْثُ لَا يَزَالُ حَيًّا. وَلَكِنْ مِنْ بَعْتِهِ (١)
 الْعَقْلِ وَأَمْسَتْ رُكْبَتَاهُ وَمَرْفَقَاهُ مُتَّصِلَةٌ مِنَ الْهَشِيِّ عَلَى الْأَرْبَعِ
 مَعَ الذَّنَابِ. وَالآنَ تَرَاهُ يَجُولُ فِي الْقَرْيَةِ كُلَّ النَّهَارِ وَيَسْلُ
 فِي اللَّيْلِ إِلَى الْأَجَامِ وَالْغِيَاضِ وَهُوَ صَامِتٌ لَا يَسْتَطِيعُ
 النَّطْقَ وَلَا يَلْفِظُ أَصْوَاتًا وَاضِحَةً. وَمَتَى شَرِبَ بَغِيسُ رَأْسَهُ فِي
 الْمَاءِ وَلَكِنَّهُ لَا يَلْبِغُ كَالذَّنْبِ. وَمَا فَتِيهُ يُوَزَّرُ اللَّحْمَ النَّيِّءَ عَلَى
 النَّاصِجِ. وَمَتَى مَاتَ جَامُوسٌ وَسُلِّحَ جِلْدُهُ اشْتَرَكَ مَعَ كِلَابِ
 الْقَرْيَةِ فِي نَهْشِهِ وَأَفْتِرَاسِهِ

وَالذَّنْبُ عِنْدَ تَنْفَسِهِ يَجْرُ كَرِيهًا. وَهُوَ فِي جَبِيعِ الْأَحْوَالِ
 مَكْرُوهٌ مُغْتَالٌ وَمَنْظَرُهُ وَخَشْيُهُ وَعَوَاوُهُ كَثِيرٌ مُرْعِبٌ. وَرَأْسُهُ
 لَا يَبْهِنُ أَحْبَابًا وَأَفْعَالُهُ شَرِسَةٌ وَأَخْلَاقُهُ ذَمِيمَةٌ مَهْقُوتَةٌ.
 وَهَذِهِ الصِّفَاتُ السَّيِّئَةُ أَوَّلُ مَا تَرَى فِي جَبَلْتِهِ. وَهِيَ الَّتِي جَعَلَتْهُ
 بَغِيضًا ضَارًّا حَالَ حَيَاتِهِ وَمَذْمُومًا لِأَخْبَرِ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَقَدْ
 أَحْسَنَ فِي وَصْفِهِ مَنْ قَالَ

| | |
|--|---|
| وَجَرَ مِنَ الشِّتَاءِ الذَّلِيلَ جَرًّا | إِذَا مَا اللَّيْلُ جَنَّ وَأَكْفَهْرًا |
| وَرَأْسٌ سَهَامَةٌ بِصِيِّ الْأَعْرَأِ (٢) | وَحَدُّ الْجُوعِ بِأَنْزَةِ ظَبَاهُ (٣) |
| وَقَدْ أَبَتْ الْخَلَاءُ لَهَا مَقْرًا | تَأَلَّبَتِ الذَّنَابُ مِنَ الْأَقَاصِي (٤) |

وَجَاءتْ مِنْ جِبَالِ الْأَلْبِ قَدُوسٌ
 وَمِنْ أَرْجَاءِ بَيْرِيسٍ تَسْطُوسٌ
 لَهَا ظِلْمٌ الْهِنُونِ وَجُوعٌ لِحِدِ
 بَدَتْ مِنْهَا الْعِظَامُ جَوَى وَجُوعًا
 لَهَا هَزَلٌ بِلَا جِدٍ وَجِدٌ
 تَصُبُّ عَلَى الْبِلَادِ فَكُلُّ حَيٍّ
 نَضَاهِي شَبَالًا مَرَّتْ بِشَلَجٍ
 نَشِبٌ عَلَى الْجَوَادِ فَتَشْتَبِيهِ
 وَبِسَ الثَّوْرِ مُنْقَدًا نَفْسِهِ مِنْ
 نَخْتٍ إِلَى الثَّوْرِ فَكُلُّ أُمَّ
 فَحَسُّ الْهَرَّةِ لَا يَجْدِيهِ نَفْعًا
 وَلَا يَجْدِيهِ إِحْسَانٌ إِلَيْهَا
 وَإِنْ قَوْمٌ حَبَسُوا عَنْهَا حِمَاهُمْ
 نَخَلَتْ الْقُبُورَ فَبَعَثَتْهَا
 وَتَفْرُحُ إِنْ بَكَتْ أُمَّ بِنِيهَا
 وَإِنْ لَهَا غَدَاةُ الْحَرْبِ عُرْسًا
 تَرُوعُ صِفَاتِهَا خَطًّا وَسَهَا

وَمِنْ آيَاتِ تَنْقِيمِ الْأَمْرَا
 عَلَى مَا صَادَقَتْ قَلًّا وَكُثْرًا
 عَطَشِي لِلدِّمَاءِ تَوْمٌ نَحْرًا
 وَقَطَبَ وَجْهَهَا لَغْبًا وَضْرًا
 إِذَا هَجَّتْ بِلَا هَزَلٍ فَحَذْرًا
 غَنِيْمَتِهَا وَتَهْصِرُ مَا أَشْخَرًا
 فَتَكْسَحُهُ^(١) وَتَعْفُو مِنْهُ أَثْرًا
 وَتَصْرَعُهُ وَتُخْلِي مِنْهُ صَدْرًا
 غَوَائِلِهَا وَلَا يَسْطِيعُ صَبْرًا
 بِهَا تَكُلُّ فَتَنْعَى النَّسْلَ دَهْرًا
 إِذَا حَمَلَتْ عَلَيْهِ وَلَا مَقْرًا
 وَلَوْ أَهْدَى لَهَا دَرًا وَدُرًا
 وَضَافَتْ حِيلَةً فِيهِمْ وَمَكْرًا
 وَلَمْ تَتْرِكْ بِهَا ضَمَّتَهُ سُورًا
 لِسُوءِ نَابٍ أَوْ شَرِّ أَمْرًا
 وَمِمَّا يَكْسِرُ الْجِيْشَانَ جَبْرًا
 فَكَيْفَ وَقَدِ بَدَتْ لِلْعَيْنِ جَهْرًا

فِيَا بُشْرَى لِقَطْرِ عَنْهُ نَاعَتْ فَإِنَّ عَلَيْهِ يَهْيِي الْخَيْرُ قَطْرًا
 وَوَجَّحَ لِلْبِلَادِ وَمَنْ عَلَيْهَا بِرُؤْيِيهَا وَسَاعَتْ مُسْتَقْرًا
 وَأَكْثَرُ أَنْيَابِ الذَّنَابِ فِي رُوسِيَا وَسِيبِيرِيَا وَقَرْنَسَا
 وَإِسْبَانِيَا وَإِيطَالِيَا وَالْهِنْدِ وَمِنْهَا قَلِيلٌ فِي سُورِيَا . وَلَا عَجَبَ
 إِذَا تَكَثَّرَتِ الذَّنَابُ مَعَ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَى إِهْلَاكِهَا وَأَحْتِرَاعِ
 الْحِمْلِ وَالْأَوْهَاقِ لِإِبَادَتِهَا . لِأَنَّ مِدَّةَ حَمَلِ الْأُنْثَى لَا تَزِيدُ عَلَى
 أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَتَلِدُ فِي الْمَرَّةِ مِنْ خَمْسَةِ أَجْرَاءٍ إِلَى ثَمَانِيَةٍ

- (١) بيت الظبي (٢) قطعاناً (٣) شهوة الطعام (٤) المحبوب
 التي تُطبخ (٥) الكهف (٦) تنص العقل (٧) اظلم (٨) جمع طبة
 وهي حد السيف (٩) الضئ الريش على السهام (١٠) يرمي فيقتل
 (١١) الثبيان الذين لا تجر به لم (١٢) تجمعت (١٣) شدة التعب
 والاعياء (١٤) تجذب وتميل (١٥) طال (١٦) تذهب به
 (١٧) تدرس ونحو (١٨) البقية والفضلة (١٩) جعله بصوت
 كصوت الكلب

البيداء

البيداء أو الممه (١) أو الغل (٢) لا تشبه بوادي القنر ولا صحاري اميركا ولا
 السهول الكيرة التي سلف الكلام عنها . فان تلك السباب (٣) جافة ومجردة

من الاعشاب صيفاَ اما في الشتاء فتثمر ما سيول الامطار والثلوج فتنبت العشب
والكلأ للمواشي

اما هذه الفلاة الواقعة بالقرب من ترعة السويس ولا تبعد عن البحر
المتوسط . فقد تنضي اعوام عديدة لا يهطل عليها قطرة غيث ولا قطرة ندى
ليلاً لترطيب الارض . فلا بدع اذا لم تر عليها نباتاً اخضر ولا عشباً تسومة
الماشية ولا بقولاً ولا اثماراً يأكلها المسافر ولا اشجاراً يتنياً في ظلالها . بل يدوس
فيها على متلظج بجمرة الشمس لا يرى ينبوعاً ولا جدولاً يروي الصدى ^(٤) فهي
سُبروت ^(٥) يلقح

والارض في هذه الغيفاء ^(٦) طبقات ملح كثيفة تغطها صحور رملية او يراع ^(٧)
متنتة وكثبان ^(٨) واحفاف ^(٩) تحتمها طبقة كلسية ملانة بالبحر . ومن هذه التلوفة ^(١٠)
قسم كلة ملح يدعى بمجرة الملح على انه ليس بالحقيقة الا سهلاً ملحياً فقط

والبحر هناك صلب وصلد فتدوس عليه الابل ولا تغور اخفافها . وقد
تسير عليه فتكسر كُتل الملح فمال الخيل ولا تغور الا قليلاً لان تحت هذه
الطبقة طبقة اخرى اصلب منها . ولون هذا السهل ايض ناصع يبهر
الابصار والارض مرتكبة بقطع ملح كبيرة تلالاً كالبُور حتى انك ترى الجوّ
الازرق فوق رأسك اسود بالنسبة الى بياض ذلك السهل

ولا يقطن هذه الحرون والكثبان الرملية انسان ولا حيوان لتبظها
وجلبها الدائم وغياب الطعام والشراب عن قيامها . فترى الصمت والسكون
سائدين في ارجائها كأنك بين القبور . وهي باديتان عظيمتان احدهما في بلاد
العرب وتُدعى بادية العرب والاخرى في افريقية وتُدعى الصحراء

اما الصحراء ففيها اغوار وهاوي رملية عميقة . فقد سير احد ملوك الفرس
(زر كسيس) يوماً جيشاً عرمرماً في هذه الصحراء وعزم على قطعها بنسبه فملك
الجيش عن آخره حتى لم يبد له اثر . لانهم ما نزل عطفاً ودُفِنوا في احافيف
الرمال . وتعاين في هذه الجمال ^(١١) عظام بشر وحيوانات وضواير مششرة على

سحياً . منها عظام الابل والمافرين المنكودي المحظ الذين ملكوا في هذه
الغنائف ^(١٢) . ويندران ترى حياً سوى بعض الضواري ثمقب آثار الركبان
واجبة اغتنام الفرائس

اما الارض الواقعة حول هذه التنوفة فموحشة قفراء . فقد يهطل عليها
الامطار آتية وتجري فيها جداول صغيرة تشرب منها المواشي البرية ويبيت فيها
الكلأ وبعض الاشجار والانجم قدعى واحات وهي تختلف كل الاختلاف عن
الصحاري الرملية لان الوحوش تجول فيها وتكن لفرائسها . فتجمع زئير الآساد
ليلاً وضباغ الثعالب وخرخرة الثور وعواء الذئاب وقباغ الخنازير . وتخرج
السباع من عريستها ^(١٣) تتش عن طعام اللوايح واشبالها فتأتيها بالفرلان
والجماير ^(١٤) والابائل . فانها تلب عليها حين رقادها او اتجاعها الكلاً على غير
حذر فتبش بها . لان الفرلان متى لمحتها تعدو كالبرق فلا تدركها الاسود

وانا سرحت الفرلان اسراياً فجرأت على الدفاع والصلم . فاذا كن لها
نمر وقتت لديه صفاً مرصواً ونحمة بقرونها الطويلة وارغمة على الفرار خائفاً .
لانه لا يجسر على مكافحة اروقها ^(١٥) البتارة فيذهب عنها ساغياً ^(١٦)

ومن اعلاه المسافرين في تلك المواجهل الرياح . فاذا ثارت فجأة كحمت
الرمال ورفعتها الى عنان الجو كالغيوم . فلا يعارضها في زعرعها ميوت ولا
هضاب ولا اشجار بل تقصف في تلك الاغوار والانجاد قصفاً مائلاً فتكاتف
الرمال وتلبد على مر الدقائق ويظلم الافق وترى الشمس صفراء فاقعة كأنها
كسفت . ويبان المسافرون هذه الاعاصير مقبلة عن بعد تنسف الرمال
وتسفيها ويشعرون بحرارها الملظية تلظي الاتون . فيسرعون على الفرار ويفكون
الاحمال عن الابل والدواب ويلقون بانفسهم الى الارض ويلقون رؤوسهم
باردبتهم ويضطجعون كالاموات منتظرين قدوم هذه الريح التي يسمونها الخماسين
اورج السوم

اما الابل فتعلم ذلك بالمليقة فتبرك على ركبها وتصك خطوها بالرمال

تتمر خياشيمها . وإذا بالريح قادمة في مزينر قاصف تكس الرمال فتتشر
دقاتها في الهواء وتضك بظاهما ودقة ذرايعها الأبدان . حتى إذا استنشمت
انسان كوت حلقومه وكادت تخنقه وتذهب بنفسه
وقد يغطي الرمل اجيادا الركب ^(١٨) كلة حتى يوشك ان يدفعه حيا .
فيتمرك رجاله ويحاولون نفضة عنهم ولكنهم لا يرفعون وجوههم عن الارض قط .
وإذا دام هبوب هذه الحُرور ^(١٩) وتقا طويلاً جفت مياه المسافرين في زقاتهم .
ثم متى كفت عن الهبوب نهض القوم شاعرين بحرارة لا تُطاق يصعدون زفرات
العناء ويشكون من لدغ الرضاء جلودهم الجافة جفاف الرمال . ولكن ان
احكوا لث رؤوسهم وتطليها لا يلزمهم ضرر يُذكر
ويشتد ظمأ المسافرين في هذه الصحراء وكذلك الهائم والدواب حتى ان
الابل تمتص الماء المالى أكياس معدما للحبوة فتنفثه وتشر بصدى وألار ^(٢٠)
شديدتين فتهد اعناقها وتلويها من جانب الى آخر لتشتم الماء . فان لما خاصة
شبه من مكان محقق ^(٢١)

ويبدو للناظر في تلك الهباء ^(٢٢) شبح بعيد يجاكي بحيرة جميلة يتفرق فيها
الماء وتلوح منها صور هياكل وقبب وأشجار متعكسة عنها . فتخال نفسك قادماً
الى مدينة عامرة . فيستبشر الركب بوصولهم الى ينبوع او جدول حتى الابل
تحث المخطى وتنص ^(٢٣) مادة اعناقها . واذ ذاك لا تسمع في القافلة إلا كلة الماء
الماء فتناقلها الالسن وتلعج بها . اما الأدلاء البدو فلا يفترون بمثل ذلك
ويجرون من اختراع ابلهم بهذه الظواهر . ولا غرو فان هذا الرسم ليس سوى
خيال وهي يدعى سرايا علة انعكاس اشعة الشمس على الرمال المنظية . اما
الخيالات والاشباح فيقطع صخور وحجار كبرها النظر فتجسبت ولاحت كهاكل
وأشجار . ولا تطلع من ذلك كون الألار والصدى أثرا با بصر السفر في القنار
فخالها الروم حقيقة وعرايم الفشل والقنوط عند استجلاء العلة الاصلية . لانه متى
بلغ المسافر هذه البقعة تلاشى ذلك المنظر من امامه وتبدد وزالت صورة تلك

الاشياح البادية على وجه البحيرة ولم ير غير قنار رملية . اما الدليل البديوي فلم يصب بمثل ذلك لخبرته ودرايته بهذه الارض بل يبحث السير الى الامام حتى يبلغ الينبوع الحقيقي فيبرد ظمأه

على ان تلك المهامه وان وُصفت بالقحول والجفاف لا تخلو اطرافها من بقاع خضراء نضرة تدعى واحات بحيث يعمت شجر النخل الذي يضرب اصوله في الرمل ويستمد منه الغلاء ويمتل حرارة الهواء واشعة الشمس المخلطية. وفيها آبار وينابيع ماء قليلة كواحة ايليم التي حلَّ عندها بنو اسرائيل قديماً فوجدوا آباراً ونجلاً. ومنها ما هو فسيح المجال كثير الكلال غزير الينابيع يسوم عليها عرب البادية مطاياهم ومواشيهم ويضربون فيها خيامهم ويتفناً تحت وارف^(٢٥) ظلالها المسافرون وابناء السيل . فقد شبه بعضهم تلك الصحاري بمجلد نمر مرقط برقط سوداء على اديم اصفر . اما اللون الاصفر فالرمال واما الاسود فالواحات . وفي بعض هذه الواحات عدا النخيل اشجار التفاح والشمس والرمال والموز والكرم والقول والازهار كحلتاق سائر البلاد

- (١) المفازة البعيدة (٢) ارض بعيدة الاكثاف لاماء فيها ولا يصيبها
 - مطر (٣) المفازة او الارض المستوية البعيدة (٤) العطش (٥) الارض
 - القفرة التي لاماء فيها (٦) المفازة لاماء فيها (٧) حجارة يعض
 - (٨) تلال رمل (٩) المعوج من الرمل (١٠) ارض واسعة لاماء فيها
 - (١١) ارض لا يهتدى اليها (١٢) مفازات (١٣) مأوى الاسد
 - (١٤) حيدر الوحش (١٥) قرون (١٦) جاتماً (١٧) رياح
 - عقب من الارض كالعمود (١٨) ركبان الابل (١٩) ريح حارة
 - (٢٠) العطش (٢١) بعيد (٢٢) مفازة لا يهتدى فيها الطريق
 - (٢٣) تستضي آخر ما عندها من السير (٢٤) المسافرين (٢٥) اتساع
- الظل وامتداده

العرب

اخلاقهم وبعض عوائدهم

تُسمّ العرب قسماً كبيرين حضراً وبدواً (اهل و بر). اما الحضرة فسكان المدن والامصار والقرى . وهم يزاولون الزراعة والفلاحة والصناعة والتجارة . ويرتبطون بنواميس وشرائع متروكة مكتوبة ويخضعون لوازع اهل ولاة وحكام يتوبون عنه في السياسة والقضاء وادارة الاحكام . يعيشون في الغالب بالمسالة والامن ويتمتعون بلوازم الحضارة من الترف ورخاء العيش ولم مع بعضهم علائق وصلات ومعاملات يقتضيها العمران والتدين . اما اهل الوبر فعرب البادية الرحل الذين يأرون المضارب والنخام ويعطنون^(١) لانتجاع موارد الكلا لمواشيهم ورواحلهم وهي اقم مصادر رزقهم ومعاشهم . ومنهم من يتخذ الغزو وشن الغارة والسلب حرفة تحت قيادة زعيم او شيخ او امير يعتبرونه بمنزلة الحكم والوازع^(٢) بينهم . ولم سنن تقليدية يتوارثونها خلفاً عن سلف ولا يحولون عنها . وهم ينقسمون الى قبائل وعشائر وطوائف ويطون واتخاذ يطول الكلام عليها

وقد وُصِف عرب البادية بالشجاعة والبسالة والاقلم والمرورة والتجوة وحفظ الدمام وقرى الضيوف وطلاقة اللسان وبنامة المخاطر ونظم الشعر . وقد نبع بينهم ولا سيما في سالف الايام خلق كثير من الشعراء الجيدين والمخطباء الملتفين والكتبه البارعين والاحياء المشاهير الذين يُضرب بذكرهم المثل . اما الآن فقد انحطت درجة العلوم والمعارف بينهم واصبح جلهم هجماً دأهم المغازي والحروب . الا من نزل منهم في جوار الحضرة والفلاحة والزراعة والفلاحة والمعاملات التجارية وخضعوا لاحكام الدولة الثانية المظفرة . واستظلوا تحت

لواء شرائها وستنها العادلة . فأنتموا من الطوارق ^(٢) والدواهي في حيا الخليفة
 الاعظم الذي اقرّ بتمو سلطانه البدو والحضر من سكان السهل والجبل .
 وطوق قلائد فضله وقسطه اعتناق تبعته على اختلاف الملامب والمحل ^(٤) . فأن
 جيرانهم غوائل غاراتهم الموقفة ^(٥) واسى الجميع بدعون لجلالة ملكهم الباط
 عليهم سرادق ^(٦) نعتهم الورقة الظلال . والرافع فوقهم اعلام سطوته الراححة
 رسوخ الجبال

فلنا ان دأب عرب البادية الرحيل والتنقل حاملين معهم الكراع ^(٧)
 والمناج يرودون الينابيع والآبار وينشدون المراعي والكلا حتى اذا طاب لم
 مكان حلوة فصرىوا فيه المضارب واغرموا الثيران وسرحوا المواشي وقاموا
 باعمال الجز والحلب والصر ^(٨) حتى تسمو الماشية اعتناء فينادروثة ويطعنون
 طالين متراً آخر . والعرب كرماء الطباع يقرون ^(٩) الضيوف ويحملون
 وفادتهم ^(١٠) . فاذا طرقت خيمة اعراي زائر عمياً لضيافته فامر زوجته ان تذهب
 الى الطبيع وتختار خروفاً او جذياً فيذبحه وتباشر المرأة طبخة فتطبخه ^(١١) بلبن
 الناقة وقدمه للضيوف برنته وهذا يذكركنا بايام ابرهيم حين امر سارة باحضار
 عجل وذبحه واعادته للوفد الالهي

ولنساء العرب قناعة واقتصاد وعفة وخضوع لبعولهن وقنن باكثر الاعمال
 المترتبة واثقتها . ولم جميعاً جلد عجيب على احتمال مشاق الحر والبرد واتعاب
 السفر . وترى البدوي يضرب خيمته في الغلاة وان قرس البرد ويصيح مكشوف
 القدمين بلا نار للتدفئة ويلتف بعباءته ويهنا في الرقاد ويتدد في الصيف على
 الرضاء ملتناً بكماؤه في هاجرة الشمس ناعم البال قمر العين غير مبال
 بالهجير

ومنى نصب الاعراي خيمته دق رمة في الارض وهو قضيب طويل من
 الزان في رأسه سنان فولاذي مزدان عند اعلاه بريش النعام . والرح للبدوي
 سلاح خطير لا غنى له عنه . ومنى سار في القنار شحنه واذا شاء القاءه على عس

وازنة فوق رأسه وهزّه برهة ثم رمى به بقوة فتسمع له دويًا وصليلاً . وإنا كان العدو وراءه القاه إلى خلفه برشاقة يُعجب منها . فقد قتل جواد خصمه بانقائه سانه على هذا المنوال . ومن السخة البدو أيضاً السيوف الفاطمة الفولاذبية ويتنافسون بالصوارم اليمنية والفراند^(١١) المفضضة والمذمبة . ولا يكاد البدوي يفارق حسامة حتى في مضارب خلّائه وجيرانه . ويتقلد العرب أيضاً بالخناجر ويجلون البنادق النارية فيسدّدونها حسناً ويحسّنون اطلاق المرمى . وقد يضطجعون على الأرض حين القنص ويطلقون الرصاص باحكام يتدبران يخطئ . ويستعمل العرب أيضاً المقلاع ويجدون الرمي به ولا سيما الرعاة للدفاع عن المواشي من ضواري البادية . وقد برع البدو جداً باستعمال السلاح وعلى الخصوص السيوف فهي طوع بنانهم لتمرّثهم على استعمالها منذ الحداثة

ويركب العرب (البعج) التي تسابق الرياح في سيرها فينقطعون عليها المسافات الطوال ولا يشعرون بالعناء والتعب . وأكثرهم يمتدّون الغزو وشنّ الغارات والسلب شأنهم منذ زمن اسمعيل . فهم آفة السياح والمسافرين وبناء السبيل . إلا إذا استجار المماقر بشيخ القبيلة ورئيسها وسار تحت حمايته بعد استرضائه بالدرهم والخلع أو كان تزيلة وقد ذاق خبزهُ ولحمة . فان العرب يمتدّون تزيلهم كل الاحترام ويحبرون المستغيث فلا يمسونه بسوء بل يدفعون عنه حتى الموت وإن كان قاتلاً اعترّ انسابهم . انما متى خرج مثل هذا من خيمة مضيقه فلا يأمن من بوائق^(١٢) اخذ النار . لان البدو يعتبرون الاخذ بالنار من اهم الواجبات ولو بعد امد مديد كما هو مشهور عنهم . واذا تمكّنوا من سلب قافلة او مسافر قلما يتعرّضون للبطش باصحابها إلا اذا امتنع المسلوب منه عن اعطاء ساليو ما يروم

وتركب نساء الامراء والسراة الابل في موادج ومخفات ضمنها مقاعد للجلوس وفي اعلاها شبايك من قُصْب مشبكة يمدلون عليها النسيج الموشى والعرب احفظ الخلق ذماماً واحصنهم عرضاً وكرمهم قرى واقدرهم على

تحمل المشاق واحبهم للحرية والسكنى في الفلاة. ومن شيمهم ايضا الامانة والوفاء
 وبأنفون من اخلاف الوعد ولا يحصى عندهم من اخذ الثأر . ولم مناقب
 ونخال غير هذه حمسة وسبعة لا يجتمل المقام الاسهاب فيها
 ويعتقد العرب بالنال والتبين والشاوم والطير^(١٤) والكهانة^(١٥) والعيافة^(١٦)
 والقيافة^(١٧) والزجر^(١٨) والقراءة اكتفينا بالالماع اليها . وكانت العرب تستعمل
 المير والازلام^(١٩) والقلاج^(٢٠) وهي قارم غير ان الشريعة الاسلامية نهت عن
 مثل ذلك

- (١) يسبرون (٢) مديبر امور الجيش . (٣) دواهي او مصائب
 (٤) اديان (٥) ملكة (٦) فسطاط (٧) الخيال والبغال
 والحبير (٨) شدضرع الناقة (٩) يضيفون (١٠) قدوم
 (١١) نطجة (١٢) الصيوف (١٣) دواهي (١٤) الفأل الردي
 (١٥) القضاء بالنيب (١٦) زجر الطير للتعداد والشاوم (١٧) تتبع
 الاثر (١٨) تناول بالطير (١٩) سهام كانوا يستعملون بها
 (٢٠) سهم المير

العرب

حيواناتهم ومحصولاتهم وبعض صناعاتهم

ان للعرب اليد الطولى في تربية الابل والقيام على تاجها وطلب الاتاج
 لما لا يتباد^(١) مراعيها ومفاحص^(٢) توليدها لشدة الحاجة اليها في بلادهم . فهي
 مراكيم التي يجملون عليها احمالم وينقلون اطفالهم ويأكلون لحومها ويقناتون

على البانها ويكتسون من اوبارها . ويقايضون عليها في المبيعات ويتدون
اسرام بها ويعطون منها في الغرامات والديات والمرامات ومهر الزوجات
وبالمجلة في مصدر غنم

والعرب ايضا خيل مشهورة في الجودة والجمال والاصل . وحبر حسنة .
وعندهم المعزى والغنم وهم يتنون بقرينتها كل العناية . ومن حيوانات بلادهم
الجاموس وبقر الوحش والفراء والخترير والارنب والغزال والظبي والذئب
والوعل والثعلب وابنت آوى واليربوع والنسناس والنعام ومن الطير
التطا والمجل والصقر والكروان والغراب والبيج والرخم والمهدد والسمير . وفي
بلاد العرب احتاش وحيات مؤذية وغقارب وضباب^(٢) وابواع من النمل
والرتلاء وكثيرا ما يمتطو على هذه البلاد الجراد ويقال له الجندب فيتلف
اغراسها . واكثر ما يستوطن في مفاوز نجد

ومن محصولاتها الخاصة المر والبلسان والبن والحناء والطح الذي منه
الصمغ العربي والتارجيل والتمر الهندي والتجل والقلقل والفض والنج والنبلة
وشجر اللبان وغير ذلك

ويتقرب قبائل البدو بعض ارباب الحرف والصنائع كالصاغة والحذادين
والبيطرة والسروجية قادمين من القرى المجاورة للبادية ويصرفون الصنف
معهم في الخيام للشغل . اما العرب انفسهم وان كان لا غنى لهم عن هذه الصنائع
وما مائلها فيذهبون الى ان مقام الصنائع دون مقامهم ويأفنون من تعلمها
وزاولها . فيصحبون للبيطار بتعل خيولهم وللصائغ بصباغة حلي نسائهم ولكنهم
لا يتقنون^(٣) لهم على قبياتهم . واذا شاء صانع الاقتران بزوجة تحم عليه العقد
على فتاة من عشيرته او من بنات الاقراء

وقد يمارس البدو بعض الصنائع النافعة كالسماجة والديغ والصبغ . ولا
يدبغون الا جلود الابل فيصلحونها ويتركونها يومين او ثلاثة . ثم يمشونها في
العصيدة . ثم يصلحونها بالماء الصافي ويكشطون عنها الشعر . ثم يأخذون قشر

الريمان او ورق الماق الجاف ويحفونه ويخرجونه بالماء ويتفرون الجلود فيه اياما

اما شعر المعزى فيستعملونه محوكا لعل المضارب والبلس ولغايات اخرى. وتحوكة النساء على الانوال. فترى الام وبناهما جالعات في الخيمة ينجن وتغزلن ويغزلن اردبين وردية رجالهن

(١) طلب (٢) الاماكن التي تكشف التراب عنها للتوليد

(٣) حيوانات تشبه الورل او اثني المرذون (٤) يرمون عقد الزيجة

العرب

خيامهم وانائم

خيمة الاغرابي محوكة من شعر الهايز منسوجا نسيجا متينا ومخيطه مما ومتصبة على اعيدة ودعائم كثيرة. تحوي على غرفتين احدهما للرجال والاخرى للنساء. يفصلها عن بعضها ستر صوفي خشن ابيض مدلى من السقف. وارضها مفروشة بالبلس او البسط. وكان العرب يقسمون الخيمة التي يسكنونها بسنارة مخجبة فيها النساء وكانت في ظهر البضرب. وجعلوا البيت الذي يضرب في مقدم البيوت منزلا للغرباء فلا تكون فيه الخدرات ويسهونه اليه.

وَبَيْتُ النِّسَاءِ أَحَدُهُ. وَمِنْ أَنْوَاعِ هَذِهِ الْبُيُوتِ السَّرَادِقُ وَهُوَ
 خَيْمَةٌ مِنْ نَسِجِ القَطَنِ. وَالْفِسْطَاطُ وَهُوَ بَيْتٌ كَبِيرٌ مِنَ الشَّعْرِ.
 وَالْحِجَابُ بَيْتٌ مِنَ الصُّوفِ يُقَامُ عَلَى عَهْدَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ. وَالنِّجَادُ
 مِنَ الوَبْرِ. وَالشَّعْشُعُ مِنَ جِلْدِ. وَالسُّتْرَةُ مِنْ طِينِ يَابِسٍ. وَالْحَيْبَةُ
 مِنْ غَزَلٍ. وَالقُبَّةُ مِنَ اللَّبَنِ. وَالْحُظِيرَةُ مِنَ الشَّجَرِ. وَالطَّرَافُ
 مِنَ الْأَدِيمِ.

وَيَضَعُ الإِعْرَابِيُّ فِي وَسْطِ حَجْرَتِهِ رُكَامًا مِنَ الأَجْرِبَةِ
 وَالزَّرْفَانِي وَجَوَالِقِ الحِطَّةِ حَتَّى تَكَادَ تَبْلُغُ سَنَفَ البَضْرِ.
 وَالسَّلَاحُ أَيْضًا وَأَقْتَابُ الأَيْلِ وَهِيَ تُسْتَعْمَلُ بِهَيْزَلَةٍ مَجَالِسَ
 وَكَرَاسِيٍّ مَجْلِسُ عَلِيهَا الرِّجَالُ وَيَدْخُنُونَ. أَمَا غُرْقَةُ النِّسَاءِ
 فَتَحْوِي أُمَّتَةً وَافِرَةً مِنْهَا أَدْوَاكُ الطَّنْجِ وَهِيَ فِي الغَالِبِ
 طَاجِنَانِ نَحَاسِيَانِ وَرَحَى اليَدِ (جاروشة) لَطِينِ الحِطَّةِ وَجُرْنٌ
 خَشْبِيٌّ وَمَدَقٌ لِدَقِ البِنِّ وَقِصْعَةٌ خَشْبِيَّةٌ لِلبِنِّ النُّوقِ. وَكَأْسٌ
 خَشْبِيٌّ لِلشَّرْبِ وَإِبْرِيْقُ قَهْوَةٍ. وَمَنْ شَاءَتْ رَبَّةُ المَهْرَلِ
 طَهَى الطَّعَامَ وَضَعَتِ الطَّاجِنَ الأَكْبَرَ عَلَى النَّارِ فَوْقَ مَوْقِدِ
 مَوْلَفٍ مِنْ ثَلَاثَةِ حِجَارٍ يَدْعَى إِثْفِيَةً. وَفِيهِ أَيْضًا قَتَبُ النِّسَاءِ
 الَّذِي يَضَارِعُ السَّرِيرَ يَضَعُهُ عَلَى ظُهُورِ المَطَايَا فَيَهْتَبُهَا.

وَهُوَ مُزْدَانٌ يَنْطَعُ نَسِجٌ مُلَوَّنَةٌ وَعَلَيْهِ رِيشُ النَّعَامِ يَجْتَفِقُ فِي
 الْهَوَاءِ عِنْدَ سَيْرِ الرَّوَّاحِلِ. وَمِنْ أَدْوَانِهِمُ الْبِهْمَازُ لِحَتْ
 الْعَيْسِ^(١) عَلَى السَّيْرِ إِلَى الْأَمَامِ وَالْأَجْرَاسُ الصَّغِيرَةُ لِتَعْلُقَ حَوْلَ
 أَعْنَاقِهَا. وَكَيْسٌ يُوعُونَ فِيهِ وَبَرُّ الْأَيْلِ عِنْدَ سَفْوِطِهِ^(٢) أَثْنَاءَ السَّفَرِ
 وَفِيهِ أَيْضًا الْمَاءُ الَّذِي يَنْقَلُونَهُ فِي الْبَادِيَةِ عَلَى ظُهُورِ
 الْجِبَالِ. فَتَرَى الْبَدَوِيَّ فِي الصَّحْرَاءِ يَضَعُ فَمَهُ فِي فَوْهَةِ الزَّرِقِ
 وَيَشْرَبُ. وَفِي حُجْرَةِ النِّسَاءِ أَيْضًا الْخِوَانُ وَالْفِصَاعُ وَالْحِجَانُ^(٣)
 وَدَلْوٌ مِنْ جِلْدِ الْأَبَاعِرِ^(٤) لِيَحْتَبِ الْمَاءَ مِنَ الْأَبَارِ مَنْوُطٌ بِسَيْرٍ
 مِنْ جِلْدٍ أَيْضًا

وَالْبَدَوِيُّ سِلْسِلَةٌ حَدِيدِيَّةٌ ثَمِينَةٌ لَدَيْهِ جِدًّا طَرَفُهَا
 الْوَاحِدُ مُتَّصِلٌ بِحَلْقَةٍ يُحِيطُ بِأَحَدِي قَوَائِمِ جَوَادِهِ الْعُجُوبِ.
 وَلَهَا قُفْلٌ خَاصٌّ بِهَا وَالْآخِرُ فِي رِزَّةٍ مَغْرُوزَةٍ فِي الْأَرْضِ قُرْبَ
 فِرَاشِهِ بِسَبَبِهَا قَيْدًا. وَعَلَى هَذَا تَضَعُ سُرْفَةُ الْجَوَادِ. غَيْرَ أَنَّهُ
 يَأْتِي سَلَالُونَ أَحْيَانًا إِذْ يَكُونُ الْبَدَوِيُّ مُسْتَغْرِقًا فِي النَّوْمِ
 فَيَجْتَالُونَ عَلَى الْفَرَسِ

- (١) عدل كبير من صوف او شعر (٢) برادع (٣) حجر يوضع
 عليه القدر للطبخ (٤) الابل البيض يجالط ياها شفرة (٥) فصاع
 كبيرة (٦) جمال

قال الرئيس ابن سينا في وصف النفس

مبطت اليك من الخلل الازرع
 محجوبة عن كل مقله عارف
 وصلت على كره اليك وربما
 آلت وما آلت فلها واصلت
 واطنهما نسبت عهدا بالحي
 حتى اذا اتصلت بهاء هبوطها
 عانت بها ثاء القبل فاصبحت
 تبكي وقد ذكرت عهدا بالحي
 حتى اذا قرب المسير الى الحي
 وغدت تترد فوق ذروة شامق
 وتظلل ساجدة على الدمن التي
 اذ حانها الشرك الكفيف وصدما
 وغدت مفارقة لكل مخلف
 هجت وقد كئف النظاه فابصرت
 وتعود طالة بكل خبي
 فلاي شيء اميطت من شامق
 ان كان اميطها الاله الحكيم
 فهبوطها ان كان ضربة لازب
 وهي التي قطع الزمان طريقها
 فكانها برق تالت بالحي

ورقاه ذات تعزير وتنع
 وفي التي سمرت ولم تفرقع
 كرهت فراقك فهي ذات توجع
 آلت مجاورة الخراب البلقع
 ومازلا بفراتها لم تنقع
 من ميم مركها بللر الاجرع
 بين العالم والطلول المنقع
 بملامع تهي ولما تنلع
 ودنا الرجل الى القضاء الوسع
 والعلم يرفع كل من لم يرفع
 درست بتكرار الرياح الازرع
 تنص عن الأوج الفسح الازرع
 فيها حليف الثرب غير مشع
 ما ليس يدرك بالعيون الفجع
 في العالمين فخرها لم يرفع
 سام الى قصر الخبيض الازرع
 طويت عن الفذ اللبيب الازرع
 لتكون سامة لبالم يسع
 حتى لقد غرمت بغير المطلع
 ثم انطوى فكانه لم يلع

العرب

طعامهم ومضايقتهم

يترج العرب الدقيق بالماء ويعجنونه ويعجزونه ملة على رماد الاثافي . ثم يخلطون ملة قليلاً من السمن ويضعونه على الخوان ويترجون معه لبن النوق او الماعز ليدسم ويطيب. وخبزهم فطائر مستديرة تشبه الكعك يعجزونها على الصاج مؤونة كل يوم بيوم.

ويصنع العرب سمنهم من اللبن الرائب وذلك بأن تضعه المرأة في زق او شكوة^(١) وترطها باحد اوتاد الخيمة . وتأخذ بخضه ساعة او ساعتين فتكبل الزبدة على وجه اللبن . ولما تفرغ من الخض يأخذون ذلك الخض ويغفونه على النار ويطرحون فيه قبضة من الدقيق والطحين^(٢) السمن ويرسب الثقل . اما اللبن الراسب فيتفتنون به اذ يستعملونه في صنوف الطعام . وقد يضربون السمن ببعضه ويعجزونه ويعجنونه في الشمس حتى يحمو ويطنونه كالحنطة في رحي اليد ويصنع العرب طعاماً من الكفاة النابتة تحت الارض . فتقى افرخت وبدت جذيراتها فوق التراب في فصل الربيع يبعث اولاد البدو الارض باوتاد وتجمع كل عائلة منها غللاً وتذخرها مؤونة لقومها زماناً فتتصد بها عن لحوم الماشية . وهم يأكلونها معلوقة او مشوية او يعجنونها مع اللبن والماء ويعصونها بالسمن اللائب

والبدو يقتصدون بطعامهم جداً فيكتفون فيه الغالب باللبن والتمر او بالثريد والاقظ . ويقتصدون الغزلان ويعجنون لحومها في الشمس فتزودهم بالطعام اياماً . ويصيدون ايضاً البرايح^(٣) والضباص وتدعى فأر الصحراء لانها تشاكل فأر المنازل العادية ولا تختلف عنها الا بكبر آذانها وطول اذنانها .

ويستطيب العرب لحم البرامبع

قلنا ان العرب ذوق قناعة في المآكل نظراً لقل بلادهم . فان رعايم
لا يأكلون الا وقعة من خبز ردي مصنوع من الذرة ويأتمون باللبن والسمن
ونحوها ويقل أكلهم اللحم . ويسمون المشوي منها بالحنيد والمنضج في القدر
بالقدير . ومن صنوف اطعمتهم الثريد وهو أرز ودقيق ولبن تُقلى على النار .
والاقط وهو خبز وتر ومن ممزوجة معاً . والرهيذة وهي حنطة تُدق ويصب
عليها اللبن . واللبيدة وهي العصيدة الرخوة . والرهيذة وهي حب الحنظل الحلي
يُطبخ ويضاف اليه شي من الدقيق . والبكيلة وهي اقط بكت يسمن . والوديكة
طعام من الدقيق والشحم . والبريك الرطب يوكل بالزبد . والبروك الخبيص
يعملونه من التمر والسمن . والبسيسة سويق او دقيق او اقط مطحون بكت
بالسمن والزيت . والرهيذة جراد يُطبخ ويُنصف ويدق ويخلط بدم . ومن
مآكلهم ايضاً الفالودج وهو لباب الحنطة يربك مع عمل النحل . واللوزنج
وهو نوع من الحلوى يُحشى باللوز والسكر وهو شبه القطايف . ومن ذلك
السكاج الى غير ما ذكر . ولا يعول في الصابون عندهم لاجل النظافة الا قليلاً
وقد يولون الولايم ويأدبون المادب فيجمع العشرة باسرها او الاضياف
حول الخوان . فيذبحون خروفاً او شاة او جلاً ويقطعون لحمه قطعاً كبيرة
يسلقون بعضها ويشورون بعضها . ثم يسلقون ايديهم قبل الطعام ويسطون
الخوان على الارض ويستعملون فضلات نسيج الخيطة المدلاة الحفاقة في الهواء
مناديل ينشرونها فوق احضائهم . ويأكلون بسرعة لا مزيد عليها . ولا يبالون
بسخونة الطعام الشديدة وان كان في حال الغليان . فعلى الضيف ان يعجل في
الازدراء والا فانه الفرصة ونمض جاتماً . وقد يطهرون مع اللحم الارز ويكثرون
له السمن ويضعونه في جفنة واسعة ويكثرون باصابعهم كتلاً يذفون بها الى
افواههم . واذا كان الخوان لا يسمع سائر المدعوين والضيوف جلس المتقدمون
اولاً ومتى فرغوا اقبل غيرهم . ثم يتمضون عن المائدة ويديهم قطردهنأ فيمحوها

بعوارضهم او بفرائد سيوفهم
 ولا يسبح للنساء بالجلوس مع الرجال بل يأكلن بعدهم. والعرب في بعض
 الحالّ مضايغ يتل بها المسافرون ويأكلون ويشربون بدون مقابل . ومتى
 نزل الضيف عندهم ذبحوا له ذبيحة . وينسلون له رجليه ويتفاسمون له خبزاً
 وملكاً . ومن هذا الوقت يسمي حرماً ما مونتاً مدة اقامته عندهم . فتح كونهم يسلبون
 المسافر في المنازة ولا يرقّ قلبهم لشكواه متى وصل الى اعنائهم وجب عليهم
 اكرامة واحترامة واطعامه ما تيسر عندهم
 ويجب على المضيف ان يتفقد دابة الضيف ويكرها قبل اكرامه . وان
 يحدث اضيافة بما تمل اليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم .
 ويش عند قدومهم ويظهر لم التني ويسط الوجه والطلاقة . ولا يحدثهم بما
 يروعهم به . وان يأمر غلمانة يحفظ تعالم وتتقد خدمهم بما يكتفيهم . وان يتبع
 حاجة^(٤) عن الوقوف يبايو عند حضور الطعام . وان يسهر مع ضيوفه ويوانسهم
 ويرهم مكان الخلاء ويشيعهم وقت الانصراف

(١) وعاء من جلد الماء واللبن (٢) علاولم يرسب (٣) نوع
 من الفأري يسمي بالدرص ايضاً (٤) بواب

العرب

لباسهم

ان العرب يلبسون الاردية الطويلة والبرود العريضة الخفيفة من قطن
 اوصوف . ويلبسون الزعاه والشيوخ والامراء كماه من نسج حريري اوصوفي .

وأكثر البدو حفاة الاقدام مكشوفو الصدور يفتون رؤوسهم بالمناديل
 (الكواقي) الحريرية او القطنية ويلقون حولها لفاقة من صوف مبروم تُسمى
 "بالعالات". وبعضهم يتعممون بالعمائم ويتعلمون بالنعال واذا امكهم الحصول
 عليها استأثروها على تجرد الاقدام. وقد يلبسون سراويل واسعة ويتنطقون
 بجزام من جلد

اما النساء فيلبسن ثوباً قطنياً طويلاً ازرق او بروداً^(١) صوفية وبعضهن
 رؤوسهن بالعصائب. وهن مولعات بالحلي والرشح فيلبسن الدماج^(٢) والخوام
 وربما تخمن في اصابهن العشر ويتزين بالاقراط والقلائد والاساور وتخلين
 كذلك بالجرول او الحجول او الخخال وهي حلية من فضة كسوار كبير يحلج
 تلبسها نساء العرب في ارجلهن. ويقلدن بالقود في اعناقهن والخزام في
 انهن. ومن عادهن ان يدررن الاثمد^(٣) على شفاهن ولثمنن ليشد لسان
 اسنانهن ويشمن^(٤) شفاهن ومعاصهن ويمدنان الثقب على وجوههن. ومن
 عواذهن ايضاً اعمار الشعر وترجيلة وعقد في الفنا وقضية وتجمده وارخاء
 الغدائر^(٥) والعاقص^(٦) والدوامب^(٧) والاكتمال بالاثمد وتخصيب اطراف اليدين
 بالحناء. وتشي نساء العرب في الغالب حافيات بلا نعال. ونساء القراء منهم
 يلبسن قميصاً وسربالاً لا غير. والحديفة السن تلبس الثوذرو وهو المحفة ان
 برداً يُشق من غير جيب ولا اكمام. وتطيب نساء العرب بالاطياب وتضعن
 بالطور

- (١) اثواب مخملية (٢) حلي تلبس في المعصم (٣) حجر يكتمل به
 (٤) ما حول الاسنان من اللحم (٥) ينشق بالابر وفي اللارج دق
 (٦) الناصية او منبتها من الرأس (٧) ضمائر شعر (٨) جمع ذؤابة
 وهي الناصية

العرب

زواجهم وبنائهم

قل في حرائر العرب من ترغب في الزواج بغير من هو كفو لها . وقد يعرض الآباء على بناتهم امر الزواج قبل العقد عليهن . وكان الرجال يرغبون في الثناء الغربية أكثر من النسية ولذلك قالوا في امثالهم التزاع^(١) ولا القرائب . وجرت العادة ان ابا البنت او اخاها انا كان ابوها ميتا او من كانت تحت حجره من الاقارب يمد يده الى المخاطب او الى ابيه او ابنه يكون بعث وسيطاً . في الطلب علامة الرضى واجابة السؤل بعد ان يتفقا على مهر معلوم للزوجة وقد يبلغ المهر مبلغاً عظيماً . فلا يمكن للرجل ان يتزوج بدون اصلاق^(٢) الزوجة شيئاً يعطيها بعضه قبل الزواج وبعضه يبقى ديناً عليه تستوفيه منه متى طلعتها او من تركته بعد موته علا حقها من ارثه

ومتى جاء اليوم المعين للزفاف اولوا الولايم وانشدوا الاناشيد وترغوا بالثناء ولو قعدوا على آلات الطرب . وزقت العروس الى عريسها بعد ان فصلت النماء المسميات بالمواشط شأنها . ويقدم لما الزوج الجلوة وهي اما وصيقة^(٣) او حلية مصاغ او كيمية من القنود . ثم تضرب له قبة فيدخل عليها وينثر للحضور في العرس اشياء كالعكك والنخيص يسمنها النثار . قيل ان التمر كان تثار العرب في اعراسهم . ويقولون عن الرجل هو بعل المرأة او حليلها لانها يجلان متلاً واحداً وقراناً واحداً وعن المرأة هي بعلته او حليلته

ولا بد لنساء العرب من متبنة وهي كيس يضعن فيه مراهم وادواهن . ويضربون الخل بقنارة مرأة الغربية . لان المرأة التي تزوجت بغير قوما لا ترى من تعتد عليه فتحسب ان تبقى مراهما من كل ما يكترها حتى تريحها من

نفسها ما يجنى عليها قزيلة. ولذلك يقولون لمن ارادوا المبالغة في وصف تفاوتها
 "أتى من مرآة القرية"

وإذا لم تحسن المعاشرة بين الزوجين كان للمرأة في الجاهلية حق أن تطلق
 زوجها كما جرت عادة الرجال ان يطلقوا نساءهم . بأن يقول الرجل لامرأته
 الخي باهلك . واما النساء اذا اردن الطلاق وكُنَّ في بيوت من شعرفان كان
 البيت قبيل المشرق حوالة الى المغرب . وان كان ازيد اليمن حوالة الى الشام
 وبالعكس . فتنى رأى الرجل ذلك علم ان امرأته طلقتة فلم يأتمها بعده . غير ان
 الشريعة الاسلامية حظرت^(٤) على النساء تطليق رجالهن

واما الجنائز فالعرب في الجاهلية يندبون الميت بقولهم "واحرماه" وبالرثاء
 في الاشعار وايلاء الحزن والاسف . واما تشيعة عند عرب البادية فيكون بمشي
 الاقارب خلف الجنائز حفاة . وتحملُ النساء شعورهن ويلطحن رؤوسهن بالرماد
 ويحلقن شعورهن حزناً على القيد . ويستأجر العرب النائحات ليظهرن شعار
 الحزن والحسرة ويذكرن مناقب الميت . ثم يجضرن شيئاً من الطعام بعد
 الرجوع من تشييعه . وكانت المرأة العربية اذا ناحت على زوجها في حال
 الوقف والانتصاب علم انها لا تريد ان تتزوج بعده

وربما دامت النائحات في بلاد مصر مستأجرات اسبوعاً او اكثر الى اربعين
 يوماً يندبته صابغات ايديهن بالنبيلة صبغها بالحناء ولاطحات وجوههن ايضاً بها .
 ويحلقن شعورهن ويرقصن في الساحات والمخافل رقصاً مائلاً على قمر الدفوف
 فقرات مزعجة ينشدن عليها بصوت حزين تحسبها خارجاً من قبور الموتى

(١) جمع نزيعة وهي القرية (٢) متى لما صلتها او مهرها

(٣) الجارية دون المرافقة (٤) مصت وحجرت

قال عترة يتوعد النعمان بن المنذر ملك العرب

لَا يَجِبُ لِحَيْدٍ مِّنْ تَعْلُو بِرِ الرَّبِّ وَلَا يَبَالُ أَلْمَى مِّنْ طَبَعِ الْغَضْبِ
لَهُ دَرٌّ فِي عَيْسٍ لَقَدْ تَسَلُّوا مِّنَ الْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَسِيلُ الْعَرَبُ
قَدْ كُنْتُ فِيَا مَضَى أَرعى جِهَالَهُمْ وَالْيَوْمَ أَحْيَى حِمَاهُمْ كَلِمَا تُكْبِلُوا
لَنْ يَبِيحُوا سَوَادِي فَمَوْ لِي نَسَبٌ يَوْمَ التَّرَالِ إِذَا مَا فَاتِحِي النَّسَبِ
إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَنْ يَدِي قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَالْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ
إِنَّ الْأَفَاعِي وَإِنْ لَأَنْتَ مَلَامُهَا عِنْدَ الْقَلْبِ فِي أُنْيَابِهَا الْعَطْبُ
الْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نَعْمَانُ أَيُّ فِتْيِ يَلْقَى أَخَاكَ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْعَصَبُ
فِتْيِ يَخْرُضُ عُجَارَ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا وَيَشْتِي وَسِنَانُ الرَّيْحِ مُخْتَضِبُ
إِنْ سَلَّ صَارِمَةٌ سَالَتْ مَضَارِبُهُ وَأَشْرَقَ الْجَوُّ وَأَشْتَمَتْ لَهُ الْحُجْبُ
وَالْحَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أَكْفَكْنَهَا وَالطَّعْنَُ مِثْلَ شَرَارِ النَّارِ يَنْهَبُ
إِذَا الْفَتَيْتُ الْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ تَرَكْتُ جَعْمَهُمُ الْبَغْرُورَ يَنْهَبُ
لِي الْفُؤُوسُ وَاللَطِيرُ وَالْحَوْمُ وَاللَّسُوحُ وَاللَّحْمُ وَاللَّحْيَالَةُ وَالسَّلْبُ
لَا أَبْدَأُ اللَّهُ عَنِّي عَطَارِقَةً إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جَاءَ إِذَا رَكِبُوا
أَسْوَدُ غَابٍ وَلَكِنْ لَا يُؤُوبَ لَهُمْ إِلَّا الْأَسْتَةُ وَالْمَهْدِيَةُ الْغَضْبُ
تَدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضْرَّةٌ مِثْلُ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقُبُوبُ
مَا زِلْتُ أَلْقَى صَدُورَ الْخَيْلِ مُنْدَفِقًا بِالطَّعْنِ حَتَّى يَفْضِحَ السَّرِجُ وَاللَّبُّوبُ
فَالْحَيْ لَوْ كَانَتْ فِي أَعْجَانِهِمْ نَظَرُوا وَالْحُرْسُ لَوْ كَانَتْ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطْبُوا
وَالْفَقُّ يَوْمَ طِرَادِ الْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْأَقْلَامُ وَالْكَتْبُ

النَّعَامُ

تَمْتَازُ مَطَايَا الْعَرَبِ وَرَوَاجِلُهُمْ بِسُرْعَةِ السَّيْرِ وَقَطْعِ
 الْبَوَادِي وَجُوبِ الصَّحَارِي. وَيَشْتَدُّ هَيَامُهُمْ بِهَا وَمَنَافَسَتُهُمْ فِي
 اقْتِنَائِهَا وَلَا سِيَّمَا الْأَمْرَاءَ وَالرُّعَمَاءَ وَالشُّيُوخَ وَالسَّرَاهُ. وَمِنْ
 ذَلِكَ (الْفَجْنُ) الشَّهِيرَةُ وَالْحِيَادُ الْكَرِيمَةُ الَّتِي يَصِيدُونَ النَّعَامَ
 عَلَى مُتُونِهَا

أَمَّا النَّعَامُ طَائِرُ الصَّحْرَاءِ الْعَظِيمُ فَكَأَنَّهُ حَلْقَةٌ تَصِلُ ذَوَاتِ
 الْأَرْبَعِ بِالطَّيْرِ. وَيَسْتَهْ وَيَتَّ الْجَمَلِ مِنْ أَوَّلِ وَهَلَةِ بَعْضِ
 الْمَشَابَهَةِ فِي الصُّورَةِ وَالطُّولِ. وَيَعْلُوهُ رِيشٌ أَشْبَهُ بِالشَّعْرِ.
 وَتَرْكِبُ بَاطِنِهِ بِشِبْهِ تَرْكِبِ كُلِّ مِنْ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ وَذَوَاتِ
 الْجَنَاحِ مَشَابَهَةٌ شَدِيدَةٌ

وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ النَّعَامَ أَكْبَرُ جَمِيعِ الطَّيُورِ فَإِنَّ عُلُوَّهُ
 بِجَاكِي قَامَةِ إِنْسَانٍ رَاكِبٍ عَلَى فَرَسٍ. وَطُولُهُ مِنْ أَعْلَى رَأْسِهِ
 إِلَى الْأَرْضِ سَبْعُ أَقْدَامٍ فِي الْغَالِبِ. أَمَّا مِنْ ظَهْرِهِ فَأَرْبَعُ قَفْطٍ.
 فَيَكُونُ طُولُ رَأْسِهِ وَعُنُقِهِ ثَلَاثُ أَقْدَامٍ أَوْ يَزِيدُ. وَمِنْ قِبَلِهِ

رَأْسِهِ إِلَى ذَنْبِهِ سِتُّ أَقْدَامٍ طُولًا حِينَ امْتِدَادِ عُنُقِهِ . وَذَنْبُهُ نَحْوُ
 قَدَمٍ . أَمَّا لَوْنُ رُفِّهِ فَالْغَالِبُ فَيَنْ أَسْوَدَ وَالْأَيْضُ بِتَخْلُفِهِ
 رِيشٌ أَشْهَبٌ . وَأَطْرَافُ ذَنْبِهِ وَأَجْنِحَتُهُ بَيْضَاءُ فِي الْغَالِبِ . أَمَّا
 الصَّفُّ الثَّلَاثِي فَأَسْوَدٌ وَأَيْضٌ وَكَذَا بَعْضُ الرِّيشِ الصَّغِيرِ
 الَّذِي عَلَى ظَهْرِهِ وَبَطْنِهِ . وَلَيْسَ لَهُ عَلَى اخْتِزَافِهِ رِيشٌ وَلَا تَحْتَ
 الْجَنَاحِ . وَجَمِيعُ مَا فِيهِ مِنَ الرِّيشِ عَلَى أَصْنَافِهِ نَاعِمٌ كَالرَّغَبِ
 لَا يُمْكِنُ مِنَ الطَّيْرَانِ وَلَا يَقْدِرُ عَلَى دَفْعِ مَا يُلِمُّ بِهِ مِنَ الْخَطَرِ
 وَالضَّمِّ . أَمَّا جَنَاحَاهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَطِيرُ بِهِمَا فَيُسَعِّفَانِهِ عَلَى
 الْهَدَجِ ^(١) وَالتَّقَدُّمِ إِلَى الْأَمَامِ كَأَشْرَعِ السَّفِينَةِ . وَأَمَّا أَعْلَى
 رَأْسِهِ وَرُفَّتُهُ فَيَغْطِي بِشَعْرِ أَيْضًا لَطِيفٍ جَلِيٍّ لَهُ بَرِيقٌ
 كَهَلْبِ ^(٢) الْخَتْرِيرِ . وَهُوَ فِي جِهَتِهِ مَوَاضِعٌ خُصِلَ بِشَهْلِ كُلِّ
 مِنْهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رِيشَةً بَارِزَةً مِنْ مَنِيَّتٍ وَاحِدَةٍ . وَيَقِلُّ فِي طَرَفِ
 جَنَاحِهِ هُنَا ^(٣) كَالْمُهَازِ أَوْ كَرِيشَةٍ قَنْفَةٍ . وَسَاقَاهُ مُحْرَشَتَانِ ^(٤)
 وَمِنْفَارَةٌ قَصِيرٌ مُسَنَّ . وَعَلَى ذَلِكَ كَانَ النَّعَامُ لَا يَجَاكِي سَائِرَ
 الطَّيْرِ فِي خَلْقِهِ وَلَا فِي خُلُقِهِ

أَمَّا مَسْكَنُهُ فَيَنْ الْبِلَادِ الرَّمْضَاءِ مِنْ سَهُولِ أُفْرِيقِيَّةٍ وَأَسِيَاءِ .
 وَلَمْ يُعْلَمْ قَطُّ أَنَّهُ تَنَاسَلَ خَارِجَ الْبِلَادِ الَّتِي نَشَأَ فِيهَا أَوْلَادُهُ .

فَكَانَتْ خُلِقَ لِإِقَامَةٍ فِي الْحَالِ أَحْمَارَةٌ ذَاتِ الرِّمَالِ وَالْعَجِيرُ
 وَلَا يَنْسَرُ إِلَّا بِالْعَجَالِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُنْفَرِدَةِ الَّتِي لَا يَزِينُ
 أَدْيِبَهَا إِلَّا التَّرُّ الْقَلِيلُ مِنَ الْعُشْبِ وَالْكَلَّا وَلَا يَهْطُلُ عَلَيْهَا
 النَّعِثُ إِلَّا قَلِيلًا

وَلَا خِلَافَ فِي أَنَّ النِّعَامَ لَا يَشْرَبُ أَصْلًا. وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ
 مَثْوَاهُ وَحَالُ إِقَامَتِهِ. وَقَدْ شُوهِدَ يَسْرُحُ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ



الْحَوَاطِيَةِ وَيَأْكُلُ مَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حَتَّى الْحَصَى وَالْحِجَارِ بَدُونِ فَرْقٍ
 وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَهْمُهُ قَدُّ الْمَوْوَنَةِ مَا دَامَتْ لَهُ كَثَابَانُ الرَّمْلِ
 وَأَخْفَافُهُ يَسْرُحُ فِيهَا. وَالتَّرُّ مِنَ الطَّعَامِ يَكْفِيهِ فَلَا يَجْتَاجُ إِلَى
 كَبِيرِ كِفَّةٍ. وَقُوَّةُ هَضْبِهِ شَدِيدَةٌ يُعْجَبُ مِنْهَا

وَمِنْ عَادَةِ الْأُنثَى أَنَّهُ تَبِيضُ فِي الْهَرَّةِ مِنْ أَرْبَعِينَ بَيْضَةً
 إِلَى خَمْسِينَ. وَمَعَ أَنَّ اسْتِهْرَارَ حَضَانَتِهَا وَتَرْخِيصَهَا عَلَى بَيْضِهَا
 فِي الْأَقَالِمِ أَحْمَارَةٌ لَيْسَ بِضَرُورِيٍّ لِأَنْغَادِرُ مُبَاشَرَةً هَذَا

الْعَمَلِ لِلشَّمْسِ كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ عَنْ رِوَايَةِ قَدِيمَةٍ بَلْ تَدْفِنُ
 يَضُهَا فِي الْأَدْحِيَّةِ^{١٠} وَتَحْضَنُهُ وَتَسْرُ عَلَيْهِ . وَبِالْجَهْلَةِ لَيْسَ مِنْ
 الطُّبُورِ مَا يَهْمُهُ الْأَعْنَاءُ بِالتَّحَافُظَةِ عَلَى فِرَاحِهِ وَالتَّيَامِ
 مِحْرَاسَتَيْنِ مِثْلِ الظُّلِيمَةِ^{١١} وَالظُّلْمِ . فَإِنَّهُمَا لَا يَنْفَكَانِ مُوَاطِبِينَ
 عَلَى إِمْدَادِهَا وَإِعَانَتِهَا بِجَمِيعِ مَا يَتَسَرَّرُ لَهَا مِنْ أَصْنَافِ الْغِذَاءِ
 الْمُوَافِقِ لَهَا . وَلَمَّا كَانَ أَعْيَابُ النِّعَامِ وَالرَّغْبَةُ فِيهِ مَسْبِيًا عَنْ
 طِيبِ لِحْيِهِ وَنَفَاسَةِ بَيْضِهِ فَضَلَّ عَنْ غِزَارَةِ رِيشِهِ السَّبِي
 وَارْتِقَاعِ فِيهِ كَانَتْ لَهُ أَعْدَاءٌ كَثِيرُونَ بِرَقَبَتِهِ . فَلَوْلَا أَنَّهُ
 كَثِيرُ التَّفَرُّجِ وَإِفْرِ النِّسْلِ لَا تَقَطَّعَ جِنْسُهُ مَدَّزَمٍ مَدِيدٍ
 وَيَقْنِصُ الْعَرَبُ الظُّلْمَانَ عَلَى ظُهُورِ الْجِيَادِ . وَلَكِنْ لَهَا
 كَانَتْ أَخْفَ حَرَكَةً وَأَشَدَّ عَدُوًّا مِنْهَا يَبْعَانُونَ فِي صَيْدِهَا أَشَقَّ
 الْأَتْعَابِ . فَقَدْ يُطَارِدُونَهَا يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً وَهِيَ تَخْفُ^{١٢} أَمَامَهُمْ
 وَلَوْلَا تَعَبُ النِّعَامَةِ وَتَعَثُّرُهَا بَعْدَ هَذَا الطَّرَادِ لَهَا أَذْرَكُوا لَهَا
 إِثْرًا . وَلَوْ كَانَ سَيْرُهَا عَلَى خَطِّ مُسْتَقِيمٍ لَفَانَتْهُمْ وَعَادُوا بِخَيْفِ
 حَيْنٍ . غَيْرَ أَنَّهُمْ تَسِيرُ فِي تَعَارُجٍ بَعِيدَةٍ فَيَلَاقِيهَا الْقَنَاصُونَ عَلَى
 أَقْرَبِ الطَّرِيقِ وَيَصْطَادُونَهَا . وَقَدْ يَذْهَبُ الْبَدْوُ زَرَافَاتٍ^{١٣}
 لِيَصِيدَ النِّعَامَ فَيُحِبُّونَ بِالتَّطَبُّعِ حِينَ انْتِجَاعِهِ الْكَلَامَ^{١٤} يَدْنُونَ

مِنْهُ أَكْثَرُ فَأَكْثَرُ حَتَّى تَصْبِقَ الْحَلْقَةَ وَتَكَادُ تَهْسُهُ فَيَذْعُرُ وَيَأْخُذُ
يُدُوسُ بَعْضَهُ بَعْضًا . فَيَضْرِبُونَهُ بِالْعِصِيِّ حَتَّى يَقْتُلُوهُ . وَيَصِيدُ
الْبَعْضُ النَّعَامَ بِالصَّغْرِ وَالْبَازِي

- (١) ريش صغار النعام (٢) سير النعام (٣) شعر الخنازير أو
الشعر كثة (٤) ثوب (٥) ذات حراشف (٦) حضائرها
(٧) بيت النعام (٨) اثني النعام (٩) يدو (مختص بالنعام)
(١٠) جماعات من الناس

شجرة البن

لا يخفى ان الشاي شراب الصينيين المأثور والقهوة شراب العرب المشهور .
اما منابت شجرة البن الاصلية ففي بلاد العرب ولا سيما الحجاز واليمن . واما الآن
فمستنتجتها في الهند والولايات المتحدة والبرازيل واماكن اخرى . فانه لما كان
قد عم استعمال القهوة وكثر ثارها تفر على بلاد العرب اصناف المطلوب
الكافي من هذا الصنف

ولشجرة البن ساق طولها نحو اثني عشرة قدماً واعصان دقيقة مدلاة الى
اسفل . ولها ازهار بيضاء تتأكل الياسمين . ومتى سقط الزهر برزت الحبوب
شبه الكرز . ورأيت ضمن الكناجح الصغيرة حبتين بقدر حجم اللوباء هما البن بيوت
ومتى بلغت شجرة البن ثلاث سنين كانت في زهوة تزهرها . ومتى حان
الوان اطلعت الازهار البيضاء في ليلة واحدة . فاصبحت الشجرة مكسوة بالازهار
البيضاء كأنها مكللة بالثلج . وحين ينضج الثمر يتساقط من الشجر فينثر صاحب

الاشجار على الارض ملادةً بجميع عليها الثمر. وفي جملة روضه على حصر وجفنه في الشمس . وفصل القشرة الخارجية عن الحبوب بالغسل . فبقى قشرة اخرى صلبة تغلف الحبوب فيترعها بضغطها بين ملاج خشبية ويحسّ البن على النار في وعاء من حديد كالمقلاة . ويُقلب اثناء ذلك بلعقة من حديد او خشب بزيد العناية لئلا يحترق فترشح منه مادة زيتية تختثر حينما تبرد . والقوة من المنبهات المنعشة تُستعمل بدون تحلية او محلاة بالسكر او ممزوجة معه ومع اللبن

قيل ان احد العلماء الفرنسيين اعطى رباتنا مسافراً الى الهند الغربية ثلاثة اغراس بن لياخذها معه ويستنبها. فاعتنى الربان بذلك الاغراس كل العناية. غير ان الماء العذب قد من السعينة اثناء السفر ولم يفضل ما يكفي المسافرين اذا تناول كل منهم جرعة واحدة فباتت تلك الاغراس بدون سقي فماتت منها اثنان . اما الربان فحرص على النسيلة^(١) الباقية وانكر نفسه لحفظها فساقاها الجرة المسموح لهما فعاثت واتعشت وهذه الوسيلة دخلت شجرة البن الى الهند الغربية فتمت واخصبت ووفرت اشجارها وفرحة لا تكاد تُصدق حتى ان حكومة البرازيل وحدها اصدرت سنة ١٨٦٠ مليونين و٦٥٢ الف كيس بلغت قيمتها نحو ثلاثة عشر مليوناً ونصف مليون من الليرات الانكليزية

(١) الخجلة الصغيرة تُقلع من الارض او تُقطع من الام قنرس

الاقليم الاستوائية في الكرة الغربية

ان للاقاليم الاستوائية بها يمتاز عن سائر المسكونة . وذلك بنضارة نباتها وتنوع حيوانها . على انها تشتمل على قسم صغير من الارض بالنسبة للكرة المعمورة .

ولا يخفى ان القسم الاعظم في المنطقة الشمالية المعتدلة تشغله ارض فسيحة الارجاه. اما الاقاليم الحارة فتعمر جزءها الاكبر مياه الاوقيانوس. فكأن اميركا وافريقية الحارّتين جزيرتان في مجر واسع الاكفاف. ولا جرم ان كثرة المياه في هذه الاقاليم علاج شافٍ هيأته العناية لتلطيف اشعة الشمس العمودية المناجحة فوق هذه المياه الوافرة في المنطقة الحارة. وفي علة الفيوث والسيول الخائنة والرياح الدورية ومجاري الاوقيانوس الدائمة. وذلك ما يتوع هواها تنوعاً يجبر الافكار. ناهيك ان الارخيل المندي وشبه جزيرة ملقا وجزائر الهند الغربية واميركا الوسطى تتازلا بحالة باعتبار هواها الناقث من المياه الغامرة امتيازاً اعظم مما لو كانت مجموعة معاً في قارة واحدة

ومن علل تنوع الاقاليم الاستوائية تباين ارتفاع سطحها. فان طو مواضع اراض كبيرة في تلك الاقطار يلطف فعل حرارتها الشديدة ويخولها هواً يحاكي هوا الاقاليم المعتدلة بل اقلها يشاكل الاقاليم الباردة. ولا غرو ان جبال الاندس وحملايا الباذخة من اعظم جبال الدنيا. قدى قممها مكسوة بالثلوج الدائمة ضمن المنطقة الحارة او في ما يبلغي تخومها وهلايته على ان العناية قضت بذلك لتخفيض صرّة^(١) الغزاة فوق مساحة ارض يعود الطرف عنها كليلاً. فلا بدع ان شاهدت في منطقة اميركا الحارة الغربية وفي افريقية واسيا بلاداً واسعة وقلوات شاسعة مرتفعة فوق سطح الاوقيانوس آلاف اقلام يذكر هواؤها المعتدل ومحصولاتها الوافرة المسافر القادم من البلاد المعتدلة بوطء البعيد. ولذلك ترى ان هذه العلل الجوية والجيولوجية التي تخالما ما لا يعتد به قد كست الاقاليم الاستوائية بابدع مطارف^(٢) الجبال والنتع ونوعت هواها تنوعاً يجيب منه وانمت في تربتها فصائل نبات وضروب حيوان تدهل الالباب فاذا اخننا وطاً اميركا الجنوبية تقطة تأملاتنا رأيناها تشتمل على سهول اللانوس العجيبه في فينيزولا وغرناطة الجديدة. وشاهدنا جبال الاندس الشائعة ترتفع ارتفاعاً يذل كل الاقاليم النباتية من البلاد القطبية المكسوة

باللوج الدائمة حتى اراضي خط الاستواء الزامية بالا شجار الضخمة والتبول
 المتلبدة . وتعاين على صعيد يبرو وبوليفيا حيوان اللاما والالبكا والقبسونا
 نرعى الكلا الخصب . وترى حمد الشتاء والربيع الدائم متلانيين دنوا
 لا تراه في سائر اقاليم الدنيا . وتعاين اودية عميقة تخرقها رياح هذه الانجاد
 القاصفة وتظلل المسافر من البرد القارس حتى اذا خدرت اعضاءه من زهرير
 هذه الشواق الرقيقة المنحد الى تلك المضائق المظلمة قرأى نفسه قد نُقل فجأة
 من القطبين الى فردوس ارضي

ولما كانت هذه الودية واقعة في علو لا يشعر به المسافر بالعجز والهواء
 ليس بشديد الرقة والمكان محاط بالجدران الصخرية من عواصف تلك
 السهول الصردة^(٢) اصحبت ذات جوى صاف وهواء مقو للابدان . فيرى
 السائح القادم من البلاد المعتدلة نفمة محاطا بمجول حطة خصبة . وروج
 خضراء واشجار باسنة تكلمها الاثمار اليانعة على اختلاف ضروبها وصورها . فيخال
 ان ساحراً نقله من وطنه البهيم الى جنة غناء بدنية . ولولا الاشجار الغربية مثل
 الكاكس والاغيس النامية عند حضيض الجبال لزاده الامر عجباً واشكالاً
 وتوجد في هذه البلاد العجيبة اقاليم يتأدر بها المسافر مرقده المنطى بالتح
 صباحاً ويقطف قبل غروب الشمس الصنوبر والتمر والموز من اطراف
 الغياض الطبيعية . فقد ذكرته اعشاب السهول القاحلة الجرداء الجافة صباحاً
 بالمنطقة القطبية وقل ان خيم التنق اضطلع تحت اشجار الخن الكبيرة الباسطة
 فروعها الى كل الجهات

ومتى هبط الى شاطئ الباسيفيك اصبح في ساحل يبرو الرمي القاحل
 حيث لا تكاد العين ترى سوى جرف الرمال وركامها ورجم الحجار . ولا يرى
 للنبات اثرأ على مدى اميال عديدة ولا يشاهد ينبوعاً ولا قطرة ماء . ولكن متى
 اتى الى جانب الاندس الآخر بلا لة مشهد عجيب يباين ذاك كل المابنة . فان
 ذلك القطر مفازة جرداء لامة فيها ولا شجر . اما هذا فقنقو^(٤) الامازون

المخصب ملك الامهر وجبارما . فقد حفر ملا النهر لنفسه قناة واسعة جدا وسط
مروج فسيحة وغابات عظيمة

اما نبع الامازون فمن قم جبال الاندس حيث بيني الرخم وكنة . وحوضه
عظيم جدا حتى يمكن وضع اوربا الغربية كلها ضمنه بدون ان تمس اطرافه . وهو
يرتفع واقع في المنطقة الحارة على جانبي خط الاستواء يهطل على مساحته كلها
امطار غزيرة

ويزيد ملا النهر شتاء زيادة عظيمة جدا حتى يبلغ ارتفاع المياه في بعض
اقسامه اربعين قدما ونيفا . فقد شاهد السياح صيفا اشجارا عند ضفة النهر على
جنوبها آثار طغيان سابق علوها خمسون قدما ونيفا . ومتى زاد ملا النهر
العجيب وارتفع طغى على ضفافه الواطئة فهاج وجاش^(٥) وازيد واصبح جريانه في
تلك البقاع رائعا يذمل العقول . فترتجف اشجار الغابات تحت ضغطه
الشديد وتقلع اعظم الجذوع وتحمل مع سيله شامدة لقوتها الغربية . وتسبح
الاسماك والدلافين والحيتان حيث كان النهر ياوي كاسه كما نرى لقرائمه . ولا يبقى
الا بضعة طيور على رؤوس الاشجار العالية فتشاهد ملا العجج وتسمع ملا اللجب^(٦)
الذي ازعج سكنون الغياض

ثم متى عاد النهر الى حدوده الاصلية برزت من ارضه جزائر جديدة
واخضت جزائر قديمة . وامست السفن الماخزة في بعض محالها تحت خطر العنق
من امهار الارياض التي تظلمها المياه . وهذه نازلة يكثر حدوثها ولا سيما اذا هبط
الى النهر مع تلك الضفاف الرخوة اشجار كبيرة

وانما نخر السطح في الامازون رأى نباتات نحر الالباب تزهر ببهائمها
البديع . وتابن الدوح فوقه كظلة غضة باسقة تفرج آونة فيرفع نور النزالة
الحجاب عن اسرار تلك النجاد والوهاد ويخرق البصر اقاصي تلك الادلخال
العجيبة . وطورا تثبت فوقه الفروع والاعصان فتعدل الستر على تلك
المشاهد البهية . وقارة يرى روابي وآكاما وهضابا تسبق اشجارا غياض مشبكة

تنافس جنة عدن. ويصان هناك ايضاً لحاء^(٧) ويمتاز تفرش عليه اكاليل الازهار الجميلة وتضخ الهواء بنذا عيرها. وطبورا فائقة الاحياء تاخر بنفسها الريان الازهار النابتة في هذه الحدائق المعلقة بعضها فوق بعض طبقات فتونسها برخيم سحبا وزخارف ربشها. ويستتر على هذه الاشجار طائر اناكو والمصافير الدنائة تنشب من زهرة الى اخرى كوميض البرق. تحوم لديك هنيهة كأنها تريك لحة من جمالنا البديع ثم تغيب بسرعة تحاكي سرعة الافكار. وتدير بصرك فترى الجوارح ترف في الغاب والتمساح رايض في المياه "كجلود صخر حطة الميل من علي". وتكثر في هذه الأيك^(٨) الوارفة^(٩) القردو المختلفة الاجناس والانواع والاشكال. وكل نوع كراديس وكتائب مكتبة تتهاهب الامار التي يتعذر على فتح تلك الاقطار الفسيحة الاتفاع بها. على ان كثيرا منها يعيش على المحشرات. وكلها تقتصر على سكنى الغابات ولا تخرج منها الى القلوات قط الا اذا الجأها الضرورة القصوى. لان اشجار الغياض ترودها بالطعام الكافي. فتأمن في وطنها غوائل الوحوش الفاتكة ولذلك لا ترى باعنا على ابدالها بالمكان المستهدفة للاخطار

وقد سلحت الطبيعة هذه الحيوانات بقوائم قوية للتسلق والجولان على الاعضان. وامتتها بأيد كبيرة وكفوف مننائة بمادة غروية لتسهيل القبض على الفروع. وخرولتها ذنبا يصح ان يدعى بنا خامسة لا يقل تركيبة غرابة عن خرطوم الفيل مكسو في اعلاه بشعر قصير ومجرد منه في انصى طرفه. فيلفت الفرد هذا العضو العجيب حول الاعضان كأنه اصبع لين وهو مع ذلك متين يتعلق به فيتدلى من النصن ويهتزاز رقاص الساعة فلا يكاد يمسك الفرع الاخر بقوائم الطويلة حتى يلف يده الخامسة عليه ويشب الى غيره. فتراه يتقل على رؤوس الاشجار آمنا من السقوط بسرعة البرق حتى لا تصلة في فراره بندقية الصياد

ومن وحوش هذه الادغال الضارية الثمر الاميركي. وهو شديد البطش

والفتك ويضارع البير برقط جلده ويحاكي النمر البنغالي في جمبه وقوته. تخمينة
النهار كله جاثلاً أو ساجحاً في الامهر الوسيمة . وهو عتو فتاك سوية كان على
الياسة او في المياه . ومتى طارده صياد وادركه هجم على قارب عتوه والجأه
الى القاه نفسه في الماء والفرار بنية السلامة من بطنه . وكثيراً ما مزق هذا
الوحش الهنود الجاثلين في الاقطار القليلة السكان المصلحة ادغالها التخمعة
بالخزون والقنوات واقتصرهم . ولا تجرأ اهل تلك المزارع والضواحي على الخروج
من احشاشهم^(١٠) بعد غروب الشمس خشية فتك النور . فلا تذعره رؤية
الانسان ولا سباً اذا كان منفرداً وقد تصور الوحش جوعاً بل قد يقيم قري
الجبال طلباً لقرانه

اما القواصف التي تنور فجاعة في الامازون فتذكر المسافر بزراع
الاقويانوس . وقبل قدوم هذه الانواع تنذر قهقهة القرد ومواء الخمررة وقباج
الخنازير وزئير سائر الوحوش وعواوئها وهريها وارتياعها الصرغ بوشك كاج
العناصر الجوية . فتخت^(١١) تم الخلل وتختفي حين لا تشع بنسمة تحرك سطح النهر .
ثم تسمع هواء خفيفاً ثم يلتحف الجوّ بالصباب القاتم ويومض البرق ويدلمم
الرعد فكان ابطال الطبيعة تجددت للصلم

واذا بذلك الدوح المهبوب بين وزفر تحت صدمة الزوابع القاصفة .
فتجب الظلة المدلمة وجه الطبيعة ونح الغيوث وابلاً^(١٢) وشايب بين لمع
البروق المومضة ومزم الرعود المزممة فيرتفع النهر كأطواد شامخة ثم يهبط
كأودية عميقة . فادا التت الاقلر سفينة في هلا النهر اضطر ربانها الى مهارة
فاتحة كي يقبها من العرق . غير ان الملاح الهندي قلماً يبالي بهذه الاخطار بل
يجر قاربه يبدن تحركها البراعة والشجاعة مستدلاً على هياج العاصفة بعلامات
يلها فيندر ان تفاجئه على غرة^(١٣) وتطو عليه باواجها العجاجة

ولا يخفى ان اشجار غابات الاقاليم المعتدلة متشابهة النوع في الغالب وقلماً
تزيد عن ضرب واحد من الاشجار . غير ان غياض البلاد الاستوائية تحوي

عيالاً وطواقف لا تكاد تُعدّ تراحم بعضها بعضاً على الحياة. فاذا أُجِلت النظر في بقعة وإن صغيرة لا تجد شجرة تشاكل اختها. ويدولك هذا الاختلاف ولو عن بُعد. فتعاني اشكالاَ وصوْراً غير منتظمة. هنا شجرة تحاكي القبة وهناك اخرى متصبة تضارع المرم مرتفعة فوق الاوراق الخضراء العريضة وهكذا الى ما لا نهاية. ثم متى دنوت من هذا المشهد رأيت ايضاً الوانا شتى تزهر في تلك المنابت الغناء. ولا غرو ان اطراف الاقاليم المعتدلة مجردة في الغالب من الازهار. اما اتجار النياض الاستوائية فمكسوة بازهار كبيرة وممتزجة مع زراجن^(١٤) الاوراق تنافس الوانها البديعة اخضرار الفصون. وتختلط رُوس الاشجار الزاهية بالياض والافرة والاحمرار بالوان اتمم وانعيس. ثم متى ولجت الدوح رأيت للاوراق صوْراً واشكالاَ لم تكن تختطرك بالبال. وشاهدت بعضها امس كالريش وغيرها كثيراً جداً متصفاً الى دوائر منفصلة وسواها ضيقاً. وغيرها عريضاً. ومنها ما هو محدد الرأس او مسننة او واسعة. ومنها الاعم غص كأنه في نضارة الصبا. وغيرها مظلم جاف كأنه في هرم الشجيرة. ومتى هبّ النسيم على الاوراق رأيت بعضها بلون اللجين. وغيرها بلون النضار. وسواها كالنيروزان الزمرد او العقيق

وما يميز الاقاليم الاستوائية تنوع النباتات. غير ان تلك الانواع لا تجتمع اجماعاً يُجب منه أكثر مما في صعيد المكسيك حيث يرتقي النبات من منطقة الى أخرى من حضيض الجبال الى قمم لا مثيل لارتفاعها في العالم بأسره

- (١) شدة حرارة الشمس (٢) اوردية من خزر (٣) الباردة
 (٤) واد وكل مسبل شقة السيل (٥) اضطرب (٦) مياج (٧) قشر
 الشجر (٨) الشجر المثلث (٩) نضرة وتمتعة (١٠) ميوت صغيرة
 (١١) نصوت (مختص بالشجرة والطائر) (١٢) مطراً شديداً (١٣) بقعة
 (١٤) شجر الكرم او قضبانة

الاقليم الاستوائية في الكرة الشرقية

لما كانت افريقية قليلة البواغيز والحلجان والاخوار^(١) كانت ادنى انفازات بالتمدن والمعرفة بلاخيلها اقل من سائر الاقاليم الاستوائية الا اولط اتراليا غير ان ما عُرِفَ منها يدل على انها ليست مجردة عن تنوعات الاوضاع والنبات والحلوان الميزة المنطقة الحارة الغربية . وتعد افريقية الاستوائية من وسط الصحراء الى شمال سهول قبيلة البوشمن في الجنوب . وما يميز هذه المساحة العظيمة الجبيلات الكبيرة الواضحة على خط الاستواء وهي من اعلى يتابع النيل . والنيل نفسه الذي يناظر الامازون في طول مجراه بعد نهر استوائياً . وتشتمل افريقية الاستوائية ايضاً على ثلاثة اطباع^(٢) اخرى عظيمة وهي النيجر شمالاً والكونغو غرباً والزامبيزي جنوباً

اما داخلها فليست كما كانوا يزعمون كونها بلائع وصحاري بل في اقليم خصيب تغنيه مياه غزيرة . وهو خليلي بالاعتبار لاتساع مساحة حياته النباتية والحوائية . ومن اعظم عجائب نباته شجرة البايواب التي لقبوها صواباً فيل العالم النباتي . فقد قاسوا قطر قاعدة شجرة واحدة فبلغ ٢٠ قدماً وداورها ٢٥٠ . ولما كانت هذه الاشجار في الغالب مجرّفة استعمالها القوم هناك مزارب ومحال للسكن . قال الدكتور ليبنستون انه رأى شجرة يمكن عشرين او ثلاثين نفراً الاضطجاع ضمنها كما لو كانت غرفة كبيرة . وفيها ايضاً جيزر ضخم ينصب الزنوج نحتاً المضارب والحصاص . وترى ايضاً عند سواحل البحر وضايف الانهر اشجار الماركروف الكبيرة المحاكية البنيان المتمدّة الى مساحة لا تكاد تُصدّق

اما فساد هواه مصاب الانهر في افريقية فيعزى بالاكتر لهذه الاشجار . لانه ينبعث من جنورها الجردة رائحة كريهة . ولذلك كان السكان قرب هذه الاشجار معرضين لحميات وميلة قتالة . قال المستر كيتلي " ان غابة ماركروف

خُسِفَتْ فِجَاءَةً وَكَانَ وِوَاءُهَا دَغْلٌ آخِرُ طَبِيعِي وَالرِّدَاغُ (٤) السَّائِلُ نَحْمَهَا مَجْرَدًا ضَارًّا بِالصَّحَّةِ . وَالسَّرَاطِينُ الْكُبْرَى الْإِرْجَوَانِيَّةُ الْعَدِيَّةُ الْإِحْصَاءُ تَرْخَفُ عَلَى لِحَاءِ الْأَشْجَارِ الْمُشْتَبِكِ صَاعِدَةً وَنَازِلَةً . وَالضَّفَافُ الْمَوْحَةُ السُّودَاءُ مَنَطَاءُ بِأَوْرَاقِ كَالْجُلُودِ . وَالْأَلْيَافُ الْمُتَدَلِّيةُ مِنَ الْأَشْجَارِ بَيْنَ الْحِجَارِ اللَّوَلِيَّةِ تَسَاقَطُ لِتَنْشَبَّتَ بِالْأَضْحَالِ وَالرَّقَارِقِ وَتَبْتُ جُذُورًا جَدِيدَةً . وَكَانَ ذَلِكَ جَمِيعَةً شَرَكًا دَائِلًا يَنْصُ الْمَسَافِرِينَ مَجَائِلُهُ الرَّائِعَةُ . وَلَمْ يَكُنْ دِنَاكُ مَنَفَذَ وَلَا بَابَ لِلنَّجَاةِ سِوَى مَنَطَةِ سُودَانَ مِنَ الْأَشْجَارِ الْمَارْكَرُوفِ . وَلَا تَتَنَادَى الْأَيْكُ أَشْجَارَ كَبِيرَةً وَالِدَةً وَمَوْلُودَةً (أَيِ أَصْلِيَّةً وَتَنَاصُلًا مِنْهَا) تَنْشُرُ أَشْجَارًا سَرِيبًا دَائِلًا لِنَصْدِ الْمَوَادِّ وَتُجْمَبُ النَّوْرُ . وَكُنْتُ تَسْمَعُ دَجَاجَ الْمَاءِ الْأَسْوَدِ يَتَّقُ نَفَا مَحْرَمًا وَيَعْدُو نَحْوَ الظَّلَامِ الْمَوْحِشِ . وَغَرِبَانَ اللَّيْلِ الْجَمِشَةَ الْأَصْوَاتِ الْخَبَاءَةَ بَيْنَ الْجُذُورِ نَزْعِبُ الْمَسَافِرِ بِعَيْبِهَا الْجَبَّاتِي ثُمَّ يَتَعَبُ ذَلِكَ صَمْتُ الْقُبُورِ

وَتَكَثُرُ فِي أَنْهَارِ أُفْرِيْقِيَّةِ النَّهْجِ كَثْرَتُهَا فِي أَنْهَارِ امْبِرْكَا . وَفِيهَا فَرَسُ الْمَاءِ وَالْكَرْكَنْزُ . وَاشْتَدَّ هَوْلًا مِنَ الْجَمِيعِ وَحَيْدِ الْقَرْنِ . وَوَزِدَ إِلَى ذَلِكَ عَرَاجِلُ الْأَقْيَالِ الْجَمِثَةُ فِي الثَّلَوَاتِ وَالسُّهُولِ وَالْمَاجِجَةِ فِي الْأَنْهَارِ سَطُورًا مَوْبِيَّةً وَخِرَاطِيمًا مَرْتَمَةً فِي الْمَوَادِّ . أَوْ مَسْتَحْمَةً فِي الْجَبَرَاتِ الضَّحْلِيَّةِ لِتَرْطَبَ أَجْسَامَهَا وَتَقِي أَنْفُسَهَا مِنَ الْمَوَامِّ . وَهُنَاكَ أَيْضًا الرَّثْمُ وَالزَّرَاقَةُ وَالْجَامُوسُ وَحِمَارُ الْوَحْشِ الْوَاقِرَةُ الْعَدَدُ فِي حَزُونِ أُفْرِيْقِيَّةِ الرَّسْطَى وَجَنُوبِهَا مِنْ نَهْرِ أَوْرَانِجِ إِلَى جَنُوبِ سِنِيغَالِ وَنُوبِيَا شَالَا وَمَا كَانَتْ صَحْرَاءَ أُفْرِيْقِيَّةِ . تَلَطَّيْتُ الرَّمْضَاءَ تَزَرَّتْ (٥) عَلَيْهَا الْحَيَاةُ النَّبَاتِيَّةُ وَالْحَيَوَانِيَّةُ غَيْرَ أَنَّهَا نَطِيعٌ عَلَيْهَا شَكْلُهَا الْخَاصُّ . فَتَدَكَّمْتُ تَرْبِيهَا الْأَحْيَاءَ عَلَى أَدْبِهَا مِنَ الْبَدْوِ السَّمْرِ الْأَلْوَانِ حَتَّى الدُّودِ الَّذِي لَا تَكَادُ تَبْزُرُهُ فِي الرَّمَالِ بِكِسَائِمِهَا الطَّبِيعِي أَيْ الْأَصْفَرَارِ الضَّارِبِ إِلَى السَّمْرَةِ . وَعَلَى ذَلِكَ تَرَى الْغَزْلَانَ وَالْأَبَائِلَ حَتَّى الْقَبْرَةَ الطَّائِرَةَ فِي الْجَوْ مَرْتَدِيَّةً بِهَذَا اللَّوْنِ . أَمَّا هَذِهِ الْقَاعَةُ فَلَا تَخْلُو مِنَ الشَّدُوذِ بَيْنَ طَوَائِفِ الطَّيْرِ وَلَا سِيَّامًا كَمَا قَرِئْتُ تَحْمُومِ الصَّحْرَاءِ مِنَ الْوَالِحَاتِ

وإذا اعتبرنا ندرة نبات الصحراء لا نجد من قلة الحياة الحيوانية فيها .
 فقد اخطأ من سمي الاسد ملك اليبلاء لانك لا تراه الأعلى تخومها . لان السباع
 لا تستطيع الحياة بدون لحم وماه فهي تجانب المنازل والابارق^(٦) الرملية . ولا
 تغادر جبال الاطلس المدغلة ولا سهول السودان الخصيبة ولا تقامر بالجولان
 في السباسب^(٧) . لذلك لا يقع بصرك هنالك الا على الحيات والعقارب
 والحياة الحيوانية تختلف في تلك القياقي^(٨) والنفاد^(٩) بين الشمال والجنوب
 حسب الفصول . ففي سحت^(١٠) المزن^(١١) الوايلة على تخومها الشمالية شتاء وربيعاً
 احييت مناظرها المنفوحة بقيظ الصيف وجادت عليها بالثوب الاخضر . فاخذت
 القبائل المتبدية تضرب في اغوارها وانجادها ومهادها ومهادها تسوق قطارات
 الابل والخيول والغنم والماعز . ومتى تفلطت حرارة الشمس انتقلت الى الاقاليم
 الباردة وهجرت الوحوش والصولري كالاسد والثمر والضع والغزال ذلك
 القطر ورحلت جنوباً . فوجدت زادا يلائم ذوقها وشهوتها . ورأيت الغمام
 يهدج^(١٢) نحو الجنوب تاركا معرحة الشمالي حاسبا سهول الصحراء الحارة
 فردوسه النضر حيث تحلولة فيها المعيشة ويطيب المقام

ولا ينبغي ان بلاد العرب وإن حوت اقاليم جيدة خصيبة فقدت
 بالاخضرار الدائم اكثرها قفار بين مجهل بضل سالكة وجدجد^(١٣) يعثر راكبة
 وحزير^(١٤) يدي واطنة^(١٥) وقفا^(١٥) يخسف تحت دائسوم^(١٦) وبها^(١٦) نقل^(١٧) احشاء
 جانيها الخ وكلها تحت جو لا تنجبه الفيوم تمتد حرونا لا يدرك الطرف اقصاها
 وسباسب^(١٨) وخصائص^(١٨) رملية قلها قبة زرقاء وبلاقع واحفاف^(١٩) جرداء
 غرب عنها كل انس وبها . وتحيط بهذه الصحاري وتخلها جبال صماء تنشر
 سلاسلها في جهات شتى من تخوم فلسطين الى سواحل الاوقيانوس الهندي
 فلولا الاودية المنضراء هناك الواقعة بين الآكام والمصاب والآبار المتجمعة
 من مياه الامطار لبات الجزء الاكبر من بلاد العرب قاعاً صفتاً غير مأهول
 ولا مهور . فلا عجب ان كان ينبوع الماء في بلاد كهذه حيث تنقضي سنون

لا يهطل قطرة غيث كثرًا إلا يُثمن عند كل عشيبة حطت على اديم تلك الصحراء.
فقد ترى محالً فسيحة لم يذُق سكانها نعيم غزارة الماء بل لا تشاهد سوى مغاور
يطويها المسافر في سلوكها أيامًا ولا يتمتع برؤية بئر واحدة

والإرجح ان واحات آسيا الوسطى كانت مهد الخيل ومنشأها. غير ان هذا
الحيوان الكرم لم يبلغ الدرجة العليا في النشاط والحمية والسرعة إلا في بلاد
العرب. فان رقة معاملة الخيول هناك وتدريبها واحكام العناية بها اكسبتها طباع
اللفظ والولاء لسيادها. فاذا لم يستخدم البدو الخناق^(٢٠) واليمايب^(٢١) في
الحروب والاسفار سرحوها بين خيامهم. فقد تصادف الاولاد في سيلها متعجبين
على اثرى قضم قوائمها وتحميد عنهم خشية ايلانهم. فقد تعودت الخب^(٢٢)
والابجاج والامئاب والاماج ولم تشلم مشاعرهما بالمهاز والسوط بل ضبطت
قوامها للطراد والسباق والمحاق حتى اذا احست بمس اليد او بجرعة العنان
اهيجت تعدو فتساقى الرياح. واذا ترجل صاحبها في طراد الخيول وقتت
على النور الى ان يستأنف امتطاه صهواتها

ويعتبر البدو الجمال عطية مقدسة لا تُثمن. فان تلك المطايا القوية
الصبور تُمدُّ آغراب البادية بالنعم الاوفر من حاجاتهم بل تكفل استقلالهم وتؤمنه
من الطوارق بوضع الصحراء بينهم وبين الاعلاء. ولذلك كانوا منذ القدم
منظورين على حب الحرية لا يدينون لولزع ولا يطيب لم سوى الهيام في
الطوات. فكانت (هجن) العربية وواحها ذريعة حريتهم الابدية

وانا التفتنا الى دوح الهند رأينا الثمر هناك سيد الوحوش كما ان الاسد
ملك الضواري في افريقية. والتمرحيلان بديع المنظر مخطط بالوان سوداء
ويضاء لطيف الحركة رشيقا شرس الطباع وحشيها. ولما كان جسده متصبأ
على قوائم قصيرة اعوزته صورة الاسد الهوية. واذا نظرت رأسه المجرّد وعينيه
القادحين شرراً ولسانه القرمزي المتدلي من شذقيه علمت ان سمحة كلها تدل
على ظلم اللدماة لا يروى وطباع وحشية لا تعرف الرقة والرافة. فهو يفتش

بكل حي يصادفة في سيله . فيمكن بين غابات الخيزران وعلى شواطئ البرك
والانهر متربحاً قدوم قطع او عانة من الوحوش حيث يشد فرائسه ويصرعها
ركاماً . بل قد يغادر الرم يتمرغ بدمه في ترع الموت ويشب على طرائد جديدة
تترق اجسامها بحاله . ثم يغمس خطمه في نجيل^(١٢) الجراح المتفجرة لينهل من نبعها
السائل ويروي اولامه^(١٣) الذي لا يتفك متلفحاً

ولا شيء ابلغ للقلب من دوح جافا حيث تكثر الاشجار الفضة التي
غرستها يد الطبيعة فتولت تلك المغارة الى جنة غناء . غير ان المسافر لا يجزأ
على خرق هذه الآجام ولو عماراً بدون ان يصحب معه ادلاء واعوانا . فقد تقف
الخيل في ملح ووردة متى ولجت ذلك الغاب المشتبك المرتفع عن هاد السهول
المخضراء كجزيرة لاستدلالها بقوة شهما الحاد على نمر كامن في الدغل لا يبعد عنها
الأبضع خطوات

ويكثر حيوان البير والابردي في اقاليم العالم القديم الاستوائية . فان موطن
هذه الوحوش في افريقية والعجم والصين والهند وجزايرها . ولذلك كان لما مجال
افسح ما للسد والتمر . فهي تحاكي الاخير في وثوبها على الفرائس والكفون في
جوانب الادغال والوثوب فجأة على طرائدها . قيل ان صيد البير اشد خطراً
من اقتناص الاسد . لانه يتسلق الاشجار على ايسر اسلوب ويتبع عشوه على
الاعصان فيدركه

ثم اذا ادركنا البصر نحو براري استراليا الشمالية بدت لنا صورة جديدة
من الحياة الوحشية . ورأينا بين نباتات ذلك الاقليم الجديدة وحيوانات افريقية
طوائف بشر جديدة انفردت بلغات وعوائد واخلاق يجيب منها . فهلا الجبل
وان كان هجياً في احط مراتي الانسانية بلذ للطلاع الوقوف على بعض مناقبه
ومعائبه . ولا نذكر منها الا اسلوب صيده حياً بالابحار

متى رام الاسترالي الهندي صيد القنغر ناظر الهندي الاميركي الفحامي
اللون ونافسه في العزم والثبات والذكاء وحدة البصر عند تأثره ووحوش

الغابات البرازيلية . فترأه يُجبل طَرْفة من جهة الى أخرى يزيد المحرص والاتباه واقلق . فلا يقع بصره على ملا الوحش حتى يتخفف وطأه خطاه ثم يقف كجلود لا ييدي حراكا كأنه صم أو تمثال . ثم تلتقي زوجات البعيلات عنه قليلاً بانفسهن الى الارض كأنهن رُبين بالنار . فاذا حدثت النظر بالجهة الواقعة على مدى نحو مئة خطوة عن بين الصياد رأيت القنر متصباً على



قائمه الخلفيتين ومُسنداً بَدْنِهِ . وطابت رأسه المطاول فوق جسده المرتفع ارتفاعاً يعلو عن الارض خمس اقدام او ست واذنيه متصبين تنصتان للهندي باصغاه لا يزيد عليه . ثم ترى ايضاً رأساً صغيراً يتلصص من فوهة كيس لحمي في صدر اثنى الحيوان كأنه بروم الاستعلام عن السبب الذي ازعجته . اما الهندي فيحافظ على السكون التام حتى لا تستطيع ان تميزه عن جنوع الاشجار السوداء من قادم الهد . ويبقى على وضعه المذكور بضع دقائق الى ان يسكن جاش القنر ويثق بالامن . فيستط على قائمه الاماميتين ويقفز قفزة او قفزين بسوم الكلا

اما الهندي فيتقدم منسللاً ماشياً مشياً بطيئاً ورافعاً ذراعيه متأمياً لاطلاق

النبال الى ان يدنو من طرفه. فيرسل السم كالبرق وله رنين وحليل فيغرق جسد الحيوان المسكين. فيجئ الغاب كثة بهناب النساء والاولاد الذين يشدون رءاه فيلقت نحو مطارديه مسنداً ظهره الى جذع شجرة ويتخزز للوثوب على من يدنو منه ليمزقة. اما الاسترالي المكار فيجانب محالة القتالة ويرمي في صدره بالحرايب فيصرعه الى الارض

وقد امتازت الاجر الاستوائية بشدة قواصفها وانواعها امتياز برارها بعظمة مناظرها الطبيعية. وتثور هذه الزعازع الماثلة في اجر الهند والصين عند قدوم الرياح الدورية. اما في الهند الغربية ففي بدء فصل الشتاء. فقد اطارت هذه التوج^(٢٥) في جزيرة كواد بلوب في تموز عام ١٨٤٦ ابنة مئنة مشيدة من الحجر الصلد ومزقت ملائح بطارية عن عجلاتها. وهدم غيرها منذ بضع سنين كبسة وجرف اثنتين وثلاثين سفينة الى الساحل فحطمت. ثم ثارت ريح هجوم^(٢٦) بعد ايام في بورت لويس وكسرت اسطولا برمتها واطارت فلولع بعض سفن في الهواء فاطلقت الملائح علامة الضيق الشديد على غير طائل

هذه هي بعض نوازل الزعازع الماثلة في الاوقيانوس الاتلانتكي والاقويانوس الهندي. اما عواصف الاوقيانوس الباسيفيكي فليست بأقل هولاً منها. وقد اخطأ من سماه بهذا الاسم (الباسيفيك في بعض اللغات الاوربية السلام) فان امواجه كثيراً ما تطنو على الجزائر المرجانية وغراب بولينيسيا الخلية فتفترقها. وقد ثارت ريح زعزع^(٢٧) في آذار عام ١٨٤٥ في جزيرة بيكتارين فقلعت ثلاث مئة نارجيلة من اصولها واقتمها في البحر. وانغرقت كل زوارق الصيد في تلك الجزيرة. واستأصلت الوفاً من شجر الموز الثمر وجرفها الى اليم^(٢٨)

اما هذه القواصف الاستوائية وان حُصبت آفة تلك الاقطار فقد جنى منها اهل تلك البلاد نفعا لا يقل عن اضرارها. لانها نحو آثار الامراض الوافدة الوبائية وتبعث ملايين الحشرات الفارضة آمال الفلاحين. وفضلاً عن ذلك هي وإن فاقمت شدتها هوجاء^(٢٩) البلاد المعتدلة طه خصب النبات

وقضائه النادرة المال وجوده العجيبة . وهذا دليل على ان خير الطبيعة
المأنور مخبوء في احوال كثيرة تحت ظي غضبها وصخبها^(٢٠) الشديدين

- (١) جمع خور وهو المخلج من البحر ومصب الماء في البحر (٢) الانهر
- الكيرة (٣) الطين الرقيق (٤) صوت غليظ فيه بجة (٥) قلت
- (٦) اراض غليظة فيها حجارة ورمل وطين مختلطة (٧) المغازات او
- الارض المستوية البعيدة (٨) مغازات لاماء فيها (٩) الفلوات والاماكن
- الصلبة الغليظة (١٠) سالت (١١) السحاب ذوالماء (١٢) يسير
- (١٣) ارض غليظة صلبة (١٤) ارض ذات حجار كأنها سكاكين
- (١٥) ما احشودب من الرمال (١٦) ارض واسعة لاماء فيها
- (١٧) تُعطش (١٨) المستوي من الارض (١٩) المعوج من الرمل
- (٢٠) الخيل الكريمة الاصل (٢١) الافراس السريعة الجري
- (٢٢) الخبب اقل عدو الفرس والاماح اشدهما (٢٣) الدم الذي الى
- السواد اودم الجوف (٢٤) عطشة الشديد (٢٥) الريح الشديدة المرور
- (٢٦) الريح الشديدة التي قلع الخيام (٢٧) ريج شديدة الهبوب
- (٢٨) البحر (٢٩) الريح التي تجل التبار والتراب وتقلع البيوت
- (٣٠) شدة الصوت والجلبة



العمل بالمواهب

| | |
|---------------------------|----------------------------|
| اذا نلنا من المولى الفاتس | فلا نحن الرووس الى الخماسن |
| مواهبنا قل اذا علاما | صداء بالبطالة والوساوسن |
| وقصداً مثل آلات قوانا | ولكن التدرب خير حارسن |
| اذا صدات جاوناما بشغل | ودرس في المكاتب والملاسن |

| | |
|---------------------------|-------------------------|
| تعيش مسومةً والعقل سائس | سياستها بغيرين وجد |
| وتقوى لا المحارم والإطالس | يزين جسمونا ادب وعلم |
| تجمل عن الرذائل والفسائس | مواهبنا مقدسة قواها |
| لواء هدى وإخلاق أوانس | تشرتها الفضائل ناشرات |
| تزان في المحافل والمجالس | وعفة انفس وكلام صدق |
| بأعمال التقى لا بالملايس | جمال حياتنا يبدو سنه |
| بما فيه مواهبنا غارم | وبالعمل الجليل وكل كد |
| فقير فضائل الأعمال باتس | فما فقر التقى عيب ولكن |
| وتعريف كأبطال فوارس | فهبوا وامتلوا صهوات شغل |

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| بل من ثنى العزم نحو الجدى والعمل | ليس الجميل جميل الوجه والمحل |
| بالكذب مشتتلاً كالقاريس البطل | يقضي الزمان بغير الخير مجهداً |
| للتعرج والريج لا للهو والمطل | ان المواهب من مولى العباد لنا |
| والشغل لا للوني والبطل والكسل | هذي الحياة لبذل العزم قد خلقت |
| جدت بعلم واعمال بلا ملل | كل التقدم بل أمى الغنائم من |

الأسد

هَذَا الْحَيَوَانُ الْكَرِيمُ جَدِيدٌ بَأَنِّ يَدِّهِ يَقْدَمُ عَلَى جَمِيعِ
 الْوَحُوشِ لِأَنَّهُ أَشْرَفُهَا وَأَقْوَاهَا وَأَكْرَمُهَا وَأَمْضَاهَا. وَلَهُ رَأْسٌ
 كَبِيرٌ وَأُذُنَانِ قَصِيرَتَانِ مُسْتَدِيرَتَانِ وَعَرْفٌ أَيْثٌ وَبَرَأَتَانِ

حَادَّةٌ وَذَنْبٌ طَوِيلٌ مَنفُوشٌ الطَّرْفِ وَأَنْيَابٌ قَاطِعَةٌ. وَلَوْنُهُ
 فِي الغَالِبِ أَصْفَرٌ مَكْمَدٌ يَضْرِبُ عِنْدَ بَطْنِهِ إِلَى الْبَيَاضِ. أَمَّا
 طَوْلُهُ المَتَوَسِّطُ فَتَهَامِي أَقْدَامٍ مِنْ أَنْفِهِ إِلَى مَغْرَزِ ذَنْبِهِ. وَاللَّبْوَةُ
 أَصْفَرٌ مِنْهُ قَلِيلًا وَلَا عُرْفَ لَهَا. وَالْأَسَدُ كَثِيرُهُ يُوَيَّرُ فِيهِ
 هَوَاءُ البِلَادِ تَائِيْرًا جَلِيًّا. فَأَنَّهُ فِي أَفْرِيقِيَةِ الحَارَّةِ أَهْوَلُ ذَوَاتِ
 الأَرْبَعِ وَأَبْطَشُهَا. مِخْلَافِ أُسْدِ جِبَالِ الأَطْلَسِ المَكْسُوءَةِ
 بِالتَّلُوجِ إِذْ لَيْسَ لَهَا مَا لِنَلِكِ مِنَ البَاسِ والقُوَّةِ. وَكَذَلِكَ
 سِبَاعُ بِلَادِ الحَرِيدِ وَالصَّحْرَاءِ

وَاللَّذَكَرُ حَبِيْبَةٌ وَمِيَامٌ بِأَنْثَاهُ أَمَا هِيَ فَقَلْبُهَا تَبَالِي بِهِ. وَمَتَى
 مَشِيَ مَعًا تَقَدَّمَتِ الأُنْثَى إِلا إِذَا جَاعَتِ فَأَنَّهُ يَتَقَدَّمُهَا حَيْثُ
 لِيَأْتِيَهَا بِالطَّعَامِ. وَهِيَ تَضْجِعُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ لِلرَّاحَةِ عَلَى أَرْضٍ
 مَفْرُوشَةٍ بِأَوْرَاقِ الأشْجَارِ وَمَتَى وَجَدَ الذَّكَرُ فَرِيْسَةً أَنَا هَا بِهَا.
 وَإِنَّا أَعْجَزُهُ حَمَلُهَا زَمَجَرَ بِنَادِيهَا اللَّعِيْبِ فَتَأْتِي وَتُشْبِعُ جَوْفَهَا.
 أَمَّا الذَّكَرُ فَلَا يَمَسُّ طَعَامًا حَتَّى تَنَالَ كَفَاءَهَا ثُمَّ يَتَقَدَّمُ وَيَأْكُلُ
 الفَضْلَةَ البَاقِيَةَ

وَلَا يَخْرُجُ الأَسَدُ مِنْ عَرَبِيَّةِ نَهَارًا إِلا مَتَى ظَمَى. وَمُدَّةُ
 حَمَلِ الأُنْثَى فِيهَا بَطْنٌ سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَزَمَانُ السِّفَادِ شَهْرٌ كَانُونِ

الثَّانِي . وَمَتَى وَضَعَتِ الْأُنثَى الْجُرْوَ كَانَ لِحْمَةِ لَاحِسٍ بِهَا وَلَا
 حَرَكَةَ فَتَحْرُسُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ . ثُمَّ يَأْتِي أَبْوَهُ بَعْدَئِذٍ فَيَنْفُخُ فِيهِ الْهَرَّةُ
 بَعْدَ الْأُخْرَى حَتَّى يَتَحَرَّكَ وَيَنْفَسَ وَيَنْفِرُجُ أَعْضَاؤُهُ وَتَشْكَلُ
 صُورَتُهُ . ثُمَّ تَأْتِي أُمُّهُ فَتَرْضِعُهُ وَلَا يَنْفُخُ عَيْنَيْهِ إِلَّا بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ
 مِنْ تَخْلُفِهِ . وَتَضَعُ الْأُنثَى جُرْوًا أَوْ اثْنَيْنِ إِلَى ثَلَاثَةِ فَإِذَا
 وَضَعَتِ اثْنَيْنِ كَانَ الْوَاحِدُ ذَكَرًا وَالْآخَرُ أُنْثَى . وَإِذَا كَانَتْ
 ثَلَاثَةً كَانَ الْإِثْنَانِ ذَكَرَيْنِ وَالثَّالِثُ أُنْثَى . وَتَحْنُو اللَّبْوَةَ عَلَى
 أَشْبَالِهَا كُلِّ الْحَنُوِّ وَلَا تَفَارِقُهَا بَعْدَ الْوِلَادَةِ أَيَّامًا . وَمَتَى
 اسْتَطَاعَتِ الْحَبْوُ أَخَذَتْهَا وَسَارَتْ بِهَا قَلِيلًا وَأَنْتَهَا بِشِقَّةٍ لِحْمٍ
 وَمَرْفَعَتَا فِطْعًا حَتَّى لَا يَبْعُرُوا لِثَانِهَا الرَّخِصَةَ ضَرَرٌ . وَحِينَ تَبْلُغُ
 الْأَشْبَالَ الشَّهْرَ الثَّالِثَ أَوْ الرَّابِعَ تَذْهَبُ مَعَ أُمِّهَا لِلْهَلَاقَةِ أَيُّهَا
 مِنْ قَنْصِهِ . وَبَعْدَ شَهْرٍ آخَرَ يَأْخُذُ الْأَسَدُ وَاللَّبْوَةُ الْأَشْبَالَ
 مَعَهَا لِيَهْرِنَانَا عَلَى الصَّيْدِ . وَيَدْفَعَاهَا عَلَى الْبَطْشِ بِالْمَاشِيَةِ .
 أَمَا هُمَا فَيَكْنِيَانِ لِحِرَاسَتِهِمَا مِنَ الْأَخْطَارِ حَتَّى إِذَا هَاجَمَهَا
 وَحْشٌ أَوْ إِنْسَانٌ بَرَزَا مِنْ مَكْنِيَتَيْهَا لِلدَّوْدِ عَنْهَا
 وَانْقَازِهَا

وَمَتَى نَاهَزَ الشَّيْبُ السَّنَيْنِ يَسْتَطِيعُ التَّنْكَ بِفَرَسٍ أَوْ ثَوْرٍ .

وَتَأْخُذُ قُوَّتَهُ بِالزِّيَادَةِ حَتَّى يَبْلُغَ الْحَوْلَ الثَّامِنَ فَتَكْمُلُ بَرَأْنَهُ
 وَقَوَاطِعُهُ وَعُرْفُهُ وَيَقِفُ عَنِ النَّهْوِ وَتَدُومُ قُوَّتُهُ زَمَانًا مَدِيدًا وَلَا
 تَبْدُو عَلَى أَنْبَابِهِ وَعَضَلَاتِهِ عَلَامَةٌ الْإِنْحِطَاطِ . بَلْ يَبْظُلُ جَلِيدًا
 ضَارِمًا ^(١) إِلَى السَّنَةِ الْعِشْرِينَ بَعْدَ نُمُوهِ الْكَامِلِ ثُمَّ تَأْخُذُ قُوَّتَهُ
 بِالْإِنْحِطَاطِ وَتَسْقُطُ أَسْنَانُهُ وَيَهْسِي عَاجِرًا جَبَانًا . فَقَدْ يَنْتَكِ
 بِهِ حَيْتَدِ الْجَامُوسُ بَلِ الثَّوْرُ أَيْضًا . فَتَرَاهُ يَذِلُّ ^(٢) إِلَى الْقَرَى
 وَالْمَزَارِعِ فَيَنْخَطِفُ خَرُوفًا أَوْ جَدِيًا أَوْ امْرَأَةً أَوْ وَلَدًا كَمَا كَانَ
 يَفْعَلُ حِينَ كَانَ شِبْلًا مَذْمُوحًا ثَلَاثِينَ سَنَةً . ثُمَّ يَعْرِو قُوَّتَهُ الْعِيَاءُ
 وَالزَّمَانَةُ ^(٣) وَبَصْرُهُ الْكَلَالُ وَجَسَدُهُ الْهَزَالُ وَبِحَتْرِي بِأَدْنَى
 الْأَطْعِمَةِ حَتَّى لَا يَبَاقَ الْجُرْدُ وَالْفَارُ . ثُمَّ يُصَابُ بِالسَّعَارِ ^(٤)
 وَيَقْضِي نَجْمَهُ ^(٥) أَوْ تَبْطِشُ بِهِ الضَّبَاعُ أَوْ يَعْتَرُّ عَلَيْهِ الصَّيَادُ تَحْتَ
 الْأَشْجَارِ مَعْضُوبًا فَيَوْهَطُهُ ^(٦)

وَلَا تَسِيرُ اللَّيْثُ ^(٧) عَرَاجِلَ بَلِ عِيَالًا مُؤَلَّفَةً مِنْ خَيْسَةِ
 أَوْ سِتَّةِ زُرُوسٍ وَمَتَى . هَاجَمَ اللَّيْثُ فَرِيَسَتَهُ صَوَّبَ بَرَأْنَهُ
 وَأَنْبَابَهُ إِلَى عُنُقِهَا تَحْتَ الْفِكَ أَوْ إِلَى خَاصِرَتَيْهَا بِقُرْبِ الْقَائِمَةِ
 الْخَلْفِيَّةِ . وَلَا يَكْدِمُهَا ^(٨) كَيْفَ كَانَ بَلْ يَشْفُهَا شِقَ الْجَزَارِ الثَّوْرِ
 وَيَبْدَأُ بِأَمْعَائِهَا أَوْ لَا أَوْ يَتْرَعُهَا وَيَحْفَظُهَا إِلَى الْعَدِ . ثُمَّ يَلْقَمُهَا ^(٩)

مُطَبَّأ الْعِظَامِ تَحْطِمْ الْفُرُوسِ الْأَخْشَابَ الْيَابِسَةَ
 وَكَانَ لِلرُّومَانِيِّينَ هَيْامٌ شَدِيدَةٌ بِشَاهِدَةِ صِرَاعِ الْأَسُودِ
 وَكَفَاحِهَا فِي الْمَلَاعِبِ الْعَامَّةِ مَعَ الْأَسْرَى وَالْعَجْرَمِينَ أَوْ مَعَ
 بَعْضِهَا الْبَيْضِ . قِيلَ إِنَّ بُوْمِيُوسَ أَدْخَلَ إِلَى أَحَدِ هَذِهِ
 الْمَلَاعِبِ خَمْسَ مِئَةِ أَسَدٍ حَيْثُ دَامَ الصِّرَاعُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ
 مُتَوَالِيَةٍ . فَجَنَّدَتْ هَذِهِ الْوُحُوشُ عَنْ آخِرِدَا بِالسَّيْفِ
 الْمَصَارِعِينَ أَوْ جَدَلَ بَعْضُهَا بَعْضًا

وَتَكَثَّرَ الْأَسُودُ فِي ضَوَاحِي صَحْرَاءِ أَفْرِيقِيَّةَ وَبَاطِنِهَا .
 حَيْثُ تَسْرُحُ بِلَا مَانِعٍ وَتَهَاجِمُ الرُّكْبَ وَالْمَسَافِرِينَ
 كَالسَّيْلِ الْمُنْهَرِ وَتَعِيدُ كَثِيرَهُمْ قَلِيلًا . فَقَدْ يَحْمُ اللَّيْتُ
 الْوَاحِدُ الْفَاقِلَةَ كُلَّهَا وَيَرْصُدُهَا بِدُونِ أَدْنَى خَوْفٍ إِلَى آخِرِ
 نَسَبَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ . أَمَّا الْأَسَدُ فَتَنِي لَهَا عِلْمٌ بِهَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ
 الْقُوَّةِ وَالْبَسَالَةِ فَتَنِي بِأَسَءِ مَخَافَةٍ أَنْ تَرْمِيَ بِالنَّارِ فَتَنْجِي عَنْهُ .
 وَتَنْبِرِي تَنْجِيكُ بِهَا لَا بَأْسَ لَهُ مِنْ أَسْرَابِ الطِّبَاءِ وَقُطْعَانِ
 الشَّاءِ وَالْأَنْعَامِ

وَالْأَسَدُ قَابِلُ النَّطْعِ وَالتَّدْرِبِ فَيَلِينُ وَيَتَقَادُ لِلْإِنْسَانِ .
 بِدَلِيلِ مَا جَاءَ فِي التَّارِيخِ أَنَّهُمْ كَانُوا يَضَعُونَ قَدِيمًا الْعَرَبَاتِ

وَالنَّوْبَادِجَ عَلَى ظُهُورِ الْأَسْوَدِ فَتَجْرِي بِهِمْ طَوْعًا فِي الْبَعَارِكِ
وَفِي مَوَاسِمِ الْقَنَصِ وَتَبْدُو مِنْهَا حُبَّةَ وَرَعَايَةَ ذِمَّةٍ لِبَالِكِنَا.
وَلَا تَأَلُّ جُهْدًا فِي خِدْمَتِهِ وَحِبَابِيَةَ حُرْمَتِهِ

وَالْغَضَنْفَرُ مَطْبُوعٌ^(١٤) عَلَى التَّوَدُّدِ لِصَاحِبِهِ. فَيَهْوُو وَإِنْ كَانَ
صَعَبَ الْهَرَّاسِ وَشَدِيدَ الشَّرَافَةِ عَالِي الْهَيْبَةِ وَالشَّهَامَةِ
كَرِيمٌ^(١٥) عِنْدَ الْغَضَبِ عَفٌّ عِنْدَ الْهَيْدَرَةِ وَعَرُوفٌ بِقَدْرِ
الْمَعْرُوفِ. وَمِنْ طَبِيعِهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَفْتِرَاسَ الْحَيَوَانَاتِ
الْحَنِيئَةِ. وَيَعْفُ عَنِ بَطْرُخِ بَيْنِ يَدَيْهِ لِغَيْرِ عِلَّةٍ. وَإِذَا
أَجْهَرَهُ السَّغْبُ^(١٦) تَعَرَّضَ لِأَفْتِرَاسِ كُلِّ حَيَوَانٍ صَادَقَهُ فِي
طَرِيقِهِ

وَلَبَّأَ كَانَتْ جَمِيعُ ذَوَاتِ الْأَرْبَعِ تَخْشَى لِقَاءَهُ وَتَبْتَعِدُ
عَنْهُ تَلْجِئُهُ الْضَّرُورَةُ إِلَى إِعْمَالِ الْحَيْلَةِ وَمُدَاجَاةٍ^(١٧) مَا عَزَمَ عَلَى
أَفْتِرَاسِهِ. فَيَجْعَلُ مَقَامَهُ بِالْقُرْبِ مِنْ طَرِيقِ مَسْلُوكِهِ ثُمَّ يَزْحَفُ
مَنْضَمًا مُنْقِضًا وَيَثْبُتُ عَلَى مَا صَلَّى لَهُ وَثْبَةً وَاحِدَةً

وَزَيْدُ الضَّرْغَامِ^(١٨) جَهِيْرٌ مَخْتَرِقُ السَّمَاعِ كَالرَّعْدِ
الْقَاصِفِ. فَيُلْقِي الرُّعْبَ فِي قُلُوبِ سَائِرِ الْحَيَوَانِ وَلَوْ كَانَتْ فِي
أَمْنٍ وَتَحَصَّنَ. فَلَا تَسْبَعُهُ إِلَّا وَيَغْشَاهَا الْفَرَقُ وَالْإِضْطِرَابُ

وَالْعَرَقُ . وَكَثُرَ مَا يُخَافُ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا هَاجَهُ هَاجِحٌ أَوْ وُلْدٌ
لَهُ وَوَلَدٌ

وَرُبَّمَا عَمَّرَ الْأَسَدُ مِئَةَ عَامٍ . قِيلَ مَاتَ أَسَدٌ فِي بِلَادِ
الْإِنْدَكِينِ بَعْدَ أَنْ أَتَى عَلَيْهِ بِهَا سَبْعُونَ عَامًا وَآخِرُ سِتُونٍ .
وَتَزَعَمُ الْعَرَبُ أَنَّ الْأَسَدَ يَعِفُّ عَنِ النِّسَاءِ وَخَالَهِنَّ آخِرُونَ .
وَقَدْ شُوهِدَ مِرَارًا يَعِفُّ عَمَّنْ حَصَلَ تَحْتَ قُوَّتِهِ مِنْ بَنِي آدَمَ
بَلْ شَارَكَ فِي طَعَامِهِ مِنْ عَفَّ عَنْهُ كَرَّمًا إِبْقَاءً عَلَى حَيَاتِهِ كَمَا
جَاءَ فِي قِصَّةِ أَنْدِرُوكَلِسَ الْعَبْدِ وَغَيْرِهَا

قِيلَ إِنَّ لِلْأَسَدِ مِنَ الصَّبْرِ عَلَى الْجُوعِ وَالْعَطَشِ مَا لَيْسَ
لِغَيْرِهِ مِنَ السِّبَاعِ . وَلَا يَأْكُلُ فَرِيسَةَ غَيْرِهِ . وَإِذَا شَبِعَ مِنْ
فَرِيسَةٍ غَادَرَهَا وَلَمْ يَعُدَّ إِلَيْهَا . وَإِذَا جَاعَ سَاعَتِ اخْلَاقُهُ
وَإِذَا شَبِعَ أَرْتَاضَ . وَلَا يَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ وُلِعَ فِيهِ كَلْبٌ . وَهُوَ
يَنْهَشُ وَيَهْمُ وَلَا يَهْضَغُ وَرِيْقُهُ قَلِيلٌ جَدًّا وَلِذَلِكَ يُوصَفُ
بِالنَّجْرِ . وَبُعْرَفُ أَيْضًا بِالشَّجَاعَةِ وَالْحَبِيْنِ . فَمِنْ جُنْبِهِ أَنَّهُ يَفْرَعُ
مِنْ صَوْتِ الدَّبِكِ وَتَقْرِ الطُّسْتِ وَمِنْ السِّنُورِ وَيَجِيرُ عِنْدَ
رُؤْيَةِ النَّارِ

وَهُوَ شَدِيدُ الْبَطْشِ لَا يَأْلَفُ أَحَدًا مِنَ السِّبَاعِ لِأَنَّهُ

لَا يَرَى مَا يَنْظُرُهُ. وَعَلَامَةٌ كَبِيرَةٌ سَقُوطُ أَسْنَانِهِ كَمَا تَقْدَمُ

- (١) مشية الرضيع (٢) للدفاع (٣) الولد الشديد
 الخلق والقوة (٤) تشبه مشية الشيخ رويداً (٥) العادة وتعطيل القوى
 (٦) اشتد الجوع (٧) يموت بعد الهرم (٨) زمناً قليل الحركة
 (٩) يصرفه صرعة لا يقوم منها (١٠) الأسود (١١) بعض بادني فيه
 (١٢) يأكل سريعاً (١٣) صرعت الى الارض (١٤) الولد
 (١٥) الجوع (١٦) مسانرة بالعناية ومناقفة (١٧) خائل ورسد
 ناصباً عتة للوثوب (١٨) الولد

الاقليم المعتدلة

١

ان المنطقة الشمالية المعتدلة تحسب حانوت اشغال العالم . اما المنطقتان
 الباردة والحارة فيها الطبيعة سائدة سيادة مطلقة . فالاولى تغلب عمل الانسان
 مجديها وتحولتها . والثانية تستغني عنه بخصبها الطبيعي . غير ان للانسان السلطة
 الساطة في الاقليم المعتدلة . وهذه هي الصفة الخاصة التي تميز المنطقة المعتدلة عن
 اخניה المذكورتين . وهي تحوي ثلاثة ارباع الجنس البشري وقد ارتقى التمدن
 فيها الى اسى درجات . وبها جرت اعظم حوادث التاريخ في الازمان القديمة
 والحديثة

ولامرته في ان الاقليم عامل فعال في النشاط والحركة . قال العلامة كوين
 فان تماقب الحر والبرد في الاقليم المعتدلة وتغيرات الفصول والهواء الرخيم

التي عما يدفع الانسان الى الجِدِّ اللائم واتبناه البصيرة والى سائر الاعمال العقلية الشاقّة. فلا تعطى الطبيعة المتقصدة للانسان شيئاً الا بعرق جبينه فيتمتع بها بما جزاء خدمته وكده. ويصدى لكفاحها وصدامها راجياً بل موقفاً بالظفر والنصرة. فهي وان لم تستعمل الاسراف والتبذير تمنح اعماله العقلية النشيطة نصيباً او فرماً تقتضيه حاجته. وتستغزمت للعلم وتحوّله في خلال ذلك بسراً وراحة وتسخلة بترقية قوى عقله العليا. فليست قواها الطبيعية بالحاكم الجائر بل المعين النافع. فان الملاك العاملة والقيم والتميز تحكم على القطرة وعلى سائر القوى الحيوانية. والنفس تسود على الجسد والانسان على الطبيعة

وفي المنطقة المتجهدة ايضاً يجاهد الانسان ضد الطبيعة غير انها عنيفة ضئيلة شحيحة. وذلك القتال كناية عن كفاح الممالك المسميت حرصاً على الحياة. فلا يحصل الانسان قوته الخفيف الذي بالكذب يضبط فيه رمق الحياة شتاء الا يزيد العناء وشقّ النفس. وعلى ذلك اصبح الترقّي في سلم المدينة تحت هذه الاحوال المعاكسة امراً مستحيلاً

ولا كانت الطبيعة في المنطقة الحارة على غاية الاسراف في هبائها. لا ترغم الانسان على اغتصاب خبزه اليومي بعمى اللائم الشاق. بل لما كان مولوداً في الغالب على حال واحدة وقصورها لا تعرف رقاداً وسباتاً كالاقاليم المعتدلة كان اعمال الفكرة والتمعن مما لا يجدي الانسان نفماً. فلا تدعوه الضرورة الى الجهاد العقلي العنيف ضد طبيعة رقت قواه الجسدية الى اسنى الدرجات. فلا ينخطر على باله مصادمة قواها العاملة بل تنصر عليه فينضع لسطانها ويمسك انساناً حيوانياً بنسبة ادعائه لعواملها الظاهرة ونسيان مقامه الادبي على ادبها

اما الاقاليم المعتدلة فعلى غاية الملاحة لترقية قوى الانسان الجسدية والعقلية. وهي تناسب ايضاً انتشار الحياة النباتية والحيوانية في خير سبيل يقوم بحاجة الالفة البشرية. وعلى ذلك كانت موطن البتر والقمع وهما من ارفع الحيوانات المتجزة للانسان في المنطقة المعتدلة. واتشرت الخيل من وطئها في اسيا الوسطى الى

أكثر اقسام الكرة . وهي رفيقة لا غنى عنها للانسان في صناعاته واسباره . أن الحرب والسلم وشريكته في السراء والضراء . وتوفر ايضاً في هذا الاقليم طوائف الطير حتى اصبحت في بعض البلاد صنف الطعام الاول للانسان
ثم اذا التفتنا الى المملكة النباتية رأينا الغلال والمحوب الاوفر ملائمة في القيام بغذاء الانسان المتعدن منتشرة في المنطقة المعتدلة انتشاراً عظيماً ولا غرو ان الانسان لا يزرع القطنى^(١) الا متى استوطن مكاناً استيطاناً دائماً وغادر عيشته البدوية واصبح فلاحاً يستعمّر ارضاً ويستغلها . والامر واضح ان المحبوب لا تثبت لنفسها وتنتشر كالاعشاب البرية بل لا بد لها من زارع يزرعها وفلاح يحرث الارض ويهيئها وحاصد يحصدها

قال احد علماء النبات " ان القطنى تتقدم التمدين ونسبة . ولها علاقة كبرى بالراحة والسلام والسعادة المنزلية التي يجيئها مع المادية . فلا بد للامم في استنباتها من اراضٍ مفررة والوطن فيها . ثم متى مهياً لم ذلك ورشخها اقدامهم عليها اغترب ذلك الترقى في الاخلاق والعوائد . فكفوا عن الظلم الى المحبوب الدموية ولم يتزلوا ميلان الكفاج الا للدفاع عن الخمول التي يستغلون منها ارزاقهم والذود^(٢) عن عيالهم "

فالمحبوب اذا خير طعام بلائم الانسان في حاله الالية . فصنع البلاد باقاس زراعتها قادرة على اعالة سكانها الواقري العدد اعالة دائمة . اما سائر الاصناف فنسبها وقتي ولا يمكن تخزينها الى زمن مديد . فان الجذور والفاكهة لا تلبث حتى تنفذ وتفرغ او تفسد وتتعفن . وقناقص الصيد غنيمية يشك في وفرها ودوايحها . ومتى زاد الجدد في طلبها قلت او فحيت . فترى في بعض بلدان المصنفة الحارة لب شجرة الخبز الخلية وجذور المانيوق المغذية ونباتات اخرى طبيعية تعول قبائل قليلة العدد متفرقة الاوطان فنوعه ببساطة العيش . غير ان الانسان في هذه الاحوال الفهجية مخط في سلم المدنية جسداً وعقلاً يتعدّر عليه ترقية اموره واصلاحها . غير ان زراعة الغلال تزوده اكثر ايام السنة

بطعام ملائم وتفرض عليه اعمالاً وتمينات تؤثر بطباعه وعواقبه واخلاقه خيراً
تأثيراً وإكالة

فهذه هي النباتات التي تتميز بها محصولات الاقليم المعتدلة . فالمحطة التي
لا توجد في المنطقة الحارة تنصب في كل المنطقة المعتدلة على سائر درجات
الارتفاع . والذرة تنشر في اميركا الشمالية والجنوبية على مساحة جغرافية كبيرة .
والشعير ينمو في اوربا واسيا حيث الارض والاقليم لا يلائمان المحطة . وتنصب
المرطبان^(٢) في الشمال البارد ولا ينقطع الأمتى بلغت المنطقة المتجمدة حيث
تستحيل على الانسان الحياة في حال تمدنية اليقة . فقد هيأت العناية في تنوعات
الاقليم والثروة وصلاحيه بعضها لحبوب وغيرها لاخرى الطعام الضروري
لاعالة الجنس البشري

ثم ما هي الاشجار الافيد للانسان البالغ مقاماً عالياً في التمدن لا غرو انما
التي تزوده باوفر نصيب من الاخشاب . ولسائل ان يعترض " أليست اخشاب
الزينة النفيسة التي يتأتى باقتناء ادوايتها السراة^(٣) في من محصولات البلاد
الحارة ؟ " فاجيب نعم ولكن الصنوبر والارز والجوز وما شاكلها الخادمة
حاجات الانسان الضرورية تخصص بالمنطقة المعتدلة . فقد يعكس سكانها الى
ثغور هوندوراس لاستغلال خشب الماهوكاني الثمين . وإلى البرازيل لاحضار
خشب الورد لعل انفس امتعة قصورهم . غير ان الصنوبر والدردار والسديان
والعرعر والجوز والحور والزان هي الاخشاب المعتدلة في صنع الآتيم وعجلاتهم
وسائر ادواتهم الفاتحة الاحياء . فقد وفرت هذه الاشجار في ادوايحهم وغياضهم
فتيسر لهم الحصول عليها بايسر مرام . لا يتم استنبوتها في اقليمهم وشاركهم باستنشاق
هواها واحد

منا وان ما يصدق على العالم النباتي فوق الثرى يصح ايضاً على المملكة
العدنية تحته . فترى انفع المعادن للانسان اللاخلة في خدمتها المنزلية وصناعية
كالحديد والقصدير والحاس والرصاص متوفرة في المنطقة المعتدلة . ولا يخفى

ان ركاز^(٥) هذه المعادن لا يمكن اذابة والانتفاع به في الاعمال والصناعات بدون
وقود كافٍ وهذا ايضا هبأه العناية بكثرة في المنطقة المعتدلة وهو الفحم الحجري
غير ان المنطقة المعتدلة نفسها جريئة التباين والاختلاف لتتبعات الاقاليم
والاوضاع. فان اسيا الوسطى مثلاً بل سائر اسيا الواقعة الى شمالي خط القوقاس
وجنابا وسور الصين مفازات مجدية . وما برحت كما كانت منذ ستة قرون
موطن العميلة والسلب. فلماذا ذلك يا ترى ؟ لان صحارها قصبه جذاً عن
عوامل الاجر . والجبال الشاهقة تجعل بردها قارماً كالاقطار الشمالية . ولأن
انهرها تجري الى مجبرات مائحة بدون مصب او الى اوقيانوس تتجدد يسد دونها
ابواب التجارة

انما تفرس باوربا ترها أكثر القارات تظلاً بمياه البحر . ومع ان اسيا تريد
مساحتها عن قارة اوربا اربع مرات هي دونها في الارياف البحرية فان سواحل
اوربا المائبة تزيد عن سواحل اسيا خمسة اضعاف . ولا نشاهد فيها محلاً بعيد
عن البحر أكثر من ثلاث مئة ميل ما خلا سهول روسيا فقط . بيد ان توزع
الانهر الصالحة لركوب السفن يقرب الاوقيانوس حتى في اقصى محالو تقريباً
يسهل بلوغه

وما هي نتائج هذا كلوه . فاذا القيت بصرك على خريطة اوربا انجلي لك الامر
فرايتها اوفر القارات ازدحاماً بالمدن والقرى والسكك والقنوات وطرق
الحديد البخارية والضياع والامصار والفساطيط^(٦) والواصلتها ببعضها وصل
الشبكة . فهالك ضرب المدن اطنابة والتي عصاه وريح اقلان . والعلوم
والصناعات بلغت متزلتها العافية . وهناك ولدت ونمت الاختراعات الآلية العظيمة
التي ضمت شتات العالم ونظمتها في عقد جمعية واحدة متناوثة الاستقلال . وكملت
الزراعة والصناعة والتجارة كالألامثيل له

فقد تزودت اوربا من سائر القارات بمواد وافرة تعززت بها قوتها
الطبيعية . ولكنها حولت العالم ايضا فوائده ليست باقل من تلك المواد نفعاً .

فانها كانت مهدياً للنظامات السياسية التي كفلت استئلال الانسان ووقفت
العلوم والفنون والصنائع الى اسمى المراقي واخذت تنشرها الى سائر انحاء البسيطة
ناذا اخذنا ملكة واحدة مثلاً كبريطانيا او فرنسا او تركيا او المانيا او
اطاليا او النمسا رأينا كلاً منها محوراً تدور عليه المدنية والمعارف والصنائع فتد
نشرت مهاجر الملكة الاولى نتائج همه ابناءها وحميهم في سائر الاقطار حتى
اصبح المناظرون لتقدمها ونجاحها من اولادها انفسهم

قترى لموقعا مواء تيزيد حرارة درجات عن بلاد اخرى واقعة في ملا
الطول نفسو. فليست بقارة البرد ولا بشديدة الحر. فلا يتعد عليك الشغل
في اقليمها ساعة من ساعات السنة ولا ترعج حرارها القوي الانسانية كل الازعاج
حتى نخل على الوقي^(٧) والتراخي بل يربي موازها العضلات ويقوي البنية. اما
مساحتها فصغيرة جداً بالنسبة الى سائر اوربا ولكنها تحوي سهولاً وجبالاً وآجاماً
وغابات وانهاراً وجبالاً وسواحل الخ حتى بانث مخيف اوضاع متباينة ومتنوعة
تنوع انجادهما ومهادها ومهادها. فهي وان كثرت فيها الضباب ووفرت الامطار
تبعث الى اقطار العالم بارصادها الفلكية. وان عجزت امرها القصيرة عن القيام
بالقوة المائية ترى الارض ترتعد تحت رعود معاملها البخارية. وان لم تحو مناجم
ذهب يتعد بها تشتمل على كنوز تضار تفوق سائر البلدان وعلى مناجم فحم حجري
وقصدير تشتمل سنها وقطارها ومعاملها الفاتحة الاحياء. ثم وان كان موقعها
الشمالي ما لا ينحصب فيه الكرم ترى محاصيل كروم سائر البلاد مائة مراتها
وتعابن البرقال والليمون والتفاح رخيصة في لندن رخصها في البحر المتوسط

(١) الحبوب التي تُطبخ (٢) تدفع او تحامي (٣) حب متوسط بين
الشعير والحطة او البشلة (٤) السادة الشرفاء (٥) قطع الفضة والذهب
من المعدن (٦) السرادق من الابنية او كل مدينة جامعة (٧) الثور
والكلال والاعياء

الاقليم المعتدلة

٢

ثم ماذا تقول عن اسيا الصغرى وارمينيا وسوريا الرقيقة في هذه المنطقة نفسها وهي جنة الله في ارضه . بلاد طاب هولوما . وغب ماوما . ووفر خصبها . وتدر جنبها . وانسط خيرها . وتلص صيرها . ماوما نير^(١) . وروضها نصير . وجردها وغير . حلتها باسفة . ونهورها دافقة . مروجها خضراء ومدنها فيحاء . معتدلة الموقع والاقليم . رقى فيها الماء واعلّ النسيم . متنوعة الزهور . ضاحكة الثغور . كثيرة الثمار والغلال . بديعة الحزون والجبال . اريضة الحقول . زاهية الاعشاب والبقول . تارّجت في حلتها الازهار . وغرّدت على اقنان جنانها الاطيار

وأطلق الطير فيها سجع . منطوي
وأطل يسرق بين الدوح خطوته
وقد بنا الورد مقترًا ميايمه
من احمر ساطع او اخضر نصير
والشعب تبكي وتغرّ البرق مبسم
فالطير في طرب والشعب في حرب
تخترها جبال ثناء^(٢) . ولودية نضرة غناء . وسهول وسيعة فسيحة . حوت الحقل
والغابة والجيرة والبطيخ^(٣) . ازدانت باعجب العاديات والآثار . وتباهت باقدم
اللائث والامصار . منها غرطة دمشق العجاء . وقاع حلب الشهباء . التي
ترنمت بمدحنا الشعراء . وثملت بذكرها النفوس . كالشيخ عبد الغني النابلسي
وغيره ما تضيف عن ذكره الطروس . فمأ قالة المذكور في وصف جلق ما يأتي

ان سامك الخطب المول فاقلنا
 نجد المرام بها وكل مناك بل
 بلد سميت بين البلاد محاسنا
 اين تشقوا وطننا فذي اولي لكم
 طابت هوا للنفوس وماؤها
 جلت محاسنها عن المعتاد فلست
 يا حسن وادبها وطيب شبيهه
 وتراسلت اطيارة بين الرئي (٥)
 كيف انجعت بخر فمرك ماوه
 يا حبل اشراق مرجها التي
 ضحك ازاهرها على اغصانها
 قد دندنت انهارها في جربها
 سئيت دمشق الشام صوب غامة
 كم تزهة للعين فيها قد زمت
 هي شامنا اعلی الاله منارها
 ومن بلادها حص وانطاكية وحماه ربيع حل بها الانس في اطيب جاه.
 مغان قد اطاعها العاصي وجرت امواته اليها من الاقاصي . قال ابن حجة

الحموي مشوقا الى البلد الاخير

واذا تسميت الشلا وتطرت
 عرج على وادي حماة بحرة
 واجل لنا في طي بردك نشره
 لله ذاك السخ والوادي الذي
 يا ساكني معنى حماة وحكمكم
 ومنها جبل لبنان البديع . بما فيه من العيون الباردة والينابيع . والمناظر
 منك الذبول وطبت يا ريح الصبا
 متيها (٦) منه صعبا طيبا
 فغير ذاك الطيب لن تطيبا
 ما زال روض الانس فيه نخيبا
 من بعدكم ما ذقت عيشا طيبا

الساحرة الالباب . والودية الخضراء والروابي والمضاب . والدساكر وانقري
والضباع . وشلا الازاهر التي تآرج غيرها وضاع . والمراء النقي القوي للابان .
والرياض اليانعة والمغول والغبطان . والارز الوارد ذكره في كتب الانبياء
والزبور . والشعوب التي اشتهر تاريخها من سالف الدهور . والامهر التي عذب
ساؤها وصفا . كالباروك وابي علي وابراهيم والصفا . فهذه جداول سمح بها عليه
الفيث المدرار . فأعدت على الاملين وايل (١) اللجين (١٠) والنصار (١١)

واين انت من ثغورها البحرية وتاريخها الجلل . القائمة كمراس تخال في
ابهي الجلل . كطرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ويافا وغزة . المائة في
برود النبي والتدم والعزة . فحترى بما قيل عن الاولى فقط . قال ابو الطيب
اكارم حسد الارض السماء بهم وقصرت كل مصر عن طرابلس
وقال ابن الرومي

| | |
|--|---------------------------------|
| باربعة نادت وصاد مقاماً | على سائر الامصار في البحر والبر |
| بأبيض تلج واحرار كثيرها | وخضرة مرج قد جلا رزقة البحر |
| ناميك ايضاً بمدنها الفلسطينية ارض الميعاد ومهبط وحي التورية والانجيل . | |
| كطبرية وصفد والناصره والقدس الشريف والخليل . ومجربها كجيرة انطاكية | |
| البيهة . وامايا والمرج والحولة ولوط وطبرية . التي يقول فيها ابو الطيب | |
| لولاك لم أترك البحيرة وآل | غور دفي وماؤها شيم (١٢) |
| واللوج مثل الغول مزينة | هدر فيها وما بها قطم (١٣) |
| والطير فوق الحباب تحبها | فرسان بلق نخومها الجهم |
| كأنها والرياح تضربها | جيش ونخي هازم ومهزم |
| كأنها في بهارها قهر | حفت بها من جأها ظلم |
| تغنت الطير في جوانبها | وجادت الارض حولها الدم (١٤) |
| فهي كارية (١٥) مطوقة | جرد عنها غشاؤها الأدم (١٦) |

والخلاصة انها بلاد ميزها الخالق بطيب التربة والنماء . وزانها بصفاء

الافق واعتدال الهواء . وتوَع فيها الارضاع والمواقع . وجاد عليها بكل نبت
 يانع . وانبع من جوفها الماء الزلال . وطَوَّق جبالها بمتود الجبال . ووقر فيها
 الازامر والرياحين . واكثر على ادبها الرياض والبساتين من كل فاكهة بها
 زوجان . تسبح ورقها على منابر الاغصان . تلو آيات البناء والطرب . فيحياها
 خرب الغدير بالتصفيق والعجب . ويتلاعب النسيم بالافتان . فينقط بساطها
 النبروزي بالآلآت والنعيان . وقد اوسع المولى فيها الخول والعباس . المنمة
 بوشي الاخضرار والاحرار واليباس

| | |
|---|---------------------------------|
| أقنبا ذو العرش جل جلاله | سجانه من واحد متفرد |
| بنفض ومذهب ومطرز | ومجهر ومعبر ومورد |
| والأس بين شقائق وحلائق | والنصن بين موح ومغلد |
| والطير بين تسج وتقدس | وبهل وتفكر وتجد |
| والماء بين تدفق وترفق | وتفند وتسل وتجد |
| والدوخ برقص والنسيم مشيب | والنهر بين نصمي (١٧) وتفند (١٨) |
| والورد يحكي بالنصون مجامرا | نار على ماء الحما لم تخمد |
| والياسين مفتحا ومغلقا | يحكي مجتهد غول الحسد |
| وكذلك السرير أصبح باسماء | في ثغره تبر برائح ندي |
| والاقحوان بسيفه وبنده | مدلاح يزهو كالحمام الأجرد |
| والرند والموسان مع رجامها | ما يتهاشي بهاب من الردي |
| والروض جامع الازامر بسطة | وقناول الأترنج لاحت في القدي |
| والطير بخطب والنصون منابر | والعرق اضحى راكما بجهد |
| صاح المرار مسجيا ومجددا | ومندسا بشدو بصوت مفرد |
| من بعد هنا قد رأيت عجائبا | والصبح يطرد للظلام الأسود |
| هنا صنع الله جل جلاله | قد اتقن الاشياء حتى تهدي |
| اما عقول اهليها فرفعة ذكية . لاسيا متى توقرت لم وسائل العلم | |

والصناعة العالية . وصِفوا منذ عصر الفينيقيين واليونان والرومان . بعلوِّهم
وتوقُّدِ الاذهان . وقد اخذوا ينشطون لله الحمد من عقال . بعد ان اخفى عليهم
الدهر بصروف الاموال . فانتشأوا المدارس والمكاتب والمطابع والجرائد .
وتخذوا ذرائع^(١٤) للترقية واحراز الفوائد . بظل جلاله عليهم الباسط لهم
اكتف الفوئد والقسط والامداد . الرووف بهم رافة الاب المحب بالاولاد . فلا
يعوز هذا القطر السعيد . الا تقريب الاتصال بسلك الحديد . وتمهيد طرق
المركبات . وترقية الصنائع والآلات . وفتح المعامل وتشغيل العقول الباردة .
وعقد الشركات للمشروعات النافعة . واعلاء شأن الزراعة وجلب الآبها . ودفع
اسباب انحطاطها وردع آفاتها . والعناية بالمعادن (والاحراش) . والاقتصاد
بالاثاث والرياش . وتازر ابناء الوطن وتضامهم على الخير العام . وتناصرهم
على المحب والولاء والسلام . ولا غرو فان مرفاً تفر يبروت وصلته بخط الترموي
النجاري مع دمشق الشام . خطوة مهمة تدفعنا الى الامام . وتبشرنا بصعود سوريا
على مراتق النجاح . وسيرها في سبل التقدم والفلاح . فلا نعم ان شاء الله حتى
تستأنف سالف مجدها . وتسترد فائت عزها بكدها وجدها . تحت لواء حضرة
سلطانها وولي امورها الجليل . المسبح عليها مطارف نعمته الوارقة الظليل

- (١) الزاكي والتاجع من الماء (٢) مرتفعة (٣) مسيل واسع
فيومل ودقاق الحصى (٤) اشغال وطوار كل شيء وهو ما انقاد معه من
عرض وطولو (٥) جمع راية وهو ما ارتفع من الارض (٦) فقيراً
(٧) جبينات (٨) توحى وتعهد وقصد (٩) المطر الشديد الضخم
القطر (١٠) الفضة (١١) الذهب والفضة (١٢) بارد (١٣) شهوة
(١٤) جمع دبة وهو مطر يدوم بلارعد ولا برق (١٥) ولد البقرة
الاملس الابيض (١٦) البشرة او الجلد (١٧) اشتداد الصوت
(١٨) تنم (١٩) وسائل او وسائط

فهرس الجزء الاول

من

قلادة النحر في غرائب البر والبحر

| صفحة | | صفحة | |
|------|-------------------------------|------|-----------------------------|
| | | | مقدمة |
| ٢٧ | ايسلاندا والقياس وجبل ميكلا * | ٢ | |
| ٢١ | هنود اميركا لباسهم ومعبوداتهم | ٥ | العالم القطبي * |
| ٢٢ | " اطفالهم ومسكنهم | ٧ | منطقة القطب الجرداء |
| ٢٥ | " اعيادهم * | ١٠ | غابات الاقاليم القطبية |
| ٢٨ | " جاموسهم وصيده + | | انولر الافق الحمراء والشفق |
| ٤١ | الارياض المشتعلة في اميركا | ١١ | الشمالي + |
| ٤٢ | آجام اميركا والحداة + | ١٢ | بعض حيوانات الاقليم القطبي |
| ٤٤ | حمام اميركا وشجرة الماهوكاني | ١٤ | التقطب الجنوبي * |
| ٤٦ | غيمطل البرازيل وهنودها * + | ١٦ | الزقاق الشمالي الغربي + |
| | نبات الدقيق البرازيلي وحيوان | ١٩ | كلاب المركبات والذئب الابيض |
| ٥١ | التاير | ٢١ | بيوت الفخج + |
| ٥٢ | البرازيل وسكانها وصيدهم | ٢٢ | الكريلندي والمحوت + |
| ٥٥ | وصف الصيد | ٢٦ | لابلندا واللابنديون |

* للدلالة على انه مشكل + للدلالة على انه في رسوم

| صفحة | صفحة |
|------|------|
| ٢٢ | ٥٧ |
| ١٠٠ | ٥٨ |
| ١٠٤ | ٥٨ |
| ١٠٥ | ٦٠ |
| ١٠٧ | ٦٣ |
| ١٠٩ | ٦٤ |
| ١١١ | ٦٥ |
| ١١٢ | ٦٨ |
| ١١٤ | ٧١ |
| ١١٥ | ٧٣ |
| ١١٨ | ٧٥ |
| ١١٩ | ٧٧ |
| ١٢١ | ٨١ |
| ١٢٣ | ٨٤ |
| ١٢٥ | ٨٥ |
| ١٢٦ | ٨٦ |
| ١٢٩ | ٨٧ |
| ١٣٠ | ٨٨ |
| ١٣٢ | ٩٠ |
| ١٣٤ | ٩١ |
| ١٣٧ | ٩٣ |
| ١٤٠ | ٩٤ |
| ١٤٣ | ٩٥ |

جسر القروء

زنايق الماء الكبيرة

حمام الاطفال الخلي وشمع الختل *

سهول اللانوس +

حوان سهول اللانوس وطينها

الانوار في الاشجار

ارض الجبابة *

سهول البامباس وسكانها وجبالها

شجرة اللبن وحيوان الالاما

الفل الابيض موطنه وطباعه

" قرأه العجبة

" حرورية +

" اضراره *

" الصغير

" الاحمر والاسود

" صفاته العامة وانواعه

" ولوراق الشجر الماشية

آكل الفل

الاعشاش المدلاة +

شجرة المغاط +

حيات الماء الرطاة

ماس البرازيل

شجرة الشينكونا

| صفحة | صفحة | صفحة | صفحة |
|------|------------------------------|------|---------------------------|
| ١٢٠ | النبت والتبظ في الهند | ١٤٢ | عبد الزبدة في تبيت |
| ١٢١ | جمور الهند * | ١٤٥ | مكل الذهب في تبيت |
| ١٢٣ | المخاش | ١٤٧ | اثر قدم يوده * |
| ١٢٥ | الغورلا وطوران اوتاقح + | ١٥٠ | الفيل قسم ١ + |
| ٢٠٠ | الذهب قسم ١ + | ١٥٤ | " قسم ٢ |
| ٢٠٦ | " قسم ٢ | ١٥٨ | المر في سيلان + |
| ٢١٤ | البيداء | ١٦٠ | التخل السيلاني |
| ٢١٦ | العرب اخلاقهم وعواظهم | ١٦١ | الطائر الدنان * |
| ٢٢٢ | " حيواناتهم ومحصلاتهم | ١٦٤ | النبات |
| ٢٢٤ | " خيامهم وانائمهم * | ١٦٥ | الريثلاء + |
| ٢٢٧ | وصف النفس | ١٦٧ | خاطف الذباب |
| ٢٢٨ | العرب طعامهم ومضايغهم | ١٦٩ | جوز الطيب وكبش القرنفيل |
| ٢٣٠ | " لباسهم | ١٧٠ | طائر الجنة + |
| ٢٣٢ | " زواجهم وحنائهم | ١٧٢ | الكركو * |
| ٢٣٥ | التعام * | ١٧٤ | الهوام المضيفة |
| ٢٣٩ | البن | ١٧٦ | طبقات امة الهند |
| | الاقاليم الاستوائية في الكرة | ١٧٧ | مستشفى الحيوانات في الهند |
| ٢٤٠ | الغربية | ١٧٨ | ملارس المنود |
| | الاقاليم الاستوائية في الكرة | ١٨٠ | بيوت الهند * |
| ٢٤٧ | الشرقية + | ١٨٢ | النهر المقدس |
| ٢٥٥ | الاسد * | ١٨٤ | بنارس |
| ٢٦٢ | الاقاليم المعتدلة قسم ١ | ١٨٥ | غياض الهند + |
| ٢٦٨ | " " قسم ٢ | ١٨٦ | شعب بوان |

اصلاح خطا

| صواب | خطا | طر | صفحة |
|------------------|----------------|----|------|
| الصَّوَابُ | الصَّوَابُ | ١١ | ٦ |
| أَقْلَر | أَقْلَر | ١٠ | ٩٦ |
| الآن | الآن | ٦ | ٩٨ |
| سَرَاهُ | سَرَاهُ | ١٢ | ١١٧ |
| تَوْبَهَا | تَوْبَهَا | ٢ | ١٢١ |
| جِيَا | جِيَا | ٢٠ | ١٢٤ |
| قَرَوَيْن | قَرَوَيْن | ٢٠ | ١٥٢ |
| مَعْدِيهِ | مَعْدِيهِ | ٦ | ١٦٠ |
| دَاعِي | رَاعِي | ١٤ | ١٧٤ |
| خَطْرًا عَظِيمًا | خَطْرٌ عَظِيمٌ | ١٠ | ١٩٤ |
| تَخَلَّتْ | تَخَلَّدَتْ | ١٤ | ٢١٢ |
| الْفِيئَاءُ | الْفِيئَاءُ | ٦ | ٢١٥ |
| الْبَضْرِبِ | الْبَضْرِبِ | ١٢ | ٢٢٤ |
| الْبَضْرِبِ | الْبَضْرِبِ | ٨ | ٢٢٥ |
| وَقَنَادِل | وَقَنَائِل | ١٢ | ٢٧١ |

وقد وقع بعض اغلاط غيرهما في الطبع لا تخفى على القارى

قلادة البحر
في
غرائب البر والبحر

الجزء الثاني
في غرائب البحر

لمؤلفه سليم كساب عفي عنه

بالرخصة الرسمية من مجلس معارف ولاية بيروت الجديدة نمرة ٤٧٠
٢٤ تشرين الثاني سنة ٢٠١٢

حتى إعادة طبعه محفوظ للألف

طُبع في مطبعة الاميركان في بيروت سنة ١٨٦٢

الجزء الثاني

غرائب البحر

قعر البحر وعمقه وقياسه وسكانه

البحر يغطي ثلاثة ارباع سطح الارض تقريباً . واذا غصنا في اعماقه نشاهد
جبالاً وودياناً ووعوراً وسهولاً واحكاماً وحلقات جميلة ونباتات غريبة وحيوانات
عجيبة صغاراً وكباراً تنوالد وتموت وتسكن اماكن معينة حسب اجسامها وانواعها
وصنوعها . فلما انكشف قعر البحر رأينا كوجه اليابسة
ونفذ استعمال لقياس عمق جبالاً متيناً منوطاً بوقتيب حديد ثقيل في
طرفه الاصل شبه كأس مطلي بشحم او مادة دهنية اخرى لاختراجه بعض
الرواسب في قراره وعلقوا بهذا القضيبة كرة رصاصية تثلبها بحريسة ابطال
مضبوطة بهرس داخل في حلقات . فاذا بلغ الجبل القعر كلف الشد وانقلت
المرس من انكلايب واستطعت الكرة الى الارض وبطل ثقل القضيبة فيتمتع
لم جذبته . وفي خلال ذلك يلصق بالكأس المدهونة بالشحم راسب من قعر
البحر . فتند استخراج هذه الوسطة انموزجات على عمق اربعة اميال
وقد سبروا^(١) هذه الآلة الاتلاميك الشمالي بين ٢٥ و ٤٠ و الى
جنوب مخزور نيورفندلند الهنمية . فوجدوا العمق هناك لا يزيد عن ٢٥
الف قدم . قال احد الاتلاميك السابقين " ان قرار الاتلاميك كله طويل يفصل

العالم القديم عن الجديد والإرجح أنه يتدُّ من قطبة الى قطبة . وهو يبين
الاقويانوس الباسيفيكي عرضاً . وقد بلغ اعتمق مكان سبروهُ تلك الآلة من
رأس كامبوزو الى قعر الانلاتيك تسعة اميال قياساً عمودياً . وقد حسب
بعضهم معدّل عمق البحر من يابان الى كليفورنيا فيبلغ ١٤٤٠٠ قدم . وفي
الاقويانوس الباسيفيكي على عرض ٦٠° جنوباً و ١٦٠° شرقاً ٦٠٠ قدم وذلك
نحو ميلين ونصف

اما عمق البحر المتوسط فتقليل بالنسبة الى الاقويانوسات فانه لا يزيد عن
٥٧٠٠ قدم وفي الاجبان الضيقة من ١٠٠٠ الى ٣٠٠٠ . قيل ان الادرياتيك
قليل العمق ولا يزيد عن ١٤٠ قدماً بين سواحل دلماطية ومصاب نهر بو .
وكذلك البتيك فان معدّل عمقها اعظم لا يزيد عن ٦٠٠ قدم . ومعدّل
عمق البحر العالم ١٣٠٠٠ قدم

فهذه القياسات اعانت كثيراً على مَدِّ اسلاك البحر البرقية . ونخص الحيوانات
القاعية^(١) القاطنة تلك الاعماق . فقد استخرج بعضهم من عمق اربعة او خمسة
اميال ١٢٥ نوعاً من تلك الحيونات منها ٢٢ نوعاً جديداً
وقد حسب انه لو اجتمعت مياه كل الابحر معاً لآلفت منها دائرة مساحتها
٥٠ او ٦٠ فرسخاً . فلو فرضنا وجه الكرة مسطحة لغطتها تلك المياه الى علو ٦٠
قدم وتيف . ولو فرضنا معدّل عمق البحر ١٣٠٠٠ قدم لكان قياس ما حواه
من المياه النين وميتين وخمسين مليون ميل مكعب . ولو تصوّرنا ان البحر قد
جفّ لاقتضى لقنوات اليابسة وانهرها واسراها ان تنصب في اربعين الف
سنة كي تملأ حوضه الفسيح

اما سكان اليمّ فاوفر عدداً من سكان اليابسة واعظم غرابة . فان جباله
ولوديته ووهاده وبطاحه ملأى ومزدانة بالاجسام الحية الفاتحة الاحياء . منها
النباتات المجموعة والمفرقة المنتصبة والمنحنية المنتشرة مروجاً او حوفاً او ادواحاً
تاوي فيها وثقات منها ملايين من الحيوانات الزاحفة والدابة والراكهة والساجدة

فعر البحر

٥

والطائرة . تغطس في الرمال او تلتصق بالصخور او تأوي الشتر والشفوق ان
تبقى لما اوجرة وججورا . تفر وثواب وتعدو وتتلعب وتضارد ويقا تل بعضها
بعضا . يتواد ويدل احدهما الآخر او يفترسه حتى تند حيوانات ادغال
الباية وبرارها دونها عددا وغرابة . فالوقيانوس وان حسب للانسان غمر
الموت والاختناق هو موطن الحياة والصحة والمجور لالوف الوف من الخلائق
التي تذهل الالباب . وهناك اشد الاجسام رخاوة كالهلام (٢) واعظها صلابة
كالاصناف وادقها حجما كالنواعيات التي لا ترى بالعين المجردة واكبرها حجما
كالبال البالغ طولة ٧٠ ذراعا . فهو مجموع الضارع والباين . والبساطة
والتركيب . والتدني والترقي . والسكون والاضطراب ومشهد العجائب
والغرائب وقد قلت في وصفه هذه الايات

أَقْبِلْ إِلَى أَنْبَرِ الْعَجِيبِ الزَّائِرِ وَأَنْظُرْ بِهِ صَنِيعَ الْحَكِيمِ الْقَادِرِ
مِنْ كُلِّ حَيٍّ سَاجٍ أَوْ طَائِرٍ أَوْ زَائِحٍ أَوْ عَائِمٍ أَوْ غَائِرٍ
يَنْسَابُ فِي أَيْهِ الْحُلَى وَالْبُرْدِ

كَمْ فِي مِيَاءِ الْبَحْرِ مِنْ أَصْدَافٍ تَزْهُو بِثُوبِ الْحَسَنِ وَالْأَلْفَافِ
أَسْهَاكُهُ نَاقَتْ عَلَى الْأَوْصَافِ بِالْجَنَسِ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَصْنَافِ

تَأْوِي أَنْبَارَ الْوَسَاعَاتِ الْبَهِيدِ
وَالْكُلُّ يَسْعَى سَاجًا أَفْوَاجًا قَدْ شَقَّ فِي الْعَالِيَةِ الْأَمْوَاجَا
لَا يَخْشَى بَجْرًا غَدَا عَجَاجَا يَبْشِي حَيْثُنَا خَارِفًا مِنْهَا جَا

فِي جَوْفِ بَحْرِ زَاخِرٍ مَهْدٍ
كَبِيرَهَا يَفْتَاتُ بِالصَّغِيرِ تَجْرِي وَلَا تُعْيِي مِنَ الْمَسِيرِ

تَزْدُو بِلُونِ الصَّبْدِ الْمَبِيرِ أَوْ أَرْجَوَانِ لَاحٍ أَوْ حَرِيرِ
بَيْنَ الصُّخُورِ وَالنُّصُونِ الْمَلْدِ

لَا تُغْبِضُ الْأَجْنَازَ وَسَطَ الْبَحْرِ فِي صَيْدِهَا رِيحٌ وَطَرْدُ الْبَحْرِ
مِنْ زَيْتِهَا نُعْطَى عِلَاجَ السُّنَمِ فِي جَسَدِهَا لَحْمٌ لَذِيذُ الطَّعْمِ
مَعَ كُلِّ ذَا تَبَقَى بغيرِ عَدُوِّ

قَدَّ قَتَّ الْأَجْنَاسُ وَالْأَنْوَاعُ وَأَمَنَاتِ الْأَعْضَاءِ وَالطَّبَاعِ
قَدَّ صَانِهَا فِي مَهْدِهَا الْإِبْدَاعِ رَاقَتْ بِهَا الْأَبْصَارُ وَالْأَسْمَاعُ
لَهَا حَوْتٌ بِدَيْعِ صُنْعِ الْفَرْدِ

قَامَتْ نِقَاعِيَّاتُهُ لِلشُّغْلِ تَنْبِي جِبَالِ رَاسِيَاتِ الْأَصْلِ
بَلْ جُرْزَانًا مِنْ كِلْسِهَا وَالرَّمْلِ فَهِيَ الصِّغَارُ إِنهَا فِي الْفِعْلِ
بَأْتِ كِبَارًا فَاتِقَاتِ الْجَهْدِ

أَزْهَارُهُ فِي رَوْضَةِ الْهَرَجَانِ تَزْهَوُ بِأَبْهَى الْوَشْيِ وَالْأَلْوَانِ
قَدْ حَاكَهَا الدَّيْسُ كَالْعَقِيَانِ وَالْوَرْدِ وَالنَّسْرِينَ وَالرَّيْحَانَ
مِنْ قُوَّتِهِ الْمَذْخُورِ ضِمْنَ الْجِلْدِ

مَنْ يَأْتُرِي بِدَرِي بِهَا فِي الْبَحْرِ مِنْ كُلِّ مَخْلُوقٍ عَجِيبِ الذِّكْرِ
أَوْ هَائِلَاتٍ لَا تَرَى فِي الْبَرِّ أَوْ لَوْلُوهُ أَوْ أَنْجَمِ أَوْ دُرِّ
مَخْلُودِي الْهَرِّ الصَّحْحِ النَّقْدِ

حَيَاتُهُ وَالسَّيْفُ بَاتَتْ تَشَهَّرُ حَرْبًا بَدَا فِيهَا الْحَسَامُ الْأَبْتَرُ
 وَالْكَلْبُ وَالذِّئْبُ الْخَيْفُ الْمُدْعِرُ عَنْ حَرْبِهَا مَعَ بَالِهِ لَا تَقْدَرُ
 تَسْطُو بِعِزْمٍ فَاقَ عِزْمَ الْأَسَدِ
 غَيْرُ قَسِيحٍ مُدْهِشُ الْأَبْصَارِ تَسْعَى عَلَيْهِ الْخَلْقُ فِي الْأَسْفَارِ
 يُعْطِي حَيَاةَ الْأَرْضِ بِالْأَمْطَارِ يَسْطُو عَلَيْهِ وَاحِدُ الْأَقْبَارِ
 فَيَقْتَدِي فِي جَزْرِهِ وَالْمَدَى
 فِي جَوْهَةِ الْأَنْوَاءِ وَالْأَعْضَارِ فِي جَوْفِهِ الدُّرُورُ وَالنَّبَارُ
 تَارَتْ بِهَا الْأَمْوَالُ وَالْأَخْطَارُ حَارَتْ بِهَا الْأَفْهَامُ وَالْأَفْكَارُ
 سَجَانٌ بَارِيهَا الْمَعِيدُ الْمَهْدِي

(١) قاسم (٢) الصغيرة المجرية (٣) كالنخبة (٤) سريعاً

الوان البحر

الوان البحر تختلف على الدوام . فمنها الازرق واللازوردي والايض
 والاصفر والاخضر والاحمر والاسود . فالازرق في الاوقيانوس واكثر البحر .
 والايض في جون غينيا . والاصفر في سواحل يابان . والاخضر في غربي الجزائر
 اثنالذات . والاحمر في خليج لوانتو . والاسود حول جزائر ملديف . اما البحر
 الايض فيسمى كذلك لكثرة ثلوجه . والاسود لوفرة عواصفه . واما اختلاف هذه

الالوان فله اسباب محلية شتى . منها ما يتعلق بلون قعر البحر وما يجاوره من الصخور والرمال . ومنها ما ينشأ عن الوان الحيويينات الملونة والتمشورية

بهاء مناظر البحر النارية وأسبابها

ان فصورية البحر اي الوانه النارية اللامعة تنشأ من بعض تقاعيات وحيوانات وتعد من ابداع المناظر وابها ما . فاذا اخترت السفينة بين الحجج بعض الابحر خال راكبها انه في جوف لحيب يتأجج بالوان حمراء وزرقاء وصفراء وخضراء . ورأى ملايين من تلك الحيويينات تتلاعب وتوثب على الحجج فتجتمع وتنترق وترتك وتختبط فيتوهما ميلان لظي فسيح الارحاء . ويزداد بهاء تلك المناظر ان العواصف والزجاج . اذ يعاين المسافر الامواج تفتح وترتفع وتتكسر فييدومها زبد فضي تسمع عليه امواج برائة يظنها اما كآ نارية تطارد ويمسك بعضها بعضاً . ثم تفلت وتنتشر ايضاً . ومتى ارتفعت الموجة رأيت ذلك الجسم الناري على قمها ومتى هبطت انبسط النور الى سائر الجهات . فتلتصق بالدفقة وتصلطم بمقدم السفينة وتلاعب حول الصخور المتلاطمة عليها الامواج . فيعاين الناظر مشهداً سحرياً يجلب الالباب . وتفرز هذه الحيويينات في سباحها سبباً لا مبراً يمدد ويترجج وينتشر . وكلما سارت غادرت وراءها خطوطاً وسطوراً وسلاسل متألقة تمتد بسرعة مدهشة

ومن اعجب هذه التقاعيات صف يدعى يروسوما . وهي كيس ملامي طوله عنده واحدة بلقي على ظهر السفينة نوراً يماكي قضيب حديد محمي الى درجة الحرارة البيضاء . ومنها كرة ملامية لا تترى بالعين المجردة ولكنك اذا فحصتها بالجرهر رأيت لما فيها ومعدة واهلياً متدلية ولوعية دقيقة يومض منها النور كوميض البرق وهو تحت سلطانها فتبدية عند اقل حركة . وقد اتخن

احد علماء الطبيعة ذلك بأن ملأناه من ماء البحر المغم بلك الحيوانات .
 فبعد ان سكن الماء كثت عن الانارة وهدأت . ثم صب في الماء قليلاً من الحمض
 واذا بها اضطربت وتماوجت وتألقت بالوان بيبة كجسيم تساقطت من السماء .
 ومنها حيوانات صدقية ذات قوة فصفورية شديدة حتى اذا اكها البعض
 اضاعت شفاهم كأنها التهبت بنار . وقد وضع بعضهم قدرًا من هذه الحيوانات
 في اللبن فتأج حتى استطاع القوم القراءة على ضوءه ليلاً

قال الريان كينان الاميركي في احدي سفراتوه " قطعنا منطقة طولها ٢٣
 ميلاً ملامى بهذه الحيوانات الصفورية . فكانت تلتون منها المياه على امد ٨
 ساعات باللون الايض واللبي ثم تحولت الى ميلان تلج فصح الارجاء . وكان
 يتراعى لنا البحر احياناً مشاعل انوار باهرة . وكانت حركة السفينة او الجناف
 تزيد لمعاتها والصخور واعشاب البحر تضطرم منها بعد انحصار المد " . وقال
 المسار بيرسن في رحلته الى جزائر فرانس " بينما كانت سفيتنا تشق عباب
 الامواج اذا بطبقه صفورية انتشرت امامنا كبساط عظيم عائم على القمر . وكان
 اعتمها وضعا ككرات نار حامية . والسطحية تحاكي انايب حديد حمراء حمئة .
 وكان ظاهرها مستخفاً من غدد ثنائى كحجار كريمة . ولاح لنا ان تلك الغدد هي
 حلة لمعاتها الاصلية . اما جوفها فكان حاوياً ايضاً غدداً عديدة مستطيلة ضيقة
 ذات قوة فصفورية شديدة . فاذا كانت تلك الحيوانات في حال السكون
 رأيت لونها اصفر برافاً ممزوجاً بأخضر . ولكنها تنكش عند اقل حركة
 وتقلص وتومض بالوان لامعة تختلف بين الاحمر القاني والاخضر الزمردي
 والازرق اللازوردي " . وقال السر جون هرشل " رأينا على سطح ماء ساكن
 نوعاً غريباً من تلك الحيوانات الصفورية من جسم البوليفون ذات صور
 قوية المخطوط تغطي مساحة كبيرة انارت المياه بضع دقائق بانوار باهرة ثم
 اجازت وتولت عن العيان كلع البصر

ومن الغريب انه اذا زاد تكاثر المياه بكثرة الامطار او رقت بقلتها ماتت

هذه الحيوانات . وفي توجد في كل البحر ولا سيما في الأوقيانوس الهندي
وخلج العرب

ملوحة ماء البحر وثقله

مِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ مِيَاهَ الْبَحْرِ أَجَاجٌ وَأَثْقَلُ مِنَ الْمِيَاهِ
الْعَذْبَةِ . وَعِلَّةُ ذَلِكَ الْأَمْلَاحُ الْمَعْدِنِيَّةُ الذَّائِبَةُ فِيهِ . فَإِذَا كَانَ
ثِقَلُ قَدْرِ مِنَ الْمَاءِ الْعَذْبِ الْمُخَالِصِ ١٠٠٠ رَطْلٍ مَثَلًا كَانَ
ثِقَلُ مِثْلِهِ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ ١٠٢٦ رَطْلًا . أَمَا تَعْلِيلُ مَلُوحَةِ مَاءِ
الْبَحْرِ عَلَى مَذْهَبِ أَشْهَرِ الْعُلَمَاءِ فَكَهَا بِأَنِّي . إِنَّ قِشْرَةَ الْأَرْضِ
فِي دَوْرٍ سَيَّارِنَا الْأَوَّلِ قَبْلَ تَكَاثُرِ الْأَشْجَرَةِ الْمَائِيَّةِ وَقَبْلَ
سُقُوطِهَا عَلَى الْأَرْضِ مَطْرًا كَانَتْ تَحْتَوِي عَلَى مَوَادِّ مَعْدِنِيَّةٍ
شَتَّى يَذُوبُ بَعْضُهَا فِي الْمَاءِ . فَلَمَّا أَخَذَتِ الْأَمْطَارُ بِالِانْسِكَابِ
الْمَرَّةِ الْأُولَى عَلَى الْأَرْضِ الْهَيْلِيَّةِ جَرَفَتْ مَعَهَا كُلَّ الْمَوَادِّ
الْقَابِلَةِ لِلذُّوبَانِ فَجُمِعَتْ وَرَسَبَتْ فِي أَعْوَارِ الْأَرْضِ
وَمُنْحَضَاتِهَا مِنْ الْأَدْوَارِ الْهَيْلِيَّةِ فِي الْقِدَمِ . وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ فِي
هَذِهِ الْأَحْوَاضِ مِنْ مَنَعِدٍ لِحُرُوجِهَا كَانَتْ تَرْتَكِمُ فِيهَا إِلَى

مَا شَاءَ اللَّهُ. لَوْلَمْ يَكُنْ قَدْ سَخَّرَ الْهَوْلَى حَيَوَانَاتِ الْبَحْرِ وَنَبَاتَاتِهِ
 الْوَيْرَةَ لِلانْتِفَاعِ بِهَا وَاسْتِغْنَامِهَا لِحَاجَتِهَا. فَإِنَّ نَبَاتَهُ يَغْذِي
 بِالْكَلسِ وَالسُّسُومِ وَالْبُوتَاسِيُومِ وَالْيُودِ فَتَدْخُلُ فِي تَرْكِيبِ
 نَسِجِهِ. وَحَيَوَانُهُ يَنْسُجُ غَطَاءَهُ وَأَصْدَاقَهُ مِنْ كَرْبُونَاتِ الْكَلسِ
 وَالسُّسُومِ وَالْبُوتَاسِيُومِ وَالْهَيْنِسِيُومِ. وَالتَّقَاعِيَاتُ كَذَلِكَ
 وَمِنْهَا الْحَيَوَانَاتُ الْمَرْجَانِيَّةُ

فَالْأَمْطَارُ إِذَا عَاةُ أَمْجُرِ الْكُرَّةِ الْأُولَى الْجَنِبَةِ فِي
 أَحْوَاضِ قَسِيحَةٍ وَالذَّائِبُ فِيهَا كُلُّ الْمَوَادِّ الْقَابِلَةِ لِالِانْحِلَالِ
 مِثْلَ كَأُورِيدِ الصُّونِيُومِ وَسُولْفَاتِ الصُّودَا وَالْهَيْنِسِيَا
 وَالْبُوتَاسِيُومِ وَالْكَلسِ بِصُورَةِ سِيلِكَاتِ ذَائِبَةٍ. فَإِذَا تَحَرَّيْنَا
 الْأَمْرَ وَعَلِمْنَا أَنَّ نَوَاسِيسَ الطَّبِيعَةِ لَمْ تُتَغَيَّرْ مُذْ بَدَأَ الْكَوْنُ
 حَتَّى الْآنَ وَأَنَّ كُلَّ مَوَادِّ الْأَمْجُرِ الْأُولَى الْقَابِلَةِ لِلتَّوْبَانِ
 بَقِيَتْ هُنَاكَ وَأَنَّ مَاءَ الْأَنْهَارِ الْعَذْبِ لَا يَكْفُ عَنْ الْقِيَامِ
 مَقَامَ الْمَاءِ الصَّاعِدِ بِالتَّجْرِ نَسْتَلْنَا مَعْرِفَةَ الْعِلَّةِ الْحَامِلَةِ عَلَى
 مَلُوحَةِ مَاءِ الْبَحْرِ

وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَاءَ الْبَحْرِ مُرَكَّبٌ كَالْمَاءِ الْعَذْبِ مِنْ جُزْءِ
 الْكَمِيْنِ وَجُزْءِ هَيْدْرُوجِيْنِ. وَلَكِنْ يَدْخُلُهُ أَيْضًا مَوَادُّ مَعْدِنِيَّةٌ

محلولة فيه . ففي كل أنف قمحة من ماء البحر توجد الجواهر
الآتية

| | |
|---------------------------------|-----|
| قمحة | |
| ماء | ٩٦٢ |
| كلوريد الصوديوم او الملح العادي | ٢٧ |
| كلوريد المغنسيوم | ٤ |
| كلوريد البوتاسيوم | ٤ |
| بروميد المغنيسيا | ١ |
| سلفات المغنيسيا | ١٢ |
| سلفات الكلس | ٨ |
| كربونات الكلس | ١ |
| فيبقى بقية قدرها | ٢٩ |

١٠٠٠

وهذه البقية مركبة من الهيدروجين والكبريت
وهيدروكلورات الامونيا واليود والحديد والنحاس والرصاص
والفضة يتفاوت قدرتها بتفاوت العمل والنوع فقد فحصوا
في فالباريزو قاعدة سنينة مصفحة بالنحاس اطالت السفر في
البحر فوجدوا عليها اثار فضة لصقت بها من مياه البحر .
قال بعضهم ان البحر يحوي نحو مليوني وسف فضة ذائبة .
وتوجد عدا ذلك مادة هلامية حيوانية ونباتية محلولة في

مِيَاهِ الْأَوْقِيَانُوسِ نَاشِئَةٌ مِنْ تَوْلِدَاتِ حَيَوَانِيَّةٍ مُتَعَابِقَةٍ لِأَخْتِى
 أَنْقَرَضَتْ مُدْبِئَةَ الْعَالَمِ . وَمَلُوحَةُ الْبَحْرِ عِنْدَ الْقُطْبَيْنِ
 أَقْلُ مِيَاهٍ عِنْدَ خَطِّ الْأَسْتِوَاءِ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْقَاعِدَةَ لَا تَخْلُومِنِ
 الشَّدُودِ

(١) مزمع

كثافة مياه البحر وفوائدها ملوحتها

ان كثافة مياه البحر تختلف باختلاف اقسامها ومواقعها . فمياه الاوقيانوس
 الاتلاتيكي اكنف من مياه الباسيفيكي واقل منها . وملوحة البحر تزيد كثافته
 وقوة حله الاجسام وتجعله صالحا لحمل السفن والانتقال وتسيرها . وتعد اليابسة
 بقلي ينصب مزروعاتها . وتعين الاشعة على اختراق سطحو . وتنع فساد الماء
 الناشئ من انحلال المواد الحية القاطنة فيه . وتعطي البحر قوة حركه وشدة
 مجاريه . فضلا عن انتفاع الانسان بمجموع الملح في طعامه . هذه كلها خاصات
 لا توجد في الماء العذب . اما مياهه القوية المتبخرة اى المنسكة امطاراً فلا تحوي
 الا املاحاً قليلة تصفى في الطبقات الصخرية ثم تجل معها الى البحر المواد الحية .
 فالاوقيانوس اذا مستودع كل المواد القابلة للتحلل المتبخرة اليه عن سطح
 اليابسة . وملح البحر يعطي مياهه ذلك الشدود الغريب في ناموس التجمد
 والتهدد بالحرارة . قال الباحثون في مياه البحر انه لو اتشربت املاحة على سطح
 اليابسة لرسب عليها طبقة طلها ٢٠ قدماً او يزيد

حركة البحر

للبحر حركة لا تسكن على مرّ الايام والسنين زمان هبوب الرياح وسكونها. فتضطرب امواجه وتجري تياراته وان سكنت الرياح وصفت السماء . واذنا ثارت العواصف طفت العجج وخيل للناظر ان البحر بلغ السماء . واذنا صعب ذلك وميض البروق وهزم الرعود رأى ما ليس اغرب منه في عجائب الطبيعة. وحركات البحر اربع الامواج الرئيسية والتيارات السطحية والتيارات السفلية وحركة المد والجزر

اما التيارات السطحية فهي ما التفت من الامواج دائماً وجرى جرياً قياسياً في جهات معينة حسب دفع الرياح اقياسية . وسميت بالسطحية لندرة بلوغ عمقها اكثر من خمس مئة قدم . منها التيار الاستوائي وعمقه في الانلاتيك ٢٠٠ قدم وتيف ومعدل سرعته في اليوم ١٨ ميلاً . ومنها تيار الاوقيانوس الباسيفيكي المتضم عند نخوم اسيا الى قسطنطينية والياباني وتيار الاوقيانوس الهندي واما التيارات السفلية فهي ما يجري تحت سطح البحر من القطبين الى المياه الواقعة في خط الاستواء . وذلك لان الحرارة تزيد حجم الماء وتغير قوة جاذبيته النوعية فيتهدد او يتكاثف حسب درجة حرارته . فحين يبرد يهبط الى الاعماق لثقله حتى تبلغ حرارته اربع درجات و ٢٥ دقيقة تحت الصفر فلا يتغير . فيظل في كل الاطوال على عمق الف يرد على هذه الحال . ثم يخف عن هذا القياس فيصعد . اذاً كلما زادت الحرارة عن ٤ درجات و ٢٥ دقيقة خف الماء وصعد الى السطح و هبط الماء البارد الى العمق . وكما قص عن هذا القياس انعكس الامر . ولا يتأثر العامل الاول جاريًا عند خط الاستواء والثاني عند القطبين . فان المياه الباردة يهبط الى الاعماق لتقلها وتجري تحت المياه الحارة . فتجري هذه الى جهتي القطبين فتشغل امكنة تلك . ومتى بلغت الباردة الحال الاستوائية

ارتفعت الى سطح البحر فانقلبت جارية الى القطبتين وهكذا على التوالي
والعقاب . وهذا الناموس يضارع ناموس الهواء ويحل على تطهير الماء وتنقيته
واما المد والجزر فالاول ارتفاع ماء البحر وانتداده الى البر في وقت
معين . والثاني هبوطه وانحساره عنه كذلك . ولعلها اختلاف جنب الشمس
واقمر لاجزاء الارض باختلاف اوضاعها . فجازية القمر تزيد عن جاذبية
الشمس لزيادة قرب الارض اليه عن الشمس . فيجذب القمر الجزء المتجه اليه
اكثر مما يقابله . ويجذب المقابل اكثر من الماء الذي عليه فيرتفع الماء على
المتجه يجذبه عن الارض ويرتفع عن المقابل يجذب الارض عنه . فمعظم المد في
جهتين متقابلتين ابداً . ومعظم الجزر في جهتين متقابلتين كذلك . كل منها
على منتصف البعد بين مدين المدين . فالمد نوعان شمسي وقمري يلتقيان
ويقتزان على التوالي . فيزيد المد حين الاقتران ويسمى المد الاقتراني وينقص
عند التربيع ويسمى المد التربيعي . وحينئذ يقع معظم المد القمري موقع معظم
الجزر الشمسي وبالعكس . ويزيد المد ايضا في الاستقبال ويسمى المد الاستقبالي .
فلنا مد اعظم في كل شهر مرتان . والمدة بين مدنين في مكان معين ١٢ ساعة
و٢٥ دقيقة . ولنا في كل موضع في البحر مدان في كل ٢٤ ساعة و٥٠ دقيقة .
مد يجذب الماء عن الارض ومد يجذب الارض عن الماء . ومعدل ارتفاع المد
قدمان ونصف . وقد يرتفع في بعض الاماكن ٦٠ او ٧٠ قدماً وفي بعضها قد
لا يشعر به

مجاري الهواء وفعالها بالامواج

ان لجاري الهواء تأثيراً عظيماً على الامواج . فاننا قصفت الرياح وصدمت
الامواج المرتفعة سمعت لما عجزت هائلاً يخشاه سكان بعض السواحل كثيراً . فقد

عدم المدود والمحاجر وتجرف امامها كل ما تصادف . وقد يضطرم المد
بصابت الانهر الكبيرة حين جريانها الى البحر بسرعة تحاكي وميض البرق .
فيسوق امامه المياه ويدفعا بهماج شديد . وقد يبلغ طول الموجة اربعة اميال
وعلوها ثلاثين قدماً . فتتلاطم بالثورب والسفن الراسية هناك فتقلب بن فيها
وترطم . ويحدث احياناً ان هذه الموجة المائلة تفتح وترتفع فجأة حين سكون
الماء وصفاء الجو فتزبد وتسمع لما صوت كهزم الرعد . ويخال الناظر سوراً
ايض تشيد لديه فلا يتالك من الزوع والذهول . فلا يهتم هلا السور حتى
يتلقى الى السقوط ويعقب ذلك السكون فترى الجرامى صافياً كالزجاج .
غير ان الامواج تظل تتلاطم وتزبد عند الشاطئ كأن الزعازع تسوقها الى
منالك في حين لا تعين لذلك علة ظاهرة . فقد تحطم هذه الامواج مرامى السفن
وتجرف البيوت ويهدم المدن . ولا يخفى ان مدينة ليسبون دُمِرت منذ نحو
قرن بئيل هذه الحادثة . ولا علاقة لهذه الطوارئ بالمد بل انها من الامور
القائمة في الطبيعة

ثم نقول في الختام ان حركات البحر ناتجة من اسباب شتى منها قوة الرياح .
وارتفاع المد وهبوطه في كل الابحر . واختلاف كثافة المياه بالنظر لدرجة
حرارتها . وقوة بخر الماء . وكثرة ملوحة الماء وقتها . واختلاف الضغط الى
غير ذلك

صفة عاصفة

ذَكَرَ السُّيُوطِيُّ عَاصِفَةً حَدَّثَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ
قَالَ "كَانَ فِي لَيْلَةِ الْجُمُعَةِ الثَّامِنَةِ مِنَ جِهَادَى الْآخِرَةِ أَنِّي

عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ مُتَكَاثِفَةٌ . وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ . وَرِيَّاحٌ
 عَاصِفَةٌ . فَتَقْوِي اِهْوِيَّتَهَا . وَاشْتَدَّ هُبُوبُهَا . فَتَدَافَعَتْ لَهَا اَعْيُنُهُ
 مُطْلَقَاتٌ . وَارْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُضَعِفَاتٌ . فَرَجَحَتْ لَهَا
 الْجُدْرَانُ وَاصْطَفَقَتْ . وَتَلَافَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَاعْتَقَتْ . وَتَارَ
 بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ عَجَاجٌ فَقِيلَ لَعَلَّ هَذِهِ عَلَى هَذِهِ
 أَطْبَقَتْ . وَنَحْسِبُ أَنْ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَاِدٍ . وَعَدْنَا مِنْهَا عَادٍ .
 وَزَادَ عَصْفُ الرِّيَّاحِ إِلَى أَنْ انْطَفَأَتْ سُرُجُ النُّجُومِ . وَزَكَتْ
 أَدِيمُ السَّمَاءِ وَنَحَمَتْ مَا فَوْقَهُ مِنَ الرُّقُومِ . لِأَعَاصِمٍ مِنَ الْخُطْبِ
 لِلْأَبْصَارِ . وَلَا مَلْجَأَ مِنَ الْخُطْبِ إِلَّا مَعَاقِلُ الْإِسْتِغْفَارِ . وَقَرَّ
 النَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا . وَتَفَرُّوا مِنْ نُورِهِمْ خِيفًا وَتَيْمَالًا .
 لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَأَعْنَصُوا بِالْهَسَاجِدِ
 الْجَامِعَةِ . وَادْعُوا لِلنَّازِلَةِ بِاعْتِنَاقٍ خَاصِعَةٍ . وَوُجُودٍ عَانِيَةٍ .
 وَتَفُوسٍ عَنِ الْأَهْلِ وَالْأَهَالِ سَالِيَةٍ . يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفِ خَيْبٍ
 وَيَتَوَسَّعُونَ أَيَّ خُطْبٍ جَلِيٍّ . قَدْ انْقَطَعَتْ مِنْ أَحْيَاءِ عُلَمِهِمْ .
 وَغَمَّتْ عَنِ النِّجَاةِ طُرُقُهُمْ . وَوَقَعَتْ الْفِكْرَةُ فِيهَا هُمْ عَلَيْهِ
 قَادِمُونَ . وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ
 هُمْ عَلَيْهَا دَائِمُونَ . إِلَى أَنْ أُذِنَ اللَّهُ فِي الرُّكُودِ . وَأَسْفَفَ

الْهَاجِدِينَ بِالْهُجُودِ . وَأَصْبَحَ كُلُّ بَسْلِمٍ عَلَى رَقِيقِهِ . وَبَيْنِيهِ
 بِسَلَامَةِ طَرِيقِهِ . وَبَرَى أَنَّهُ قَدْ بَعَثَ بَعْدَ انْتِفَاحِهِ . وَأَفَاقَ بَعْدَ
 الصَّحِيحَةِ وَالصَّرْحَةِ . وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ رَدَّ لَهُ الْكُرَّةَ . وَأَدَّبَهُ بَعْدَ أَنْ
 كَانَ يَأْخُذُهُ عَلَى الْغِرَّةِ . وَوَرَدَتْ الْأَخْبَارُ . بِأَنَّهَا كُسِرَتْ
 الدَّرَاكِبُ فِي الْبَحَارِ . وَالْأَشْجَارُ فِي الْفِنَارِ . وَأَتَلَفَتْ خَلْقًا كَثِيرًا
 مِنَ السَّفَارِ . وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ فَلَمْ يَنْفَعَهُ الْفِرَارُ

تيار الخليج

هُوَ نَهْرٌ حَازَ عَظِيمَ عَجِيبٍ لَيْسَ أَكْبَرَ وَأَعْرَبُ مِنْهُ فِي
 الْمَسْكُونَةِ . فَإِنَّهُ أَسْرَعُ جَرِيًّا مِنْ الْأَمَازُونِ وَأَشَدُّ قُوَّةً مِنْ
 مِيسِسِيبِيِّ وَأَكْبَرُ مِنْهُ بِأَلْفِ مَرَّةٍ . وَلَوْ لَمَّا بَعُرْضُ لَهُ مِنَ الْمَوَاقِعِ
 لَجَرَى حَوْلَ الْكُرَّةِ الْأَرْضِيَّةِ كَطَبْعِ عَظِيمٍ مِنَ الْمِيَاهِ الْحَارَةِ .
 وَلَوْنُهُ يَخْتَلِفُ عَنِ مِيَاهِ الْبَحْرِ وَلَا يَهْتَرِجُ مَعَهَا فَقَدْ يَكُونُ
 نِصْفُ السَّفِينَةِ فِي هَذَا التَّيَّارِ وَنِصْفُهَا خَارِجَهُ . وَقَدْ يَجِدُ أَنْ
 الْجَارَةَ وَالرُّكَّابَ الْمُفْرَقِينَ^١ مِنْ قَرَسِ صِبَاةِ الْبَرْدِ وَالزَّمْهَرِيرِ
 يَخْرُونَ بِسَفِينَتِهِمْ إِلَيْهِ فَيَعَاوِدُهُمُ الدَّفْءُ وَالْحَرَارَةُ وَيَغْسِلُونَ

أطرافهم الخدرة ببياهم السخنة فكانهم انتقلوا من الشتاء إلى الصيف

أما نبع هذا التيار فين خلع الهكسيك الهلان بالنابع والأنهر الحارة فكانه من جبل كبير. ومنى أنجس هذا التيار من ذلك اليرجل أسرع في جزيه ومر في الأوقيانوس الأتلانتيكي من شطوط أفريقية إلى تخوم أميركا. ثم ينعطف إلى الشمال الشرقي نحو سينزبرجن فينسخ مجراه هنالك وتنخفض سرعته وسجته. حتى إذا بلغ جزائر الأزور عند الدرجة الأربعين انقسم فسين مجري أحدها إلى أرياف إرلندا وزوج حلللا بزور الأقاليم الأستوائية ومخنا مياه الأبحر الجهدية. والآخر ينعطف إلى الجنوب ويمجري إلى ساحل أفريقية ثم يرتد إلى الأتيلس ويعود إلى خط الأستواء نبعه الأصلي. وحينئذ يكون قد قطع مسافة لاتنقص عن عشرين ألف ميل

ويجرف هذا التيار معه في سياحته الطويلة إلى الأوقيانوس أسهاكا ونبانات وبزورا وأخشابا وأمنعة وقيرة حتى أنها كثيرا ما تعين السفن عن التقدّم. ويخال الناظر كان في استطاعه

السِّرَ عَلِيَّهَا . ثُمَّ أَوْجُ بِالْوَابِهَا الزَّاهِيَةَ مَعَ النَّسِيمِ وَتَأْوِيهِ
 حَيَوَانَاتٍ صَدْفِيَّةٍ وَتَفَاعِيَاتٍ جَزِيلَةٍ . أَمَّا عَرْضُ هَذَا النَّيَّارِ
 عِنْدَ زُقَاقِ فُلُورِ بَدَا فَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ مِيلًا وَعِشْرُونَ . ٢٢٠ قَدِمَ
 وَبَحْرِي أَرْبَعَةَ أَمْيَالٍ وَتَصَفَّ فِي السَّاعَةِ . وَمَعْدُلُ حَرَارَةِ
 الْبِيَاهِ فِي جَوَارِهِ ٣٠ سَنِيغْرَاد . وَمَاءُ هَذَا النَّيَّارِ بَارِدٌ فِي الْفَعْرِ
 وَحَارٌّ فِي الْوَسَطِ تَبْلُغُ حَرَارَتُهُ عِنْدَ زُقَاقِ فُلُورِ بَدَا ٨٠
 فَارِيهَت . وَهُوَ بَحْرِي بِشَدَّةٍ مِّنَ الزُّقَاقِ الْمَذْكُورِ إِلَى جَنُوبِ
 شَوَاطِئِ نِيُوفُونْدَلَنْد . فَبَلَّتَنِي هُنَاكَ بِالْبِيَاهِ الْبَارِدَةِ الْآتِيَةِ مِّنَ
 الْأَجْرِ الشَّمَالِيَّةِ جَارِيَةً بِسُرْعَةٍ عَظِيمَةٍ إِلَى الْجَنُوبِ . فَبَرَدْتُ
 فِيمَ مِنْ هَذِهِ الْبِيَاهِ إِلَى الْقُطْبَةِ عِنْدَ سَاحِلِ غِرِينْلَنْدَا الْغَرَبِيَّةِ .
 وَقَدْ تَرَكْتُ شَوَاطِئَ تِلْكَ الْبِلَادِ عَلَى تَهَادِي الْقُرُونِ مِنَ الْبَقَايَا
 وَالْمَادِيَّاتِ الْجَرُوفَةِ بِهَدْيِ الْجَرِينِ الْعَظِيمِينَ
 وَحَرَارَةُ هَذَا النَّيَّارِ نَفْعٌ عَظِيمٌ بِحَيْثُ سَكَّانُ الْبِلَادِ
 التَّجَارِي بِقُرْبِ سَوَاحِلِهَا . فَلَوْلَا حَرَارَتُهُ لَمَا اسْتَطَاعَ أَحَدٌ
 السُّكْنَى فِي إِنْكِلِزَا الْبَرْدِهَا الْفَارِسِ وَسَدَّتْ مَوَابِئُهَا وَمَرَاثِمُهَا
 بِالثَّلُوجِ . وَقَدْ اسْتَهْدَتْ مِنْهُ بَعْضُ أَرْيَافِ فَرَنْسَا هَوَاءٌ مُعْتَدِلًا
 مُقَوِّيًا لِلْأَبْدَانِ نَقْصُهَا الْهَرَضِي مِنْ سَائِرِ الْأَقْطَارِ لِلِانْتِفَاعِ

بِهَوَافِعِهَا الْحَسَنَةِ . وَيُظَنُّ أَنَّ بَعْضَ مَجَارِيهِ بَلَّغَتْ الْقُطْبَةَ
الشَّيْئَةَ فَنشأَ مِنْهَا أَنْجَرُ السَّائِلِ وَرَاءَ الْقُطْبَةِ الْمَذْكُورَةِ كَمَا
سَيَأْتِي أَتْكَالَامُ عَنْ ذَلِكَ

وَلَا يَخْفَى أَنَّ اخْتِلَافَ الْحَرَارَةِ بَيْنَ هَذَا النَّيَّارِ الْعَظِيمِ
وَالْبِيَاهِ الَّتِي يَجْنِزُهَا عِلَّةُ قَوَاصِفِ وَزَعَارِعِ هَائِلَةٍ . فَقَدْ مَلَكَ
بِهَيْجَرٍ إِحْدَاهُمَا فِي بِلَادِ الْأَتْنِيلِسِ عَامَ ١٧٨٠ عِشْرُونَ أَلْفًا .
إِذْ طَغَى الْأَوْقِيَانُوسُ وَدَمَّرَ مَدِينًا بِرُمَّتِهَا وَقَدَفَ بِمُجْدُوعِ
الْأَشْجَارِ وَعَادِيَاتِ أُخْرَى إِلَى الْهَوَاءِ وَسَبَبَ نَوَازِلَ جَهَنَّمَ .
وَلِذَلِكَ تَسَمَّى هَذَا النَّيَّارُ بِهَلِكِ الْعَوَاصِفِ . وَقَدْ دَفَّقَ عَلَيْهَا
الطَّبِيعَةُ وَلَا سِيَّهَا الْأَمِيرِكِيُّونَ فِي الْبَحْثِ فِي مَلْتَقَى مَدِينِ النَّجْرِ بَيْنَ
أَيِّ أَمْحَارٍ وَالْبَارِدِ فَاسْتَطَاعُوا الْأَنْبَاءَ عَنِ الزَّعَارِعِ قَبْلَ
هِيَاجِهَا وَاتِّقَاءَ أَخْضَارِهَا وَتَصَبُّوا سَوَارِي لِدَلَالَةِ عَلَيْهَا

(١) متركب (٢) راجع من البرد

حرارة البحر

ان البحر درجات متفاوتة في الحرارة حسب الموقع والاقليم. فحرارة جهات
بريطانيا الغربية تبلغ ٤٦ فارنهایت. وفي بعض الارقيانوس الثلاثيةك التالي

٤٤° و ٤٥°. وفي البحر المذكور عند خط الاستواء بين ٨٠° و ٥٢° . ومعدل حرارة الباسيفيك الشمالي ٧٠° والجنوبي ٦٧° . ولا تزيد في البحر القطبية عن درجة الجمد . وتبلغ قرب خط الاستواء على سطح الاجزاء المعرضة لحر الشمس المحصورة بالبر درجة ماء الاستحمام الحار . فهي في البحر قرب عدن ٦٤° وتختلف في الاوقيانوس الهندي بين ٨٨° الى ٩١° ف ومعدل حرارة البحر فوق درجة الاربعين طولاً ١٦° س

اما حرارة اعماق البحر فتتقص غالباً بازدياد العمق حتى تهبط في بعض الاعماق الى ٢٤° بل الى درجة الجليد اي ٢٢° وفي غيرها الى ٢١° و ٢٢° . غير ان معدل حرارة البحر على عمق خمس مئة قامة واحدة في كل الاطوال . ولا تأثير لحركات البحر الشديدة على عمق ١٢ او ١٣ قامة . فلا غرو ان ذلك حكمة المية فعمل الحيوانات على الارتفاع والمبوط حسب حرارة البحر وحركته حتى تبلغ وسطاً معتدلاً بلاغم بينهما

البحر القطبية والجزائر والجمال

الجمهورية

اننا نقرأ عن هذه البحار ولكن ما ادراانا ما البحر القطبية . هنالك القز (١) القارس البالغ خمسين درجة تحت الصفر والزهري والصباب والخلوج اللائمة ومشهد التوازل القجمة التي المت بفحول ابطال البحر المغامرين في اكتشاف المنطقتين المتجمدين والبحر السائل وراء القطبة الشمالية . مثل الريانين ياري وكوك وسيمك ودافيس وفرنكلين والسرجون روس والدكتور كين وغيرهم .

وموطن أمة الاسكيمو سكان النيوست الثلجية واللابلنديين القصار القامة والحيتان
 المائلة. والجزائر والجبال الثلجية القائمة على سطح البحر التي تدفعها الرياح والأمواج
 من الشمال إلى الجنوب ويبلغ علو بعضها ٥٠٠ قدم وبمكها ٤٠٠٠. وهناك
 ترى البحر مبدآن تلج بلوري يبهج مرآة الناظرين لكنه يضحك ضحكاً بفصل
 الأرواح عن الأجساد. فإذا ذاب بعض الثلج صيفاً وانفصل عن ركابها راع
 الناظر منظره ومالته أخطاره. فانه يعان حينئذٍ تطع جبدٍ كبيرة عاتمة تصدم
 السفن فتمشها مشياً. وإذا دنوت منها خلفها أطواداً راسية أو جزائر كبيرة
 يهتزك مرآعاً تلاً لأحين وقوع اشعة الشمس عليها بالوان خضراء وزرقاء
 وبضياء كأنها مرصعة بجواهر كريمة. هناك يدوم الليل شهوراً متوالية (والهار
 كذلك) يأتي في خلالها الشفق الشمالي بالوان قوس قزح فتبهر صورته
 الناظرين. فكان المولى ابدع هذه الأنوار كي تضيء لسكان تلك الاصقاع الباردة
 في ظلامهم اللامس الطويل وتعرض لهم عن تحجب نور الغزالة. فتبصرها معلنة
 فوق رأسك ترائص وتناوج في الافق المكتمر فتضي باصرتك بلعابها
 الغريب. تلك انوار يستطيع الاهلون السير والشغل على ضوءها ولولاها كانوا
 في ظلام داس

فانا رما وصف تلك البحر والاتيان على تاريخ اولئك المكتشفين العظام
 واعمالهم لاتنسى لذلك مجلد كامل. لكننا نقول ان الباعث الحامل هؤلاء
 الافاضل على المغامرة لم يكن سوى الوقوف على حقيقة الجاز الشمالي الغربي
 ومعرفة المسيل الاقصر للسفر والتجارة بين الاوقيانوسات ثلاثيكي والاقويانوس
 الباسيفيكي. فانهم كانوا اذا شاءوا الانتقال من احدهما الى الآخر اضطرروا الى
 الطواف حول اميركا الجنوبية من رأس هورن (اي الثرن) او حول افرقيبة من
 رأس الرجاء الصالح. فذهب البعض الى امكانية السفر على سواحل اميركا الشمالية
 التصوي ومنها الى الاوقيانوس الباسيفيكي. ومما هذه الطريق بالجاز الشمالي
 الغربي وقالوا انه يتسنى لم جتدٍ قصير المسافة مئات اميال. فاضلوا بفامرون

وتقومون الاموال بغية نوال هذا المطلب. فعثروا على مضائق وبواغيز وخبجان
عديدة سميت باسماء مكتشفها. منها جون بافين وخليج هدسن وبنغاز دافيس
الح. وكان هؤلاء البسلاء يصادمون عدواً صنديداً يدفعهم الى الوراء ويحرقهم
احياناً غصص المنون اعني يو صبارة^(١) البرد وقد اوغلت في المنطقة المنجدة
وكافحوا رياحها الباردة وصرفوا انهرأ بل اعواماً في تلك الابحر وقاسوا مع
ملاحهم امراً لا يسر تصديقها من فرس البرد وفناد المرونة وانسلاد المسالك
عليهم بالجمد. وذهب اكثرهم فريسة ملا العدو الجبار. ولكن لم تن هذه
الطوارق عزيمهم عن الاكتشاف حتى فازوا بالارب وكشفوا الجاز الشمالي الغربي
غير ان الجهد والبلح بجولان دون سلوكه

(١) البرد (٢) شدة

البحر السائل وراء القطب الشمالي

اكتشف ملا البحر حديثاً بطريقة عجيبة نذكر تمهيداً لذلك امراً غريباً أدى
الى هذا الاكتشاف. وهو ان من عادة صيادي الحيتان ان يتشوا على الحراب
اسم السفينة وتاريخ رميها حتى اذا نجحوا من سفينة وصادته اخرى عرف
الصيادون زمن طعنوا الاول. فحدث ان قوماً صادوا حوتاً في جون بافين
الواقع في اقصى شمالي اميركا فوجدوه قد طعن بحربة في بوزاز يرين على ما
انباتهم الكتابة التي عليها. فقالوا كيف امكن لهذا الحوت اجتياز تلك المسافة
العظيمة مطعوناً وجريحاً ولا طريق له الا رأس هورن او رأس الرجاء الصالح.
فضلاً عن ان عوائد حوت الشمال تبين حوت الجنوب فلا يأتي الابحر الحارة
ولو استطاع. وعلى ذلك لا بد ان يكون قد جاء من طريق آخر يجيلر القطب

الشمالية وذلك لا يمكن إلا أن يكون قد سمج في بحر سائل . فكانوا في ذلك بين تصديق وتكذيب حتى جاءتهم الرسل من هناك بالنيا اليقين . وكانت تلك الرسل من ذوات الجناح . فانها كانت تطير شمالاً لاجوباً فراراً من برد الشتاء . فقالوا ما كانت تلك الطيور لتطير الى بلاد الخليج والجمهد فاستقرت الحمية احد الشبان الاذكيا اعني به الدكتور كين الابري . فدرس الموضوع واستوعبه وبك التحوة في صدور جم غفير من ابناء وطنه فاستفوه على هذا المأرب . وهما والة سفينتين ركب احاطاها ربحر اليم . غير ان مشروعه هلا حبط المرة الاولى فلم يفتط بل شرع برحلة ثانية امدته الاكليز بها بالزاد والذخائر لرغبتهم في نجاحه والوقوف على انباء السر فرنكلين (المغامر قبله في تلك البحار) كان الموما اليو حينئذ مناهراً الثلاثين . فاكاد يوغل في المنطقة الشمالية حتى ادركه الشتاء واخذ يكافحه بصرده وجمده وجمدة ستة اشهر ضمن سدوده . فصرف الشتاء هنالك ببحري ويستقصي . غير ان القرب جرع بجمارته كأس الحيام ولم يبق منهم سوى ثمانية انفار ثاروا عليه وقسروه على الاياب . فاخذ يلقمهم ويعدم يوشك اكتشاف البحر المجهول . ولكن ابن ذلك الغمر . فتقصى عليه الشتاء الثالث . وأرغم على الاستغاثة بالاسكين لامداده بالقوت . فبينما كان في هذه الحال المرحجة خرج رجاله الباقون يوماً ولوغوا في تلك الجهات مغامرين بجياتهم من شدة القنوط . واذا بالبحر السائل يبعج ويوج لديهم وتلتطم امواجه بالصخور . فرأوا المواء هنالك معتدلاً والجو صافياً والطيور تسبح على سطحو . وكانت هجرت برد الشتاء ولجأت الى هذا الاقليم الرخيم المواء . فمزتهم ارجية العجب والابهاج لان اكتشاف ذلك البحر كان قد استهد فهم وكثيرين غيرهم لغمرات المنون . ولا نسل عن سرور الدكتور كين حين استطلاع حقيقة الامر ووقوع بصره على تلك المياه الزاخرة . لكن وأسناه قد ابداع هلا الاكتشاف بجياتهم . لان قوته كانت قد هبطت كل الهبوط بسبب ما كابده من المشاق والارزاء الفادحة فتقصى

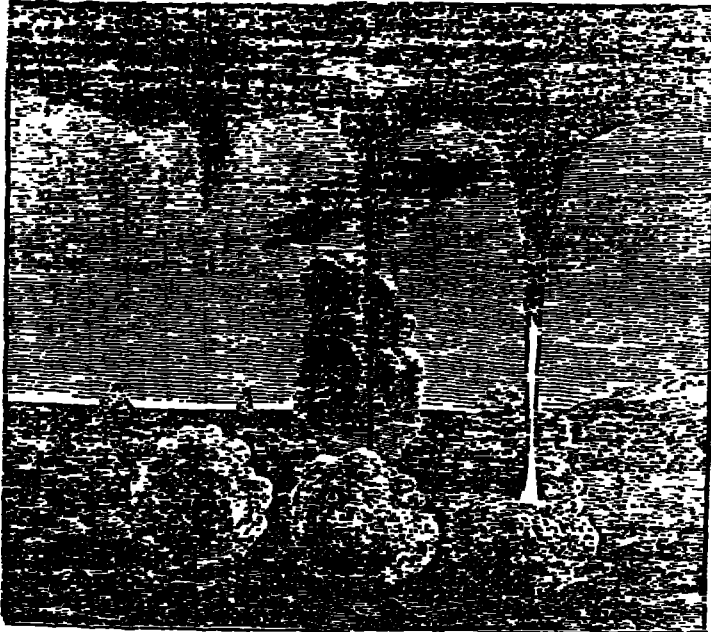
حجة مأسوفاً عليهم من سائر رجال العلم ولا خلاف في ان الموبأ اليه دنا من
القطبة اكثر من كل الذين تقدموه وكشف الاقطار المعتدلة وراها انما قضت
العناية بأن يكون هنالك رسة الابدی

الاعاصير المائية

توجد في البحر أعاصير مائية هائلة كوجود أعاصير
ريحية تجذب الماء عمودياً وتنفضه كأنها قمع قارورة. فلا
تدانيها سفينة حتى تجذبها إلى جوفها وتضبطها قسراً فيتعذر
عليها النكوص. فكانها أمسّت على فوهة بركان عظيمة.
فتسدل عليها حجب الظلام الدامس. وتأخذ العجج بالعجج
والجيب والبيشان والرياح بالنصف والزمزمة كالرعود.
فترتفع السفينة على غارب العجج كأنها معلقة في الهواء.
وتهزق الأشعة قطعاً وتكاد الأصوات تريب الركاب
والملاحين بالصمم.

أما الأعاصير المائية فاشد هولاً من هذه. فإنك ترى
عند قدومها ضباباً كثيفاً مخروطي الشكل منسدل الذبول.
ثم يشتد الظلام أكفهراراً وتأخذ الرياح بالهزيم والصفير.

وَيَوْمِضُ الْبَرْقِ وَتَزْمِزِمُ الرَّعْدُ. وَتَنْجِسُ أَنْبُوبَهُ الْبِيَاهِ وَيَرْتَجِعُ
مَخْرُوطٌ مَائِي مَلَأِيًا مَخْرُوطَ الْهَوَاءِ. فَيَبِيضُ الْجَرْمُ مِنَ الزَّبَدِ
وَتَتَلَاطَمُ الْأَمْوَاجُ بِبَحْرِ لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ. فَإِذَا سَاقَ نَكَدُ النَّقَادِيرِ



سَفِينَةٍ إِلَى هَذَا الشَّهْدِ الْهَائِلِ جَذَبَهَا الْبِيَاهُ إِلَى جَوْفِهَا
وَكَسَرَتْهَا. لَكِنَّهَا قَدْ تَجَبَّوْا بِاطْلَاقِ النَّارِ عَلَى ذَلِكَ الْعَبُودِ الْهَائِلِ
فَتَخَرَّقُوا لَهَا فِيهِ سَيْلًا

هَذَا وَلَا شَيْءَ يُرِيغُ الْمَلَاحِينَ كَالْعَوَاصِفِ. لَكِنَّهُمْ نَصَبُوا
فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ سَوَارِي وَأَعْلَامًا تَدُلُّ عَلَى الْعَاصِفَةِ قَبْلَ هُبُوبِهَا

فَتَرَى مِنْهَا كَثِيرًا حَوْلَ سَوَاحِلِ بَرِيطَانِيَا وَأَمِيرِكَا وَغَيْرِهِمَا .
يُشَاهِدُهَا الرَّبَائِثُ فَيَتَرَبُّصُونَ عَنْ الْأَقْلَاعِ رِشْمًا تَسْكُنُ .
أَمَا فِي قَلْبِ الْبَحَارِ فَلَيْسَ مِنْ عِلَامَةٍ مِثْلَ ذَلِكَ . غَيْرَ
أَنَّ الْجَارَةَ يَسْتَظْلِعُونَ مِنْ مَهَبِ الْأَهْوِيَةِ وَشَكَّ قُدُومِهَا
فَيَبْذُلُونَ قُصَارَى الْجَهْدِ فِي اخْتِذِ الْأَخْيَاطَاتِ الْأَلَزِمَةِ . وَإِذَا
بَلَغَ الزَّعَازِعُ أَقْبَلَتْ تَلْتَفُ حَلَقَاتٍ وَاسِعَةٍ الْأَطْرَافِ تَكْسِبُ
وَتَجْرُفُ مَا تُصَادِقُهُ فِي سَبِيلِهَا . فَالْوَيْلُ لِلسَّفِينَةِ الْمَآخِرَةِ فِي
تِلْكَ الْأَصْفَاقِ .

(١) الرياح العمودية (٢) اعلى الموج

البحار الساكنة

لن المعلوم ان اعظم آفة يخافها الملاحون في البحار العواصف وزعازع
الرياح التي تدمب بالسفن وركابها فريسة للحج . الا انه توجد بعكس ذلك
بحار مادية تدعى منطقة السكون واقعة تجاه خط الاستواء . وهي اشد خطراً
واعول عاقبة من الجور ذات العواصف . فانه لا حركة هناك ولا عيج ولا مواد
ولا نسيم بل جمود وسكون لازم كسكون الضريح يخشاه الملاحون وبجانبوته .
فانهم لا يسمعون في هذا البحر حتى تغشاه الغيوم وتكف الرياح عن الهبوب

وتكاثف البخار في الهواء ويصبح سطح البحر ساكناً كالرصاص . فيقتل النفس حتى يكاد البحارة يُصابون بالاختناق . ثم تكاثف الابخرة مائة فسيحة الارجاء ويهطل الامطار سيولاً لا تنقطع على ملء السنة تقريباً . وقد نصح مدراراً حتى يتعرف ركاب السفينة ماء عذبا عن سطح البحر المالح

ويوجد خلافاً لما يجر عدم الحركة كالبحر الميت . اذا قربت منه سفينة رأى ركابها الطيور اسراباً عظيمة ترف فوقها وتستقر على الاشعة فيلهون بجر كائما والوانها . ولكنهما لا تمان ذلك البحر الساكن حتى قهجره وتطير وتطير عن العيان . ثم لا تشعر السفينة الا وقد انتقلت الى بلاد السكون والموت حيث لا نسيم ولا حركة ولا تعريد طائر ولا عجم امواج

اما موقع هذا البحر في الاوقيانوس الجنوبي بين تيارين عظيمين يجري كل منهما الى جهة تماكس الاخرى . يأتي احدهما من المنطقة الجنوبية المتجمدة فيعرف ببرد الماء الحارّة ويدفعا الى الامام بدون ان يخرج معاً . وهذا التيار علة برد القطبة الجنوبية القارس حيث يستعمل على الانسان والحيوان السكن . اما التيار الآخر الحار فيأتي من المخطوط الاستوائية ليلقي التيار البارد . فتكون بين هذين التيارين زاوية منفرجة في الاوقيانوس يتطأها البحر الساكن

حياة البحر الحيوانية

التفاعيات

يليق بنا بعد الكلام على احوال البحر المادية ان نفضل الى الكلام على عالم الحياة البحرية ونبدأ بأدقها مجماً كالتفاعيات المدلول عليها بالاصطلاح الاوربي بكلمة زوفاتيس . وهي يونانية الاصل مركبة من كلمتين (زو) حيوان و(فوتون)

نبات . وقد دُعيت هذه الجسيمات كذلك لانها ممتزجة من هاتين الملكتين
الطبيعتين . ومن امثلتها الحيوانات المرجانية . فكل هذه الحيوانات احساس
او سليسة . هذه مسئلة لا يعلم جوابها الا الخالق عز وجل . فانها ليست الا
مجرد ذرات حية حجمها نحو $\frac{1}{3}$ من الفقرة . جهل وجودها القدماء قبل
اكتشاف المجهر ولم تبرز من حجب الغموض قبل القرن السابع عشر . وهي
تظهر كنبات تتغير صورته مرارا باقل من لح البصر حتى انها تبدو بمجموعة مظهر
في دقيقة واحدة . ومن انواعها

البروتوزا

وهي أبسط الأجسام الحية وأدقها حجما حتى أنك تجد
منها في قطرة ماء الوفا لا ترى بالعين المجردة . وهي كريات
دقيقة كالتي ترى في النبات مركبة من جسم هلامي ذي
اللياف مرتعشة هي أعضاء الحركة . مغطى بعضها بغلاف ليفي
أو طباشيري . فتقلص هذه الألياف أحيانا وتنقبض في وسط
الجسم وتغيب عن البصر حتى تخالها امتصت وانقرست
نفسها . ومنها طائفة تسمى الأمي ليس لها أعضاء ظاهرة
بل تبدو للعيان أحيانا بصورة جسم صغير مستدير كقطرة
ماء لكنها كثيرة التغير حتى يتعذر أخذ رسمة تحت المجهر .

أَمَا كَيْفِيَّةُ تَغْذِيَّتِهَا فَمِمَّا لَمْ يَصِلُوا إِلَى حَقِيقَتِهِ لِأَنَّ لَيْسَ لِهَذَا
 الْحَيَوَانَ أَوْعِيَّةُ هَضْمٍ لَكِنْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَتَغَذَى بِالِامْتِصَاصِ فَقَطً.
 وَكَذَلِكَ أَمْرُ تَوَالِدِهَا فَقَدْ ذَهَبَ الْبَعْضُ إِلَى أَنَّ فَصُوصًا
 تَنْفِصِلُ مِنْهَا وَتَنْشِئُ حَيَوَانَاتٍ جَدِيدَةً مُسْتَقِلَّةً وَمِنْهَا

الفوراميفرا

وَهِيَ دُوِّيَّاتٌ دَقِيقَةٌ صَدْفِيَّةٌ لَا تَرَى بِالْعَيْنِ الْعَجْرَدَةَ
 لَا يَزِيدُ حَجْمُهَا عَنِ ١/١٠٠٠ مِنَ الْعُقْدَةِ. فَإِذَا فَحَصْنَا حَبَّةَ رَمَلٍ
 بِالْعَجْرَرِ رَأَيْنَا نِصْفَهَا بَقَايَا أَصْدَافِ ذَاتِ صُورٍ هَنْدَسِيَّةٍ بَدِيعَةٍ
 مَثْقُوبَةٍ ثَقُوبًا كَثِيرَةً. فَهَذِهِ الْحَيَوِيَّاتُ كَانَتْ وَلَمْ تَزَلْ مِنْ
 مُعْجَزَاتِ الطَّبِيعَةِ الْجِيُولُوجِيَّةِ. فَإِنَّ طَبَقَاتٍ كَثِيرَةً مِنْ فِشْرَةِ
 الْأَرْضِ مُرَكَّبَةٌ مِنْهَا. وَلَا بُدَّ أَنَّهَا كَانَتْ فِي الْأَدْوَارِ
 الْمَتَوَعَّلَةِ فِي الْقَدِيمِ عَائِشَةً دَبِيًّا لِأَنَّهَا لَمْ تَحْصِ فِي أَمْرِ ذَلِكَ الزَّمَانِ
 ثُمَّ دَفِنَتْ نَفْسَهَا وَأَرْتَكَمَتْ فِي قَرَارِ الْأَجْرِ حَتَّى نَتَأَتْ مِنْهَا
 تِلَالٌ وَجِبَالٌ سَهِيكَةٌ فَسَجَّحَتِ الْأَرْجَاءُ. وَقَدْ لَا يَصْدُقُ الْقَارِيُّ
 أَنَّ النِّسْمَ الْأَعْظَمَ مِنْ أَهْرَامِ مِصْرٍ جُزْءٌ صَغِيرٌ مِنْ هَذِهِ

الدُّوِّيَّاتِ . وَكَذَلِكَ قِسْمٌ كَبِيرٌ مِنْ جِبَالِ إِيطَالِيَا وَالنَّمَسَا
 وَفَرَنَسَا وَتِيْلَالِيَا . وَقَدْ وَقَرَّتْ جِدًّا فِي بَارِيْسَ وَأَرْبَاضِهَا ^(١) حَتَّى
 صَحَّ الْقَوْلُ أَنَّ بَارِيْسَ كُلَّهَا وَالْقُرَى الْمُجَاوِرَةَ مَبْنِيَّةٌ مِنْهَا .
 وَحِجَارُ يَبْرُوتَ أَيْضًا قَدْ تَرَكَّبَ أَكْثَرُهَا مِنْ هَذِهِ الْحَيَوِيَّاتِ .
 فَبَلَّ إِنِّ بَعْضُهُمْ وَجَدَ فِي فِطْعَةِ طَبَاشِيرَ لَا تَرِيدُ عَنْ عَقْدَةِ
 مَرْبَعَةٍ ٥٨ أَلْفًا مِنْ هَذِهِ الْجَسِيْمَاتِ . وَذَلِكَ بَسْتَلَزِمُ وَجُودَ
 ثَلَاثَةِ أَلْفِ مَيْوِيْنٍ فِي مِثْرٍ مَرْبَعٍ . وَوَجَدَ غَيْرُهُمْ ٢٤٠ أَلْفًا
 فِي ثَلَاثَةِ غَرَامَاتِ رَمْلِ . فَبَيْنَ هَذِهِ الْحَيَوِيَّاتِ تَرْتَفِعُ الْأَرْيَافُ
 وَالضِّفَافُ وَسُدُودٌ تَعْرِضُ السُّفُنُ فِي سَيْرِهَا بِأَمْخِجَانٍ وَالْبَوَاغِيْرُ
 وَتَهْلَأُ الْهَوَائِي كَمَا فِي مِينَاءِ الْإِسْكَدْرِيَّةِ . وَهِيَ تَعْدُ مَعَ
 الدُّوِّيَّاتِ الْهَرَجَانِيَّةِ الْفَاعِلِ الْأَعْظَمِ فِي إِنْشَاءِ الْجَزَائِرِ وَتَهْلَأُ
 الْأَبْحَرُ وَتَعْمَلُ فِي الطَّبِيْعَةِ أَعْمَالًا بَعْسُرُ تَصْدِيْقِهَا
 وَمِنْهَا طَائِفَةٌ تَرَى بِالْعَيْنِ الْجَرْدَةَ (بُنِيَتْ مِنْهَا أَهْرَامُ
 مِصْرَ) وَهِيَ ذَاتُ أَجْسَامٍ مُرَكَّبَةٍ مِنْ مَادَّةٍ هَلَامِيَّةٍ مُسْتَدْبِرَةٍ
 مَقْسُومَةٍ فَلَئِنِ مُلْتَفَةٌ عَلَى بَعْضِهَا كَلَوَّبٍ . وَمُغْلَفَةٌ بِغِلَافٍ يَنْبِهَا
 تَهْلَأُ مِنْهُ الْيَافُ أَوْ خِيُوْطٌ شَفَافَةٌ تَنْشُرُ كَأَغْصَانِ شَجَرَةٍ .
 وَتَهْدَدُ وَتَقْلُصُ وَتَقُومُ مَقَامَ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلِ وَتَحْوِي مَادَّةَ

سامة تصيدُ بها فريستها. وهذه الخيواناتُ على دفتها وصغرها
 نهمَةٌ تاكلُ اللحم. ومن غرائبِ أمرها أنها إذا تسلت على
 إناء أوجدت لنفسها رجلاً وثنيةً تهدها وتفضي بها الحاجة ثم
 تعودُ فتهتصها. فكان الضرورةُ تحملها على إبرازِ عضوٍ جديدٍ
 على أن الإنسان لا يستطيع إبرازَ شعرةٍ

ويأتي تحت هذا النوع ستة صنوفٍ تحتها ٦٠ طائفةً
 و ١٦٠ فصيلةً ونبف. وهي تزدادُ عدداً ونوعاً وحجماً في
 الأقاليم الحارة عما هي في الباردة. ومن أصنافها الخيواناتُ
 الفصفورية المسماة نوكتوليكاً التي سبق ذكرها في الكلام.
 عن ألوان البحر. أما حجماً فلا يزيد عن ١/١٠٠ من العقدة
 بحوي جوفها حبيبات أو بزوراً وأعضاء براءة تغيب وتظهر
 بسرعة غريبة. وقد كثرت في البحر المتوسط والمحيط
 الأيبيزي حتى عد بعضهم ٢٥ ألفاً منها في قدم مكعبة

(١) اصفر الجراد أو قبل أن يطير والنمل (٢) نواحي (٣) مرق
 السكاك المبرد المصفي من الدهن

الابنوسوريا

هذه رتبة قاعيمات^(١) اخرى تجيد منها ملايين في قطرة ماء مالح او عذب بارد او حار. حتى ان نهر الكنك وحده يجمل منها في سنة واحدة اجساما تزيد ست او ثمان مرات عن اهرام مصر. وهي تكثر في سلاسل الجبال الشامخة كثرها في قاع الابحر. ويطلون البحر منها في خط الاستواء وفي انقطبتين بالوان حمراء بيضاء. وقد تركب من عادياتها^(٢) على مر القرون حجار يستعملها عملة المعادن ويسمونها حجر طرابلس. ومن غرائبها انها تنفصل قطما (كاليدرا) ينشأ من كل منها حيوان جديد. ثم تنفصل من تلك القطع قطع اخرى تكون منها حيوانات جديدة وهكذا الى ما شاء الله. فيلد الاب في شهر واحد مليون دويبات نظيرة او يزيد. وهي تتناث باصفرها وتستخدم لما مرعى تسمى^(٣) حليد ونسبيا تنجح منه غلافها

ولا يخفى ان لهذه الحيوينات اشكالا وصورا غريبة وجملة تفوق الاحياء. بعضها كالبحر وغيرها كالاصناف او كريات او انايب او اهلة او مخروطيات او اجراس او حبات او ازامار الى غير ذلك. اما الصدفية فمقسمة الى عدة صنف^(٤) متصلة ببعضها ومقوية تقويا تخرج منها الياف سامة تخدر فرسها فتبتلها. قيل ان لبعضها اربع معد بل اربع مئة. وقد امتحن احد العلماء ذلك بأن وضع قطرة ماء ملون على زجاجة وقطرة ماء صافية تجاهها وطرق بينها بطرف ابرة مجرى. فرأى بالبحر الحيوينات تجاز من قطرة الى اخرى. فاحصاها من جوانبها الشفافة وطاب اهلها المتدلية فحرك بمرعة عظيمة ثم تنجذب اليها وتبتلع. وهي تسبح كالاسماك او تنساب كالحيات او تلتفت بالاهلاب. فاذا رأت القرينة طاردها وعلقها بها بمصاها وسجنا معا. ثم

دفنت الصائدة نفسها في جسم الفريسة وتكاثرت بسرعة مذهلة حتى بلغت الخمسين وكلها تتقات من جسم الطريدة
ولهذه الحيوانات قوة على فصل نفسها قطعاً او اعطام ذاعها. فاذا حركنا الماء بريشة مغموسة بالكحول وقفت حالاً ورأيت في جسمها ثقبا يتفتح تدريجاً الى ان يتلاشى الحيوان. ولكن ضع نقطة ماء طذب قبل الملائاة تر الحيوان توقف عن اعطام نفسه واخذ الجزء الباقي من جسده بالسباحة كأن لم يطراً عليه شيء فيا العجب العجاب. وهذه الدويبة الدقيقة المحبوبة عن الابصار تبني الجبال الشامخة والجزائر الكبيرة وشواطئ الابحر وضاف الامر وقمر المدن والامرام وتركب جزءاً من التراب الذي تدوسه باقلعنا ونحصب مزروعاتنا

(١) يُطلق اصطلاحاً على حيوانات صغيرة مغموسة في الماء (٢) اشغالم الكيرة (٣) نرعى (٤) جمع صفاق وهو الجلد الاسفل او جلد البطن

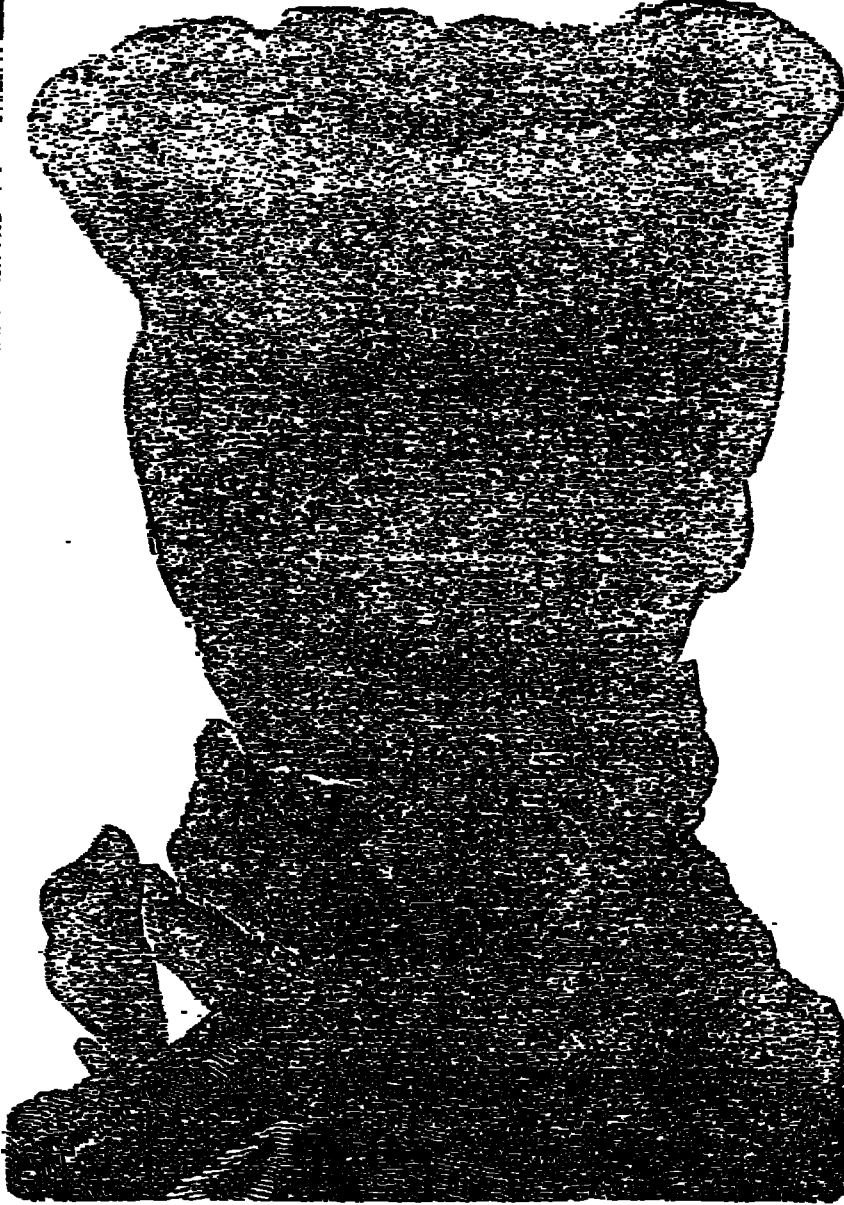
—•••—

الاسفنج

والآن نتقل من عالم الخفاء الى عالم الظهور اي من الحيوانات الدقيقة التي لا ترى بالعين المجردة الى الحيوانات المنظورة ونبدأ بادناها وهو الاسفنج فنقول . انه صنع تقاعيات خفية تصنع وتكمن فيه . فقد تردد العلماء زماناً مديناً في هل يحسبونه نباتاً او حيواناً ولم يعرفوا خبيثته الا منذ بضعة اعوام . فان ليس لتقاعياته شعور ولا حركة انما لما حياة حيوانية . ولها عده الطيبعيون بين ادنى مراتب الحيوان

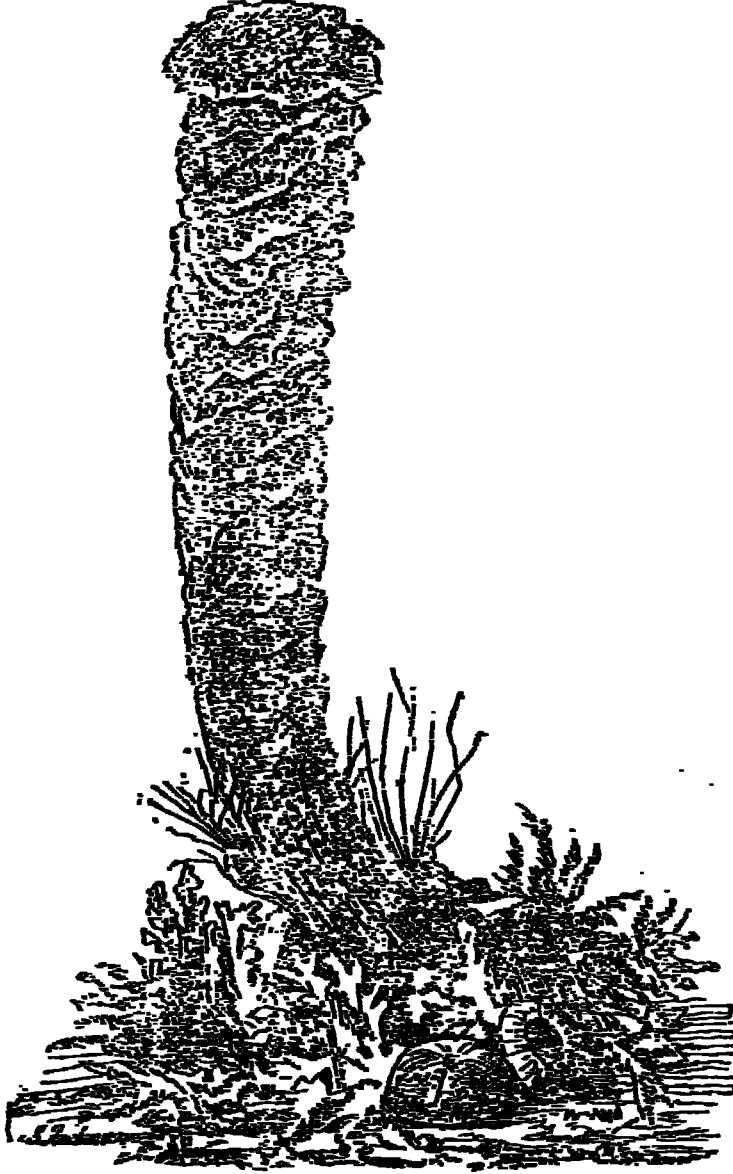
ولجسم الاسفنج نسيج قرني او جري يشبه الشبكة كبير الخراب (١) ومنطى بمادة لريضة في التقاعيات الحية . وهذه الحيوانات لا تتحرك البتة بل تنص الماء من

خلال التخريب وتفتدي بالذرات المحلولة فيه. والاسفنج اطراف صغيرة متفرعة
من جوانبه كالبراعم ينمو منها الاسفنج الجديد. فتمت كبر نبتت له امهات وانفصل



عن الاسفنجية الاصلية . ثم اخذ بالحركة بضعة ايام بواسطة تلك الامهات الى ان
يبلغ صخراً يعلو به فتزداد حركة امهات ثم يكف عن الحركة ويلزم مكانه

اما تقاعياتها فتكون اولا فطرة ملامية صغيرة ولكنها لا تلبث حتى تنفجر
وتتحول الى الياض مركبة من الصوان ومادة قرنية تنصها الاملاب من الحجر.



وتظلّ تفعل كذلك حتى تصبح الالياض شبكة او نسجاً . وهذه التقاعيات تكبر
ايضاً مع نمو الالياض وتغلا القلوب وتحيط بها . غير انه يتعدّر مسها لانها اذا

مست تحوّل الى مادة زيتية وجفت

والاسفنج صنوف كثيرة مختلفة الاشكال والالوان ترمو بها حلائق المياه
وخائلها (٢). فمنه ما يجاكي الكأس او البوق او الكرة او الاعشاب او اعصان
الاشجار ومنه ما يتدلى في ثغر الصخور كالنجوم. واذا استخرجوا الاسفنج سقط جسم
تفاعيائه الملاهي وجفت. ولا حاجة لتعداد صنوفه وكيفية استخراجها لان ذلك
معلوم عند كثيرين. ولاخفاء في انه يقتضي لترعه من الصخور عناء جليل وطويل
يتوقف رزق كثيرين في الجزائر اليونانية والبحر الاحمر والاقيانوس الهندي
والبحر المتوسط ولاسيما خليج المكسيك وجارتنا طرابلس ومحال أخرى

(١) قلوب (٢) حلائق

البوليس او الهيدرا

الهِدْرَا حَيَوِينٌ عَجِيبٌ وَغَايَةٌ فِي بَسَاطَةِ التَّرْكِيبِ. فَاِذَا
جَسَدُهُ لَيْسَ اِلَّا كَيْسًا مَشْقُوبًا مِنْ طَرَفِهِ. وَفِي رَاسِهِ سِتَةٌ خَيْوُطٍ
دَقِيقَةٍ. فَالْتَقَبُ يَبْتَلُ النَّمَّ وَالْخَيْوُطُ الْاَذْرَعُ وَالْكَيْسُ
الْمَعْدَةُ. وَلِهَذَا الْحَيَوَانُ نَهْمٌ غَرِيبٌ فَاِنَّهُ يَسْتَرِطُ دُودَةً اَكْبَرَ
مِنْهُ وَيَضْبُطُهَا فِي مَعْدَتِهِ بِاِحْدَى تِلْكَ الْاَذْرَعِ. وَلَوْلَا ذَلِكَ
لَا قَلَبَتْ وَخَرَجَتْ. ثُمَّ يَهْضُمُهَا عَلَى النُّورِ وَلَا يُصِيبُ ذِرَاعَةَ
ضَرَرٍ الْبَتَّةَ. وَاعْرَبُ مِنْ ذَلِكَ اَنَّهُ اِذَا قَطَعَ نِصْفَيْنِ وَسَقَطَ

الطَّامُ مِنَ الشَّقِّ الْوَاحِدِ إِلَى الْهَاءِ ظَلَّ يَزِدُّ الطَّامُ
بِشْرَاهِ وَلَا يُأَلِي كَانَ لَمْ تُلِمَّ بِهِ أَذِيَّةٌ. حَتَّى أَنْكَ إِذَا قَطَعَتْهُ
فَطَعًا عَدِيدَةً لَا يَبُوتُ بَلْ تَكُونُ كُلُّ قِطْعَةٍ حَيَوَانًا جَدِيدًا
كَالْحَيَوَانِ الْأَصْلِيِّ وَلَوْ كَانَتْ خَيْطًا وَاحِدًا مِنْ خَيْوِطِهِ. وَإِذَا
قَلَبْتَ جَوْفَهُ حَتَّى أَصْبَحَ الْأَخْلُ خَارِجًا وَبِالْعَكْسِ دَامَ حَيًّا
كَالْأَوَّلِ

وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ تَهْوُ بِسُرْعَةٍ عَجِيبَةٍ كَحَيَاتٍ عَلَى جِسْمِ
الْأُمِّ. وَلَا تَكَادُ تَكْبُرُ حَتَّى تُوَلِّدَ نَسْلًا جَدِيدًا وَهَذَا يُوَلِّدُ غَيْرَهُ
وَمَكَانًا إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ. فَتَرَى مِنْ أُمَّ وَاحِدَةٍ جِيلًا كَامِلًا وَذُرِّيَّةً
لَا تُحْصَى. وَمَتَى بَلَغَتْ الْحَيِيَّةُ النَّمُوَ الْكَامِلَ تَنْفَصِلُ عَنِ الْأُمِّ
وَتَسْتَقِلُّ. وَمَعَ أَنْ لَيْسَ لِحَيْمِ هَذَا الْحَيَوَانِ سِوَى فَمِّهِ وَكَيْسِ
وَخَيْوِطِهِ وَهُوَ يَدُونَ قَلْبٍ وَرِئَةٍ وَرَأْسٍ وَأَطْرَافٍ يَسْتَطِيعُ
الْعَنَاءَ بِنَفْسِهِ وَأَزْدِرَادُ فَرِيْسَتِهِ وَقَدْ خَصَّ الْخَالِقُ سُبْحَانَهُ
بِسَلِيْقَةٍ ثَلَاثِيَّةٍ كَأَثَرِ الْحَيَوَانَاتِ

وَبَعْضُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تَعِيشُ مَعَ أَسْرَابًا وَتَعْمَلُ لِنَفْسِهَا
أَصْدَاقًا مَرْجَانِيَّةً. فَتَرَاهَا أَوَّلًا قِطْعَةً هَلَامٍ أَنْفَصَلَتْ عَنِ الْأُمِّ.
فَتَأْخُذُ تَتَعَلَّقُ بِالصَّخْرِ أَوْ بِقِطْعَةٍ مَرْجَانِيَّةٍ وَتَحْرِكُ أَعْدَابِهَا

وَتَشْفِي وَتَرْفَعُ نَفْسَهَا كَانُوبِيَّةٍ. فَيَعْلُقُ بِهَا حِنَارٌ^(١٦) هُوَ بَدَائِعُهُ بَيْنَهَا
 الْجَدِيدِ. ثُمَّ تَبْرُزُ عَقْدَةٌ مُشْفِخَةٌ فِي وَسْطِ الْهَلَاءِ مِرْكَبَةٌ مِنْ
 أَجْزَاءِ تَحْوِيلٍ إِلَى فَنَمٍ وَأَطْرَافٍ. فَتَشْرَعُ تِلْكَ الْقَوَائِمُ فِي
 الْعَمَلِ فَتَمْتَدُّ وَتَلْتَمِسُ الطَّعَامَ بِقَرْمٍ شَدِيدٍ. وَتَبْنِي مِنْهُ جِدَارَ
 الْيَتِّ وَتَصْنَعُهُ مِنْ طَبَاشِيرٍ وَفَصُورٍ تَهْتَمُّهَا مَعَ الطَّعَامِ.
 فَتُبْصِرُهَا أَبَدًا جَائِعَةً لَا تَكْفُتُ عَنِ الْأَسْرَاطِ وَالْبِنَاءِ حَتَّى
 يَكْبُرُ الْيَتُّ تَدْرِجًا وَيَبْسِي مَسْكِنًا حَيًّا تَلْتَصِقُ بِهِ بِأَوْعِيَّةٍ دَقِيقَةٍ
 وَكَلْبَانَتٍ أَقْسَامًا جَدِيدَةً عَلَى تِلْكَ الْأَنْبُوبَةِ أَرْتَفَعَتْ إِلَى
 أَعْلَى فَاعْلَى وَبَقِيَ الْقَدِيمُ أَسْفَلَ فَمَاتَ وَتَحَجَّرَ. وَهَكَذَا عَلَى التَّوَلِّي
 وَالْتَعَابِ تَرْكُمُ هَذِهِ الدُّوَيَاتُ بِيُوتَهَا وَتَنْصُدُّهَا بِنَاءً وَاحِدًا
 مَرْصُوعًا أَسْفَلُهُ مَيْتٌ وَتَحَجَّرُ وَأَعْلَاهُ حَيٌّ وَتَحْرِكُ. وَهَذَا هُوَ سِرُّ
 الْجَزَائِرِ الْهَرَجَانِيَّةِ وَسَوَاحِلِهَا. فَإِذَا رَاقَبْتَ تِلْكَ الشَّوَاطِيَّ
 شَاهَدْتَ مَلَائِينَ مِنْ تِلْكَ الْأَذْرُعِ أَوْ الْخَيْوُطِ تَشْتَغِلُ بِهَيْبَةٍ
 لَا تَعْرِفُ الْكَلَالَ وَنَهْبَةٍ لَا تَدْرِي الشَّعْبَ. تَبْدُو بِصُورٍ وَالْوَانَ
 شَتَّى مِنْهَا الْوَرْدِيُّ وَالْبَنْفِجِيُّ وَالْأَزْرُقِيُّ أَلْحُ. وَهِيَ تَلْتَمِسُ كُلَّ مَا
 تُصَادِفُهُ فِي طَرَبِهَا حَيًّا كَانَ أَوْ مَيِّتًا

وَقَدَمَلَتْ هَذِهِ الْحَيَوِيَّاتُ الْأَوْقِيَانُوسَ وَقَامَتْ أَنْوَاعُهَا

وَأَشْكَالَهَا وَأَقْدَارُهَا كُلُّ عَدَدٍ وَحِسَابٍ. وَلَهَا فِي الطَّبِيعَةِ نَفْعٌ
عَظِيمٌ فَإِنَّ كُلَّ قَطْرَةٍ مَاءٍ لَا تَخْلُو مِنْ ذَرَاتٍ فَاسِدَةٍ وَتَقْتَرِبُ
إِلَى التَّصْفِيَةِ وَالتَّنْظِيفِ. فَقَدْ سَمَّرْنَا الْهَوْلَى لِإِمْتِصَاصِ تِلْكَ
الْهَوَادِ الْفَاسِدَةِ بِأَفْوَاهِهَا الدَّائِمَةِ الْإِنْتِجَاحِ. فَكَانَتْهَا كِدَاسَةً
الْأَوْقِيَانُوسِ وَخَادِمَةً نَظَافَتِهِ. وَكِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنَ الْأَعْدَاءِ
وَإِنْ تَحَصَّنَتْ فِي بَيْوتِهَا الْحَجْرِيَّةِ. فَقَدْ تَسَلَّطَتْ عَلَيْهَا بَعْضُ
الْأَسْمَاكِ الْبَهِيَّةِ الْأَلْوَانِ فَتَضَعُدُّ عَلَى السَّاحِلِ الْمَرْجَانِيِّ مَعَ
الْأَمْوَاجِ وَتَزَعَاها رَعِي الْمَوَاشِي الْكَلَاءِ

(١) يتلوع اجلأعاً (٢) اجلأع (٣) حرف التي او ما استلار به
(٤) شدة شهوة الطعام

الجزائر المرجانية

إذا رأيت البوليس منفرداً في البحر خلقة^(١) خفيفة ضعيفة جداً وهو كذلك.
لكن متى تآزر معاً في العل يقوى على بناء جزيرة كاملة بل مجموع جزائر.
وموقع الجزائر المرجانية في الاوقيانوس الباسيفيكي المتمد إلى مدى خمسة آلاف
ميل و عرض خمس مئة. وهذا الاوقيانوس مرصع بجزائر بهية تدعى جزائر البحر
الجنوبي او بولينيسيا وهي من بناء تلك الحيويينات. تنخر حولها السفن وتلاطم على

سواحلها الامواج فتزبد وتثألتي بانولر الغزاة
وما من سور وان بُقي من اصلد الصخور يستطيع مقاومة الامواج على هذا
النوال . لانه يتفتت ويُجرف على مرّ الايام والسنين . غير ان هذه السلاسل
المرجانية باقية لم يصيبها ضرر البتة . فهي سدّ حثي اشتمل ويشتمل به الوف والوف
الالوف من البنائين والمهندسين . ولا جرم فان هذه الحيوينات لا تفتأ تدأب^(٢)
وتصلح خلاة ونسد تُغرّه . فكأنها قد غلبت الطبيعة وقهرت اللجج . اما المياه الواقعة
بين هذه السلاسل المرجانية فساكنة كياه بجيرة وملائمة لرسو السفن . حيث
تأمن في مكها وان ثارت العواصف خارجا . وهي تدخل هذا المرفأ الامين من
زقاق كوتته هذه الدويبات نفسها . ولولاها لما استطاعت الدنو من تلك الجزائر .
بل كانت نطحاً قطعاً على السلاسل المرجانية

فلماذا تركت تلك الحيوينات هذا المجاز مفتوحاً لا ريب في ان السليقة^(٣)
حملتها على ذلك . لانها لو اوصدت الباب لما صلح الماء لان تمش فيه . فتري
مجري الماء العذب تدخله من الجزيرة وتترع ملوحة . ولولا ذلك لما استطاع
البوليس المواظب على الشغل امتصاص مواد الغلاء من البحر . ومن غرائب
الامور ان تلك المداخل واقعة تلقاء مصاب الانهر وتعاين على جانبي هذه
السلاسل جزيرة صغيرة مكسوة باشجار جوز الهند يشاهدنا البحارة عن بعد توج
مع النسيم فيهندسون الى تلك البقعة

ولا تضارع هذه الجزائر المرجانية بعضها . فان منها ما يجاكي حلقه او هلالاً .
فانما انحسر^(٤) المد رأيتها صخرة صماء لان الحيوانات تكن حثث في بيوعها . ولكن
متى عاد المد تشاهد ملايين البوليس تمد اذرعها وتنتشر على السلاسل لالتقاط
طعامها . فقد ذهب انقوم قديماً الى ان البوليس يرتفع من اعماق البحر وقالوا
انه سيني على كرور الايام جزائر لا تُحصى . بل قد يفهم^(٥) الباسيفيك بالجزائر
ويكون فارة برمتها . ولكنهم اخطأوا بهلا الزعم . فان البوليس تعذر عليه الحياة
في الاعماق العظيمة ولا يجب مجاري المياه الباردة بل يصبو الى الارقاء الى النور

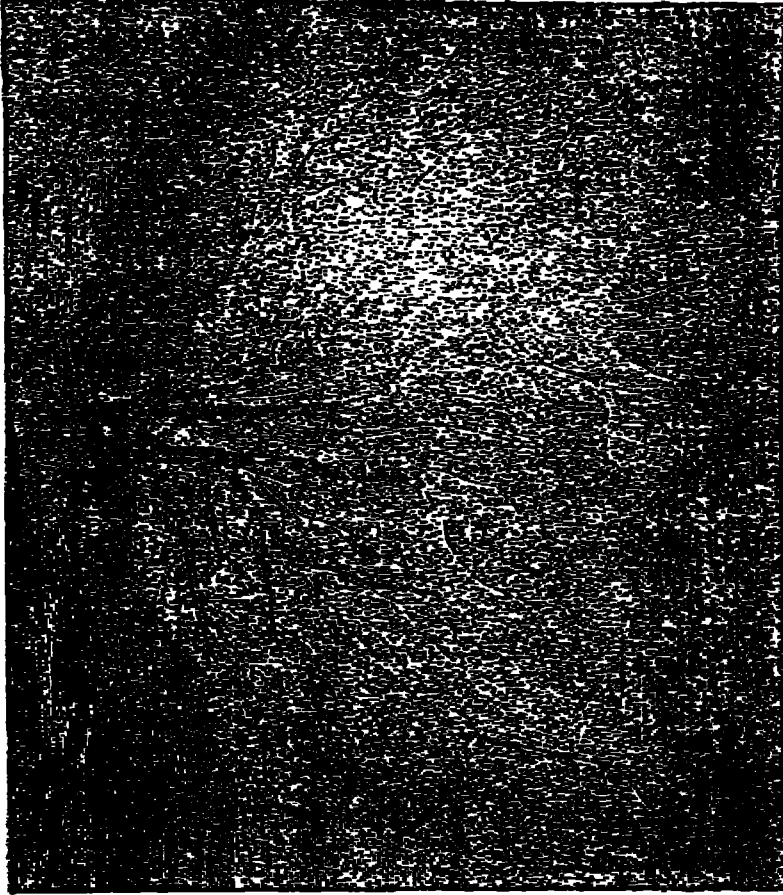
فعلی ماذا یؤسس جریرته اذا . علی صخر مرتفع من قرار عجول . فیاخذ بالبناء علی هذا الصخر الذی ربما کان من اصل بركاتی . وثبت فی علیه قرون کثیرة فی العمل تقرض فی خلالها اجبال لا تحصى حتی يرتفع البناء الی سطح البحر . ومتی بلغ السطح توقّف عن العمل لانه لا یستطیع العار فوق الماء
 قدری الجزیره اولاً سطحاً اقنیاً مهمّداً ومغطیاً یقطع المرجان . وكلما اتی المد وانحسر ترك علیها اصلاً فارتکمت الارض تدریجاً طبقات ترتفع علی التادی وتسدّ الثّرق والثغر والشقوق والتخاریب بالرمال وغيرها . وتسقط علی الارض البزور المحمولة مع الهواء ومع الطيور فتأصل . ثم تأخذ الاعشاب بالنمو علی مرّ الايام وتنبت الاشجار والانجم . ونأتی المنجّات فتصبح وتغرد . ثم یقدم الانسان فی الحثام ویستولي علی هذه المملکة الجدیة . ألا یعدّ هذا من معجزات العنابة . فقد ذهب القوم الی ان بناء الاعرام معجزة انسانیة ألا یرون بناء الحیویونات جزائر من آیات الله فی خلقه اولاً نرى المعجزات الخارقة تجری علی الدوام فی الیم العظیم

(١) ظننه (٢) نجد ونصب (٣) الطیبة ٤ انکشف
 (٥) بلاً

مروحة البحر

ان البولیس المرجانی ضروب تذهل الالیاب . فنه ما یفأکل مروحة بدیة یقطعها الرف من هذه الحیویونات بهتر مع النسم کورقة جملة . ترى علی وجهها رؤوس البولیس تلعب كالبحیر . فاذا كانت المروحة حیة ترها مکسوة بهلام صفيق^(١) یسکن البولیس فی خلاياه^(٢) . واذا اخرجها من الماء رأیها کقطعة اسفنج او عشب بحری لاجمال لها ولا لون . ولكن ضمها فی وئاء ماء

ترُّ رُووس البوليس تَنَاتٌ (١) واضاعت كبحوم بهيمة او ازهار بدبحة كل منها
حيوان مسقل . واذا مسعت هذه الرووس ذعرت وتقلصت وتوارت عن



العيان . ثم اذا ملكت روعها طادت فأبرزت رؤوسها وامتصت من الماء
مقلراً يزيد عن ضعف جسمها فارتخت وضارعت (٢) الاسفنج

(١) ضد يخيف وفي اللارج سميك (٢) الاجزاء الفارعة ٣ اتفتحت
وارتفعت ٤ شابهت

سفر البحر

(الفرج)

لَمَّا رَكِبْنَا الْبَحْرَ. وَحَلَلْنَا مِنْهُ بَيْنَ السَّيْرِ وَالْبَحْرِ. شَاعَدَنَا
مِنْ أَمْوَالِهِ. وَتَبَأَى أَحْوَالِهِ. مَا لَا يُعْبَرُ عَنْهُ. وَلَا يُبْلَغُ لَهُ كُنْهُ
الْبَحْرِ صَعْبُ الْهَرَامِ جِنًّا لَا جُعِلَتْ حَاجِبِي إِلَيْهِ
أَلَيْسَ مَاءٌ وَنَحْنُ طِينٌ فَهَاءَ عَسَى صَبْرَنَا عَلَيْهِ
فَكَمْ اسْتَقْبَلْنَا أَمْوَاجَهُ بِوُجُوهِ بَوَاسِرٍ. وَطَارَتْ إِلَيْنَا
مِنْ شِرَاعِهِ عُقْبَانٌ كَوَاسِرٍ. قَدْ أَرَعَجْنَاهَا أَكْفُ الرِّيحِ مِنْ وَكْرِهَا.
لَهَا نَبْهَتِ الْحُجَّجِ مِنْ سُكْرِهَا. فَلَمْ تَبْقِ شَيْئًا مِنْ قُوَّتِهَا وَمَكْرِهَا.
فَسَبَعْنَا لِلْجِبَالِ صَفِيرًا. وَلِلرِّيَاحِ دَوِيًّا عَظِيمًا وَزَفِيرًا. وَتَقِينَا
أَنَا لَا نَحْجِدُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا فَضْلَ اللَّهِ مُجِيرًا وَخَيْرًا. وَإِذَا
مَسَّكُمْ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ. وَإِسْنَانٌ مِنْ
الْحَيَاةِ لِصَوْتِ تِلْكَ الْعَوَاصِفِ وَالْهَيَاةِ. فَلَا حَيَاةَ اللَّهُ ذَلِكَ
الْهَوْلَ التُّزَجَّ وَلَا يَأْهُ. وَالْمَوْجُ يُصَفِّقُ لِسَمَاعِ أَصْوَاتِ
الرِّيَاحِ فَيَطْرَبُ بِلٍ وَيَضْطَرِبُ. فَكَأَنَّهُ مِنْ كَاسِ الْجَنُونِ
يَشْرَبُ أَوْ شَرِبَ. فَيَبْتَعِدُ وَيَقْتَرِبُ وَفِرْقَةٌ تَلْتَطِمُ وَتَصْطَفِقُ.
وَتَخْتَلِفُ وَلَا تَكَادُ تَتَّفِقُ. فَتَحَالُ الْجُودُ يَأْخُذُ بِنَوَاصِيهَا. وَتَجْتَذِبُهَا

أَيْدِيهِ مِنْ قَوَاصِيهَا . حَتَّى كَادَ سَطَحُ الْأَرْضِ يَكْشِفُ مِنْ
خِلَالِهَا . وَعَنَّانُ السَّحْبِ يَخْطَفُ فِي اسْتِقْلَالِهَا . وَقَدْ أَشْرَفَتْ
النَّفُوسُ عَلَى التَّلَفِ مِنْ خَوْفِهَا وَأَعْيَلَالِهَا . وَأَذْنَتْ الْأَحْوَالُ
بَعْدَ انْتِظَامِهَا بِاخْتِلَالِهَا . وَسَاءَتْ الظُّنُونُ . وَتَرَاهَتْ فِي
صُورِهَا النَّهْنُونَ . وَالشَّرَاعُ فِي فِرَاعٍ مَعَ جِيُوشِ الْأَمْوَاجِ .
الَّتِي أُمِدَّتْ مِنْهَا الْأَفْوَاجُ بِالْأَفْوَاجِ . وَنَحْنُ فَعُودٌ . كَكُودِ
عَلَى عُودٍ . مَا بَيْنَ فُرَادَى وَأَزْوَاجٍ . وَقَدْ نَبَتْ بِنَا مِنْ الْفَلَقِ
أَمْكِنْتَنَا . وَخَرِسَتْ مِنَ الْفَرْقِ السِّنْتَنَا . وَتَوَهَّمْنَا أَنَّهُ لَيْعَرُ فِي
الْوُجُودِ أَعْوَارٌ وَلَا نُجُودٌ . إِلَّا السَّمَاءُ وَالْمَاءُ وَذَلِكَ السَّفِينُ .
وَمَنْ فِي قَبْرِ جَوْفِهِ دَفِينٌ . مَعَ تَرْقُبِ هُجُومِ الْعَدُوِّ فِي الرُّوحِ
وَالْعَدُوِّ فِرَادِنَا ذَلِكَ أَحْذَرُ . الَّذِي لَمْ يَبْقِ وَلَمْ يَذَرُ . عَلَى مَا
وَصَفْنَاهُ مِنْ هَوْلِ الْبَحْرِ قَلْنَا . وَأَجْرَيْنَا إِذْ ذَاكَ فِي مِيدَانِ
الْإِلْقَاءِ بِالْيَدِ إِلَى التَّهْلُكَةِ طَلْنَا . وَتَشْتَتِ أَفْكَارُنَا فِرْقًا . وَذُبْنَا
أَسَى وَتَدْمًا وَفِرْقًا . إِلَى أَنْ قَضَى اللَّهُ بِالنَّجَاةِ وَكُلُّ مَا أَرَادَ فَيُؤِ
الْكَاثِنُ . وَإِنْ نَهَى عَنْهُ وَأَخْطَأَ الْهَائِنُ . فَرَأَيْنَا الْبَرَّ وَكَأَنَّنا
قَبْلُ لَمْ نَرَهُ . وَشَفِيتَ بِهِ أَعْيُنَنَا مِنَ الْهَرَّةِ . وَحَصَلَ بَعْدَ
السِّدَّةِ الْفَرَجُ . وَشَمَمْنَا مِنَ السَّلَامَةِ أَطِيبَ الْأَرْجِ .

ريش البحر

ان ريش البحر لأعجب من ريش الطيور وأبهى . وهو ريشٌ حَيٌّ مِلَانٌ بالبوليس . والاعرب من ذلك ان ما يأكله حيوان يقتات به الآخر . على ان كلاً كاملٌ مستقلٌّ عن الآخر . فتد ذهب البعض اولاً الى ان ذلك الريش البحري عائم على الماء لكنهم عرفوا بعدئذ ان جذعه مدفون تحت الصلصال في اعماق البحر . فاذا وضعت ريشة منه في اناء ماء رأيتها ساكنة لا تتحرك . ولكنها تخوي على مادة فصفورية تخرجها فتتلاها باللون الازرق . وهي تفعل ذلك حين يفاجها عو لتخوفه والدفاع عن نفسه

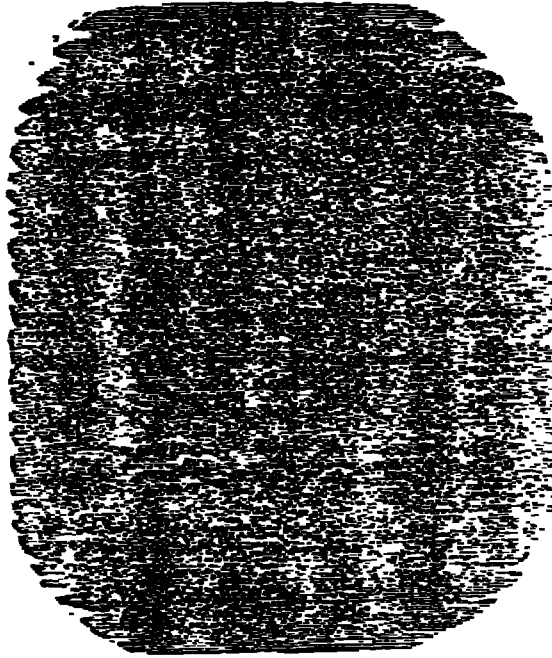
حجر التخاع

هو نوع آخر من البوليس . وقد سمي بهذا الاسم لما كانت التخاع البشري . وكثيراً ما تصطمم به السفن الماخرة حول الجزائر الاستوائية فتترطم . وهو من صنع هذه الحيوانات العجيبة . فتصنع قاعدة او ساقاً كساق شجرة او كراس انسان تملوها عجر وتوات وخطوط كالتي في التخاع الانساني . وهذا الرأس مكسوط بلحم يضارع الملام يقطنه البوليس . وموطن هذه الحيوانات في البحر الاستوائية حيث تدأب وتجد بسرعة مذهلة وتكون حجراً تستهدف المراكب للاخطار . اما بناء بيوتها فمن مادة كلسية تلقيها صفائح كصفائح الورق وتسنها على شكل شعاع لا يبرى حتى يرتفع البناء الى سطح البحر . وحينئذ تبرز الرؤوس كاشعة طباشيرية اذ تعان الصخرة او الشجرة تزدهم بالرؤوس الحمراء المموجة ثموج الازمار مع النسيم . ولا نهاية لاشكال بيوت هذه الحيوانات فتشبه آونة الاشجار

وطوراً حزم السنابل او اوراق النبات او الازهار او رؤوس البشر. ومتى
مرت بها السفن دُهِش رُكَّابها من بدائع تركيبها حين يرونها تحلاً لا وتزهر بجبال
الجمال تحت المياه

المرجان الاحمر

المرجان جزء من غاب ايث^(١) ثابت تحت المياه من صنع البوليس ايضاً.
خاله الناس قديماً نباتاً وسماه اليونان بابنة البحر. حتى اخذ العلماء منذ نحو
قرن بالتحري والامتحان فعرفوا انه من بدائع البوليس. وموطنة في الغالب



البحر المتوسط والبحر الاسود وغيرها. والمرجان اغصان منطاة بجلايا الحيوان.
غير ان اذرعهُ لا تشبه المخروط بل الاشعة او النجوم والمرجان محبوب تحت
القشرة او الجذع^(٢). ولذا النوع مناصات يستخرجهُ منها الفواصون ويستعملونه
صنفاً من صنوف التجارة، ويأخذونه في حاله الاصلية الى المعامل للصقل والجلي.

وقد اُقيم لذلك في كركوهورن من اعمال ايطاليا معامل لقطع و صقله و يصنعون منه ادوية كثيرة للالعاب والزينة . اما الذي يلون المرجان الاحمر فعادة



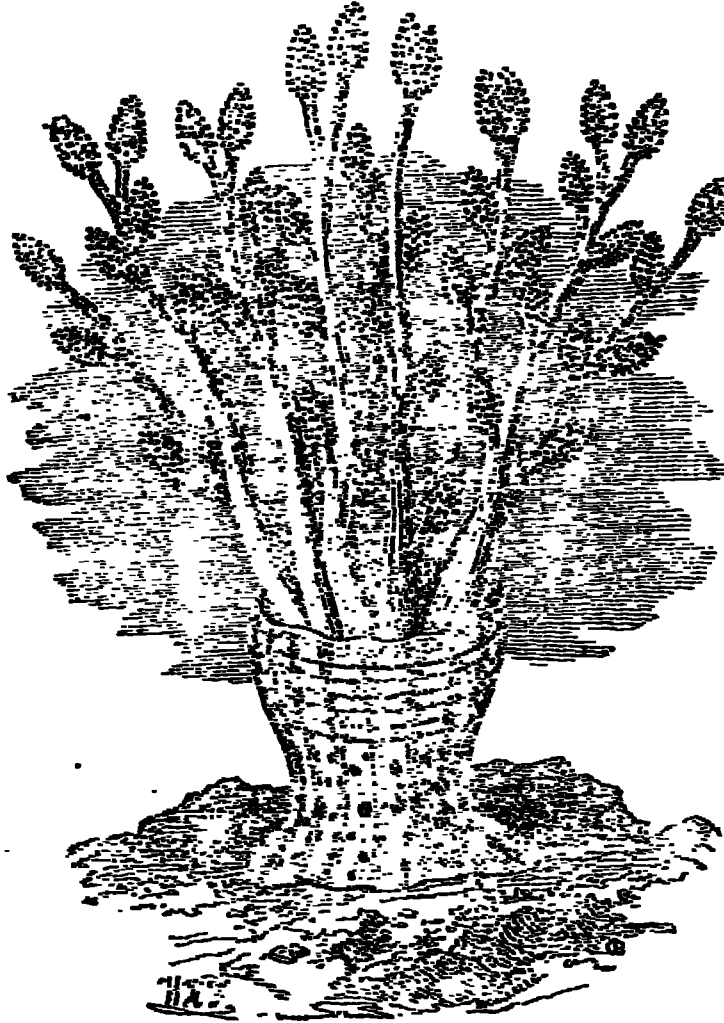
يرشحها الحيوان فتخرج مع كلس خلاياه او طباشيرها وتلونها باللون الاحمر .
وبعضه احمر فان يُدعى مرجان الدم

(١) كبير عظيم (٢) ساق النخلة

ازهار البحر

فِي الْبَحْرِ أَزْهَارٌ رُبَّمَا فَاقَتْ أَزْهَارَ الْبَرِّ جَبَالًا. وَمِنْ
 الْغَرِيبِ أَنَّ تِلْكَ الْأَزْهَارَ حَيَوَانَاتٌ يَسِيكَ مَنظَرُهَا نُبَارِي
 الْوُرُودِ وَالْأَفَاحِي وَالزَّنَائِقِ. فَتَرَى أَغْشَابَ الْبَحْرِ تَلْتَفَتْ عَلَى
 الْمَرْجَانِ. وَتُكَلِّهَا بِالذَّهَبِ وَالْأَرْجُوَانِ. وَتَسْجُجُ بَيْنَهَا الْأَسْمَاكُ
 الْهَلَامِيَّةَ بِاللُّوَانِ الْبَنَفْسِيَّةِ وَالزُّورْدِيَّةِ بِأَشْكَالٍ مُرْطٍ وَأَعْدَابٍ
 وَلَوَالِبٍ وَأَجْرَاسٍ فَتَخَالُهَا مَشْهَدَ جَانٍ أَوْ رُوحَا سِحْرِيَّةٍ. فَلَا
 يَرِيحُ اللَّيْلُ سُدُولَهُ^(١) حَتَّى تَنْجَلِي لَدَيْكَ حَدَائِقَ وَخَمَائِلَ^(٢) بَدِيعَةً
 تُبْهِرُ الْأَبْصَارَ. تَتَأَلَّقُ فِيهِ مَلَائِكَةُ نَجْمٍ وَمَصَابِيحُ كَمَشَاعِلِ
 نَارٍ مُتَاجِجَةٍ تَزْهُو بِاللُّوَانِ الْعَفِيقِ وَالزَّمْرُدِ وَالْبَهْرْمَانِ. فَلَا يَدْعُ
 إِذَا حَسِبَ الْقَدَمَاءُ هَذِهِ الشَّاهِدِ الْإِهَاتِ وَعَرَائِسَ وَأَرْوَاحًا
 تَجَلَّتْ بِحَبْرِ الْحُسْنِ وَالْبَهَاءِ. عَلَى أَنَّ تِلْكَ الْحَدَائِقَ لَيْسَتْ
 بِأَزْهَارٍ حَقِيقَةٍ بَلْ حَيَوَانَاتٌ سَمِيَتْ أَزْهَارًا لِشَبَاهَتِهَا النَّبَاتِ
 وَأَسْمَاءُ زُوفَائِسُ. وَهِيَ مِنْ رُبَّةِ الْبُولَيْسِ الْبَانِيَةِ الْجَزَائِرِ
 الَّتِي مَرَّ الْكَلَامُ عَلَيْهَا. وَمِنْهَا نَوْعٌ يُسَمَّى شَفَائِقَ الْبَحْرِ نَذَكُرُ بَعْضَ
 صِفَاتِهِ بِالْإِخْتِصَارِ

إِنَّ جِسْمَ هَذَا الْحَيَوَانِ مُرَكَّبٌ مِنْ سِتَّةِ أَجْزَاءٍ . أُولَاهَا
 الْجِذْعُ أَوْ الْعَمُودُ النَّامِي كَجِذْعِ نَبَاتِ أَوْ سَائِي شَجَرَةٍ تَعْلُوهُ
 أَهْدَابٌ كَثِيثَةٌ وَعَلَى سَطْحِهِ عَجْرٌ أَوْ خُطُوطٌ أَوْ أَنْثَامٌ مَجْمُودَةٌ . وَقَدْ



يَكُونُ هَذَا الْجِذْعُ جِلْدِيًّا أَوْ هَلَامِيًّا أَوْ لَحْمِيًّا مُتَّوَعًا الْأَشْكَالُ
 وَمُغْطَى بِتَوَاتٍ تَنْصِقُ بِكُلِّ مَادَّةٍ تَخَارُهَا . أَمَّا الْجِلْدُ فَمِلَانَ

بِمَسَامٍ دَقِيقَةٍ . وَلِلْجُدِّعِ قَاعِدَةٌ عَرِيضَةٌ مُسَطَّحَةٌ يَتَشَبَّهُ بِهَا
 الْحَيَوَانُ بِالصُّخُورِ . وَهِيَ أَيْضًا فِي أَعْلَاهُ قُرْصٌ مُسْتَدِيرٌ ذُو أَدْبَابٍ
 مُجَوَّفَةٍ حَوْلَ حَافَتِهِ . وَلَيْسَ لِشَفَاتِي الْبَحْرِ مِثْلَهُ أَعْيُنٌ وَلَا آذَانٌ
 بَلْ لَهَا أَفْوَاهٌ وَشِفَاهَةٌ . أَمَا النَّعْمُ فَمِنْ وَسْطِ الْقُرْصِ وَالشِّعَاءُ
 حَوْلَهُ . وَيَتَدَلَّى مِنَ النَّعْمِ تَجْوِيفٌ أَوْ كَيْسٌ مُلْتَفٌّ طَبَقَاتٍ
 يُدْعَى مَعْدَةً تُشْغِلُ تَجْوِيفَ الْعَبُودِ مَسْمُومَةً صَفْقًا كَثِيرَةً .
 فَتَكُونُ إِذَا بَنِيَتْ هَذَا الْحَيَوَانِ مَرْكَبَةً مِنْ قَاعِدَةٍ وَسَاقٍ وَقُرْصٍ
 وَقَمٍ وَشِفَةٍ وَمَعْدَةٍ وَأَدْبَابٍ

وَهُوَ يَحِبُّ السَّكْنَ بَيْنَ نَقْرِ الصُّخُورِ وَالشَّقُوقِ وَالثَّقُوبِ
 حَيْثُ يَشِيرُ أَدْبَابُهُ كَهَدَاكٍ وَيَبْهُوجُهَا فِي الْمَاءِ فَيَتَبَدَّرُ بِالْوَانِ
 بِرُتْقَانِيَةٍ وَحَمْرَاءَ وَيَبْيَضُّهُ وَيَنْفِجِيهِ بِرَأْفَةٍ إِذَا لَهَسَتْهَا تَقْلَصَتْ
 وَأَخْتَجَبَ لَوْنُهَا وَتَحَوَّلَتْ إِلَى عَجْرَةٍ أَوْ هَلَامٍ . وَإِذَا أَفْلَتْهَا
 عَاشَتْ وَأَنْفَخَ الْعَبُودُ وَبَسَطَ الْقُرْصُ أَدْبَابَهُ وَزَهَتْ بِحِلَالِ
 الْجِهَالِ وَأَخْلَتْ تَفْشُ عَنْ طَعَامِهَا

وَلَمَّا لَمْ يَكُنْ لَهَا أَعْيُنٌ تَحْرُكُ الْأَدْبَابَ فَيَعْلُقُ بِهَا دُودٌ
 وَحَشْرَاتٌ أُخْرَى تَنْشِخُ عَلَيْهَا سَمًّا فَتَخْدَرُ وَتَقِفُ عَنِ الْحَرَكَةِ
 فَتَسْرِطُهَا فِيهَا الْكَبِيرُ الْمَفْتُوحُ . فَإِذَا فَحَصَتْ الدُّودَةُ

بِالْجَهْرِ رَأَيْتَ عَلَيْهَا سِهَامًا قَصِيرَةً كَالْأَبْرَارِ تَشْتَمُ مِنْ قُوبِ
 الْحَيَوَانِ وَفِيهِ كَيْبُوطٌ أَوْ حِرَابٌ مُشْتَبِكَةٌ تَمَّا كِي حُرْمَةٌ قَطِينٌ.
 وَإِذَا خَرَجَ الْخَيْطُ مِنَ الثَّقْبِ رَأَيْتَهُ بِشِبْهِ الْعُرْوَةِ. فَتَنَى مَا حَجَّ
 الْحَيَوَانَ أَقْلِتَ طَرْفُ الْعُرْوَةِ. ثُمَّ عَادَ بَعْدَ حِينٍ فَدَخَلَ فِي
 الثَّقْبِ الَّذِي أَقْلِتَ مِنْهُ

وَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ وَإِنْ دَقَّتْ وَصَغُرَتْ فَأَقْلُ خَطِيرٌ
 يُبِيرُ أَخْلَاقَهَا فَتَفْرُزُ سَمًّا لِلدِّفَاعِ عَنِ نَفْسِهَا. وَقَدْ تُشَبِّهُ
 مَخَالِهَا بِأَجْسَامِ الْبَشَرِ فَتَلْدَغُهُمْ لَدَا مَوْلِيَا حِينٍ يَسْتَحْبِبُونَ فِي
 الْبَحْرِ. قِيلَ إِنَّ أَحَدَ الطَّبِيعِيِّينَ وَضَعَ تِلْكَ الْأَهْدَابَ عَلَى لِسَانِهِ
 فَتَشَبَّهَتْ بِهِ حَتَّى أَضْطَرَّ إِلَى نَزْعِهَا عِنْفًا فَجِرِحَ وَتَأَلَّمَ جِلْدًا.
 وَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ بَعْدُ مَكَانَ ذَلِكَ السَّمِّ وَلَا كَيْفَ يَرْشِخُهُ الْحَيَوَانُ

- (١) جمع شريط (٢) استاره (٣) جمع خيملة وفي المواضع الكثيرة
 الشجر (٤) اثواب مزينة (٥) جمع صفاق وهو جلد البطن
 (٦) جمع مدق وهو آلة يدق بها (٧) المر الغليظ الذي لا يطاق شربة
 (٨) ينظر يكبر الاجسام

المدوسا او عروس البحر

سُمِّيَ هذا الحيوان في اساطير^(١) جاملية اليونان بعروس البحر وخالوة امرأة
لقت حول رأسها حبات بدلاً من الشعر. وفي خرافاتهم ان من نظر اليها



تحوّل الى حجر. والمدوسا اشكال والوان شتى. وقد تبدو شفافة كالماء. ولاكثرها

قوة على الاضائة ليلاً وهي من الحيوانات التي يتلون بها البحر . فاذا التفتها على الشاطئ رأيتها جسماً هلامياً يذوب في حرارة الشمس . ويسمونها احياناً قرص البحر لان لها اهداباً شائكة تلسع لامسها . ومتى ذابت بجمارة الشمس رأيت بقيتها مادة قليلة تتماكل نسيج العنكبوت ذات ثقب كثيرة لما قرص كظلة يتدلى منه ساق متفرع فروعاً كجذور النبات . وللقراص ايضاً اهداب تقوم في الماء تحاكي الحيات وفي يودي الى المعدة بلتهم كل ما يصادفه في طريقه ويطوي تحت هذه الرتبة انواع شتى مختلفة التركيب والحجم واللون . وقد فحص احد العلماء الفرنسيين جسم ملا الحيوان بأن صب في فيه قدرًا من اللبن فاتشر في ثقبه وارعبته فتمكن من النظر اليها . وعلم انه حيوان حقيقي له قوة الحركة وصيد الفريسة فتقرر الامر . وكان العلماء قبل ذلك يذهبون الى انه قطعة هلام حية . ولما كان القسم الاكبر من جسم ملا الحيوان ماء فيذوب بعد الموت بجمارة الشمس

ومن نوع يشبه الجرس وهو اقل من الماء . لكنه يعم باسئدلم قرصه المضارع المظلة . فيتقلص^(١) ملا القرص ويتدد ككرة الانسان ويضرب به الامواج فيعمم واذا تار البحر خاص الى العمق ووجد لفسو محلاً لا يصله الموج ومنه طاقة تدعى منطقة الزمرة تشبه الشريط لما اهداب تمتلها كجاذيف فتعينها على السباحة . وهي ذات الوان متلائمة جميلة جداً تضيء في الماء كصباح ومنه نوع آخر مستدير يشاكل البطخ وصاف كالبلور . ينقسم جسمه الى ثماني طبقات متائلة ملتفة على بعضها ذات اهداب مسطحة كجاذيف بعضها فوق بعض بعمق بواسطتها . وله فضلاً عن ذلك قرنان بارزان كرايتين يتقلصان ويتددان حين الارادة وعليها خيوط كشبكة يصيد بها الطريدة

(١) احاديث مكتوبة كذباً (٢) ينضم ويتروى

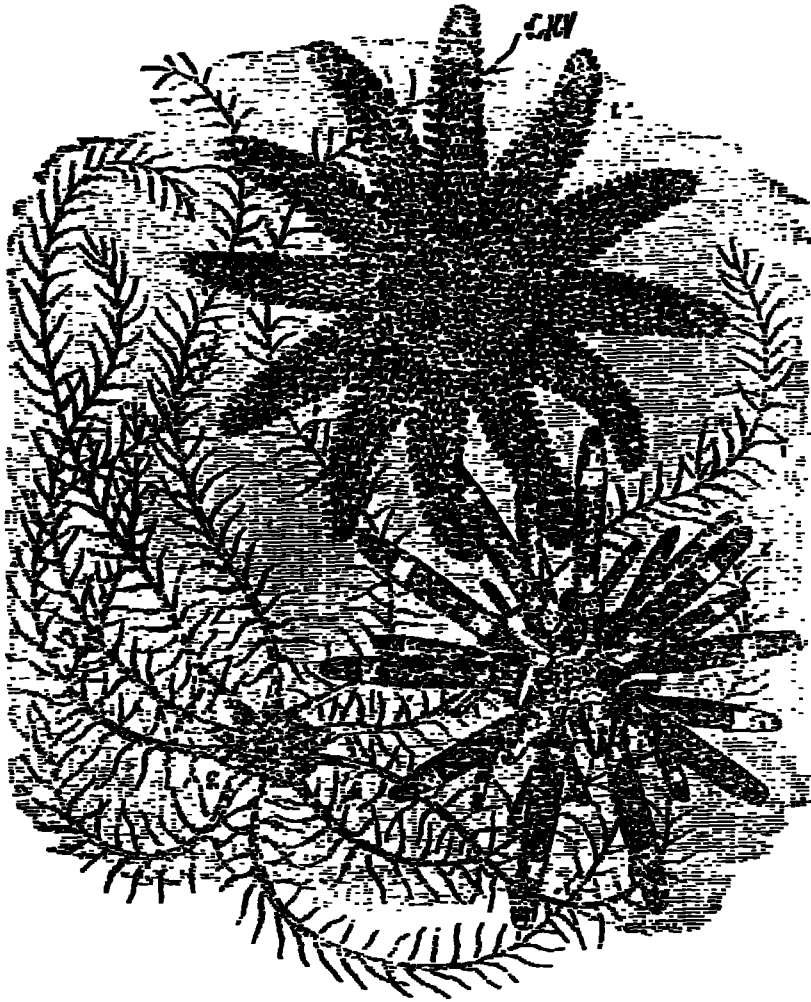
زنابق النجم

في من رتبة تدعى ايشينودرماتا وبعضها يشبه النجوم . وهذه الحيوانات
تفرز مادة حجرية ضمن جسمها بدلاً من خارجها خلافاً للحيوانات المرجانية .
أما نسيج هذا الحيوان فمركب من قطع صلبة تشبه الحجارة مرتبطة معاً بمادة
غضروفية وبعضها اجسام مستطيلة لا تشبه النجوم بل الحيات او الدود .
والاوقيانوس ملآن من هذه الحيوانات التي تفوق سائر حيوانات البحر المنظورة
عدداً . حتى يصح ان يقال ان غوره مبلط بها . وهي شديدة النهم قاطعة السلاح
فتخشاها سائر الحيوانات . ولا تقتصر على نوع واحد من الطعام بل تزرد
كل ما تصادفه . وقد وفرت في البحر الادوار الاولى وقرنها الآن . غير ان
انواعها الاولى انقرضت ولم يبق الا عادياتها النجمية . وكانت اشعثها او اذرعها
طويلة لينة الملس تشبه الريش ونحاكي زهرة الزنبق مرتبطة بساق يخفي الى كل
الجهات . وكان لونها وردياً جميلاً جداً . ويوجد من عادياتها الآن في سواحل
تروج حتى البحر المتوسط لكنها اصغر من سالفاتها جداً . واذا ماتت هذه
الحيوانات وجث لحبها تكثرت قطعاً تشبه الحمرز يستعملونه الآن في بعض
البلدان للزينة

سبك النجوم

مِنَ النَّوعِ الْمَتَقَدِّمِ ذِكْرُهُ فَصِيلَةٌ تَدْعَى سَبَكَ النُّجُومِ
الْقَصِيمِ . فَإِذَا نَزَعَتْ زَهْرَةَ النُّجُومِ عَنِ حِدْعِهَا رَأَيْتَ حَيَوَانًا

ذَا جَسْمٍ صَغِيرٍ مُسْتَدِيرٍ تَشَعَّبَ مِنْهُ أَذْرُعٌ كَثِيرَةٌ دَقِيقَةٌ
كَالْأَشْعَةِ مَرْكَبَةٌ مِنْ قِطْعِ حَجْرِيَّةٍ أَيْضًا. وَتُعَايَنُ فِي وَسْطِ



الْجِسْمِ تَقْبًا يَهْتَلُ فَمِ الْحَيَوَانِ ثُمَّ تُبْصِرُ تِلْكَ الْأَشْعَةَ الطَّوِيلَةَ
نَائِلَةً مِنَ الْجِسْمِ كُلِّ مِنْهَا مُنْفَصِلَةٌ عَنِ الْآخِرِ. وَقَدْ تَكَثَّرَ هَذِهِ
الْأَذْرُعُ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِهِ فَيَتَفَرَّعُ مِنْهَا فُرُوعٌ وَفُرُوعٌ فُرُوعٌ

يَرْحَفُ الْحَيَّوانُ بِوَاسِطَتِهَا إِلَى قَرَارِ الْبَحْرِ وَيَلْتَفُّ بِأَعْشَابِهِ.
 وَمَتَى سَجَّ مَدَّهَا. وَإِذَا دَنَتْ مِنْهُ فَرَأَيْتُ صَادَهَا بِتِلْكَ الشَّبَكَةِ
 وَدَفَعَهَا إِلَى فِيهِ. أَمَا أَذْرُعُهُ فَنَشَا كُلُّ أَذْنَابِ الْحَيَّاتِ تَنْطَفِئُ
 إِلَى كُلِّ أَجْهَاتٍ فَيَسْتَعْمِلُهَا كَأَرْجُلٍ لِلزَّحْفِ وَكَرَعَائِفٍ
 لِلْمُوازَنَةِ فِي الْمَاءِ

وَحِسْمٌ هَذَا الْحَيَّوانِ مُؤَلَّفٌ مِنْ قِطْعِ كَثِيرَةٍ مُلْتَمِئَةٍ مَعًا
 بِصِنَعَةٍ دَقِيقَةٍ. وَفِيهِ مُحَاطٌ بِأَثْلَامٍ مَثْبُوتَةٍ تَدْخُلُ فِيهَا مَمَّصَاتُ
 قَائِمَةٌ عَلَى أَنْبُوتَةٍ مَجُوفَةٍ تَحْتَهَا كَيْسٌ مُلَانٌ عَصِيرًا. فَتَنِي
 اسْتَعْمَلَ الْحَيَّوانُ الْمَهْصَاتِ عَصَرَ تِلْكَ الْمَادَّةِ السَّائِلَةِ فِي
 الْأَنْبِيبِ فَانْتَفِخَتْ وَدَفَعَتْ الْمَهْصَاتِ إِلَى الْخَارِجِ فَامْسَكَتْ
 بِالْفَرِيَسَةِ وَأَبْتَلَعَتْهَا. وَإِذَا فَرَغَ الْحَيَّوانُ مِنَ الطَّعَامِ جَذَبَ
 الْعَصِيرَ إِلَى الْكَيْسِ وَأَفْرِغَتْ الْأَنْبِيبُ فَتَقَلَّصَتْ وَتَوَارَتْ فِي
 الثُّقُوبِ. فَيَفْتَرِسُ عَلَى هَذَا الْهِنُوَالِ حَيَّوانَاتٍ جِهَةٌ حَتَّى أَنْ
 السَّرَطَانَ الْكَبِيرَ لَا يَسْلُمُ مِنْ نَهْيِهِ بَلْ يَثْقُبُ غِلاْفَهُ وَيَهْصُهُ.
 وَيُظَنُّ أَنَّهْ يَصُبُّ قَدْرًا مِنَ الْعَصِيرِ فِي الصَّدْفَةِ فَيَخْتَرُ الْحَيَّوانُ
 ضَمْنَهَا وَيَسْنِي لَهُ أَكْلَهُ. وَقَدْ وَجَدَ أَحَدُ الطَّيْبِعِيِّينَ سَرَطَانَ
 كَبِيرًا فِي وَسْطِ أَشْعَةٍ هَذَا الْحَيَّوانِ عَلَى وَشِكِّ الْإِتِّصَاصِ.

وَلِهَذَا الْحَيَوَانُ خَبَسَهُ الْكَاسِيُّ حَوْلَ عَقْبِهِ حَتَّى يَحْتَمِلَ بَعْضِيَا قَدْرُ
 الْجَوْزَةِ قَائِمَةً عَلَى سَاقِي صَغِيرَةٍ . وَفِي أَعْلَاهَا ثَوْبٌ مُسْتَدِيرٌ
 يُرِيحُ الْعَصِيرَ فِي الْأَصْدَافِ . فَإِذَا مَسَّتْ هَذَا الْحَيَوَانُ
 تَنَلَصَتْ الْأَكْيَاسُ وَتَوَارَتْ عَنِ الْعِيَانِ . وَلِهَذَا الْمَهْصَاتُ تُوْتِ
 عَلَى ضَبْطِ الْفَرِيَسَةِ وَحِفْظِ طَعَامِ الْحَيَوَانِ إِلَى أَنْ يَهْضَمَ
 وَلَوْ زَائِقِي النُّجُومِ غَايَةٌ فِي الْبِهَاءِ وَالْجَهَالِ . وَإِذَا
 مَسَّتْهَا أَوْ دَنَوَتْ مِنْهَا تَخْلَعُ عَنْهَا ذِرَاعًا ثُمَّ أُخْرَى حَتَّى لَا يَبْقَى
 شَيْءٌ . وَكَثِيرًا مَا يَصِيدُونَ عَدَدًا وَفَرَانِهَا فِي شِبَاكِهِمْ فَتَلْفُ
 عَلَى نَفْسِهَا أَشْكَالًا غَرِيبَةً وَتَطْرَحُ أَذْرَعَهَا وَتَفِكُّ جِسْمَهَا نِطْعَةً
 فَطِئْمَةً حَتَّى يَبْعَافَ الصَّيَادُ مَنَظَرَهَا وَبَقْدِفَ بِهَا إِلَى الْبَحْرِ . غَيْرَ
 أَنَّ الْعَالِمَ الطَّبِيعِيَّ يُوَدُّ تَحْرِيئَ أَمْرِهَا . فَيَضَعُهَا بِسُرْعَةٍ فِي الْبِهَاءِ
 الْبَارِدِ الْعَذْبِ فَتَهْوُثُ عَلَى الْفَوْزِ قَبْلَ أَنْ يَتَسَرَّلَهَا تَفِكُّكَ
 جِسْمِهَا . وَإِلَّا حَلَّتْ نَفْسَهَا إِرْبًا إِرْبًا فَفَاتَتْهُ الْفُرْصَةُ
 وَإِذَا التَّقَى سَمَكُ النُّجُومِ بِالْفَرِيَسَةِ حَتَّى أَشْعَتَهُ وَجَمَعَهَا
 كَكَّاسٍ وَصَادَ بِهَا كَمَا بِشَبَكَةٍ . ثُمَّ تَتَنَا الْمَهْصَاتُ الْوَبِيرَةَ
 مِنْ ثَوْبِ الْأَشْعَةِ الْمَذْكُورَةِ أَنْفَاءً . وَتَضْبُطُ الْفَرِيَسَةَ حَتَّى
 يَتَعَذَّرَ عَلَيْهَا الْإِفْلَاتُ . وَعِنْدَ الْمَهْصَاتِ تَحْتَ سُلْطَنِهِ فَيُخْرِجُهَا

مَتَى شَبَّهَ وَهِيَ مِنْ أَعْرَابِ الْأَعْضَاءِ الْحَيَوَانِيَّةِ . وَإِذَا وَضَعَتْ
 هَذَا الْحَيَوَانَ فِي وَعَاءٍ مَاءٍ عَذِبٍ يَجْمَعُ عَلَى بَعْضِهِ وَتَقَلَّصَتْ
 أَشْعَتُهُ وَسَكَنَ حَتَّى تَخَالَه مَائًا . وَلَكِنَّهُ لَا يَعْنَمُ أَنْ يَعِيشَ فَتَسْتَدِدُّ
 الْأَشْمَةُ وَتَبْرُزُ مِثْلَ الْمَهْصَاتِ مِنَ الثُّقُوبِ وَتَتَشَبَّهُ
 بِحَيَوَانِيبِ الْوَعَاءِ . فَيَا لْغَرَابَةِ هَذَا الْحَيَوَانَ الدُّنْيَا الْبَسِيطِ
 وَيَا لِحِكْمَةِ خَالِهِ الْقَدِيرِ

(١) سريع الانكسار . (٢) اخنوخ السمك (٣) فحس وامعان

النظر

دود البحر

يوجد في البحر دود كما في البر وهو من حيوانات الرتبة المسماة انيلايدس
 ومن اوصافها انها ذات منظر جميل جداً وتزهو بالوان قوس قزح . فتدلى
 منها اعصاب تشبه الشعر تمتس بها . ولها رأس كراس الحية طول بعضها يحى
 اربعين قدماً . وهي تعيش في قعر الصخور وتقات بالاصطاف الصغيرة . ومنها ما
 ينسج اوجرة تشبه الاناييب الحجرية تصرف حياها في بدايتها . فانا اتى المذ
 اخرجت الحيات الكثيرة رؤوسها من هذه الاناييب لالتهام فرائسها فتحاكت
 ازمار الحيات البديعة

الخباط أو الأخطبوط

ان رتبة الحيوانات الملازمة كثيرة الانواع والطوائف ويدخل تحتها اشكال وحجوم تكاد تفوق الاحصاء ومن اشهرها وايشعها الخباط . وهو من رتبة تدعى سيفالوبودا ومعناها رأس واقدام وهي كذلك لان الاقدام او الاذرع نائمة من الرأس والحيوان يسبح بها الى القعر ويلتقط فريسته ويكبر الخباط في بعض البلدان كبرا فاحشا . وله في كل ذراع ممصات تسعة على التثبيت بفريسته حتى انه لا يفلتها ولو قطعت ذراعه . وللمص نسج من غشاء عضلي يضارع الكأس يعلوه طرف لحمي صفيق . فاذا قبض الحيوان شيئا تدلت الاطراف كلها والتصقت بكعوب الكؤوس . ولبعض اصنافه ذراعان اطول من البقية يتدلى من وسط كل مصص شبه كلابة قوية تقبض على الفريسة وتدفعها الى فم الحيوان . فاذا كانت حيوانا صدقيا سحقه الخباط بمتار قرني صلب يحاكي متار اليبغاه . غير انه اقصر وليس له ثغرة عظمية في فكوه بل يقوم بدلها غضروف قوي . وفك هذا الحيوان مغلف بمصلات تنفتح وتغلق بقوة عظيمة . فتمت جذب الفريسة الى فيه اماثل ابتلعها على النور اما لسان الخباط فيسعته على ذوق الطعام واستراطه . فان له كلاليب فريته حادة نائمة من جانبيه تنحني الى الوراها وتعين على جذب الطعام الى البلعوم . وله عيمان قبيحتا المنظر مركزها في بعض انواعه على جنوع المصلات ثمخر كان وتنظران الى كل الجهات . واما عظامه فعادة غضروفية لا تتماكل عظام الحيوانات القارية بفرزها الحيوان مثل البوليس ومك العجور فتصلب وتنظم طبقة طبقة على ظاهره كعكف الحيوانات الصدفية . وتماجي في بعض طوائمه الحراب وهي بارزة من ظهره . فاذا نفرست فيها خلفها ضخمة وثقيلة وتعين



المحويان عن السباحة . لكنها بالحقيقة خفيفة جداً مركبة من صفحات رقيقة متصلة بعضها عن بعض بأوتاد عديدة صغيرة فتعين المحويان على السباحة بدلاً عن ان تعيقه . ومنها عظم جميل جداً يضاهي الريشة يلعب كعرق اللؤلؤ . ومحموق هذه العظام يستعمل لبيض الاسنان

وهذا المحويان يتنفس كالسمك من متفتحاته المتولارية في تجويف ضمن جسمه وهي تتدد وتتصلص ككرة الانسان وتنفخ نحو الماء بواسطة صامير^(١) احدها يدخل الماء والآخر يخرج منه . وقد يدفع هذا المحويان الماء بقوة من الانبوية حتى انه ينشب في الهواء كالسمك الطيار . فقد طار منه مرة عدة وافر على احدى السفن فسقط بعضه على سطحها والآخر حلق الى الجانب الثاني

والخباط بئر^(٢) في اكثر الاجر وفرة سمك النجوم . ومنه صنف قبيح المنظر يبش منفرداً في بعض السواحل الصخرية خلافاً لساغر طواقفه التي تحب المعيشة اجالاً . ومن صفاته شدة النهم حتى انه كثيراً ما يبئد الاسماك كلها بقرب بعض الشواطئ حتى لا يغادر للصيادين رزقاً . فقد حاكى بهو وشراسته نمر البر الذي يقتل الفرائس لجرد محبة القتل والتسلية . قبل انهم وضعوا خباطة في بركة مع اسماك كثيرة فقتلت الجميع ولم تاكل سمكة واحدة . ومع ان الخباط مقلد سلاح قاطع وطبيعة شرسة كثيراً ما يستط فريمة لاعلاء قتل عدده . منها الانسان والمخيتان وطيور البحر . ويكثر الخباط في البحر المتوسط وينتشر عنه الصيادون في قر العنخور ويطعنونه بالحرايب فيقتلونه

والخباط كيس في جسمه ملآن بسائل اسود يشبه الحبر فاذا هاله شيء دفع منه كمية فاسود الماء واحجب نجه لكي لا يهتدي احد اليه فيفر من قاصده . وهذا الحبر يسمى سيبيا ويستعمله المصورون بعد جفافه في نقوشهم ويدوم زمناً مديناً لا يعرفه فساد

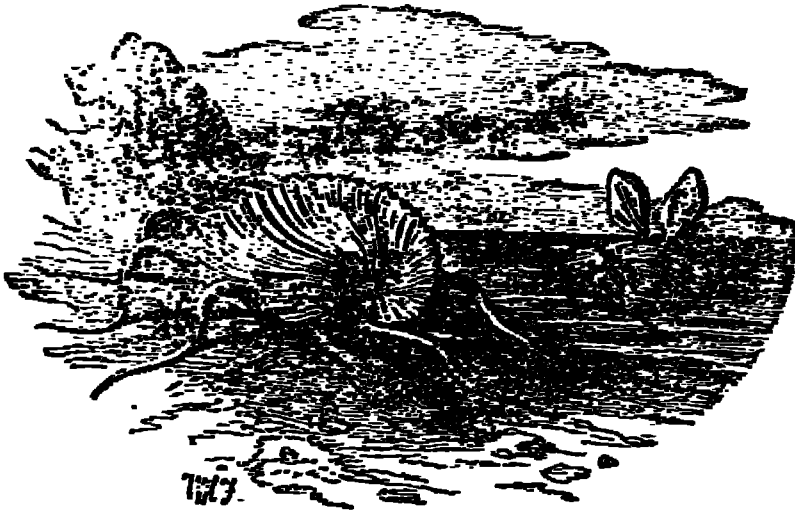
وهذا المحويان يتوالد بكثرة تفوق التصديق . فتري صغره^(٣) متلاصقا كعقود عنب مرتبط بعشب البحر . فاذا بعد عن البررأيت هذه العناقيد

عائمة على سطح المياه وتنقف من حرارة الشمس . ثم تسير اسرأاً للفتيش عن طعامها وقد تكبر هذه الحيوانات كبراً هائلاً . قال ريان سفينة انه رأى حيواناً من نوعه كبيراً جداً يتقلب في البحر تحاكي اذرعهُ الثعابين العظيمة طول كل منها ٧ اقدام

ومنهُ نوع يُسمى ارغونو يقطن صدفةً غايةً في الجمال يعلق بها بعضهين . وقتاً يُظنر هذا الصنف ساجماً بل يدب باذرعهِ التي يستعملها كاقدم ويتوص الى قاع البحر . وانا سمع دفع الماء من انبوبة الهواء كالمخباط . وقد يتلص احياناً من الصدفة ويعوم على الامواج . ولكن حالما يجفئ شيء يعود الى الصدفة ويختبئ فيها . ولذلك يصر النظر اليه ويصعب صيده ايضاً

ولملا الحيوان ذراعان كبيرتان كسراعين يسطها على الصدفة فيغطيها كأنه ليحجبها عن الابصار . فهاتان الذراعان تنجان الصدفة وتصلحها اذا الم بها ضرر لانها تفرزان مادة تراكبية تتركب منها الصدفة تدريجاً . وانجنت ذلك احدى السبلات بأن ربت صغار هذا الحيوان بعد خروجها من البيض وراقبت بزيد التحري والدقة فرأت افراز تلك المادة وتراكبها التدريجي . ولما كملت الصدفة كسرها ثم تركبها في الماء لتشاهد ماذا يحدث . ثم اتت في الغد ورأت تلك المادة المشاكلة نسج العنكبوت منشرة على انقطع المكسورة . وفي اليوم نفسه خثرت وزادت الحافات متانة . وما فتئت تراقب العمل يوماً فيوماً والمادة تجمد وتصلب حتى التحمت الاطراف وأصلحت الصدفة وعادت الى حالها السابقة فقررت هذه السيدة ان الذراعين هما اللتان اشتغلتا الصدفة

(١) سلاطين (٢) يكثر (٣) صغار السمك



ارغون

الحيوانات المدرعة

هذه الحيوانات من رتبة أسماك كروستاسيا من أصل
 لاتيني معناه متصلب. منها السرطان البحرى
 ولا يتخفى أن بدع هذا الحيوان أو غلافه منسوج من
 مادة تشبه الغراء يفرزها جلده فتتخرج مع الكلس. وذنبه
 حلقات متراكبة منوطة ببعضها بغشاء صفيق مرين. وذرجة
 مغلقة كظهره بدع متين ومرتبطة بمفاصل تسهل له الحركة.
 فقد علم الخالق الأخطار المستهدف بها هذا الحيوان اللين

التَّجْمُ فَمَهْزَلَةٌ دِرْعًا يَتَّقِي بِهِ الْخَطَرَ
 وَلِيَهَا الْحَيَوَانَ ثَلَاثَةُ أَطْرَافٍ عِنْدَ فِيهِ يَبْيَضُ بِهَا عَلَى الْفَرَسَةِ
 وَيَكْسِرُهَا. وَهِيَ أَيْضًا عَشْرُ أَقْدَامٍ عِنْدَ صَدْرِهِ يَبْشِي عَلَيْهَا.
 وَأَطْرَافٌ أُخْرَى عِنْدَ ذَنْبِهِ يَسْتَعْمِلُهَا لِلْسَّبَاحَةِ تَحْمِيلُ بِهَا
 الْأُمُّ صَعْفَرُهَا ثُمَّ تَطْبِرُهَا فِي الرَّمْلِ كَيْ تَنْفُثَ. وَهِيَ فِي مَتْنِهِ
 أَطْرَافُهُ الْعُلْيَا مَخَالِبُ أَحَدُهَا كَالْمِنْشَارِ يَصِيدُ بِهِ الْفَرَسَةَ.
 وَالْآخَرُ يَتَشَبَّهُ بِهِيَ بِأَعْشَابِ الْبَحْرِ لِيَقِي نَفْسَهُ مِنْ صَدَمَاتِ
 الْأَمْوَاجِ. فَإِذَا جُرِحَتْ هَذِهِ الْمَخَالِبُ كَسَرَهَا وَوَقَفَ جَرِي
 الدَّمِ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَأَنْتَزَفَ دَمُهُ وَمَاتَ لِلْيَنِّ جِسْمِهِ. فَيَنْتَأَى لَهُ
 مَخْلَبٌ آخَرٌ يَقُومُ مَقَامَ الْأَوَّلِ

وَحِينَ يَأْخُذُ هَذَا الْحَيَوَانُ بِالنَّهْرِ يَضِيقُ عَلَيْهِ الدِّرْعُ
 وَيَبُولُهُ. فَيَكْفُ عَنْ الْأَكْلِ وَيَخْتَبِي فِي وَجَارٍ أَوْ فِي زَاوِيَةٍ
 فَيَتَّقَلَّصُ جِسْمَهُ وَيَضْرُ وَيَأْخُذُ بِالْإِخْتِطَابِ وَالنُّلُوي حَتَّى
 يَنْكَسِرَ الْغِلَافُ وَيُنْقَبُ. فَتَخْرُجُ مَخَالِبُهُ مِنْ غِلَافِهَا خُرُوجَ
 الرَّجْلِ مِنَ النَّعْلِ. ثُمَّ يَمْلَأُ الْخُوذَةَ وَيَخْرُجُ مِنَ الْغِلَافِ.
 فَتَطْهَرُ الصَّدْفَةُ بَعْدَ خُرُوجِهِ كَامِلَةً كَأَنَّ الْحَيَوَانَ لَمْ يَنْزَلْ
 فِيهَا. أَمَّا السَّرَطَانُ فَيُهَيِّئُ ضَعِيفًا لَوْ رَأَى السَّرَاطِينَ رِفَاقَةً

لَا كُلُّهُ. فَجَنَّبِي فِي زَاوِيَةٍ مُتَعَبًا مِنْهُوَ كَمَا فَتَيْدُهُ الطَّبِيعَةُ حَالًا
 بِدِرْعٍ جَدِيدٍ وَيَأْخُذُ جِسْمَهُ بِإِفْرَازِ مَادَّةٍ لَزِجَةٍ وَهُوَ فِي خِلَالِ
 ذَلِكَ يَهْتَضُّ مَاءَ الْبَحْرِ. فَيَهْتَرِجُ مَعَ تِلْكَ الْمَادَّةِ الْغَرِيبَةِ
 وَيَشْخُ كِلَسًا. فَتَخْتَلِطُ الْمَادَتَانِ مَعًا وَتَكُونَانِ الدِّرْعَ الصَّلْبَ
 الْجَدِيدَ عَلَى التَّهَادِي. فَيَعُودُ كَمَا كَانَ وَتَرْجِعُ لَهُ شَهْوَةٌ
 الطَّعَامِ كَالأَوَّلِ. وَلَوْ أَنَّ السَّرَطَانَ الْأَصْلِيَّ أَسْوَدَ وَلَكِنَّهُ إِذَا
 أَغْلَى عَلَى النَّارِ صَارَ أَحْمَرَ

وَالسَّرَطَانُ أَنْوَاعٌ عَدِيدَةٌ تَعِيشُ فِي الْبَحْرِ وَالْأَنْهَارِ
 وَالْبُرُكِ بَلْ عَلَى الْيَابِسَةِ أَيْضًا. وَمِنْهُ نَوْعٌ يَجْهَلُ تَحْتَ مَتْنَسَاتِهِ
 كَيْسٌ يَهْلَاهُ مَاءٌ. فَإِذَا سَارَ عَلَى الْأَرْضِ الْجَائِفَةِ فَطَرَ مِنْ ذَلِكَ
 الْكَيْسِ عَلَى مَتْنَسَاتِهِ فَطَرَاتٍ تَبْرُدُ حَرَارَتَهُ. وَمِنْهُ طَائِفَةٌ لَهَا
 مَخْلَبٌ قَدْرُ جِسْمِهَا. فَإِذَا دَخَلَ أَحَدُهَا وَجَارَ اسْدَبَ بِهِ الْبَابَ
 وَأَمَّنَ عَلَى نَفْسِهِ مِنَ الْأَعْدَاءِ. وَمِنْهُ نَوْعٌ آخَرَ يَتَسَلَّقُ الْأَشْجَارَ
 وَيَتَنَاثُ بِجُوزِ الْهِنْدِ. وَذَلِكَ بَانَ يَتَرَعُ أَوَّلًا الْأَلْيَافَ بِخَالِبِهِ
 خَيْطًا فَخَيْطًا ثُمَّ يَكْسِرُهَا بِكَلْبَتَيْهِ فِي طَرَفِ الْخَالِبِ وَيَأْخُذُ
 بِأَمْتِصَاصِهَا. وَهَذَا النُّوعُ لَدِيدُ الطَّعْمِ كَثِيرُ الدَّمَنِ حَدِيدُ
 الْخَالِبِ يَثْقُبُ بِهَا أَحْيَانًا الْقَصْدِيرَ. حَتَّى إِنْ رُبَّمَا لَقَطَ يَوْمًا

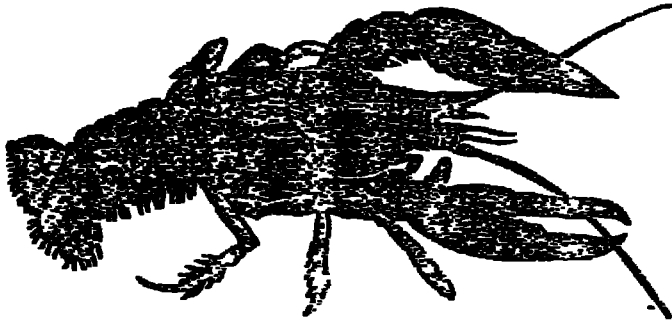
هَذَا السَّرَطَانُ وَوَضَعَهُ فِي صِوَانٍ^(١) مِنْ قَصْدِيرٍ وَرَبَطَ غَطَاءَهُ
بِشَرِيطٍ . فَمَا لَبَثَ السَّرَطَانُ حَتَّى قَرَضَ بِكَالْبِنِيِّ حَافَةَ
الصَّنْدُوقِ فَتَقَبَّهَ وَخَرَجَ مِنْهُ . وَالسَّرَاطِينُ شَكْسَةٌ^(٢) الْأَخْلَاقِ
شَدِيدَةُ الْخِصَامِ لَا تَقَاتِلُ بَعْضَهَا بَعْضًا وَيَقْتَرِسُ كِبَرُهَا
صَغِيرَهَا

وَمِنْهَا نَوْعٌ لَا غِلَافَ لَهُ فَيَسْرِقُ غِلَافَ غَيْرِهِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ
يَرَى صَدْفَةً مَلْفَاةً عَلَى الشَّاطِئِ فَيُدْخِلُ فِيهَا ذَنْبَهُ غَيْرَ مَبَالٍ
هَلْ فِي مَسْكُونَةٍ . فَإِنْ كَانَ فِيهَا حَيَوَانٌ يَنْشِبُ مَحَالِيَهُ فِيهِ ثُمَّ
يَلْبَسُ الْغِلَافَ وَيَبْشِي بِهِ . وَإِذَا كَبُرَ وَضَاقَ عَلَيْهِ الْغِلَافُ
خَلَعَهُ وَقَشَّ عَنْ غَيْرِهِ . وَأَسْمُ هَذَا الصَّنْفِ السَّرَطَانُ النَّاسِكُ
وَكَانَ الْأَوَّلَى أَنْ يُسَمَّى السَّرَطَانُ السَّارِقُ . وَمِنْ غَرَائِبِهِ أَنَّهُ
يَجْهَلُ عَلَى ظَهْرِهِ أَحْيَانًا حَيَوَانًا آخَرَ نَبَاتِيًّا مِنْ نَوْعِ الزُّوْفَانِيَسِ
ضِدًّا لِارَادَتِهِ . لِأَنَّ ذَلِكَ الْحَيَوَانَ يَنْشَبُ بِظَهْرِهِ وَلَا يَفْلِتُهُ
فَيَذِلُّ الْهَيْسِكِينَ قُصَارَى جُهْدِهِ فِي النِّجَاةِ مِنْهُ وَلَا يَسْتَطِيعُ

(١) ثقب البيضة (٢) وعاء الخوب الذي يُصَانُ بِهِ (٣) صعبة

سرطان جزائر الهند الغربية

ومن الامور العجيبة ان في جزائر الهند الغربية عدداً لا يُحصى من السراطين المسماة بصراطين البشع . وهي تخفي في قعر الصخور او تجاوبف الاشجار فتتوارى عن العيان . ومتى هطلت الامطار ترحف اسراباً اسراباً على نظام غريب . لانها تؤم^(١) شواطئ الابحر حيث تضع صغارها فتتظم سطوراً يبلغ طول احدها ثلاثة اميال . وتلأ الطرق والغابات والحدائق حتى تغطي وجه الارض . فتسمع لصويعها جلجلة وطفقة على امد شامع . وهي تسافر ليلاً اتقاء الاخطار . فيزحف اقوامها في الظلمة لتجسس الطريق ثم تليها الاناث ثم الاضعف ثم الشيوخ . ولا يوقنها شيء عن السير فتهبط الحفر وتسلمق السياجات وتاكل ما تصادف في سبيلها . فاذا التقي بها انسان جلجت بخالبها كأنها تريد ان تخيفه . واذا فتح باب دخلة . غير ان السليقة علمها معرفة الطريق الاقصر



الى البحر فتسير على خط قوم لا تعرج بمنة او بيرة . واذا حلت بسرطان نازلة اوسقط في الطريق بادرت رفاقة العناية واكلته . ومتى بلغت الشاطئ اخذت اولاً بالاستحمام ثم وضعت الاناث صغارها واعتزلت بعدئذ الى قعر الصخور لتطلع غلاتها . فتصبح حينئذ وامنة القوي ثم تمكث هناك امداً حتى تسج دروعاً جديدة وتقلب راجمة لكنها تكون متعبة مسترخية فيصيد الناس اكثرها ولا

يُسلم منها إلا القليل . أما الأجنة فتخرج بعد حين من الاصداف حيوانات
غريبة الاشكال لا تقارع الوالدات بل تحاكي رؤوسها خوذة في اعلاها شوكة
ذات ظهر طويل وعينين كبيرتين . ثم تأخذ بالسباحة في الماء ويطرأ عليها اطوار
وتغيرات شتى حتى تتحول الى صورة الأم . واذ ذاك تعاف (٢) السباحة وتشرع
بالسفر الى الجبال فتري تلك السرطين الصغيرة غطت الطرقات وحملت
السير تقودها السليقة العجيبة . فتصادف في سبيلها اخطاراً حمة . لان الحيوانات
والجوارح تنقض عليها وتقرسها . غير انها تظل ساعة حتى تبلغ بقية الجبال
وتلتقي بنواديها وتعيش معها

(١) قصد (٢) تكرر

القريدس

هو من طوائف السرطان . وله ذنبتان كجناح يطوي وينشر . وقرنان
طويلان في رأسه قدر جسمه . وجناح كمروحة على جانبيه ريش صغير شفاف
يساعده على الحركة في الماء . والقريدس اذرع وارجل كثيرة لا يقص عددها
عن ٢٢ . ومن صفاته انه يقلص ذنبة ويشب في الماء . ومنه طاقة تحيل انشائه
صغارها في كيس لحمي يتدلى من جسمها كردن يحاكي ردن ابوسوم البر

قنفذة البحر

في من رتبة سمك النجوم ولكنها لا تشبهها . فاذا فحست غطاءها رأيت مركباً
من قطع حجرية عديدة ذات اقلر مختلفة المنحمة بعضها ببعض كل الالتصام .

والصدفة ملآنة بماء البحر والحيوان معلق ضمنها وفي اعلاها ثقب يمثل فم الحيوان فاذا كبرت الفتحة وضافت عليها الصدفة تنطت بغشاء رقيق او جلد يهبط بين ثنوات قطعها . ثم يأخذ ذلك الغشاء بايداع مادة ترابية حول حافة كل قطعة . فتضخم وتجسم بدون ان يطرأ على شكل الصدفة تغير حتى تبلغ الحجم الملائم . ثم تنأ من تلك القطع اشواك تنفع الحيوان في دفن نفسه في الرمال . وللتنفذة مصّات كثيرة كسك العجور نعيمها على الحركة

واشواك التنفذة نائمة على عجرة ومرتبطة بها بمنصل يسهل حركتها وهي تنشأ من مادة يفرزها الحيوان كما يفعل البوليس . وقد فحص احد الطبيعيين شوكة بالبحر فراها مؤلفة من طبقات متناسقة بناية الدقة والضبط وعلم انها من عمل ذلك الغشاء نفسه الذي ابدع الصدفة . وهي تستطيع اخراج فمها من الصدفة للالهام . فترى فيه خيمة اسنان حادة تحن اسمى الاصناف . وهذه الاسنان تجدد وتصل على مرّ الايام ولولا ذلك لمراما الكلال ووهنت قوتها ولهذا الحيوان خمسة فكوك في كل منها واحدة . وهي ملتصقة بعضها ببعض بغضاريف حتى تبدو كهرم متصل اعلاه بالتم . وقد سمي هذا الهرم مصباح ارسطوطالينس فانه هو الذي دعاه بهذا الاسم . وقد تدفن هذه التناقذ نفسها في ثغر الصخور والشقوق وتعلق عليها بالمصّات حتى يتعدّر اخراجها . وهي تحفر تلك الثغر لتسها بطرق مجهولة . والبعض يستعملون هذه التناقذ طعاما ولا سيما في بلاد البحر المتوسط

الحيوانات الصدفية

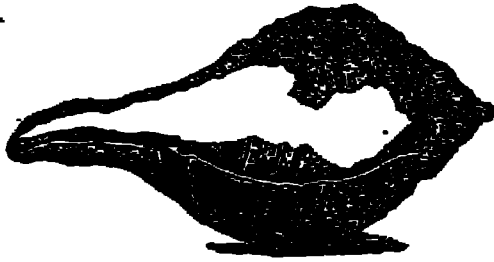
إِنَّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ تُولَدُ مَغْطَاةً مَجْلَدَتَيْنِ فَوْقَ بَشَرَتِنَا

الرَّقِيقَةُ . الْأُولَى رَخْوَةٌ وَمِرْنَةٌ تُشْبِهُ الرِّدَاءَ وَتُسَمَّى أَصْطِلَاحًا
بِالْبُرْنِسِ وَهُوَ مُسْتَوْدَعُ الْمَوَادِّ الصَّانِعَةِ الصَّدْفَةَ . وَهَذِهِ
الْمَوَادُّ كِلْسٌ وَغَرَائِبٌ وَالْيَوْمِينُ ١) تَدْخُلُ جِسْمَ الْحَيَوَانِ مِنْ طَعَامِهِ
وَتَبْرُؤِ سَائِلَةٍ فِي ذَلِكَ الْبُرْنِسِ فَتُذْخِرُ الْمَوَادَّ الْمَكُونَةَ الصَّدْفَةَ .
فَمِنْ بَرِيحِ ذَلِكَ السَّائِلِ اللَّزِجِ مِنْ كُلِّ أَجْزَائِهِ أَوْ أَطْرَافِهِ فَيُخْتَرُ .
وَإِذَا تَرَكَبَتِ الصَّدْفَةُ مِنْ قِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ دُعِيَتْ ذَاتٌ



الْبِصْرَاعِ الْوَاحِدِ أَوْ مِنْ قِطْعَتَيْنِ فَذَلِكَ الْبِصْرَاعَيْنِ
فَإِذَا تَفَحَّصْتَ طَوَاقَ ذَلِكَ الْبُرْنِسِ رَأَيْتَهُ مَخْطُطًا بِالْوَانِ
بِهَيْئَةٍ نَاشِئَةٍ مِنْ مَادَّةٍ بَحْرِيَّةٍ يَسْتَعْمِلُهَا الْحَيَوَانُ لِنَقْشِ بَيْتِهِ . فَهِيَ
رَكْمٌ بِوِاسِطَةِ الْبُرْنِسِ طَبَقَةٌ فَطَبَقَةٌ مِنْ رِدَاغٍ ٢) وَالْيَافِ

أَزْدَادَتِ الْأَلْوَانُ وَضُوحًا بِسُهُوِ الصَّفَاحِ . وَإِذَا رَاقَبَ
 الْإِنْسَانُ بِنَاءَ الصَّدْفَةِ اسْتَطَاعَ مَعْرِفَةَ اللَّوْنِ الَّتِي بَعْدَ اللَّوْنِ
 الْأَوَّلِ . فَإِنَّهُ يَبَاحِثُ الْخَطُوطَ الْحَمْرَاءَ فَالزَّرْقَاءَ فَالْأَرْجَوَانِيَّةَ
 وَبَعْضُ الْأَصْدَافِ أَضْلَاعٌ تَنْشَأُ مِنْ دَفْعِ الْحَيَوَانِ بِرُئْسِهِ
 إِلَى الْخَارِجِ حَتَّى يَلْتَفُّ كَأَنْبُوبَةٍ . وَهُوَ يَفْعَلُ ذَلِكَ كَيْ يَبْتَصَّ
 الْمَاءَ إِلَى فِيهِ . فَتُجْرَجُ السِّيَالُ الصَّدْفِيَّةُ مِنَ الْبَرْتِسِ وَيَهْلَأُ



أَطْرَافِ الْأَنْبُوبَةِ فَتَنْشَكُلُ بِشَكْلِ ضِلَعٍ نَائِيٍّ . وَهَذَا عَمَلٌ
 يَتَكَرَّرُ مِرَارًا حَتَّى تَكْتَرُ الْأَضْلَاعُ فِي الصَّدْفَةِ . وَيَصْدُقُ هَذَا
 التَّوَلُّدُ عَلَى كُلِّ الْأَصْدَافِ مِنْ أَصْغَرِهَا مِمَّا لَا يَرَى إِلَّا بِالْحِجْرِ
 إِلَى أَكْبَرِهَا مِمَّا تَسْتَعْمَلُ مَغَاسِلَ أَوْ أَجْرَانًا يُوضَعُ فِيهَا الْمَاءُ
 الْقُدْسُ فِي الْكُنَائِسِ الْكَاثُولِيكِيَّةِ . وَقَدْ تَعَدَّدَتْ أَنْوَاعُ
 الْأَصْدَافِ وَتَنَوَّاتَتْ فِيهِنَّ حَتَّى يُبَاعُ بَعْضُهَا بِخَوِثِ ثِقَلِهَا ذَهَبًا .
 قِيلَ إِنَّ جُمْهُورِيَّةَ فِينِيسِيَا أَهْدَتْ الْمَلِكَ فَرَنْسِيَسَ صَدْفَةَ

كَبِيرَةٌ اسْتَعْمَلَتْ جُرْنَا لِلْمَاءِ الْمَقْدَسِ فِي بَيْعَةِ الْقَدِيسِ
 سُولِيسَ فِي بَارِيسَ . وَلَا يَخْفَى أَنَّ مَادَّةَ صِبَاغِ الْأَرْجَوَانِ
 الصُّورِيِّ الَّذِي كَانَتْ تَنْفَخَرُ بِهِ الْهَلُوكُ وَالْأَمْرَاكُ مِنْ صُنْعِ
 هَذِهِ الْمَحْوَانَاتِ الصَّدْفِيَّةِ

إِنَّ صَدْفِيَّ الْمَحْوَانِ الثَّنَائِيَّ مُرْتَبِطَانِ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى
 بِمَنْصِلٍ مِنْهَا الْخَزُونُ أَوْ التَّرَاقُ وَالْهَوْسِلُ . فَإِذَا شَاءَ الْمَحْوَانُ
 فَخَّ صَدْفِيَّةَ فَخَّهْمَا بِإِرْخَاءِ الْمَنْصِلِ ثُمَّ عَادَ فَأَغْلَقَهُمَا بِشِدَّةٍ .
 وَإِذَا تَعَدَّرَ إِغْلَاقَهُمَا كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى مَوْتِ الْمَحْوَانِ
 ضِيْنَهَا

أَمَّا عَلَّةُ إِخْتِيَابِ هَذِهِ الْمَحْوَانَاتِ ضِيْنِ الْأَصْدَافِ فِيهِ
 لِأَنَّ لَيْسَ لَهَا رُؤُوسٌ وَلَا أذْرُعٌ فَلَا تَسْتَطِيعُ الْمَحْوَالُنُ لِلتَّفْتِيْشِ
 عَنِ طَعَامِهَا . فَإِذَا لَمْ يَأْنِهَا الطَّعَامُ مَلَكَتْ . وَلِذَلِكَ أَمَدَتْهَا
 الطَّبِيعَةُ بِالآتِ تَسْتَعْمِلُهَا لِلنَّشْبِثِ بِالصُّخُورِ وَالْأَمْنِ مِنْ
 الْعَوَاصِفِ . فَتَنْسُجُ بِقَوَائِمِهَا خِيوطًا مِنْ مَادَّةٍ قَرْنِيَّةٍ تَقْرِزُهَا
 مِنْ غُدَّةٍ مَرْكَزُهَا تَجْوِيفٌ فِي أَسْفَلِ الرَّجْلِ ثُمَّ تَرْبِطُ طَرَفَ
 الْخِيْطِ بِالصُّخْرِ وَتَجْذِبُ قَوَائِمِهَا إِلَى الدَّخْلِ . فَيَمْتَدُّ الْخِيْطُ
 بِقَدْرِ مَا تَشَاءُ . ثُمَّ تَنْتَحِيهِ لِتَعْلَمَ إِذَا كَانَ مَتِينًا وَتَقْدُمُ وَتَنْسُجُ غَيْرَهُ .

وَتَظَلُّ أَخَذَةً بِالْحِيَاكَةِ إِلَى أَنْ تَصْنَعَ مَتَّةً وَخَسْبِينَ خَيْطًا
فَتَكْمَلُ مِرْسَانُهَا وَتَعْلُقُ بِهَا عَلَى الصَّخْرِ أَمِنَةً مِنَ الْخَلْجِ.

فَبَلَ شَرَعَ الْبَعْضُ فِي إِحْدَى الْمَدِينِ بَيْنَ جَسْرِ عَلَى
فَنَاطِرٍ كَثِيرَةٍ . فَكَابَدُوا فِي بِنَائِهِ عَنَاءً شَدِيدًا . لِأَنَّ الْأَمْوَاجَ
كَانَتْ تَلَاطِيهَةٌ وَتَهْدِمُهُ حَتَّى كُلَّ الْعَبْلَةِ وَيَسْوَأُ مِنَ النَّجَاحِ .

فَخَطَرَ لَهُمْ أَنْ يَسْتَعِيثُوا بِالْحَيَوَانَاتِ الصَّدْفِيَّةِ . فَهَلَّأُوا قَوَارِبَ
مِنْ تِلْكَ الْأَصْدَافِ وَطَرَحُوهَا عِنْدَ قَوَاعِدِ الْجَسْرِ . فَعَبَدَتْ

تِلْكَ الْحَيَوَانَاتُ الْعَجْدَةَ إِلَى اللَّابِ وَالْعَبْلِ وَثَابَرَتْ عَلَى رَبْطِ
خَيْوطِهَا بِقَوَاعِدِ الْجَسْرِ . فَمَالَتْ مِنْ تِلْكَ الْخَيْوُوطِ حِبَالٌ

وَثَبَّةٌ دَعَمَتْ تِلْكَ الْقَوَاعِدَ وَثَبَّتْهَا . فَهَبَّتِ الْجِسْرُ وَأَسْتَطَاعَ
إِنْقَاءَ خَطَرِ الْأَمْوَاجِ . وَمَا فَتَى فِي مَكَانِهِ إِلَى الْيَوْمِ .

وَمِنْ طَوَائِفِ هَذَا الْحَيْوَانِ صَدْفَةٌ تُدْعَى السِّكِّينَ إِذَا
فَاجَأَهَا صَيَادٌ (لِأَنَّ كَثِيرِينَ يَسْتَطِيبُونَ لِحْمَهَا) غَاصَتْ فِي

الرَّمْلِ وَتَوَارَتْ . فَيَجْعُرُ بِقَضِيبِ حَدِيدٍ مُهْتَدِيًا إِلَيْهَا بِقَطْرَاتِ
مَاءٍ تُلْقِيهَا عِنْدَ فِرَارِهَا . وَإِذَا لَمْ يَعْزُرْ عَلَيْهَا كَفَّ عَنْ

النَّفْتِيشِ لِعَلِيهِ أَنَّهَا تَعَمَّتْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى لَا يَسْتَطِيعَ
الْقَضِيبُ الْبُلُوغَ إِلَيْهَا

وَمِنْهَا صَدَفٌ يَتَوَاسَبُ وَيَتَلَاعَبُ أَسْمُهُ الْكَوَكَلُ . لَهُ
رِجْلٌ كَبِيرَةٌ كَلِيسَانٍ . فَإِذَا شَاءَ الْوُثُوبَ ثَبَتَ قَائِمَتَهُ فِي
الْأَرْضِ وَاسْتَعَانَ بِالْعَضَلَةِ عَلَى الْوُثُوبِ فِي الْهَوَاءِ . فَيَطِيرُ
إِلَى عُلُوٍّ مَعْلُومٍ ثُمَّ يَهْبِطُ ثُمَّ يَنْبُ مَرَّةً أُخْرَى . فَيُحِثُّ السَّيْرَ
عَلَى هَذَا النِّهَالِ كَأَنَّهُ طَائِرٌ فِي الْهَوَاءِ

وَمِنْهَا طَائِفَةٌ أَسْمُهَا فُولَاسٌ تُثَبُّ بِالْحِجَارِ . وَذَلِكَ لِأَنَّ
صَدَفَهَا رَفِيقَةٌ جِدًّا فَلَا تَقِيهَا مِنَ الْخَطَرِ . فَتَحْفَرُ لِنَفْسِهَا قَبْرًا
تَدْفِنُ ذَاتَهَا فِيهِ مَدَى الْحَيَاةِ . وَلَيْسَ هَذَا الْجَدَثُ بِأَكْبَرَ مِنْ
جِسْمِهَا لِذَلِكَ لَا تَحْرُكُ صِهْنَهُ إِلَّا حَرَكَةَ بَسِيرَةٍ . وَتَسْتَعِدُّ
قَائِمَتَهَا أَنْبُوبَةً تُثَبِّتُ بِهَا جُذْرَانِ صَدَفَتِهَا وَتَقْرُزُ مِنْ جِسْمِهَا
عَصِيرًا بِذَيْبِ الْحَجَرِ . فَهَذِهِ الْحَيَوَانَاتُ عَلَى صِغَرِهَا تَضُرُّ
بِالْهَرَاتِيِّ الصَّنَاعِيَّةِ ضَرَرًا جَسِيمًا لِأَنَّهَا تُثَقِّبُهَا ثَقُوبًا كَثِيرَةً
حَتَّى تَدَاعَى إِلَى السَّقُوطِ . وَلَهَا كَانَ هَذَا الْحَيَوَانُ يَقْضِي زَمَانَهُ
مَدْفُونًا بِأَنِيهِ غِنَاءُهُ مَحْبُولًا مَعَ حَجَارِي الْهَيَاةِ مُكْتَفِيًا بِالْبَزْرِ
الْمَحْبُولِ إِلَيْهِ مَعَ الْهَاءِ . وَهُوَ أَعْنَاءُ كَثِيرَةٌ مِنْهَا الطُّيُورُ
وَسَمَكُ النُّجُومِ وَالْإِنْسَانُ

(١) مادة نحكي ياض البيض (٢) طين رقيق (٣) القليل

الحلزون البحري او التراق

الحلزون البحري ملك الاصناف لانه الذما طعاماً . وهو ايضاً ملتوف
بغلاف كسائر طوائفه . غير ان غلافة مشقوق من الامام . حتى اذا فتحتم
الصدفة رأيت جسم الحيوان كله . اما برنسة فصنق الاطراف محاط باهداب
او قرون . وهو نظير سائر الاصناف يبني صدفته بواسطة ذلك البرنس واطعاً
طبقة فوق طبقة حتى ترتكف فوق بعضها كقطع قريميد . وليس للتراق رأس ولا
قوائم بل تم واسنان تتدلى حولها الاهلاب

ومتفتحات الحلزون مركبة من اربع صفائح رقيقة تعوم على الماء الا من
طرف واحد حيث هي منوطة بالجسم . فاذا تفتحت هذه الصفائح بالمجهر رأيت
عليها شعوراً لا عدد لما تفتح مجاري صغيرة وتسوق الطعام الى فم الحيوان . وهذا
الواد نقاعيات ونباتات دقيقة مجهرية . اما مركز فوه في وعاء يجاكي القلنسوة
عند موصل متفتحاته يحفظ به مجاري الماء ويدفع عنه ذرات الطعام التي
لا تلائم

ويشتغل التراق كل الصيف بوضع صغرته حتى تبلغ عدداً يفوق الصديق .
قبل ان الواحدة تضع مليونين في فصل واحد . وتحفظ الصغار مخبأة في برنسها
ومتى كبرت قليلاً تأخذ بالسباحة بواسطة حرمة خيوط حول جسمها . ولكنها
لا تبعد اولاً عن الام كثيراً . واذا فاجأها خطر اخذت في صدفة والدعما .
ثم تعلق بعد برهة بجسم صلب وتشرع بيناه صدفتها . فتواظب على العمل ثلاث
سنين حتى تبلغ النمو الكامل

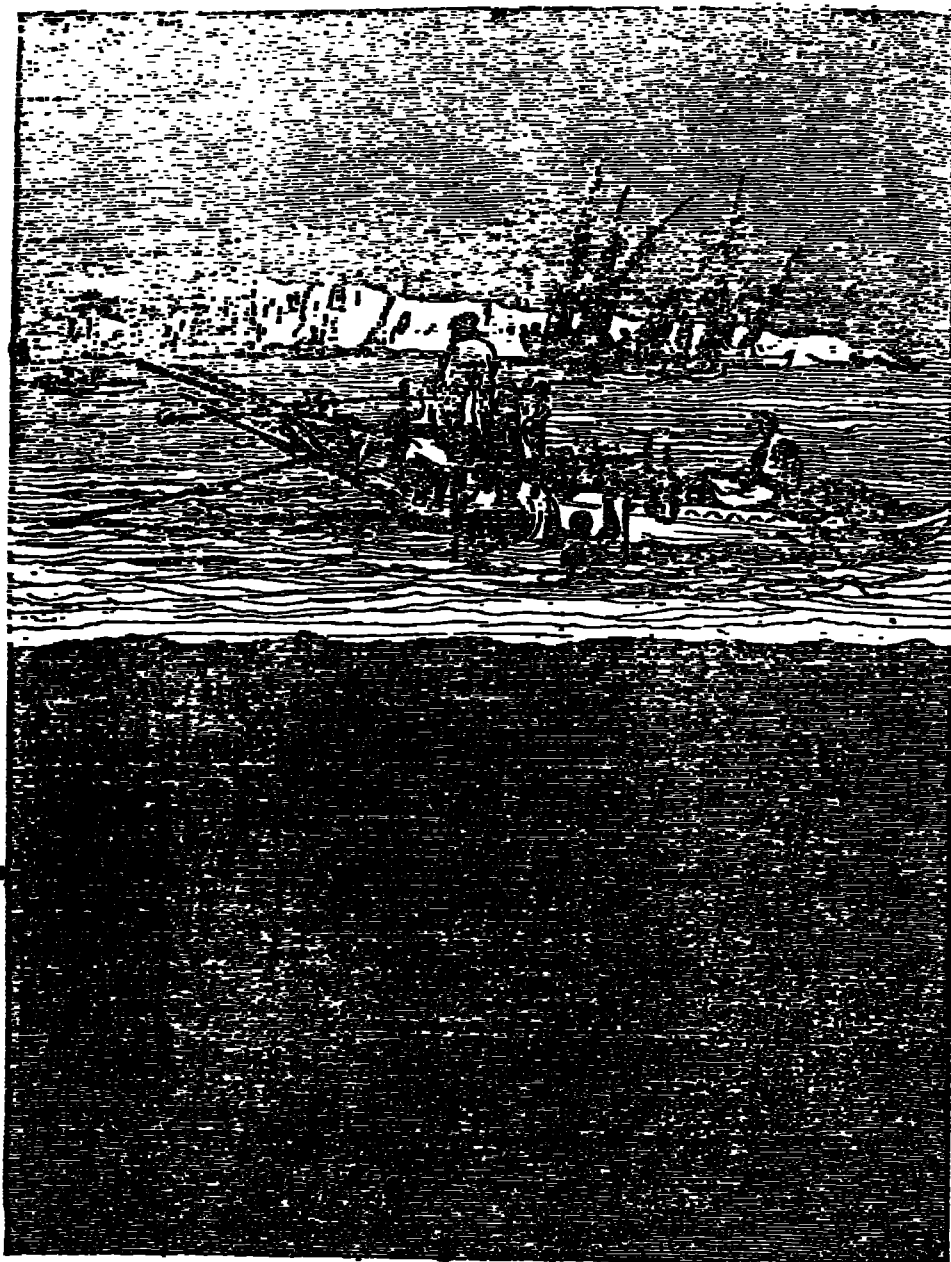
ولا ينبغي ان الانكليز وغيرهم يربون التراق في حياض وصهاريج فيكبر
ويسمن ويعملونه صفاً من صنوف التجارة

اصناف اللؤلؤ

في حيوانات عجيبه الصنع والتركيب . نعو في اول نشأها على وجه الماء وتنغذي ثم مهبط الى الاعماق وتسكن فيها وتحمل اليها اللبنة المراء والغلاء ويتكون عليها الصدف كبيرها من المواد الكسبية للوقاية من الاخطار . ولهذه الحيوانات خطوم او منتفحات مؤلفة من صفائح رقيقة كثيرة الوعية تحاكي نسج الثياب . فتكون لما كصاف ترسل الى جوفها الماء والهواء وتنع الرمال وما شاكلها من الضارات من الدخول . وتلك الانوف واسطة للشم والتنفس والتغذية . وخبوط نسيجها مغطاة باهداب تتحرك ما دامت حية ولا تمكن ابدا فتجذب ما فوق تلك الانوف من الهواء والماء وما فيها من القاعيات في قناة واحدة الى المعدة . وتحت انوفها افواه لكل منها اربع شناه تجذب الملائم من تلك المواد وتدفع غيره . وبعدما تشبه الاكياس وهي منوطة بالاقواء . واذا قطعت المعدة نظرت فيها اوعية كبيرة متعددة تأتي اليها المرة او الصفراء من منرقات الكبد . وكبداها كبيرة خضراء او سوداء تحيط بكل المعدة مؤلفة من حبيبات متساوية الاقطار . وفي وسط الاحشاء القلب ويقسم الى قسمين الاذن والبطن . والاذنين جدران لطيفة جدا مؤلفة من الياف عضلية دقيقة تحمل الدم من اعضاء التنفس ولكل هذه الاعضاء غلاف سطحه شديد الحس حسن الوضع والترتيب وقد اجمع الجمهور اليوم على ان اللؤلؤ ينشأ من تجميع رمل او حبيبات ضارة تدخل الصدفة قسرا . فيفرز حيوانها مادة لزجة ينطشها بها ثم يجهد وتنجح . فيضارع بذلك النخل في تعطيتها الزناير التي تدخل خلتها بالشم فتهلكها

اما مغاصات اللؤلؤ وكيفية استخراجها فمعلومة عند كثيرين فلا حاجة

لايضاحها



لغز في درة

| | |
|---|---|
| أَيُّ شَيْءٍ مِنَ الْجِهَادَاتِ يَلْفِي | وَتَرَاهُ مِنْ بَعْدِ ذَا حَيَوَانَا |
| وَتَرَى ذَلِكَ الْجِهَادَ عَزِيزًا | غَالِيًا مِنْهُ رَصَعُوا نِجَانَا |
| وَتَرَى الرُّوحَ مِنْهُ فِي حَيَوَانِ | ذِي جَنَاحٍ وَيَأْلَفُ الطَّيْرَانَا |
| وَإِذَا مَا شَدَا عَلَى الْعُودِ يَوْمًا | فَوْقَ دَفِّ بَجْرِكِ الْأَغْصَانَا |
| أَوْ بَلَا فِي مَقْصِ فَابِنٍ بَرْدٍ | عِنْدَ أَجْمَاعِهِ بِصِيرٍ مَهَانَا |
| كُلُّهُ طَائِرٌ وَفِي ثَلَاثِهِ | لَكَ ذُو أَرْبَعٍ مَعَ الْعَكْسِ بَانَا |
| كُلُّهُ عَاطِلٌ بِهِ تَحَلَّى | كُلُّ خُودٍ وَتَسْتَقِلُّ الْجُهَانَا |
| وَتَرَاهُ عِنْدَ الْهَلُوكِ عَظِيمًا | وَبِتَضْيِيفِهِ حَتِيرًا مَهَانَا |
| عَكْسُهُ فِي تَضْيِيفِهِ زِدِ بِنَقْصِ | فَالهَمَى هُنَا فَكُنْ يَقْظَانَا |
| وَإِنَّمَا تَنْزِيلُ الصَّاحِفِ دَرَةٌ | لِلَّذِي فِيهِ فَهَوُ يَدْرِي الْبَيَانَا |
| وَيَجْرِبُهُ تَوَدُّبٌ مِنْ شَيْتٍ إِذَا كَانَ يَجْهَلُ الْعِرْفَانَا | |
| ثَلَاثَةٌ دُرٌّ نَفِيسٌ وَفِي فِيهِ إِذَا جَاءَ يَصُوبُ الْهَرَجَانَا | |
| لَكِنَّ الثَّلَاثَ عِنْدَهُ نِصْفٌ وَحَشِي | ذَبَّ عَنَّا تَضْيِيفُهُ مَا أَعْتَرَانَا |
| وَهُوَ فِي الْبَرِّ نَافِرٌ وَإِنَّمَا | حَضْرَةٌ قَدْ يَأْلَفُ الْإِنْسَانَا |
| فَأَفْتَرِسُهُ بِأَحْمَلٍ إِنْ كُنْتَ لَيْثًا | فَهُوَ لَغَزٌ عَنِ فَضْلِهِ قَدْ أَبَانَا |

(صاحب دولون الانشاء بدمشق الحرصه)

الاسماك التي تمشي على اليابسة

لَا يَجْنِي أَنْ الْأَسْمَاكَ تُنْفَسُ مِنْ خَيَاشِيمِهَا. فَبِي لَهَا
بِمَتْرَلَةِ الرِّمَّةِ. وَالْمَاءُ يَدْخُلُهَا مِنْ أَفْوَاهِهَا بِوَاسِطَةِ حُضْوِ
كَالشَّبَكَةِ فَيَنْطَبِقُ عَلَيْهِ غَطَاءٌ فِي الْخَيَاشِيمِ وَيَصْدَأُهُ عَنِ
الْخُرُوجِ. ثُمَّ يُلْهُمُ الْمَاءَ الْأَغْشِيَةَ الْمَوْضُوعَةَ فِي جَوْفِ الْخَيَاشِيمِ
وَهَذِهِ الْأَغْشِيَةُ مَغْطَاةٌ بِأَرْعِيَةِ دَمٍ رَقِيقَةٍ. فَيَسْتَبِدُّ الدَّمُ قَدْرًا
كَافِيًا مِنَ الْأَكْسِجِينِ. وَهَذَا عَمَلٌ يَكْرُرُ عَلَى التَّعَاقُبِ
بِانْفِتَاحِ الصِّمَامِينَ^(١) وَأَنْطِبَاقِهَا كَرَّةً الْإِنْسَانَ. فَإِذَا خَرَجَ
السَّمَكُ مِنَ الْمَاءِ مَاتَ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَنَاوُلِ الْأَكْسِجِينِ
مِنَ الْهَوَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنْطَبِقُ الْخَيَاشِيمُ وَتَجِفُّ فَيَبْطُلُ النَّفْسُ
غَيْرَ أَنَّ خَيَاشِيمَ بَعْضِ الْأَسْمَاكِ ضَيْفَةٌ جَدًّا وَلَا تَجِفُّ
بِسُرْعَةٍ. وَلَهَا تَجْوِيفٌ صَغِيرٌ يَجْمَلُ الْمَاءَ مَدَّةً طَوِيلَةً وَيُوصِلُهُ
إِلَى الْخَيَاشِيمِ وَيُنْدِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ. وَلِذَلِكَ تَسْتَطِيعُ الْبَحِيشَةُ
عَلَى الْيَابِسَةِ أَيَّامًا بِوَاسِطَةِ ذَلِكَ الْكَيْسِ الْمَائِيِّ. فَتَسَلِّقُ
الْأَشْجَارَ وَتَنْفَسُ عَنِ الْحَشْرَاتِ فَتَقَاتُ بِهَا. وَقَدْ سَلَّحَتْ

الطبيعة هذه الأسماك مجلي صغير وشص^(١). أما الحبل
 فقرن تأتي في رأسها تصيد به الفريسة. وله مفصل يسر له
 الحركة. وفي طرفه غشاء صغير لامع تستعمله (كالطعم). ولا
 تستطيع هذه الأسماك السباحة جيداً ولا النشَب على فرائسها
 ومطارديها. على أن شهوتها مفتوحة ولا يحب الأنتطاع عن
 الأكل فتجأ إلى المكر والحيلة. وذلك بأن تخفي في
 الوحل أو الرمل ثم تحركه حولها حتى يثور منه غبار
 كالغيم. ثم تنصب الشرك أي (الطعم) بأن تبرز ذلك
 الغشاء البراق وتحركه إلى كل الجهات. فتراه الأسماك
 الصغيرة وتخاله حيويًا يصح للطعام لأنها تكون جائعة
 كدوتها فتأخذ بنهشه فتجذب بذلك (الطعم) وتفتح الصائدة
 فاما الكبير وتبتليها. ثم تعود لتنصب الشص والكبون لأخرى.
 وتخيلها شراستها على أسراط كل ما يأتي في سبيلها

(١) مثنى صيام وهو السداد (٢) كلابة عقناب لصيد السمك

(٢) ابتلاع

الاسماك البانبة الاوجرة

معلوم ان ليس للاسماك دم حار كدمننا ولا تفتني بصغارها بل تضع صغورها في الماء وتقادرها حتى تنقف من ذابها. هذه في صفات الاسماك العامة. غير ان هذه القاعدة لا تخلو من الشذوذ فان لنوع من اسماك بحيرات اميركا وانهرها (واسمها ماسار) كما نجل تحت خياشيمها فتسير على اليابسة وتختل حرارة الشمس وتبني اوجرة لصغارها. فتشع بالعل في فصل الربيع وتعمر الوجار على شكل كرة مجرّفة مسطح الرأس فتدخله وتخرج منه بواسطة ثقب كالباب. اما مواد البناء فاللياف الجبر واعشابها. وقد علم البشر هناك مكان هذه الاسماك فيأتيها الصيادون بالسلال والقضبان ويضعون السلّة عند الثقب وينكشون الوجار بالتضيب. فتحقق السمكة وتشر زعانفها وتقفز فتستقط في الملّ وتُصاد

ومنها نوع يُسمى الظهر الشائك تبني وجارها بنسج اعشاب البحر وتقرّبها بادة لرجة تفرزها من جسمها فتصنع كخيوط شبكة تفارح الاجاصة لما من جانبيها بايان. وهذه السمكة تفتني ببناء وجارها فترمته وتصلح مرارا حتى يمسي ملائما لسكنها. واذا وضعت صغورها حرسها يزيد الاهتمام حتى اذا فاجأها عدو ورّام اقتراس صغارها وثبت عليه ودفعته ودافعت عنها بيسالة. والعلماء الطبيعيون يصبون جدا الى مراقبة هذه الاسماك لانها تذكرهم بالدجاجة وفراخها. واذا ابتعد احد صغارها عن الوجار سمجت اليه وحملت فيها واتت به الى الوكن

السك الطيار

السك الطيار زعانف كأجنحة الطير ومثانة^(١) هواء كبيرة . ففي طار
لا ينشر زعانفه فقط بل ذنبه ايضاً . ويرتفع بعضه الى علو عشرين قدماً في
البحر ويقطع في كل طيرة مسافة ستين او سبعين ذراعاً ثم ينحدر الى الماء ليبل



متنفساته ويعتألف الطيران فراراً من اعدائه . اما أكثر وجوده في البحور

الاستوائية حيث ترى عصابات من السمك الطيار تطير معاً وتلع بألوانها الزرقاء وزعانفها النضبة في نور الشمس فتبدو لناظرها مشهداً جميلاً . غير ان طيراتها لا يقبها من الاعلاء فان طيور البحر تنفض عليها وتقرسها . وكذلك الدلفين بطاردها ويصيدها . ومجارة السفن ايضاً وركابها يراقبونها ويلعبون بقصصها . وذلك بأن يصرخوا نارا او مصباحاً على سطح السفينة فيجوع حوله السمك الطيار فيتمكنون من صيده ويقولون انه لذيذ الطعم . فلاراحة لذه الامماك ولا سلامة سوائه كانت في الماء او في الهواء

(١) شبه كيس جلدي

السك الرعاد

ان موطن هذا السمك البحر المتوسط . وهو سمك كهربائي اذا امسكه الانسان يديه خدرتا وارعدت . وهو ضخ الجسم بجأكي شكله الرباب وله على بدنه ثقوب تشبه قرص الشمع تفرز مادة مخاطية لزجة . والسك الرعاد تخافه سائر الاسماك لقوته الكهربائية فانه يصنع اعلاءه ويقترسها . وفي البحر الاستوائية اسماك كثيرة من هذا النوع اذا مسست احداها عرتك رعدة كأنك ممسك بدولاب البرق . وهو حيوان بعلي الحركة يجب ان يدفن نفسه في الرمال . فاذا امسك به انسان على سبيل الصدفة ثار عليه وارعدت وخرت اعضاءه

وقد عثر الناس في هذه الايام على منافع الكهربائية واستخدم منها الاطباء آلات لمعالجة الامراض العصبية . غير ان في الزمان القديم في عهد انطونوس

وكلموتيرا كانوا يستعملون السمك الرعاد لهذه الغاية ايضاً. وذهبوا الى ان هزنة
تبرئ الصداق واما اخرى. وفي الازمان الحديثة ايضاً كانوا يتصجون للمصاين



بمرض الفرس او داء الملوك بوضع ارجلهم على السمك الرعاد حتى تخدر

سك الكرة الشائك

لبعض الأسماك صور وأشكال غريبة. منها سبك
الكرة. فدانة رأس سبكة كبيرة بدون بدين. وهو صنوف

شتى كبيرة وصغيرة وكله مسلح بحراب أو سهام كالنقذة .
 فإذا فاجأ أحداها خطر نغخت ذاتها وانتصب شوكتها .
 ومن صنوفه طائفة لها حوصلة كحوصلة الدجاجة فإذا أدم
 أحداها الرعب نغخت تلك الحوصلة كبنطاد وقلبتها وعامت
 على ظهرها ونصبت حرايبها . وإذا ذاك تقدر قوة قيادة نفسها
 فحجرف مع الأمواج . وإذا ملكت روعها فرغعت الهوى
 تدريجا من فيها وخياشيبها فسبح له أزيز وصفير . وإذا
 تنفخ هذه الأسماك نفسها حتى تخالها صدوقا عائيا . وهي
 لا تسبح بزعانها كسائر الأسماك بل تستخدمها لتوازن
 نفسها بها موازنة القارب في البحر . وأشواك هذه السمكة
 ولحمها سامة تبيت أكلها

صفة اسطول

اعجب لاسطول الإمام محمد
 ولحسبه وزمانه المستغرب
 ليست به الأمواج أحسن منظر
 يبدو لعين الناظر المستعجب

مِنْ كُلِّ مُشْرِفَةٍ عَلَى مَا قَابَلَتْ
 إِشْرَافَ صَدْرِ الْأَجْدَلِ الْمُنْتَصِبِ
 دَمَهَا قَدْ لَبِثَتْ ثِيَابَ تَصْنَعِ
 تَسْبِي الْعُقُولِ عَلَى ثِيَابِ تَرْهَبِ
 مِنْ كُلِّ أَيْضٍ فِي الْهَوَاءِ مُنْشِرِ
 مِنْهَا وَأَحْمَ فِي الْخَلِجِ مُغِيبِ
 كِبْرَاهَةٍ فِي الْبَرِّ يَقْطَعُ سَيْرَهَا
 فِي الْبَحْرِ أَنْفَاسَ الرِّيَّاحِ الشَّدْبِ
 مَحْفُوفَةٍ بِجَادِفٍ مَضْفُوفَةٍ
 فِي الْجَانِبَيْنِ دُونِ صُلْبِ صُلْبِ
 كَفْوَادِمِ النَّسْرِ الْمُرْفَرِفِ عُرَيْتِ
 مِنْ كَاسِيَاتِ رِيَّاسِهِ الْمُنْتَهَدِبِ
 وَنَحْنُهَا أَيْدِي الرِّجَالِ إِذَا وَتَتْ
 بِبَصْعِدٍ مِنْهُ بَعِيدِ مَصُوبِ
 خَرَقَاهُ تَذَهَبُ إِنْ يَدُّ لَمْ تَهْدِيهَا
 فِي كُلِّ أَوْبٍ لِلرِّيَّاحِ وَمَنْهَبِ

جَوْفَاءُ تَحِيلُ كَوْكَبًا فِي جَوْفِهَا
 يَوْمَ الرَّهَانِ وَتَسْتَقِلُّ بِرَكْبِ
 وَلَهَا جَنَاحٌ يُسْتَعَارُ بِطَرِهَا
 طَوْعُ الرِّيَاحِ وَرَاحَةُ التَّطَرِّبِ
 يَعْلُو بِهَا حَتَبَ الْعَبَابِ مَطَارَةَ
 فِي كُلِّ لَحْزَةٍ زَاخِرٍ مُغْلُوبِ
 تَصَاعِدُ مِنْ كَتَبِ كَمَا نَفَرَ الْقَطَا
 طَوْرًا وَتَجْنَعُ أَجْنِيعَ الرَّبِّبِ
 وَلَوْ أَحِيفَ مِثْلُ الْأَهْلَةِ جُنْحِ
 لَحَى الْمَطَالِبِ فَائْتَاتِ الْمَهْرَبِ
 يَنْهَبْنَ فِيهَا بَيْنَهُنَّ لَطَافَةَ
 وَبِحَيْثُ فَعَلَ الطَّائِرِ الْمَنْغَلِبِ
 وَعَلَى كَوَاكِبِهَا أُسُودُ خِلَافَةِ
 تَخَالُ فِي عُنْدِ السِّلَاحِ الْمَهْرَبِ
 فَكَانَ الْبَحْرُ اسْتَعَارَ بِرِيهِمْ
 ثَوْبَ الْجِبَالِ مِنَ الرَّبِيعِ الْمَهْدَبِ

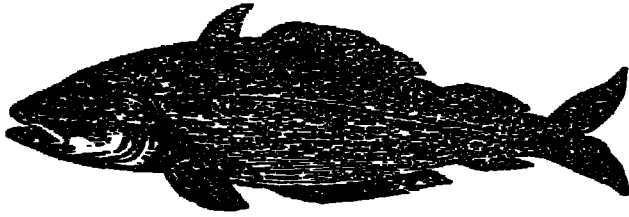
سك الانايب

هَذَا السَّكُّ لَطْوِيلٌ دَقِيقٌ مُنْدَجِحٌ يُشْبِهُ الْأَنْبُوبَةَ . وَهَلَا
 فَكَانَ مُلْتَصِقَانِ بِبَعْضِهِمَا . وَهُوَ يَلْتَفُّ عَلَى نَفْسِهِ بِصُورٍ
 وَأَشْكَالٍ غَرِيبَةٍ وَيَبْتَضُّ فَرِيستَهُ أَمْتِصَاصَ الطَّلْبَةِ الْمَاءِ .
 وَمِنْ سَجِيئَتِهِ أَنَّهُ مُوَلِّعٌ بِصِغَارِهِ وَبِمَجْهَلِهَا (الذَّكْرُ لَا الْأُنْثَى)
 فِي كَيْسٍ بِجَاكِي الرُّذْنِ مُنَوِّطٍ بِحَسْبِهِ . وَإِذَا أَلَمَّ بِهَا خَطَرٌ
 رَكَضَتْ إِلَى أَبِيهَا وَأَخْبَاتَتْ فِي رُذْنِهِ
 وَبَعْضُ هَذِهِ الْأَسْبَاكِ أذْنَابٌ طَوِيلَةٌ تُشْبِثُ
 بِالْأَعْشَابِ وَتَلْتَفُّ عَلَيْهَا حَتَّى تَنْقَطِعَ . وَإِذَا مَاتَتِ السَّمَكَةُ
 تَلْتَصِقُ جِسْمَهَا وَالتَّفَّ وَضَارِعَ عُنُقَهَا وَرَأْسَهَا عُنُقَ الْحِصَانِ
 وَرَأْسَهُ . وَقَدْ حَفِظَ الْبَعْضُ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ فِي الْمَتَاحِفِ
 لِلزَّرِينَةِ وَسَهَوْنَا فَرَسَ الْجَرِّ . وَكَثِيرًا مَا تَرَى بَعْضَهَا مَلْفُوفًا
 فِي صَدَفَةٍ حَلَزُونٍ

(١) اصل السك كانت العرب تضع فيه الدرهم والدنانير

سمك القد

لَا يَجْتَنِي أَنَّ الْبَحْرَ مُسْتَوْدِعٌ قُوَّةٍ لِلْإِنْسَانِ لَا يَفْرُغُ. وَهُوَ
خِزَانَةٌ زَادٍ وَمَوْوَنَةٌ لَا قَرَارَ وَلَا تَفَادَلَهَا. وَمِنْ صُنُوفِ هَذَا الزَّادِ
سَمَكُ الْحَوْتِ أَوْ الْقَدِّ وَهُوَ حَيَوَانٌ نَهْمٌ لَا يَعْرِفُ الشَّبَحَ.
فِيْلَهُمْ كُلُّهَا بِصَادِقَةٍ بِأَيْسَرِ مَرَامٍ حَتَّى أَنَّهُ يَلْتَقِمُ السَّرَطَانَ
بِصَادِقَتِهِ بِغَايَةِ السَّهُولَةِ. وَمِنْ غَرَائِبِ هَذَا الْحَيَوَانِ أَنَّ أَثَاةَ



تَضَعُ صُعُقًا يَفُوقُ عِلْدَهُ النَّصِيقِ. فَقَدْ تَوَلَّدَ مِنْ سَمَكَةٍ
وَاحِدَةٍ ثَلَاثَةٌ مَلَايِينِ بَيْضَةٍ. وَعَلَى ذَلِكَ لَا خَوْفَ مِنْ
أَنْقِرَاضِهِ. وَقَدْ أَكْثَرَهُ الْهَوْلَى فِي الْبَحْرِ لَوْفَرَةِ فَوَائِدِهِ
وَمَنَافِعِهِ. فَإِنَّ كُلَّ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَائِهِ يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ. مِنْ ذَلِكَ
لَحْمُهُ الْمَكْتَنَزُ الْآبِيضُ اللَّذِيذُ الطَّعْمُ. وَلِسَانُهُ الَّذِي يَبْلُغُ
وَيَقْدُدُ وَيَعُدُّ مِنْ إِيَّافَةِ الْهَوَائِدِ. وَيَسْتَعْبِلُ الصَّيَادُونَ
خِيَاشِيَهُ (طُعْمًا) لِلْأَسْمَاكِ. وَزَيْتُهُ الْمَسْمِيُّ بِزَيْتِ السَّمَكِ

نَافِعٌ لِلتَّقْوِيَةِ وَإِصْلَاحِ الدَّمِ وَأَمْرَاضِ الصَّدْرِ. وَمَثَانَتُهُ
 تُسْتَعْمَلُ لِلغِرَاءِ. وَالصَّيَادُونَ يَطْبُخُونَ رَأْسَهُ وَيَسْتَعْمِلُونَهُ
 طَعَامًا. وَأَهْلُ نَرُوجَ يَعْلِفُونَ بِهِ أَبْقَارَهُمْ مَهْرُوجًا مَعَ
 أَعْشَابِ الْبَحْرِ فَتَسْتَبِيحُ وَيَغْزُرُ لَبَنًا. وَفِي إِسْلَانْدَا يَعْلِفُونَ
 مَوَاشِيَهُمْ بِعِظَامِهِ. وَفِي كَشْتِنَا يَقْتُونُونَ بِهِ الْكِلَابَ. وَأَهْلُ
 سَاحِلِ الْبَحْرِ التَّجِيدِ يَسْتَعْمِلُونَ عِظَامَهُ وَقُودًا
 أَمَّا أَشْهُرُ مَصَايِدِهِ فِي نِيُوفَنْدَلَنْدَ. حَيْثُ يَصِيدُ الصَّيَادُ
 نَحْوَ أَرْبَعِ مِثَّةِ سَمَكَةٍ فِي الْيَوْمِ. وَقَدْ اخْتَرَعَ الْأَنْكَلِيزُ حَدِيثًا
 نَوْعًا مِنَ الْأَبَارِ يَضَعُونَهَا فِي سُنَنِ الصِّدِّ وَيَجْلِبُونَ بِهَا سَمَكَ
 الْقَدِّ حَيًّا إِلَى بَرِيطَانِيَا. وَقَدْ حَفَرُوا لِصِيْدِهِ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ
 حِيَاضًا وَصَهَارِيحًا كَمَا لَمْ يَتُوجَدُ فِي هَبْرِيدِسَ وَإِيُقُوسِيَا يَأْتِيهَا
 السَّمَكُ فَيَأْخُذُ الصَّيَادُ بِالْعِنَايَةِ بِهَا وَيَطْعِمُهَا فَتَالِفَةُ. حَتَّى
 إِذَا رَأَتْهُ آتِيًا تُنَوِّهُهَا بِسَلَةِ الطَّعَامِ. سَجَّتْ إِلَيْهِ وَفَتَحَتْ أَفْوَاهَهَا
 لِلْأَكْلِ بَلْ قَدْ تَأْكُلُ مِنْ يَدِهِ. وَلِهَذَا السَّمَكُ مَصَادٌ عَظِيمٌ
 فِي سَوَاحِلِ نَرُوجَ يَصِيدُ فِيهِ الْقَوْمُ مِذْ أَلْفِ سَنَةٍ وَيَنْفَبُ

(١) الحُصْنُ التَّجِيدُ (٢) سَمَكُ بَجْرِي هُوَ سَمَكُ الْحَوْتِ (٣) جَمْعُ

صَهْرِيحٍ وَهُوَ حَوْضٌ يَجْنَعُ فِيهِ الْمَاءُ

ذئب البحر

ان عالم الاوقيانوس ميدان قتال دائم . فترى حيواناته تقضي اكثر اوقاتها بالحرب والكفاح او بالفرار . لان قوتها يهاجم ضعيفا وكبيرها يقترب صغيرها . فلا تعرف الشبع ولا الرحمة . ومنها ذئب البحر المائل . ولهذا الحيوان في كل فك ستة صفوف اسنان يطحن بها السرطان طحن الدقيق ويلتهمه . وقد بعض المرساة الحديدية الغليظة ويترك فيها اثرا من اسنانه . قيل انه عض يوما بندقيّة صياد صوّت نومه فكسرها قطعاً كما لو كانت قطعة زجاج . ولذلك يخشاه الملاحون جداً خشية القوم من ذئب البر . اما طوله فيبلغ سبع اقدام او يزيد

سك السيف

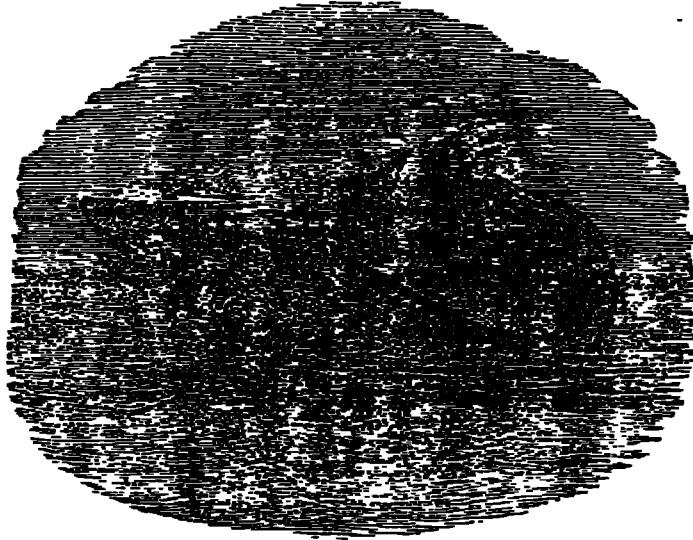
ومن حيوان البحر المائلة السيف . وهو حيوان طولة من عشر اقدام الى خمس عشرة . ويمتد من اعلى خطه عضو كالسيف يبلغ ثلاثة اعشار طولوه . وهو سريع السباحة جهور شديد البأس ومن الداء اعلاء البال . فانه يهاجمه بسيفه المرفق ويحرقه ويصغ الجثة بدمه . اما البال فليس له من سلاح سوى ذنبيه العظيم فاذا ضرب به السيف قتله . غير ان السيف يحاول الاعتماد عن ذئب البال . فاذا التقيا اقتسب بينها صلح عفيف سمعت له صلصلة وحلجة من امد شاع . ولا تكف الحركة الا يقتل احدهما . واحيانا ينشب ملا الحيوان عضبة (١) بقاعدة السفينة فيتعدّر عليه جذبة . فقد شاهد احد الطبيعيين هذا الحوت منشبا سيفة في قعر سفينة يخبط اخباطا عنيفا حتى تملص وفي السيف منشبا

بالسفينة . ولكنة ما لبث حتى مات وعام على اللجة . اما موطنة فالبحر المتوسط
والانطاكية

(١) السيف الفاطح

كلب البحر

من اشرس الحيوانات المائية واشدها فتكا وضرراً كلب البحر . فان له ستة
صفوف اسنان مثلثة الزوايا عرض كل منها قيراطان وهي حادة كالنشار
واقطع من السيف . فاذا كانت فارقة من العمل رأبها مصطحة مبسطة واذا



دنت منه فريسة اتصبت واستعدت للطن . وهذا الكلب يتبع السفن وجاء ان
يتلع ما يطرح منها . وهو خفيف الحركة يلحق اسرع السفن دون ادنى تكلف
واذا سقط احد من السفينة اسرع اليه واقترسه
واتى هذا الحيوان قنص يضرب فقط مغطأتين بمادة قرنية يتأ منها شيء

كالظفور^(١) يشدك باعشاب البحر ويضبط اليضة في مكانها والجبين^(٢) ملتفت
ضمتها . ثم يخرج الجبين ويفعل على شاكلة والديو ويقضي حياته بالانتراس



والازدراد . فاذا تارت العواصف وأكثر^(٣) الظلام رأى الملاحون نوراً
يتألق على الحج فيعروم الرعب ويشدون الى بعضهم . لانهم يعلمون ان ذلك

النور ابيض من حراشف كلب البحر فيهما لون لؤلؤ او الفرار منه
 و كلب البحر انواع منه صنف اخضر اللون يضرب الى الزرقه وهو جميل
 المنظر طوله ثمانى اقدم ليس دون غيره شراسة وضرراً . ومنها صنف آخر
 ابيض اللون طوله ثلاثون قدماً . ومنها ما يشبه رأسه رأس الثعلب يضرب
 بذنبه الامواج فتريد الى آمد اميال . ومنها ماله عضو طويل يضارع المنشار
 محدد الطرفين يهاجم به البال والسفن كحوت السيف . فقد ينشب منشاره
 المردف (٤) بالسفن ويخرقها . فالويل لمن التفته التنادير في افواه هذه الحيتان
 المائلة

(١) مادة قرنية تبيت على اطراف الاصابع والدقيق الذي يلتوي على قضيب
 الكرم (٢) الولد ما دام في الرحم (٣) اشتد ظلامه (٤) محدد قاطع

عجل البحر

يَسْكُنُ هَذَا الْحَيَوَانَ غَالِبًا الْبَحْرَ الْعَجَبَةَ . وَهُوَ نَافِعٌ
 لِسُكَّانِ تِلْكَ الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ . فَإِنَّهُمْ يَغْتَدُونَ بِلَحْمِهِ وَيَسْتَضِيئُونَ



بِزَيْتِهِ وَيَكْتَسُونَ بِحُلْدِهِ . وَمِنْ هَوْلِ أُمَّةِ الْأَسْكِينِ

وَالكِرْبَلَنْدِيُونَ . وَجِسْمُهُمْ ضَخْمٌ جِدًّا وَأَفْرِ الزَّيْتِ فِيهِدُ أُولَئِكَ
 الْقَوْمَ بِطَعَامٍ جَزِيلٍ وَوَقُودٍ كَثِيرٍ . وَهُوَ يَعِيشُ بَرًّا وَبَحْرًا
 لِكِنَّةِ بَطْنِهِ الْحَرَكَةِ جِدًّا عَلَى الْيَابِسَةِ وَلِذَلِكَ يُؤَيِّرُ السَّكَنَ فِي
 الْبَحْرِ . وَلِهَذَا الْحَيَوَانِ أَرْبَعُ أَقْدَامٍ اثْنَتَانِ فِي مَقْدَمِ جِسْمِهِ
 وَاثْنَتَانِ فِي طَرَفِهِ . وَعَلَى قَدَمَيْهِ الْخَلْفَتَيْنِ غِلَافٌ مِنْ جِلْدٍ .
 وَهِيَ مُتَصِفَتَانِ إِحْدَاهُمَا بِالْأُخْرَى وَبِالذَّنْبِ فَتَقْوِمَانِ مَقَامَ
 زَعَانِفِ مَتِينَةٍ . وَلِخَلْفَيْهِ الْهَقْدَمِينَ أَيْضًا غِلَافٌ جِلْدٌ وَعَلَيْهَا
 أَصَابِعٌ وَأظْفَارٌ . وَلِذَلِكَ لَا تَيْسَّرُ لَهُ الْحَرَكَةُ بِتِلْكَ الْأَقْدَامِ
 الْمَشَاكِلَةِ الزَّعَانِفِ . لِكِنَّةِ خَفِيفِ الْحَرَكَةِ فِي السَّبَاحَةِ إِنَّمَا
 لَا يَسْتَطِيعُ الْأَسْتِغْنَاءَ عَنِ النَّفْسِ فِي الْهَوَاءِ فَيَنْقُبُ فِي التَّلْحِ
 ثَقُوبًا يَنْفَسُ بِوَسْطِهَا

وَالصَّيَادُونَ يَعْلَمُونَ ذَلِكَ فَيَكْنُبُونَ لَهُ صَامِتِينَ حَتَّى
 إِذَا رَأَوْهُ بَدَأَ مِنَ التَّنْبِ طَعْنُوهُ بِالْحِرَابِ فَيَقْتُلُوهُ . وَمَتَى فَازَ
 أَحَدُهُمْ بِهَذِهِ الْغَنِيْمَةِ سَرَّ وَعَائِلَتُهُ كُلُّ السُّرُورِ لِأَنَّ مَعِيشَتَهُمْ
 تَتَوَقَّفُ بِالْأَكْثَرِ عَلَى لَحْمِهِ وَزَيْتِهِ وَجِلْدِهِ . فَقَدْ فَاقَ نَفْعَهُ
 عِنْدَهُمْ نَفْعَ الْغَنَمِ وَالْبَقَرِ فِي الْبِلَادِ الْمُهْتَدِلَةِ . وَلِعَجْلِ الْبَحْرِ
 عَدُوٌّ آخَرٌ هُوَ الدَّبُّ الْقَضِيُّ فَإِنَّهُ يَرَابِقُهُ عِنْدَ حَفْرِ التَّلْحِ

مُرَاقِبَةُ الصَّيَادِ أَوْ يَفَاجِئُهُ إِذْ يَكُونُ مُضْجِمًا فَيَغْتَالُهُ
 وَمِنْ عَجَلِ الْبَحْرِ صِنْفٌ يَعْيشُ فِي الْأَجْرِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ طُولَهُ
 عَشْرُونَ قَدَمًا وَيَنْفُ لَدِيدُ اللَّحْمِ كَثِيرُ الزَّيْتِ تَحْمِلُ أَثْنَاءَهُ
 وَكَلْدَهَا فِي صَدْرِهَا . وَرَأْسُهَا أَشْبَهُ بِرَأْسِ امْرَأَةٍ . فَقَدْ ظَنَّ



الْبَحَارَةَ الْقَدَمَاءَ هَذَا الصِّنْفَ مُرَكَّبًا مِنْ رَأْسِ امْرَأَةٍ وَجِسْمِ
 مَسَكَةٍ وَبِحَسَبِ حَلْقَةٍ بَيْنَ عَجَلِ الْبَحْرِ وَالْبَالِ
 وَمِنْهُ صِنْفٌ آخَرٌ يُدْعَى الْفَيْلَ مَوْطِنُهُ الْقَطْبُ الْجَنُوبِي .
 تَقْصِدُهُ السَّفِينُ ظَهْمًا بِزَيْتِهِ وَجِلْدِهِ . وَهُوَ لَطِيفُ الْخَلْقِ قَلِيلٌ

الضَّرِيرِ . حَتَّى أَنَّهُ يَسْحُحُ لِلصَّيَادِينَ بِطَعْنِهِ بِدُونِ أَنْ يُدَافِعَ
عَنْ نَفْسِهِ أَوْ تَبْدُو مِنْهُ شَرَّاسَةٌ إِلَّا لِلذُّودِ عَنْ صِغَارِهِ إِذَا
هَاجَمَهَا عَدُوٌّ غِيَابِيٍّ مِنْ وَرَاءِ الصَّيَادِ وَيَعْضُهُ بِأَسْنَانِهِ الْحَادَّةِ
حَتَّى يَكَادُ يَقْتُلُهُ . وَهَذَا الْحَيَوَانُ سَمِينٌ جِدًّا جَزِيلُ الشَّحْمِ
يَضَعُ عَلَيْهِ الْمَشْيُ عَلَى الْيَابِسَةِ . وَإِذَا فَعَلَ اضْطَرَّ إِلَى
أَخْذِ الرَّاحَةِ كُلِّ بَضْعٍ دَقَاتِيٍّ . وَلِذَلِكَ لَا يَجْرَأُ عَلَى الْخُرُوجِ
مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا نَادِرًا . وَإِذَا حَمِيَ عَلَيْهِ الْهَيْبَرُ فِي الْبَرِّ طَهَرَ نَفْسَهُ
فِي الرَّمْلِ . وَجِلْدُ هَذَا الْحَيَوَانِ يُسْتَعْمَلُ لِلشُّرُوحِ وَزَبْتُهُ فَاحِرٌ
جِدًّا لَا تَنْبَعِثُ مِنْ وَقُودِهِ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ كَثِيرَةٌ . وَيَصْنَعُونَ
مِنْ جُلُودِهِ أَرْدِيَّةً وَعِبَاءَاتٍ وَجَبِيًّا

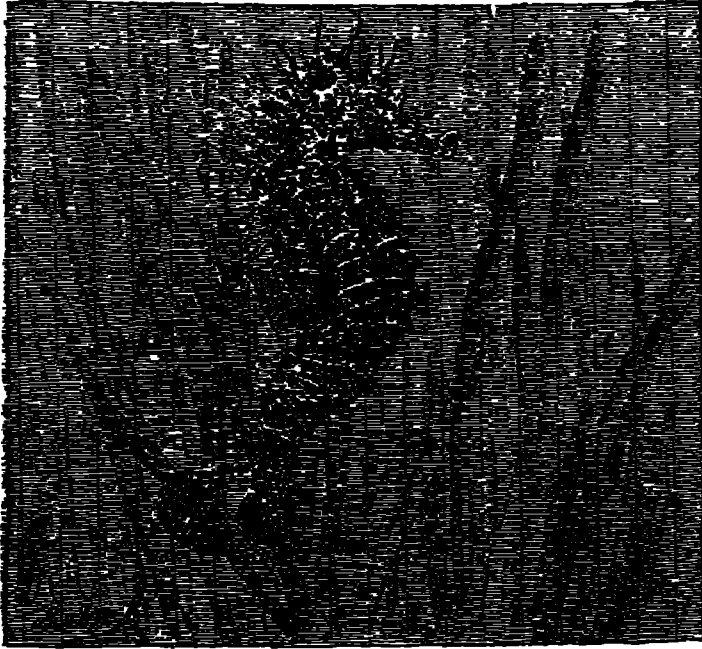
وَمِنْ عَجَلِ الْبَحْرِ نَوْعٌ لَهُ فَرُّو نَفِيسٌ يَقَطُنُ جُرَائِرَ شِيتَلَنْدِ
الْجَنُوبِيَّةِ . لَهُ فَوْقَ الْفَرِّو شَعْرٌ طَوِيلٌ أَشْبَهُ اللَّوْنَ بِتَرَعُونَةٍ
عِنْدَ فَيْبَدُو تَحْتَهُ فَرُّو كَثِيفٌ لَيْنٌ أَسْهَرُ يَضْرِبُ إِلَى الصَّفْرَةِ .
وَهَذَا الصِّنْفُ مَطْمَحُ أَبْصَارِ الصَّيَادِينَ أَبَدًا فَيَقْصِدُونَهُ طَهْمًا
بِفَرِّوهِ الشَّيْبَانِ . وَاسْمُهُ الْحَقِيقِيُّ أُوْتَارِي

وَمِنْ هَذِهِ الرَّبِّيَّةِ صِنْفٌ يُدْعَى أَسَدَ الْبَحْرِ لَهُ شَعْرٌ طَوِيلٌ
كَثِيفٌ مُنْسَدِلٌ عَلَى عُنُقِهِ كَعَرْفٍ يُوجَدُ فِي الْأَبْحَرِ الشَّمَالِيَّةِ

وَالْجَنُوبِيَّةُ وَيَعِيشُ بَعْضُهُ مَعَ بَعْضٍ قِطْعَانًا . وَهُوَ قَوِيٌّ الْبُنْيَةَ
وَيَضْمُ الْجِسْمَ قَلِيلُ الضَّرَرِ كَسَائِرِ عَجُولِ الْبَحْرِ

حصان البحر

هو نوع آخر من حيتان البحر من رتبة تسمى امفيبيا تعيش في البر والبحر معاً .
وهو مكسو بشعر قصير يضرب الى الصفرة . وكبير الجسم يبلغ طوله عشرين قدماً



تقبل الحركة شديداً . وله انياب عاجية يعتمد عليها للفرار على الحيوانات الصدقية
ونباتات البحر ولجزء جسمه التفتل على الصخور والجهد ولحاربة الدب القطبي

الضاري اذ تشبب بينها حرب عوان . غير ان الدب كثيراً ما يفوز بالنصرة
فيقتل الحصان ويفترسه

واذا طُرِحَتْ جثة حصان بحر على الشاطئ حدث مرج ومرج بين
الطيور والحجوانات فتصعب الطيور نسب المرور وتشم الثعالب الرائحة من
بعيد ولا تجرأ على الدنو الى ان تشبع الدية. فتقف وتضج (١) وقد عمل صبرها
حتى يوافقها الدور . واذا حضر الوليمة انسان تنازع عليها مع الحجوانات . لان
سكان تلك البلاد القطبية يمسبون لحم حصان البحر لذيذاً جداً . ويصنعون من
جلده مخبئاناً . وعاجه ثمين جداً في الصناعة

ومع ان حصان البحر كبير الجسم حاد الانياب يمكن ترويضه فيدجن
ويألف صاحبه ويحبه . فقد ربت عبيدة روسية حصان بحر صغير ودلته
فكان يتبعها من مكان الى آخر وييدي ارتياحاً وسروراً بالناء وأنه على حضنها

(١) الضبايح صوت الثعلب

ختير البحر

هو حوت متفرس طوله نحو ست اقللم غليظ المقدم دقيق المؤخر اسود
الظهر يضرب الى الزرقة ابيض البطن . وهو مشهور بهارتو في الصيد
والافتراس شديد البطش والفتك والاحتيال . يمكن للصيد ويموتة من جون
الى آخر وينقسم طيبه وهو كبير متفرق في كل بحر

كركدن البحر

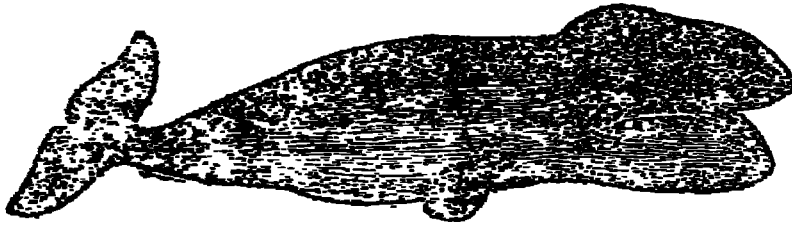
موجوت يشبه العيف في القرن المتد كالرمح من فكه الاعلى وطوله من
عشر اقللم الى عشرين . وهو من الحيتان المائمه مربع الحركة شديد السطوة
يطمن خمسه برمو التال فيورده مولرد الملاك وينطح الاقران ولا يهاب اعظم
حيوان في البحر . فيج على البال ويطعنه بقره الحاد ويحص دهنه . وعاجه
التيس ثمن عند الصيادين

البال

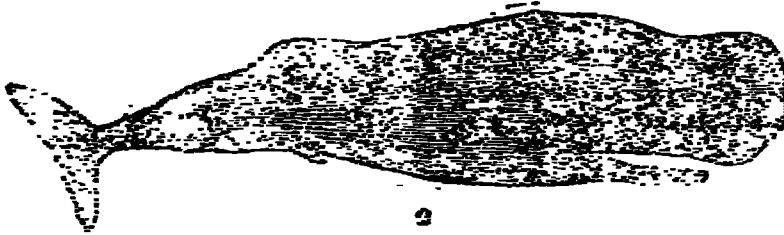
موجوت عظيم قيل لله اكبر مخلوق في ارضنا من الحيوانات المعروفة
طوله من خمسين الى سبعين قدماً وقد يبلغ مئة ومحيطه من ثلاثين قدماً الى
اربعين اما انواعه فكثيرة تعيش في الابحر الجنوية والشالية . منه الحوت
الكريلاندي تزيل المظنة المتجمدة . وله دم حار كم الانمان واقناه ترضع
صغارها وتحبها حباً شديداً . ويغس في الماء ولذلك يعد من ربة الوحوش .
على انه يستطيع المكث تحت الماء ساعة او ساعتين لكنه لا يفعل ذلك الا عند
الضرورة . فانه يصعد كل عشر دقائق اربع ساعة للتنفس وانتصاص الاكجين
اما استطاعته على البقاء تحت الماء هذه البرهة فلان له حوضاً من الدم
مترج بالاكجين مهياً للاستعمال عند الحاجة . وينشر في صدره واضلاعه
وسلمته القنارية الناتجة من الجمجمة . فاذا غاص البال في الماء وتعدر عليه
انتصاص الاكجين من الماء استعان بهذه المؤونة الدموية . فيدور الدم في
اعضائه زماناً ولا يعرؤه العياء . ولكنه يقصر اخيراً على العوم لتجددها . فيجتمد

الدم نصيباً من الأكسجين يذهب قسم منه إلى الجسم وآخر إلى الحوض المذكور
فيُدخَر للاحتياط حين الحاجة

أما قصبه رمة الحوت فليست مفتوحة نحو الفم كرتبة الاثمان بل نحو قبة
الرأس . ولها في طرفها مصراع يُوصَد ويدفع الماء ويحمل الضغط . فتتس
الحوت قبل بلوغ سطح الماء اتجس الماء كانبوبة . وإذا طعن بمرءٍ أو اسرع وغاص
إلى قصر البحر جازعاً جزعاً شديداً . وربما ضرب الأرض بدماعه فكسره
ولا ينبغي أن الحوت يعيش بين جمد المطقة الباردة فكيف بمطبخ



٢



٣

المحافظة على حرارة جسمه . ذلك لأن جلده شحيّ صفيق يقيه من قس البرد .
وليس البال بالخبثه سوى صفيحة دهن كثيفة يعيها الصيادون شم الحوت .
وهو كبير الالياف كجلد الاثمان وملآن (زيتاً) . ومثل (الزيت) كثر البال
الحامل البشر حتى صيده . وينفع البال من وجعين . أولاً ليحفظ حرارة جسمه .
ثانياً بقدره على العبادة لانه اخف من الماء

ومع ان البال كبير الجسم لا يثبات بالحيوانات الكبيرة لضيق بلعومه .
فيتغذى بالعمك الملاهي والحيوانات فينزع فاه الكبير ويلعها . ولكن هل يلع

الماء معها كلاً. فانه لو فعل ذلك لامتلأت معدته ماء بدلاً من الطعام
ولاعوزه القوت. فلاتقاء ذلك امدته العناية بصنّاع في فكّه الاعلى ذات مادة
قرنية متناسقة تدلى منها اكلات شعريّة اكبرها الصفيحة الوسطى. ثم تستدق على
الجانين الى ان ثلاثي في الطرف. اما فكّه الادنى فليس فيه صنّاع بل
يحاكي في شكله الملعقة الكبيرة. فاذا اطبق فاه التجمت عليها الصنّاع فيرجع
الماء. غير ان الاكلات تصبأ الحيويينات الصالحة لغذائه فتكون هذه الصنّاع
كمصاف تدفع الضار وتأخذ النافع. وفي عظام البال المنقبية او عاجه وفي
ثبته وناقصة كرتيه

وللبال على كبره وضخامة جسمه اعداء كثيرون في البر والبحر. منها كلب
البحر الذي يضربه المحوت احياناً بذنبه الطويل فتسمع لذلك هزياً كصوت
مدفع. ومنها سمك السيف الذي يطعنه بمساميه بدون راقه. فقد رأى ريان
كلاب بحر وسمك السيف تقابل البال معاً والجمه مصبوغه بدمه الى امد فسمع.
وعلى ذلك كانت ضخامة جسمه لا تقيه من الاخطار. فليس له من وسيلة يفتي
بها الاسواء سوى القوص الى قعر اليم حيث لا تستطيع اعداؤه مطاردته

غير ان ارمب اعداؤه الانسان. فاذا جرح الصيادون ملا المحوت المائل
خاص الى عمق ميل والحربة في بدنه منوطة بالحبل بسرعة يقطع بها عشرة
اميال في الساعة. ويبقى تحت الماء نحو نصف ساعة. ثم يرمي بالماء وقد اعبا
من كثرة الحركة وما انترف من دمه فيسرع. الصيادون ويرمونه بالحرايب
فيغوص ثانية بضع دقائق ويعوم. فيطعنونه طعنات كثيرة وفتخونه بالجراح.
فيصبغ الجمه بدمه ويعيل (الزيت) من جراحه ويهيج كل المياح. وقد ينصف
القوارب بذنبه. وكثيراً ما كسرها في مثل هذه الحال. ثم يموت عائماً على جنبه
او ظهره. فيأتون يجهتو الى قرب السفينة ويدوس عليها الرجال بعال محدة
(ذات شوكات حديد حذراً من التزلج) خوف الزلق ثم يأخذون بتقطيع شحمه
شرائح طويلة يأتون بها الى السفينة. ويقطعونها بضعاً صغيرة ويضعونها في

براميل . ثم يتزعون العاج من فمهم ويتركون جثته في الماء فتصبح ولينة للجراح
وكلاب البحر . ويوجد نوع آخر غير الآف الذكر يزيد طوله على مئة قدم .
يعيش في بحر كريتانيا فلما يتعرض له الصيادون لسرعة جريه وشراة اخلاقه
وليس له شحم او عاچ كلاك واسمه الروركل

قيل ان من هذه الحيتان ما يبلغ وزنه الف قنطار وشحمه نحو تسعين
قنطاراً وطول فمهم ١٦ قدماً ويهر الف سنة . فاذا حسبنا معدل وزن
الرجل البالغ ٢٣ رطلاً كان ثقل البال الواحد ثقل ثلاثة آلاف رجل او
يزيد . واذا كان طول احد متديات بيروت العلمية اربعين قدماً كان البال
الواحد اطول منها نحو مرتين ونصف

ولما كان البال يجب صناره كثيراً يبذل الصيادون قصارى الجهد في
صيد احدهما فتصرع الامم لانفاذه والدفع عنه فتعوم معه وتحملة على زعنفتها وهم
يطعنونها بالرماح والحرايب وهي لا تبالي ما دام فيها رفق . وقد وجد جماعة
من الصيادين بالأميتا في البحر سنة ١٨٢٧ طوله ٦٧ قدماً وطوله ١٨ قدماً
وزنه نحو الف قنطار استخرجوا من دمه اربعين قنطاراً (زيتاً) . ونظر بعض
العلماء في امره فحكوا ان عمره نحو الف سنة . ولا عجب اذا غامر الصيادون
بصيد الحيتان فان رجهم من ذلك لا يتقص عن نحو مئة الف ليرة انكليزية
ومن انواع البال القرش وهو حوت مائل تخشاء كل حيوانات الماء
يكثُر في البحرين المتجمدين وينتات بجول البحر والاسماك الكبيرة . حكى ان
الصيادين صادوا واحداً منه قرب انكلترا بعد عناء جريل بلغ طوله ٦٣ قدماً
وكان سمياً جداً استخرجوا منه ٣٦ قنطاراً زيتاً

خاتمة

وقد تركت كثيراً من حيويينات البحر واسماكها وحيواناتها وجوارحها وهوائها
وزحافاتاها ودبابياتها ونباتاتها فانها مما لا تدخل تحت عدد او حساب . ويتنضي
للشرح عنها مجلدات برمتها . ولم اذكر الا قليلاً من كثير على سبيل المثال .
كيف لا والموضوع كاسو مجرّ زاهر وسبع . وفرت فيه الابحاث والمطالب
والمواضيع . وما املت ذكره العلفاء واكثر الاسماك والحجّات والحشرات
واعشاب البحر العجيبة . من ذلك نباتات تصلح للصنع القرمزي وغيرها للطعام
او للعلاج او للصناعة . مثل الصودا الممتعة في صنع الزجاج وتنظيف الالتمة
التي يجمعون منها في بريطانيا وحدها ٢٠ الف وسق انكليزي قيمة كل وسق
من عشر ليرات انكليزية الى عشرين . ومن ذلك اليودين النافع في قضم الندد
الدرقية وطل اخرى وينفع مصوري الشمس ايضاً في صناعتهم . فضلاً عن ان
الجرسكة عظيمة اللام والمتاجر وعمّا يعطون من الهواء الصافي الرقيق الحامل
الصحة للنتيم والقوة للضعيف . ومن الامطار والثلوج طنة الينابيع
والانهر والجداول . وما هذه الا حياة الانسان والحيوان
واليابسة واصل المخلوق والحائل والرياض
والغياض والمخول وخزانة القوت
ومشهد السرور والجمال
فعبان البدع
الحكيم



خلاصة رحلة ستانلي الافريقيّة الحديثّة

للتفتيش عن امين باشا

١

بلغ ستانلي زنجبار في شباط عام ١٨٨٧ حيث عقد محادثة مع تيبوتيب امير العرب بالنيابة عن ملك البلجيك . وداها ان يرفع الامير الموما اليه راية ولاية الكونغو الموضوعة تحت حماية الملك المشار اليه فوق شلالات ستانلي . ويمنع قبائل البدو الضاربة في تلك الانحاء من التعدي على ستانلي وجماعته . وان يقدم له الرجال والامدادات اللازمة لهذه الخدمة على مبلغ معلوم اتفقا عليه ثم اقلع هذا الرحالة الشهير واعوانه حول رأس الرجاء الصالح ووصلوا الى موقع بانانا في ١٨ آذار من ذلك العام . فركبت هذه التجريدة باسرها في بواخر قدمتها شركة ولاية الكونغو (غربي افريقية) ومخرت بها في النهار المذكور ثم اضطرت ان تسير على الضفاف عند شلالات ماداتي الى ليوبولدفيل (يُقصد الشروع بانشاء سكة حديدية بين مدين المكنابن اللذين نخلها بقعة فسيحة حسنة التربة والهواء)

ثم رحل ستانلي من ليوبولدفيل في نيسان وركب مع جماعته اربع بواخر وثلاثة زوارق مصفحة وبلغ نهر ارومي في حزيران حيث شاد محلة حصينة واحاطها بوشيع^(١) وغادر قسماً من الذخائر والكراع ونحو ٢٥٠ نفراً من رجاله تحت رئاسة الملاجور بارتلوت ضابط التجريدة الاول بسعة اربعة قواد انكليز آخرون . ثم واصل السير الى كافالي يتحفة طيب وُنظار اورميون ونحو ٤٠٠

رجل حمال زنجباريين وسوماليين وسودان . وكانت انباء الرحلة تصل الى
ثحلة اروبي بضعة ايام بعد سفر ستانلي ثم انتطعت كل الانتطاع . ففتخت
الاشهر الطوال واخبار التجريده في ظي الخفاء والكان تُذاع بدلا الاكاذيب
والاراجيف عن هلاك ستانلي وامين باشا وجماعتها عن آخرهم
ثم تبع هذا الرحالة في ٢٨ حزيران سنة ١٨٨٧ ضفة اروبي تاركا مؤخرة
جيشه متحصنة في يامبوي واخذ منذ هذا الحين بنام ونجم اخطاراً واهوالاً
ترتد لما الفرائص ، لانه طالما كان يدنو بسريته^(٢) الى قري تلك الاقطار
الهيجة وتسمع القبائل دربة طبل الخبير كانوا يجرقون خصاصهم واحاثهم
ويوغلون في مكامن الادغال يرقبون قدوم هولاء الغرياء . فكان الدنو من
هذه الضياع في وادي هذا النهر مثالا راتماً يُعجب منه عن دماء ملا الجبل في
المحروب الوحشية . فانهم كانوا يجرقون على مدى الممالك خراً تضارع
الشباك بلأونها بنظايا حادة الرؤوس تشبه المنافيد وينطونها باوراق
الاشجار والاعصان بحيث لا يهندي لرويتها سواهم . وكان سكان هذا الغاب
العجيب يتظفون منذ مئات من السنين طرق هذه القري فلولح سكة قومية
حسنة نخدع سالكها . اما الطريق الحقيقية الملائية الضياع فكانت ضيقة متعرجة
تليه واطمها . وكان اهلها القزم^(٣) يقفون للسياح بالمرصاد ويوجهون نجوم
المهام العامة يرمونهم بها حين كانوا يطأون تلك الخفر المتطاة وتطنن الحراب
اقلامهم فتختمهم بالمجراح وتوقهم في الارتباك والتشوش . فليصور القاري تأثير
هذه المكيدة في كتيبة كذه مؤلفة من رجال زنجباريين حفاة الاقلام حاملين
الاحمال الثقيلة . ولينأمل في ما كابدته قائدهما ستانلي من العناء في جمع شراذم
رجال المستنيتين واعادة نظامهم مراراً لا تحصى لاستئناف الكفاح مع اعدائهم
المستترين عن الابصار على جانبي ذلك الدغل المثنيك الاشجار
ثم ظلت هذه التجريده تسير على ضفة الاروبي من ٥ تموز الى اواسط
تشرين الاول . وكان لهذا النهر منظر بديع يختلف عرضه من ٥٠٠ يرد الى ٢٠٠

تجيلة جُزيرات مكسوة بدوح وغياض غياها ناضرة . مرتكم بعضها باصداق
كبيرة جداً لا يقل طول بعض ركابها عن ٢٠ قدماً وعرضها عند قاعدتها
١٢ قدماً وطولها اربع اقدم

وما فتئت هذه السرية تواصل السير رغماً عما الم بها من جراح السفايد^(٤)
وطعن الحراب بدون خسارة تُذكر الى اليوم الاول من شهر آب اذ حدثت في
الوفاء الاولى . ثم اخذوا يشعرون خلال التسعة الايام التالية بالحاجة الى الزاد
وأصيب كثيرون بالمعارة^(٥) فهلك عدد وفير من انفار التجريدة . ومن هذا المحين
اخذ الخطيب بنفانم . وفي ١٢ آب قُتل خمسة انفار بالمهام المسمومة وجرح
الملازم ستيرس . ثم ضلّت بعد يومين فرقة كاملة تحت رئاسة المستر جينغمن .
فعراسا من رجال الرحلة مزيد القلق والاضطراب . ولكنها عادت فالتفت
برفاقها بعد ثمانية ايام . وفي ٢٥ آب حلّ ستانلي بمياعه حذاء مهر نيبوكو
المضارع اروي عرياً حيث بندق جديلاً (شلالاً) شاهقاً بديكاً ويصّب في المهر
المذكور . وبعد ستة ايام صادف قافلة عبيد تحت رئاسة اوغاروا . فعرفه ستانلي
انه كان غلاماً خادماً عند القبطان سيل رقيق القبطان برتن مكشف بميعة
تاتكانيكما مع المستر غرانت (هؤلاء الثلاثة كانوا قد بلغوا ضفاف فيكتوريا
نيازا وشاهدوا النيل الايض خارجاً من طرفها الشمالي الانصي)

اما ستانلي فتشاهم كل التشاهم من هذا اللقاء مع تاجر الرقيق المذكور
وظن ان ذلك سيكون بدء النوازل . لانه لم يجتهد طريق الكونغو البعيدة
ويؤثرها على طريق ماسيلاند في بلاد انياموزي او الاسكوما الا فراراً من شر
هؤلاء اللصوص وحرماً من غاراتهم ونغازهم بل من مخازهم ومواقعهم^(٦) . ولم
يكن خوفاً في غير محله اذ قرّم من رجاله باغواء ملا التاجر ٣٦ نفرًا ولحقوا
بالزعيم المذكور . ثم توالت عليه الخطوب وتراكت وكانت النازلة تعقب
الاخرى ما يضيق ابل الابطال ذرعاً^(٧) عن احتمالها من ذلك وفي^(٨) رجاله
وكلام من خرق طريق لم في ذلك الايك^(٩) المثبتك بعد ان فشكت هم اسنة

القرمز وحراهم والماعب^(١٠) العديدة. فاضطر ستانلي ضدًا لارادى الى ان يودع
٥٦ نفرًا سوماليين وسودان تحت عناية اوغاروا ويضرب مع الشرذمة الباقية من
رجالو في ذلك الدوح الواسع الايث المظلم الذي لم يخرقة نور الشمس قط
والكامنة في جوانبو واقاصبو ابالمة الشجيات التناكسة وجان جيل المختادل^(١١)
الذين كانوا لا يتأون برشقونهم بالحرايب ويمدنون عليهم الطريق بكل وسيلة
صعبة. وكما ضل احدهم عن الطريق اخسوه غيلةً واكوه

ومن العجب العجيب ان ستانلي وانباعه داموا يخرقون طريقهم بالنورس
والماعول مشاةً مئة وستين يومًا من اواخر حزيران الى اواسط تشرين الثاني
وسط غاب واحد بتشكك بالموت الروام^(١٢) اشكالًا نروع السامع فكيف بين
ملكه وعارك بضموا موالة. فقد كتب هذا الرحالة الى صديقو المستر بروس
بما يأتي

”تصور غابًا اثينا^(١٣) ينظر ماء متلبداً بالانجم والرتم^(١٤) والعوج تحت ظل
اشجار انواعها تنوق الاحياء لا يخرقها نور الشمس علوها من مئة قدم الى مئة
وثمانين. وقد تكاثفت في ارضها الاشواك كالعليق والقناد. والموى والوهاد
متعرجة في ارجائها تجري فيها احيانًا انهر كبيرة. وارسم على لوح فكرك هذه
الآجة الوسيعة الشجرا^(١٥) المتعاقبة عليها كل اطوار الحياة النباتية بين درجتي
الانحلال والتمو وبين الفصيل^(١٦) والدوحة^(١٧) قدرى هنا شجرة قديمة معلقة فوق
رأسك كما بشعرة نملعى للمعوط وتكاد مهبط عليك فتحطك. وهناك اخرى
مناطقة في خط عرضي تمد عليك السهيل. والنبل والمهام والحشرات من كل
الاجناس والانواع والاقطار تطن^(١٨) وتقع وتكش وتخت وتصر حولك. والقروذ
والشبانزي فوق رأسك تفحك وتمواشب والطيور تهر^(١٩) وتصغر وتصفر ويهدر
وتتفنع وتصحج باصواعها النارية. والحيوانات تترار^(٢٠) وتغوي ويهر وتود وتضنب
وتجبل وترى حراجل الافعال عمول وتمدو على الجبانين. وجيل المخترفات^(٢١)
الاقوياء الابلان الصرا الالوان كامسيف وراه فوق الاشجار الضخمة في الروايا

المظلة كاصنام جامدة او كجنوح يابسة بايديهم الحراب المسمومة موجهة نحوك ليرموك بها على غرة^(١٢). والامطار تنفق شائب^(١٣) ويعاليل رذاذاً وودقاوا وبلا أكثر ايام السنة. والهواء حامل جرائم الحبيبات الويلة والقتام منتشر بهاراً والظلام مدلم ليلاً. ثم تصور غابة كهذه ممتدة من پليموث الى پترهيد (اي من اول انكلترا الى آخرها) فاذا استطعت ان ترسم في فكرك صورة كهذه امكك معرفة بعض ما كابدناه في هذه الرحلة الهائلة

اما الشهر الاخير الذي صرفته هذه التجربة في خرق طريقها بين تلك الجاهل الشاسعة فكان زماناً يكل اللسان والبراع عن وصف شؤمو ودواهم. لان البدو كانوا اخلوا هذه الممالك والاقاليم من الاقوات والبشر فلم يجد ستانلي وقومه للزاد اثراً. فحارت قوام وونت عزائمهم ونك بهم السعار فتكا دونه مصارع البنادق النارية في معامع الحروب. ففقد من رجال الرحلة بين حلة اوغارو وبين هجر كيلينكا لونكا (اسم وكيل تاجر عبيد ونجباري) خمسة وخمسون نفرًا جوعاً او فراراً. وكان طعام القافلة الاول الفطر وثراً آخر برياً يشبه الخرنوب وهذا الزاد اضطرروا الى التفتيش عنه وجمع قدر عظيم منة لاشباع قزم^(١٤) هؤلاء القوم الجياع. ثم لما بلغوا كيلينكا لونكا تمذروا على ستانلي نفسه منع اتباعه من بيع لباسهم وذخائرهم حتى سلاحهم ايضاً الذي هو واسطة دفاعهم ووقايتهم الوحيدة في تلك الادغال الملائى بالاختطار لشراء اخس الطعام واحقده. مع ان قائدهم الموماً اليه بذل قصارى جهده وتفوزه وسطوته في حلم على العدول عن ذلك. ولما رحلت التجربة عن هذا الهجر كان رجالها الافريقيون في حال يكاد يرق لما الحجاد وتمزق لاجلها القلوب صفر الوجوه عراة الابطن حاة الاقلام فضيلون^(١٥) كآتهم شحاذو بني سامان او اشباح خارجة من قبور

فترك ستانلي في هذا الهجر القبطان نلنن احد قواده تحت عناية جراح التجربة الماهر الدكتور بارك. لان فرط السم والعباء كانا قد اضنكا الموماً

اليه وارتغاه على التريص هناك للراحة . ووضع تحت عناية هذين الرجلين سبعين حملاً من الثورثة والبضائع ليجر حاملها عن حملها بعد . ولودع هناك ايضاً سفينة كبيرة كانوا فككوها وحمل الحماليون اجزائها على ظهورهم وكانت هذه السفينة معدة للسير على بحيرة البرت نياترا . وكذلك غادروا في هذا المثل تحت قيادة الموما اليها ثمانية وثلاثين نفرًا زنجبارياً من كان قد اتهمهم الرنى والسغب . فتك بهولاء بعد رحيل التجربة المرض والجوع وشظف العيش حتى لم يبق منهم سوى احد عشر نفرًا انضموا بعدئذ الى رجال القافلة . اما الذين لبثوا في محلة اوغاروا وعددهم ستة وخمسون فملكوا ايضاً ولم يسلم منهم الا ستة عشر نفرًا

ثم بلغ ستانلي وسريته بعد اثني عشر يوماً اقليم ايبوري وهو طرف الدغل الشرقي الاقصى . فا وقعت ابصار السفر على فلات السهول القسيمة الخضراء حتى كادوا يطربون فرحاً وجوراً وفتفوا باصوات الالبهاج والجزل . قال ستانلي ان هذا القاب تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة انكلترا برمتها وتعدل ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع . فتصور سرور الرجال في رؤيتهم المحقول الناضرة بعد ان اضنام الايقال في هذه الاحة المائلة وايااد اكثرهم بالحيمات والدوسنطاريا وسهام القزم . وبعد ان غشبتهم الغيوم وكابة القلب من ظلام هذه الفيضة وتلبد غيوها . اما الآن فانقضت بوصولهم الى هذه السهول الثوابت والنوازل اقلة الى حين

وكتب المستر ستانلي الى السير وللم ماكنن ما يأتي

”كنا ورجالنا عجافاً كهيكل عظام . وانحط عددنا من ٢٨٩ الى ١٧٤ وقد يس اكثرنا من الحياة . لان الارزاء القادحة والدواي المائلة كانت قد نوات علينا وتعاقت حتى ظننا ان لانهاية لهذا الدوح التاسع . ولم يصدق رجالنا الا فريقون انا سوف نرى سهولاً ومواشي ونصل الى بحيرة نياترا ونرى الرجل الابيض (امين باشا) بل كانوا لا يعبأون بالبحج واليوانات ولا يكثرثون

بكلنا الطيف. فان الجوع والآلام المبرحة كانت قد ذهبت بصبرهم وبددت
 آمالهم ادراج الرياح. فسدت اخلاقهم وانحطت آدابهم فباعوا السخنةم وثيابهم
 قبضة سنابل حنطة او بيضة حبوب ذرة وفروا بصناديق الامعة الخ. فلبننا
 في ايبويري ثلاثة عشر يوماً نشج اجوافنا بالنهام الدجاج والماعز والموز
 وخبز الحنطة والبطاطا الخ... وكنا لا نزال بعيدين عن الجيرة ١٢٦ ميلاً.
 ولكن لما كانت قد تجددت قوانا بما تناولناه من الزاد لم نعبأ بهذه المسافة
 الباقية... وبعد ان سدل علينا الظلام بجوف الكعبة ١٦٠ يوماً شاهدنا في
 الختام انوار الغزاة نأتق على تلك الحقول النضرة والطبيعة متوشحة بمطارف
 الجبال حتى كدنا لا نصدق ما نراه ببيوتنا. ولم يدُر في خلدنا اننا ستظفر
 بروية اقاليم خضراء كهذه. فتواثب الرجال سروراً ودوت تلك الاقطار
 باصوات المتفان والتمليل. ووقضت^(٦٦) الاوقاض^(٦٧) تعدو باحمالنا على تلك
 البقاع كأنها استأنفت ما كان لها من النشاط والجزل في يوم رحلتها الاول
 ثم دخلت التجريدة في اليوم التاسع من كانون الاول بلاد زعيم يدعى
 مازامبوني. وكان هذا القطر آملاً بالسكان والضياع تكاد تصل بعضها ببعض
 حتى كأن السكة كلها شارع واحد مديد. فلما رأى مازامبوني هذا الجيش
 الغريب الطارق بلاده ساءه الامر وعول على طرده. فدردهوا طبول
 الحرب ونفخوا بالابواق واندفع القوم يعدون من سائر الجهات. واتشروا على
 تلك الروابي والآكام يزعمون زعقات دوت لها الودية واجابها رجع الصدى
 على غوارب المضاب. واخذت كتائب الهجج وكراديعها العراة تخدر على تلك
 العرية الى المنوخ اختلار السيل. فنظم سنائي عمكرو وجمل له جناحين على
 المينة والميرة وقدم بالقلب الى الامام. فدحر جيوش الهجج وردّها ناكسة
 على الاعقاب تستعبد بالمتها من شياطين البنادق النارية بعد ان استبشرت
 صباحاً بالحصول على غنيمه باردة. غير ان الكناج لم يكن قد انقضى بل
 استأنف الهجج الكرة في اليوم التاسع وماجوا التجريدة اربع مرات. وفي اليوم

الثالث كان القتال مستمراً . فلم يكف هولاة البرابرة عن الاندفاع من قرام فوق الروابي على سافة عسكر ستانلي اندفاع المبول . قال الموما اليو " ولم نستطع ان نجاهم على المكينة والثاني كي نعتد معهم صلحاً بل اضطررنا الى منازلهم بينادق رامتن ورمهم بالنار ضارين في السير الى الامام حتى بلغنا ميلاه نياتزا حيث ظفرتنا بالراحة والفرج "

ثم بعد ان نزل الركب في ١٢ كانون الاول سنة ١٨٨٧ الساعة واحدة بعد الظهر زمناً قصيراً للراحة ومناولة الطعام اوغل في سيره الى الامام شرقاً . قال ستانلي ما ترجمة ملخصه

فتمت بعد ربع ساعة قائلاً هبوا انفسكم لمساعدة نياتزا . فتأقف الرجال وارتابوا وقالوا بعضهم لبعض ترى لماذا يتكلم معنا القائد هكذا . أأخذ في نياتزا أما ترى سهلاً فسيماً والجبال تبعد عنه مسافة اربعة ايام على الاقل . ولكن لم تأت الساعة واحدة ونصف بعد الظهر حتى ظهرت نياتزا تفرق مياها الصافية امامنا . فسألت الجماعة ماذا ترون هناك ؟ وانا بكبيرين اقبلوا يقبلون يدي معترفين بخطاتهم ومعذرين عنه . فما استطعت ان افوه بكلمة وحسبت ذلك جراً يبعث على السرور والعزاء . وكانت كافالي تلفاهنا على مسافة ستة اميال . وفي حد التجربة البري الاقصى ووراءها مياه البرت نياتزا الزاخرة الزرقاء

اما بحر الاروبي الذي مشى ستانلي في واديه اميالا عديدة واشتغل في قطعه اياماً لاتتأ حوادثه الخطيرة تذكر كلها قري تاريخ هذا الاكتشاف العظيم فخرج من نحو شمال غربي الجبيرة . ويبعد عن صعيد يامبوا نحو مائة ميل ثم يُبدل اسمه بصومالي . ولكن متى دنوت من ملتي فيبوكو يتغير اسمه الى تيفوا . ثم متى قطعت هذه الحمياض يتحول اسمه الى نوويل . وعلى بعد ٣٠٠ ميل من اتصاله مع الكونفو يدعى ايتوري وهو نفس الاسم الذي يُسمى به عند منبعه . وكان الاقليم الذي اجتازوه على ضفة النهر متحدراً قليلاً من صعيد نياتزا الى وادي الكونفو الاعلى . اما هذا الميل فيبلغ اربعة آلاف قدم . ولم تكن في الشال

ارض اعظم ارتفاعاً من خمسة آلاف الى ستة آلاف قدم. اما في الجنوب فترى على مسافة خمسين ميلاً جبال روبيتوري الشاهقة (مناج النيل) وكان يتكلم القوم بين يامبويانيا ترايخس لغات متميزة . والقري وغيرة العدد والاقوات كثيرة الا في الحال التي عاث فيها عرب البادية فجلوها اطلاقاً دارسة . قال ستانلي " منذ وطننا الحفرول النضرة على امد ٥٠ ميلاً عن نيانزا لم نر محياً ييسم ولا عواطف وافكار تشف عن اللطف والرقه ولا مبادئ واخلافا اديية بل هجماً برابرة في اقصى التوحش دأهم الغدر والخيانة . اما القوم من قبائل اليامبوني فاسواً خلقاً وخلقاً من هولاء "

ثم بلغ ستانلي البحيرة ولكن لم يسمع شيئاً عن امين باشا وقوموه . ولما اعيتته الوسائل في الوقوف على انبائه عزم ان يقفل راجعاً بين قبائل الباريفا العدوانية . ولما وصل الى ايبويري بنى صرحاً سماه "فورت بودو" وبعث من هناك الى كيليتكا لونكا البعيدة ١٢٠ ميلاً بئمة رجل تحت قيادة الملازم ستيرس ليأتي بالسفينة والذخائر والامتنع والقبطان نلحن والطبيب بارك . ثم آب عند رجوعهم المرة الثانية الى البحيرة تاركاً في فورت بودو اثناناً من رجاله تحت قيادة ضباطو الاوربيين . حيث مكثوا شهوراً زرعوا في خلالها وحصدوا واستغلوا وتزودوا . اما ستانلي فعاد برجاله في الثاني من نيسان عام ١٨٨٨ . وكانت هذه الرحلة الثالثة بين القبائل الهجيمة والبلاد النضرة . فحاول استعطاف خواطر الامالي واسترضاهم بالملاطفات والهدايا وعقد مع زعمائهم صلحاً خطاً بالدم حسب العوائد الجارية . وكان الزعيم مازامبوني اول من ابرم معه هذه المحالفة

ثم ارسل ستانلي المستر جيفسن في السفينة الى موقف مصراً الواقع في اقصى تخوم منحصر امين باشا الجنوبية . بناء على رقيم ورد له من الموما اليو في غيايو . اذ كان قد بلغه قدم رجل اميض الى طرف البحيرة الجنوبي . فحل ملا الرحالة في نفس الحبل الذي كان قد بلغه في كانون الاول الغابر

وفي التاسع والعشرين من نيسان سنة ١٨٨٨ الماعة الخامسة بعد الظهر
 تراءت له العنينة المسماة بالمخدويوي تمير على مياه البحيرة . ولم تنقضي ساعتان
 من ذلك الحين حتى أتى الخلة أمين باشا نفعة والعمير كاساتي والمترجمين
 ولا تسأل عن عواطف الحبور والابتهاج التي سادت حيثئذ على هذين الرجلين
 الجليلين الفاضلين في هذا اللقاء الغريب بعد مغامرات واطوار ترقد لولها
 فرائص الابطال الصناديد. فتعزى سنابلي بهذا الاجتماع عما ألم به من النوازل
 والنائب كل العزاء وتبادل مع خليله الجديد صحباء الاحاديث والمغامرات
 وبث أحدهما للأخر اسرار الحوادث والملاجيات وما طرأ عليها من السراء
 والضراء. وكانت حيثئذ ابصار اوريا قاطبة والعالم العلمي بأسره متجهة الى هذه
 الاصقاع لاستطلاع انباء هذين الرجلين الخطيرين

- (١) ما جيل حول الحديقة من الشجر والشوك (٢) الجماعة من
 الناس من خمسة انفس الى ثلاث مئة او اربع مئة (٣) الصغار الجئة
 (٤) جمع سفود وهي حديدة يشوى عليها (٥) شدة الجوع (٦) هالك
 (٧) قدرة او بسط اليد (٨) تعب (٩) الشجر الكبير الملتفت
 (١٠) جماعات (١١) فصار القامة (١٢) الموت الكريه
 (١٣) كثير ملتفت (١٤) نبات دقيق (١٥) كثيرة الشجر
 (١٦) الشجرة الصغيرة (١٧) الشجرة العظيمة (١٨) هذه الكلمة وما
 بعدها حكاية بعض اصوات الطيور (٢٠) هذه الكلمة وما بعدها حكاية
 بعض اصوات الوحوش (٢١) جمع حرقر وهو التصير الدميم
 (٢٢) غفلة (٢٣) درجات مطلق الامطار في القلة والكثرة
 (٢٤) شدة الجوع (٢٥) فجيلون (٢٦) اسرعت (٢٧) فرق
 من الناس او الجماعات

خلاصة رحلة سناني الأفرقيّة الحديثة

للتفتيش عن أمين باشا

٣

ثم بعد بضعة أيام من هذا اللقاء نقل سناني محلته إلى
مكان أوفر ملاءمة حيث مكث إلى ٢٥ أيار. أما أمين باشا
فأبى الرجوع ومغادرة رجاله والأقليم الخصب الذي كان
سائنا عليه. وصرف سناني الشهر كله في محاجته وإفناعه على
العود لكن على غير طائل حتى كاد ينفد صبره ويأس
وتذهب النفقات والبشقات التي كابدتها لأجله أذراج
الرياح. ولورمنا بسط الحاورات والأحاديث التي دارت
بينهما إذا الصدق لشغل ذلك صفحات كثيرة. فأضربنا عن
ذلك خشية التطويل والخروج عن الموضوع
ولما رأى سناني تردد أمين باشا وصياح الزمان عبثا
خطر على باله الهاجور بارثلوت وسائر رجال العجريدة

الَّذِينَ كَانَتْ قَدْ تَرَكَهُمْ فِي يَامْبُويَا وَلَمْ يَسْمَعْ عَنْهُمْ شَيْئًا مِنْذُ
فَارَقَهُمْ فِي بَدْءِ الرَّحْطَةِ. فَعَزَمَ عَلَى الْأَيَّابِ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُ يُلَاقِيهِمْ
قَادِمِينَ فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهَا. وَمِنْ ثَمَّ وَدَعَ أَمِينَ بَاشَا تَارِكًا
مَعَهُ الْمِسْتَرِ جِيفْسَنَ وَتَعَاهَدَا عَلَى أَنْ الْبَاشَا يُنْبِئَ قَوْمَهُ بِمَقَاصِدِ
سْتَانَلِي وَمَرَاجِلِهِ. ثُمَّ يَزُورُ صَرْحَ^(١) فُورْتِ بُونُو وَيَأْتِي بِقَوَادِ
الرَّحْطَةِ وَرِجَالِهَا الْبَاقِينَ هُنَاكَ بَعْدَ إِخْلَافِ الصَّرْحِ وَهَدْمِهِ.
ثُمَّ سَارَ سْتَانَلِي بِرِجَالِهِ الزَّنْجِبَارِيِّينَ وَلَمْ يَأْخُذْ مَعَهُ إِلَّا كَبِيَّةً
قَلِيلَةً مِنَ الزَّادِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْكَرَاعِ^(٢) بَغِيَّةً التَّخْفِيفِ عَنْهُمْ
وَلِزِيَادَةِ الْحَثِّ عَلَى السَّيْرِ. فَبَلَغَ فُورْتِ بُونُو فِي ٨ حَزِيرَانَ
سَنَةِ ١٨٨٨ وَرَأَاهُ فِي حَالِ زَاهِرَةٍ لِأَنَّ أَعْوَانَهُ كَانُوا قَدْ زَرَعُوا
خِلَالَ هَذِهِ الْهَدْيَةِ الْحِنْطَةَ وَالْفُولَ وَالْمَوْزَ وَاسْتَعْمَلُوا الْخِلَالَ
وَبَنَوْا بِيوتًا حَسَنَةً وَيَبْضُوها بِالْكَلْسِ وَالْحَصِصِ وَكَانَتْ صِحَّةُ
الْجَمِيعِ فِي خَيْرِ حَالٍ

فَأَعْطَى سْتَانَلِي الْأَمِيرَ الْأَلَزِمَةَ لِقَوَائِدِهِ الْمُهْلَازِمِ سَتِيرِسَ
وَالْتَبْطَانَ نِلْسَنَ وَالدُّكْتُورِ بَارَكَ. وَأَخَذَ يَضْرِبُ مَعَ
أَنْصَارِهِ الْبَالِغِ عِنْدَهُمْ ٢١٢ فِي ذَلِكَ الدَّغْلِ الْهَائِلِ إِلَى أَنْ
وَصَلَ بَعْدَ ثَمَانِيَةِ أَيَّامٍ إِلَى كِيلِينْكَالُونْكَ. وَبَعْدَ شَهْرٍ بَلَغَ

أُوغَارُوا. فَوَجَدَ تَاجِرَ الرَّفِيقِ الْمَذْكُورَ قَدْ سَلَبَ الْعَاجَ كُلَّهُ
 مِنْ سُكَّانِ تِلْكَ الْبِلَادِ وَرَحَلَ بِقَوْمِهِ إِلَى مَكَلَّةَ^(١٠) جَدِيدَةً.
 فَاسْتَنْبَ لِسَنَانِي الْحُصُولَ عَلَى قَوَارِبِ رَكِبَهَا وَجَدَفَ بِهَا فِي
 النَّهْرِ إِلَى أَنْ لَحِقَ بِالتَّاجِرِ أُوغَارُوا بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَسَابِعٍ فِي ١٠
 أَبِ وَأَجْمَعَ بِنَيْتِهِ رِجَالَهُ. وَبَطُولُ بِنَا الْوَقْتِ إِنْ رُمْنَا
 الْأَنْصَاحَ عَمَّا أَلَمَ بِهِاتَيْنِ الشَّرِذِمَتَيْنِ الْمَوْدُوعَيْنِ فِي
 الْمَكَانَيْنِ الْهَارِ ذِكْرُهُمَا. غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
 بِالنِّسْبَةِ لِلنَّازِلَةِ الْفَادِحَةِ^(١١) الَّتِي حَلَّتْ بِالْمَاجُورِ بَارْتُلُوتَ
 وَرِجَالِهِ فِي بَامْبُويَا. فَإِنَّ الْهُومَاءَ إِلَيْهِ بَعْدَ أَنْ نَبَى لِنَفْسِهِ هُنَاكَ
 حِصْنًا مَكَتَ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا يَنْتَظِرُ إِمْدَادَ تَيْبُونِيَّابَ إِيَّاهُ
 بِالْحَمَّالِينَ وَلَمْ يَفْزُ بِالرَّغُوبِ. فَقَدْ تَصَوَّرَ الْمَذْكُورُ عَقِيبَ
 إِيغَالِ^(١٢) سَنَانِي فِي تِلْكَ الْغِيَاضِ وَانْقِطَاعِ أَخْبَارِهِ شَهْرًا أَنَّهُ
 هَلَكَ مَعَ رِجَالِهِ وَأَمْسَى صَكُّ الْمِعَاهِدَةِ مَلغَى. وَخَالَ أَيْضًا
 أَنَّ لِلْمِشَارِ إِلَيْهِ مَارِبَ أُخْرَى فِي تِلْكَ الْفَارَةِ فَضْلًا عَنِ
 التَّنْقِيشِ عَنِ أَمِينِ بَاشَا غَايِمَا الطُّهْرُوحِ إِلَى الْمَلِكِ وَالسِّيَادَةِ.
 فَأَخَذَ يُوَجِّلُ إِيْفَاءَ الْوَعْدِ وَيَهَاطِلُ مُتَعَلِّلاً بِأَنَّهُ لَمْ يَتَسَنَّ لَهُ
 وَجُودُ حَمَّالِينَ إِلَى أَنْ عِيلَ صَبْرُ بَارْتُلُوتَ وَعَرَاهُ الْيَأْسُ

وَالْقَنُوطُ. فَرَحَلَ مَعَ الْبِسْتَرِ جِيهِنَ لِلْأَجْنِبَاعِ يَتَّبِعُونَ نَيْبَ
 وَقِيَامِ أُنْجَةِ عَلَيْهِ شَخْصِيًّا. فَأَجَلَّتِ التَّنِيحَةُ عَنْ إِذْعَانِ هَذَا
 الْأَمِيرِ لِبَطَالِبِ بَارْتُلُوتَ حَسَبَ الظَّاهِرِ وَإِمْدَادِهِ بِالرِّجَالِ
 مُضْمَرًا الْإِيقَاعَ بِهِ ^٦ وَأَخَذَهُ غِيْلَةً ^٧. فَأَمَرَ أَعْوَانَهُ سِرًّا بِقَتْلِ
 الْمَاجُورِ مَتَى أَسَاءَ مُعَامَلَتَهُمْ

وَكَانَ بَارْتُلُوتُ قَدْ قَدَّمَ أَثْنَاءَ ذَلِكَ قَائِدَيْنِ مِنْ قُوَّادِ
 الْكَهْمَلَةِ وَهُمَا الْبِسْتَرُ رُوزِنَرُوبُ وَالْبِسْتَرُ وَارِدُ. فَإِنَّ الْأَوَّلَ
 أُصِيبَ بِالْحُمَى وَرَحَلَ إِلَى أَنْكَلِتْرَا وَالثَّانِي سَافَرَ إِلَى السَّوَاهِلِ
 لِمَكْتَابَةِ لَجْنَةِ الْإِعَانَةِ فِي بَرِيطَانِيَا. فَأَنْتَهَزَ أُولَئِكَ الرَّعَاعُ
 الْبَغَاةَ الْفُرْصَةَ وَفَتَكُوا بِالْمَاجُورِ بَارْتُلُوتَ فِي ١٩ نَهْرٍ
 عَامِ ١٨٨٨ فَاسْرَعَ الْقَائِدَانِ الْبَاقِيَانِ وَهُمَا الْبِسْتَرُ جِيهِنَ
 وَالْبِسْتَرُ بُونِي بَعْدَ مَقْتَلِ بَارْتُلُوتَ إِلَى بَنْغَالَا لِاسْتِخْدَامِ
 حَمَالَيْنِ آخَرَيْنِ. غَيْرَ أَنَّ الْأَوَّلَ أُصِيبَ بِالْحُمَى وَقَضَى ^٨
 بَعْدَ زَمَنِ وَجِيرٍ. فَبَقِيَ الْبِسْتَرُ بُونِي الضَّابِطُ الْأَصْغَرُ وَحَدَهُ
 قَائِدًا لِسَائِرِ رِجَالِ التَّجْرِيدَةِ الْبَاقِيَيْنِ. وَهُوَ وَحْدَهُ لَاقَى سَتَالِي
 فِي بُونَا لِيَا عَلَى مَسَافَةٍ بَضْعَ مَرَاجِلَ عَنْ يَامْبُويَا. فَلَا تَسْلَ عَمَّا
 عَرَاهُمَا الرَّحَالَةَ مِنَ الْغُومِ وَالْأَحْزَانِ عِنْدَ رُوقِهِ مَا حَلَّ

بقواده ورجالِهِ مِنَ النَّوَازِلِ وَالْخَطُوبِ . بَعْدَ أَنْ سَارَ ثَلَاثَةَ
 شَهْرٍ يَنْشُدُهُمْ مَعَانِيًا فِي مَرَاجِلِهِ أَشَقَّ الْخَطَايِرِ وَالْأَتْعَابِ
 الَّتِي يَكِلُ اللِّسَانُ عَنْ وَصْفِ بَعْضِهَا . فَإِنَّهُ لَمْ يَصَادِفْ مِنْ
 قَوَادِهِ الْخَمْسَةِ إِلَّا عَهْدَ إِلَيْهِمْ رِئَاسَةَ مُؤَخَّرَةِ الْجَيْشِ سِوَى
 رَجُلٍ وَاحِدٍ . وَمِنْ سَرِيَّتِهِ الْبَالِغَةِ ٢٧٥ نَفْرًا غَيْرَ ٧١ وَمِنْ
 الذَّخَائِرِ وَالْأَمْتَعَةِ وَالْمُونِ وَالْمَلَابِسِ وَالْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَرَكَهَا
 إِلَّا قَدْرًا زَهِيدًا لَا يُعْتَدُّ بِهِ . غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَا كَانَ لِيُخْبِدُ
 عَزَمَ هَذَا الصَّنْدِيدِ الْبَاسِلِ أَوْ يُضَعِفُ هِمَّتَهُ . فَكَتَبَ فِي أَحْمَالِ
 إِلَى تَيْبُونِيَبَ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يُدْرِكَهُ بِالرِّجَالِ وَالْبَدَدِ فِي ٢٧
 آبٍ إِذَا امْكَنَ . وَأَوْغَلَ فِي ذَلِكَ الدَّوْحِ ^(٣) الْهَرَّةَ الثَّلَاثَةَ .
 فَأَحْجَبَ بَيْنَ أَيْكِهِ ^(٤) الْمَشْتَبِكِ عَنْ أَبْصَارِ الْهَلَا . وَمَا عَمَّ
 حَتَّى أَمْسَى هَدَفًا لِحِرَابِ الْقَبَائِلِ الْعَجِيَّةِ وَقَتِكَ طَوَائِفِ الْقَزْمِ
 وَأَنْيَابِ الْوُحُوشِ وَحُمَاتِ الْحَشْرَاتِ
 غَيْرَ أَنَّ الْعِنَايَةَ أَسْعَفَتْهُ بِالنَّجَاةِ فَبَلَغَ مَحَلًّا يَبْعُدُ قَلِيلًا عَنِ
 مَحَلَّةِ أَوْغَارَوَا السَّابِقَةِ . ثُمَّ حَاوَلَ السَّيْرَ عَلَى ضَفَةِ الْأَرْوَبِيِّ
 الْبَنِيِّ الْمَسِيِّ هُنَا نُووبِلَ أَوْ إِيْتُورِي . فَتَبِعَ مَجْرَاهُ شِمَالًا
 لِلنَّفْيِشِ عَنْ مَكَانٍ يَتَسَرُّ بِهِ قِطْعُهُ . فَعَثَرَ عَلَى فَرْعٍ يَتَشَعَّبُ

إِلَيْهِ النَّهْرُ حَيْثُ جَازَ بِرِجَالِهِ إِلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى . وَقَبَضَ
عَلَى بَضْعَةٍ قَزْمٍ أَنْبَأُوهُ أَنَّ أَسْمَ هَذَا الْجَدُولِ دُوي . أَمَا هَذَا
الْأَفْلِيمُ فَلَمْ تَطَّاهُ بَعْدُ أَرْجُلُ السَّيَاحِ وَبُجَّارُ الْأَرْقَاءِ وَهِيَ
مُزْدَحِمٌ بِقَبَائِلِ الْيَامُوتِيِّ الْحَنَادِلِ . وَهُوَ أَبُوكَ قَصِي لَا يُبْرِكُ
لَهُ السَّافِرُ حَتَّى

فَحَلَّتْ بَسْتَانِي وَتَجَرَّيدَتِهِ بَيْنَ فَرَعِي هَذَا النَّهْرِ نَازِلَةٌ
كَادَتْ تَدْمِرُهُمْ تَدْمِيرًا . وَهِيَ جُوعٌ شَدِيدٌ أَصَابَهُمْ بِسَبَبِ نَفَادِ
الزَّادِ حَتَّى أَشْرَفُوا عَلَى الْهَوْتِ . قَالَ سَتَانِي لَمْ أَصَبْ فِي سَائِرِ
أَيَّامِ اسْفَارِي الْأَفْرِيقِيَّةِ بِهَيْئِلِ هَذَا السَّغْبِ . فَأَرْسَلْتُ ١٥٠
رَجُلًا يَنْفِشُونَ عَمَّا يُوكَلُ فِي تِلْكَ الْأَرْجَاءِ وَعَيَّنْتُ خِلَالَ
نِسْعَةِ أَيَّامٍ لِلْمَيْتَةِ وَالثَّلَاثِينَ نَفْرًا الْبَاقِينَ مَعِي مَرَقًا مُرْكَبًا مِنْ
مِزْوَدِ زُبْدَةٍ وَمِزْوَدِ لَبَنٍ خَائِرٍ وَكَاسٍ دَقِيقٍ وَمَاءٍ وَعَلَّتْ
بِهَذَا الْقَدْرِ الْقَلِيلِ هَوْلًا الْقَوْمَ الْجَمَاعَ الْوَافِرِي الْعَدَدِ . إِلَى
أَنْ أَنْكَفَأَ رِفَاقَهُمْ بِجَهْلُونَ الزَّادِ . وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ فَتَكَ السَّعَارُ
بِوَاحِدٍ وَعِشْرِينَ نَفْرًا فَفَضُوا فَرِيسَةَ الْجُوعِ فِي هَذِهِ الْمَسْجَعَةِ^(١٥)
ثُمَّ قَطَعُوا فِي ١٨ كَانُونِ الْأَوَّلِ سَنَةِ ١٨٨٨ نَهْرَ نُورُو
وَبَعْدَ يَوْمَيْنِ بَلَّغُوا صَرَخَ بُدُو . فَوَجَدَ سَتَانِي رِجَالَهُ مَآكِنِينَ

هُنَالِكَ خِلَافًا لِعَهْدِهِ مَعَ أَمِينٍ بَاشَا وَلَمْ يَسْمَعْ عَنِ الْهُومَا إِلَيْهِ
 نَبَأًا وَلَا عَنِ الْهَيْسْرِ جِيْفَسُنْ وَسَائِرِ الرِّجَالِ الْبِيضِ فِي
 الْبَرْتِ نِيَانْزَا. وَكَانَ قَدْ تَقَضَى عَلَيْهِ مِنْذُ فَارَقَهَا سَبْعَةَ شَهْرٍ
 عَلَى أَنَّ الْبَحِيرَةَ لَمْ تَكُنْ تَبْعُدُ عَنِ الْحِصْنِ أَكْثَرَ مِنْ خَمْسِ
 عَشْرَةَ مَرْحَلَةً. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عُسْرِ الْإِتِّصَالِ فِي قَلْبِ هَذِهِ

الْقَارَةِ الْهَلَايَ بِالْغَرَابِ

وَلَمَّا كَانَتْ أَفْكَارُ سَنَائِي مُضْطَرِبَةً عَلَى أَمِينِ بَاشَا وَالْهَيْسْرِ
 جِيْفَسُنْ رَحَلَ بَعْدَ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ إِلَى الْبَحِيرَةِ وَجَازَ سَهُولَ
 إِيْبِيْرِي وَبِطَاحِ الْبَارِيغَا الْهَرَّةِ الْخَامِسَةَ. وَكَانَتْ عَشَائِرُ
 هَذِهِ السُّهُولِ وَزُعَبَاؤُهَا الْآنَ فِي وُدَادٍ وَمُصَافَاةٍ مَعَ هَذَا
 الرَّحَالَةِ فَاْمَدُوهُ بِالْأَقْوَاتِ وَأَمَدُّهُمْ بِالْهَدَايَا حَتَّى كَادَ يَبْلُغُ
 الْبَحِيرَةَ وَلَمْ يَسْمَعْ نَبَأًا عَنِ أَمِينِ بَاشَا. ثُمَّ لَمَّا أَوْشَكَ الْبُلُوغُ
 إِلَيْهَا أَنَاهُ رَفِيمٌ كَانَ قَدْ خَطَّهُ الْهَيْسَرُ جِيْفَسُنْ وَرِسَالَتَانِ كَانَتْ
 بَعَثَتْ بِهِمَا أَمِينُ بَاشَا يُخْبِرَانِهِ أَنَّهَا فِي أَسْرِ الْعَسَاكِرِ الْعِصَاةِ
 وَأَنَّ الْهَيْدِيْنَ بَعَثُوْنَ فِي ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ وَقَدْ اسْتَوْلَوْا عَلَى
 لَادُوا. فَانْسَى هَذَا الْخَطْبُ الْجَدِيدُ سَنَائِي نَازِلَةً يَأْمُونًا .
 وَأَمْسَى غَرَضًا لِعَوَامِلِ الْفَلَقِ وَالْبَحِيرَةِ. وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ

الْهَدِيُونَ قَدْ اسْتَظْهَرُوا عَلَى ضَبَاطِ أَمِينِ بَاشَا الْعَصَا رَأَى
 هَوْلَ الْقَوَادِ أَنْفُسَهُمْ فِي حَاجَةٍ إِلَى مَهَارَةِ الْبَاشَا الْعَسْكَرِيَّةِ
 فَأَطْلَقُوهُ مِنَ الْأَسْرِ. غَيْرَ أَنَّ سُلْطَنَهُ كَانَ قَدْ تَلَّصَّ ظِلْمًا
 فَأَعْتَرَلَ مَعَ الْهَسْتَرِ جِيفْسُنَ وَالسَّنِيورِ كَاسَانِي إِلَى وَاوِلَايِ.
 ثُمَّ لَمْ تَعْمُ الْأَحْوَالُ حَتَّى عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ. فَإِنَّ
 الْهَدِيِينَ ظَلُّوا بِتَقْدَمُونَ جَنُوبًا ظَافِرِينَ. فَفَرَّ أَمِينُ بَاشَا
 وَرَفِيقَاهُ إِلَى تُوْرِنُجُو الْبَعِيدَةِ عَنْ مَحَلَّةِ سَنَالِي نَحْوَ مَرَحَلَتَيْنِ.
 وَهَذَا جَرَى حِينَ كَانَ سَنَالِي فِي غَيْضَةِ أَرْوِييِ وَلَمْ يَبْلُغْ
 أَمِينُ بَاشَا خَبْرَ قُدُومِهِ حَتَّى بَعْدَ هَذِهِ الْحَوَادِثِ بِشَهْرَيْنِ.
 فَبَعَثَ سَنَالِي فِي الْحَالِ يَطْلُبُ مِنَ الْهَسْتَرِ جِيفْسُنَ الْعَمِي
 إِلَيْهِ فَإِنَّ بَعْدَ مَغَامِرَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا. لِأَنَّ زَعِيمَ تُوْرِنُجُوْرُو
 قَاوَمَ سَفَرَهُ أَشَدَّ الْهَقَاوِمَةِ وَقَبِيلَةَ الْهَيْلَنْدُوْا عَدُوَّةَ أَمِينِ
 بَاشَا اللَّدُوْدَةَ تَرَصَّدَتْ لِلْفَتْكِ بِهِ عِنْدَ مُرُورِهِ فِي أَرْضِهَا.
 وَكَذَلِكَ سَافَرُ الْأَعْدَاءِ عَلَى ضِفَافِ الْجَبْرِ. فَضَلَّ عَنْ
 الْأَخْطَارِ الَّتِي كَابَدَهَا عَلَى الْبِيَاهِ بِهِيَاجِ الْأَنْوَاءِ وَالْعَوَاصِفِ.
 ثُمَّ بَلَغَ مَحَلَّةَ سَنَالِي عَلَى صَعِيدِ كَافَالِي فِي ٦ شِبَاطِ سَنَةِ ١٨٥٥
 وَحِينَئِذٍ قَصَّ عَلَى سَنَالِي أَنْبَاءَ نَهْرِدِ الضَّبَاطِ وَالْجُنُودِ

عَلَى أَمِينٍ بَاشَا . وَأَنَّ الْهُومَاءَ إِلَيْهِ مَا بَرِحَ وَاجِبًا مُتَرَدِّدًا عَنِ
 الْخُرُوجِ مِنْ إِقْلِيمِ الْجَبْرِ مُتَعَلِّلًا بِهَا مُودَاهُ إِذَا رَضِيَ
 قَوْمِي الذَّهَابَ ذَهَبْتُ مَعَهُمْ وَإِذَا الْبُشَا لَبِثْتُ . أَمَا كَسَانِي فَلَمْ
 يَنْفَكْ عَنِ الْقَوْلِ " إِذَا أَنْطَلَقَ أَمِينُ بَاشَا أَنْطَلَقْتُ وَإِذَا
 مَكَتَ مَكَتْتُ " . فَعِيلَ صَبْرُ سَنَانِي وَكُتِبَ إِلَى أَمِينِ بَاشَا بِحُجْمِ
 عَلَيْهِ بِالْحُزْمِ فِي الْأَمْرِ إِجَابًا أَوْ سَلْبًا لِأَنَّ التَّطْوِيلَ عَاقِبَتُهُ
 مَشُورَةٌ وَخِيبةٌ . وَإِذَا بَرَفِيمُ وَارِدَ عَلَى سَنَانِي يُبَيِّنُهُ أَنَّ الْبَاشَا
 رَاسِ بِسَفِينَةٍ عِنْدَ السَّاحِلِ

فَالْتَقَى هَذَانِ الرَّجُلَانِ الْهَرَّةَ الثَّانِيَةَ وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا
 مُحَاوَرَاتٌ وَأَبْحَاطٌ مُسَهَبَةٌ لَيْسَتْ مِنْ مَطَالِبِ هَذِهِ الْخُلَاصَةِ .
 وَبَعْدَ مُوَامِرَاتٍ وَدَسَائِسٍ وَمَكَايِدَ (مِنْ قِبَلِ الْعَسَاكِرِ الْهِصْرِيَّةِ
 وَقُوَادِهِمْ) وَتَأْهِبَاتٍ يَطُولُ شَرْحُهَا عَزَمَ سَنَانِي وَأَمِينُ بَاشَا
 وَجِبَا عَنْهُمَا التَّمَحُّدَةَ عَلَى الْأَبَابِ . فَرَحَلُوا مِنْ كَأْفَالِي فِي ١٠
 نَيْسَانَ سَنَةِ ١٨٨٩ وَكَانَ عَدَدُ اللَّفِيفِ الرَّاحِلِ مَعَهُمَا ١٥٠٠
 نَفْسٍ بَيْنَهُمُ النِّسَاءُ وَالشُّبُوحُ وَالْأَوْلَادُ . ثُمَّ حَلُّوا بَعْدَ يَوْمَيْنِ
 فِي مَازْمُونِي حَيْثُ أَصَابَتْ سَنَانِي حَيٌّ شَدِيدَةٌ أَشْرَفَ بِهَا عَلَى
 الْهَوْتِ . فَتَوَلَّى الدُّكْتُورُ بَارِكُ عِلَاجَهُ وَتَهْرِيضَهُ نَحْوَ شَهْرٍ

ثُمَّ اسْتَأْنَفَتِ الْقَافِلَةَ السَّيْرَ وَبَلَغَتْ نَهْرَ سَهْلِيكِي يَنْبُوعَ النَّيْلِ
 الْأَبْيَضِ وَظَلَّتْ تَهَشِي فِي خَطِّ جَنُوبِي قَوْمِهِ . وَكَانَ عُنُورُهُمْ
 عَلَى هَذَا النَّهْرِ الْكَبِيرِ مِنْ الْإِكْتِشَافَاتِ الْخَطِيرَةِ . لِأَنَّ
 الْجُغْرَافِيِّينَ كَانُوا يَذْهَبُونَ حَتَّى الْآنَ إِلَى أَنَّ فَيْكْتُورِيَا نِيَازًا
 أَصْلُ النَّيْلِ وَمَخْرَجُهُ الْأَوَّلُ . أَمَّا هَذَا النَّهْرُ فَيَضَارِعُ عَرْضُهُ
 ثَلَاثِي مَبِيرَةٍ فَيْكْتُورِيَا وَمَعْدَلُ عُمُقِهِ نِسْعُ أَقْدَامٍ .

ثُمَّ أَخَذَ الرَّكْبُ يَضْرِبُ فِي وَايِي سَهْلِيكِي وَهُوَ مِنْ
 ثُغُورِ قَبَائِلِ الْأَوَامِبَا . وَإِذَا مَجِئْتَ رُويْتُورِي الشَّاهِقَةَ
 الْمَكْسُورَةَ فِيهَا بِالْثَلُوجِ الدَّائِمَةِ تَلُوحُ لِلْأَبْصَارِ . فَادْرَكَ
 سَتَانِي أَنَّ هَذَا الطُّودَ هُوَ جِبَالُ الْقَهْرِ نَفْسَهَا الْبَلْعُ إِلَيْهَا فِي
 جُغْرَافِيَةِ الْعَرَبِ مِنْذُ أَرْبَعِ مِئَةِ سَنَةٍ وَهِيَ عِنْدَهُمْ مَنَابِعُ النَّيْلِ .
 أَمَّا هَذَا الْحَشَامُ فَيَقْطَعُ خَطَّ الْأَسْتَوَاءِ عَلَى مَسَاحَةِ شِمَالِيَّةٍ
 وَتَنْبَعُ مِنْهُ أَنْهَرٌ كَبِيرَةٌ تَلْتَفِي فِي الْجَبْرِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي مِنْهَا
 تَخْرُجُ النَّيْلِ . وَهُوَ مِنْ أَوَّلِ أَنْهَرِ الْمَسْكُونَةِ وَأَطْوَلِهَا
 وَأَعْظَمِهَا . وَقَدْ كَتَبَ سَتَانِي إِلَى الْجَمْعِيَّةِ الْجُغْرَافِيَّةِ الْمَلِكِيَّةِ
 فِي بَرِيطَانِيَا بِهَا يَأْتِي "إِنِّ فَرَعِ النَّيْلِ الْأَعْلَى الْغَرْبِيِّ تَخْرُجُ
 مِنْ هَذَا الْجَبَلِ الْمَلْتَنِجِ بِالْثَلُوجِ وَمِنْهُ تَنْبَعُ أَنْهَرٌ وَفِرَةٌ

العدد تلتقي بنهر سهليكي وتصب في بحيرة البرت نيانزا
العظيمة. ويصب في هذه البحيرة أيضا فرع النيل الشرقي
الأعلى ومنها يخرج النيل الحففي أشهر أنهر البسيطة

فرقى الهلزم سيرس هنا الجبل إلى ارتفاع ١١٠٠٠
قدم بصبغة ٤٠ نفرا زنجباريون حتى أمسى على مسافة نحو
ميلين عن ذروته الثلجية. ولكن لها رأى الأخاديد

والهوى تعرضه ولم يكن معه من اللباس والزاد ما يقوم
بحاجته وحاجة رجاله أنكفا^(١) هابطا. فشهد في سوح هنا

الجبل أنهارا وجناول تجري إلى سهليكي ثم تصب في البرت
نيانزا. أما هنا الجبل الكبير فيركاني وفي فيه العليا

والدنيا فوهات بركانية انطانات نارها وخمد هاجها مع
كروير الزمان. ولم يعاين الهوما إليه على شواخه حياة نباتية

ولا حيوانية إلا بضعة طيور رمادية تضرب إلى السواد.
خلافا لسائر الجبال في خط الاستواء ولا سيما في غينيا

الجديدة حيث وقرت الطيور البهية الألوان وبعض
صنوف النبات والحيوان

ثم بعد اجتيازهم وادي سهليكي بلغوا سهلا معشبا

تَحَلَّلَهُ أَشْجَارُ الطَّلْحِ^(١) وَغَيْرُهَا. وَكَانَتْ أَرْضُ ذَلِكَ الْوَادِي
تَرْتَفِعُ تَدْرِيجًا إِلَى أَنْ بَلَغَتْ بَعْدَ سَيْرِ ٧٥ مِيلًا عَلُوَ أَلْفِ قَدَمٍ
عَنِ الْبَحِيرَةِ. وَعِنْدَ هَذِهِ النُّقْطَةِ يَتَّصِلُ طَرَفُ رُوَيْتُورِي
الْغَرْبِيِّ بِوَادِي النَّهْرِ. وَقَدْ نَسَبَ سَنَانِي كَثْرَةَ الْأَصْحَالِ فِي
الْبَرْتِ نِيَانِزَا إِلَى رَوَاسِبِ نَهْرِ سَهْلِي الْوَابِرَةِ. ثُمَّ وَصَلَتْ
الْقَافِلَةُ إِلَى إِقْلِيمِ الْأُوْكُونْجُو وَالْأُوْسُونْكُورَا الْكَثِيرِ الْعُشْبِ
وَالْكَلَا. وَمِنْهُ إِلَى بَحِيرَةِ مُونَا زِيْنِجَ (الْبَرْتِ أَدُورْزِ نِيَانِزَا)
حَيْثُ تَصُبُّ كُلُّ الْأَنْهَارِ الْوَاقِعَةِ فِي طَرَفِ مُجْتَمِعِ النَّيْلِ
الْجَنُوبِيِّ الْغَرْبِيِّ. أَمَّا بَحِيرَةُ فَيْكْتُورِيَا فَتَصُبُّ فِيهَا حِيَاضُ
مِيَاهِ النَّيْلِ الْجَنُوبِيِّ الشَّرْقِيِّ. ثُمَّ يَصُبُّ الْجَمِيعُ عَلَى خَطِّ
مُوَازٍ فِي بَحِيرَةِ الْبَرْتِ نِيَانِزَا

وَقَدْ عَانَى سَنَانِي أَثْنَاءَ سَيْرِهِ فِي وَادِي سَهْلِيكَ أَشَدَّ
الْعَنَاءِ وَالْبِقَاوَمَةِ لِأَعْنِصَابِ سُكَّانِهِ مَعَ كَعْبَةِ رِيغَا مَلِكِ
أَنْبُوْرُوَاتْجَانِي الطَّبَاعِ الشَّدِيدِ الْبَاسِ. أَمَّا بِلَادُ هَذَا الْأَمِيرِ
فَوَاقِعَةٌ إِلَى غَرْبِي رُوَيْتُورِي. ثُمَّ لَهَا بَلْعَ سَنَانِي كَانَتْ
وَهِيَ تَغْرُ كَبِيرَةً عَلَى سَاحِلِ مُوْتَا زِيْنِجِ الشَّمَالِيِّ الْغَرْبِيِّ مَشَى
فِي جِهَةِ شَمَالِيَّةٍ شَرْقِيَّةٍ إِلَى شَمَالِي الْبَحِيرَةِ. ثُمَّ وَجَّهَ خَطَاهُ

جَنُوبًا وَدَخَلَ نُغُورَ الْأَنْيَامِبَاكَ فَصَادَفَ مِنْ مَلِكِهَا خَيْرَ لِقَاءٍ
وَتَرَ حَابٍ . وَسَارَ بَعْدَئِذٍ فِي خَطِّ قَوْمٍ إِلَى بِلَادِ الْأَنْكُورِيِّ
فَالْكَارَاجُورِيِّ فَأَلُوهِيرَا فَأَلُورِنْجِهَ . وَهَذِهِ الْبِلَادُ كُلُّهَا مَلَأَى
بِالْبَدَنِ وَالْأَمْصَارِ وَالْقَرْىِ وَبِالزُّرُوعِ مِنْ سَائِرِ الْأَنْوَاعِ
وَالْغِيَاضِ الْغَنَاءِ وَالْأَشْجَارِ الْبَاسِقَةِ مِنْ كُلِّ الْأَجْنَاسِ
وَالْأَصْنَافِ وَالْبِيَاهِ وَقَدْ ذُكِرَتْ فِي رِحْلَةِ سَتَانَلِيِّ الْأُولَى فِي
التَّفْهِيسِ عَنِ لَيْفِنْسْتِنَ . فِقَبِلَ مُلُوكُ هَذِهِ الثُّغُورِ الرَّكْبَ بِأَفْضَلِ
الْوَفَادَةِ وَالْجَمَالَةِ . غَيْرَ أَنَّ هَوَاءَ هَذِهِ الْأَقَالِيمِ لَمْ يَلَأَمْ صِحَّةَ
الْمَسَافِرِينَ . فَإِنَّ مِثَّةً وَخَمْسِينَ نَفْرًا أُصِيبُوا بِالتَّحْمَى فِي يَوْمٍ

وَاحِدٍ

وَلَمَّا كَانَ سَتَانَلِيُّ فِي أَوْزِنْجِهَ اكْتَشَفَ اكْتِشَافًا آخَرَ
جَدِيدًا بِالْأَعْيَارِ . وَهُوَ فَرْعٌ جَدِيدٌ جَنُوبِيٌّ غَرْبِيٌّ لِبَحِيرَةِ
فِيكْتُورِيَا نِيَانْتَرَا . زَادَتْ بِهِ مَسَاحَةُ هَذِهِ الْبَحِيرَةِ سِتَّةَ آلَافِ
مِيلٍ مَرْتَبِعٍ . أَمَّا طَرَفُ هَذَا الْفَرْعِ الْجَنُوبِيِّ فَوَاقِعُ فِي ٢٨٤
مِنَ الطُّولِ الْجَنُوبِيِّ وَلِذَلِكَ تَلَانَتْ بِحِيرَةُ فِيكْتُورِيَا مِنْ
بَحِيرَةِ تَانْكَانِيَا ١٥٥ مِيلًا . وَالظَّاهِرُ أَنَّ تَأْخِيرَ هَذَا الْاِكْتِشَافِ
حَتَّى الْآنَ نَشَأٌ مِنْ وَفْرَةِ الْجَزَائِرِ الْمُعْتَرِضَةِ الْفَاصِلَةِ هَذَا

الْجَوْنُ الْجَنُوبِيُّ الْغَرْبِيُّ الْعَظِيمُ عَنِ الْبَحِيرَةِ الْأَصْلِيَّةِ وَلَا غَرْقَ
 مِنْ أَنْ أَمِيَّةٌ هَذَا الْاِكْتِشَافِ تَقُومُ بِتَقَرُّبِ هَاتَيْنِ الْبَحِيرَتَيْنِ
 الْعَظِيمَتَيْنِ إِحْتَامًا مِنَ الْأُخْرَى فَيَنْسَى بَعْدَئِذٍ رُكُوبَ
 الْمِيَاءِ الْأَفْرِيقِيَّةِ الدَّاخِلِيَّةِ مِنْ مَصَبِ النَّيْلِ إِلَى مَصَبِ
 الزَّامِسِيِّ وَهَذَا مَوْضِعٌ خَرَجَ الْآنَ مِنْ حِزِّ الْوَهْمِ وَالْخِيَالِ إِلَى
 عَالَمِ الْوُجُودِ وَالْحَقِيقَةِ. وَلَا يَخْفَى أَنَّ السَّبَّاحَ رَكِبُوا الزَّامِسِيَّ
 وَبَلَّغُوا عَلَيْهِ نَهْرَ شِيرَهْ ثُمَّ رَكِبُوا النَّهْرَ الْمَذْكُورَ وَقَطَعُوا إِلَى
 نِيَّاسًا وَمِنْ هُنَاكَ إِلَى تَانْكَانِيكََا. وَكَانَتْ طَرِيقُ سِتِّيْنَسِنُ
 الصَّلَاةِ بَيْنَهُمَا. أَمَّا الْآنَ فَلَمَّا عَرَفُوا أَنَّ بَحِيرَةَ فَيْكْتُورِيَا الَّتِي
 كَانُوا قَدْ أَتَوْهَا مِنْ الْخَرْطُومِ فِي النَّهْرِ مِرَارًا أَقْرَبُ إِلَى
 تَانْكَانِيكََا مِمَّا كَانُوا يَظُنُّونَ تَشَدَّدَتْ أَمَالُ مَجِيئِ الْاِسْتِعْمَارِ
 فِي أَفْرِيقِيَّةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي تَهْدِيْنِ هَجْمِ تِلْكَ الْأَصْفَاعِ
 وَالْاِتِّتَاعِ بِأَقَالِمِهَا الْخَصِيْبَةِ وَهَزَمَتْ أَرْجِيَّةُ الْحَبِيَّةِ
 وَالْحَمْسِ وَالْاِتِّهَاجِ. فَإِذَا اسْتَوْلَتْ مَهْلِكَةٌ مَهْدِنَةٌ عَلَى
 تَانْكَانِيكََا وَحِيَاضِهَا الشَّرْقِيَّةِ وَالشَّمَالِيَّةِ وَخَفَرَتْ فَنَاءً لِيُوصَلَ
 الْبَحِيرَتَيْنِ تَلَاثَتْ أَعْظَمُ الْعَوَاتِقِ وَالْبَصَاعِبِ مِنْ أَمَامِ
 اسْتِعْمَارِ بَاطِنِ أَفْرِيقِيَّةِ الْقَسْحِ بِرُؤْمِهِ. لِأَنَّ تِلْكَ السَّالِكَ

وَالْبِجَاهِلِ الشَّاسِعَةِ نُعْيِ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَتَجْمَلُهَا عَدِيمَةٌ
 أَجْدَوَى. أَمَا الطَّرُقُ الْمَائِيَّةُ فَبَيْنَ خَيْرِ وَسَائِلِ الرَّاحَةِ
 وَالِاتِّصَالِ فِي الْأَسْفَارِ وَالْمَشْرُوعَاتِ التِّجَارِيَّةِ. وَعَلَى ذَلِكَ
 جَدَّدَ سَتَانْلِي فِي أَقْدَةِ الرَّاعِيَيْنِ فِي خَيْرِ هَذِهِ الْقَارَةِ
 رَجَاءَ الْفَلَاحِ وَالْعُمُرَانِ بِتَقْرِيهِهِ هَاتَيْنِ الْبَحِيرَتَيْنِ الْوَاحِدَةَ
 مِنْ الْأُخْرَى تِلْكَ أَمَالَ كَانَتْ قَدْ ذَوَتْ غُصُونَهَا بِسُقُوطِ
 هَذِهِ الْأَقَالِمِ الْإِسْتَوَائِيَّةِ تَحْتَ جُورِ الْهَمَجِ الْهَتُوْحِشِيْنَ
 ثُمَّ وَصَلَ سَتَانْلِي وَجِبَاعَتَهُ إِلَى أَوْسَامِيرُو فِي ٢٥ آب
 فَوَجَدَ بَيْعَةَ مَسِيحِيَّةَ لِهَرْسَلِي الْكَنِيسَةِ الْإِنْكَلِيزِيَّةِ وَاقِعَةَ إِلَى
 جَنُوبِي بَحِيرَةِ فَيْكْتُورِيَا حَيْثُ كَانَ الْهَيْسِرُ مَاكِي عَامِلًا مُنْذُ
 طُرْدِهِ مِنْ أَوْغَانْدَا وَكَانَ هَذَا الْهَوْقُفُ خِتَامَ مَرَاجِلِ الْقَافِلَةِ
 فِي الْأَقْطَارِ الْعَبْهُولَةِ

قَالَ الْهَيْسِرُ سَتَانْلِي فِي رِسَالَةٍ بَعَثَ بِهَا إِلَى الْهَيْسِرِ
 مَارْتِنِ "وَصَلْنَا أَخِيرًا كَنِيسَةً دَلَّنَا صَليْبُ قَبْتِهَا عَلَيَّ أَنَا فِي
 مَهْجَرِ مَسِيحِي. فَأَيُّقْنَا يَا نَنَا أَمِينَنَا فِي ضَوَائِحِ الْعَالَمِ الْهَيْسِرِيْنَ.
 ثُمَّ نَزَلْنَا ضَيْوْفًا بِالرُّحْبِ وَالسَّعَةِ عَلَيَّ الْهَيْسِرِ مَاكِي. فَأَكْرَمَ
 وَفَادَتْنَا وَمَكَّنَّا عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا تَمْتَعْنَا فِي خِلَالِهَا

مُخَيَّرَ بِرَاحَةٍ وَهَنَاءٍ بَعْدَ عَنَاءِ الْأَسْفَارِ الشَّاقَّةِ
 وَسَرَّ سَتَانِلِي بِأَن رَأَى أَحْبَالَ الْبَضَائِعِ وَالطَّرُوسِ
 وَالرَّسَائِلِ تَتَطَرُّدُ فِي هَذَا الْمَكَانِ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ شَهْرًا. ثُمَّ
 طَرَقَ هَوْلَاءُ السِّيَاحِ بِلَادَ الْأَسْكُومَا الْجَنُوبِيَّةِ الْبَتَاخِيَّةِ
 الْأُوْكُوكُو وَمِنْ ثَمَّ إِلَى مَبَاوِئِمْهَا وَهِيَ مِنَ الْأَقْطَارِ الدَّاخِلَةِ
 تَحْتَ حَيَاةِ الْأَمَانِيَا. وَهَذَا يَجْدُرُ بِنَا أَنْ نُلْخِصَ بَعْضَ مَا قَالَهُ
 هَذَا الرَّحَّالَةُ الشَّهِيرُ بِشَأْنِ هَذِهِ الْاِكْتِشَافَاتِ الْجَدِيدَةِ فِي
 التَّنْقِيشِ عَنِ أَمِينِ بَاشَا

إِنَّهُ فَضَّلَا عَنْ وُصُولِنَا إِلَى الْغَايَةِ الْمَرْغُوبِ فِيهَا
 وَاتِّهَامِ وَاجِبَاتِنَا الْأَصْلِيَّةِ الْخَطِيرَةِ (أَيِ وُجُودِ أَمِينِ بَاشَا)
 أَسْعَدَنَا الْحُظَّ بِأَن فُرِّزْنَا بِاِكْتِشَافَاتِ جُغْرَافِيَّةٍ تُذَكِّرُ مِنْهَا أَنْجِلَاءَ
 حَقِيقَةِ الْأَرْوَيْبِيِّ مِنْ مَنَبَعِهِ إِلَى مَصَبِهِ. وَاِكْتِشَافِ غَابِ
 الْكُونُغُو الْعَظِيمِ الَّذِي تَعْدِلُ مَسَاحَتُهُ مَهْلِكَتِي فَرَنْسَا وَإِيطَالِيَا
 مَعَ بِأَشْجَارِهِ الْمُنَوَّعَةِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ وَنَبَاتِهِ وَحَيَوَانِهِ
 وَقَرْمِهِ الخ. ثُمَّ عَرَفْنَا مَوْقِعَ جِبَالِ الْقَهْرِ مَعْرِفَةً لَارِيبَ فِيهَا وَرَأَيْنَا
 رُوَيْتُرُورِي مَلِكَ الْجِبَالِ الْهَيْطَاطِلِ فَوْقَ النَّيُومِ الْهَتَعِيمِ
 بِالثَّلُوجِ اللَّائِيَةِ وَتَقْصِنَا بَعْضَ سَلْسِلِهِ وَسُفُوحِهِ. وَعَلَيْنَا

أَنَّ قُبْمَةَ الْمَسْمَاةِ "غُورْدُونِ. وَبَيْنَتْ. وَمَا كُنْتُ لَيْسَتْ
 سِوَى حُرَاسِ جَبَابِرَةَ تَحْرُسُ مَدَاخِلَ سَيْدِ الْجِبَالِ وَنَحْوَهُ
 الْقُصُوى. وَقَدْ قَطَعْنَا سَلَاسِلَ أَطْوَادٍ وَفِيرَةَ تَفْصِلُهَا بِنَاعِ
 خَضْرَاءِ نَضْرَةٍ نَمْنِي رِعَاةَ سَائِرِ الْبِلَادِ لَوْ سَجَّ لَهُمْ بِتَسْوِيمِ
 مَوَاشِيهِمْ عَلَى أَدْيِهَا. وَقَدْ تَلَذَّذْنَا نَحْتِ أَشْعَةِ شَمْسٍ خَطِّ
 الْاِسْتِوَاءِ بِأَكْلِ التُّوتِ وَالْمُوزِ. وَأَطْفَانًا أَوَّارَ ظَهَانًا بِيَاهِ
 بَارِدَةٍ تَرْتَرِقُ كَالْبُلُورِ نَابِعَةٍ مِنْ مَنَاجِحِ الْجِبَالِ. وَتَمَكَّنَّا مِنْ
 مَعْرِفَةِ زِيَادَةِ سِتِّهِ الْآفِ مِيلٍ مَرْبَعٍ مِنَ الْمَاءِ إِلَى فَيْكْتُورِيَا
 نِيَانْتِزَا. وَلَا بُدَّ أَنْ يُفِيضَ عَلَيْنَا الطَّبِيعِيُّ الْكَلَامَ عَنْ أَنْوَاعِ
 الْحَيَوَانَاتِ وَالطُّيُورِ وَالنَّبَاتَاتِ الْجَدِيدَةِ الَّتِي كَشَفْنَا عَنْهَا الْفِنَاعَ.
 وَكَذَلِكَ سَنِينِي طَبِينَا عَنْ هَوَاءِ هَذِهِ الْبِلَادِ وَأَقَالِيمِهَا
 وَتَرْكِيْبِ تَرْبِيهَا الْجِيُولُوجِيِّ الْح. وَلَوْ رُمْنَا تَعْدَادَ مَا ظَفَرْنَا بِهِ
 مِنْ كُنُوزِ الْمَعَارِفِ الْجَدِيدَةِ فِي حُقُولِ هَذِهِ الْاِكْتِشَافَاتِ
 الْغَيْرِ الْمُنْتَظَرَةِ لَطَالَ بِنَا الزَّمَانُ. وَلَا بُدَّ أَنْ يَرَى الْقَادِمُونَ
 إِلَى هَذِهِ الْأَصْقَاعِ فِي الْاِقْلِيمِ الْمَرْكَزِيِّ بَيْنَ خَطِّ الْاِسْتِوَاءِ
 وَالْبَحِيرَةِ غَرَائِبَ وَفَوَائِدَ أُخْرَى جَدِيدَةً بِالذِّكْرِ وَالْاِعْتِبَارِ.
 وَلَا جَرَمَ أَنَّ هَذِهِ الرَّحْلَةَ كَانَتْ مِنْ أَعْجَبِ اَسْفَارِي فِي

أَفْرِيقَةَ وَأَغْرَبَهَا

ثُمَّ بَلَغَتِ التَّجْرِيدَةَ مُصَوِّعَ فِي الْيَوْمِ الْأَخِيرِ مِنْ تَشْرِينِ
الثَّانِي. وَوَصَلَتْ فِي أَوَّلِ كَانُونِ الْأَوَّلِ إِلَى مِيكِي وَهِيَ قَرْيَةٌ
تَبْعَدُ عَنِ السَّاحِلِ أَرْبَعَ مَرَاجِلَ فَصَادَفَ سَنَالِي هُنَا وَقَدْ
بَعَثَ بِهِ صَدِيقُهُ الْقَدِيمُ مُدِيرُ "النِّيُورِكِ هِرَالْد" بِمَهْلُونَ
لَهُ أَدَقَاتٌ وَوَسَائِلُ الرَّاحَةِ. وَكَذَلِكَ أَمِينٌ بِأَسْأَلِي ضَابِطًا
الْمَهَانِيًا يَجْهَلُ لَهُ مِثْلُ تِلْكَ الْهَدَايَا. وَفَنَصَلَ إِيطَالِيَا فِي زَنْجِيَارِ
أَرْسَلَ مِثْلَ ذَلِكَ لِلْقُبْطَانِ كَسَاتِي. وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا
رَزْمُ الرِّسَائِلِ وَالرُّقْمِ. وَمَا بَلَغَتِ التَّجْرِيدَةَ زَنْجِيَارَ حَتَّى
أَمْسَتْ مَوْكِيَا حَافِلًا عَظِيمًا. وَكَانَتْ التَّهَانِيَةُ الْبَرْقِيَّةُ تَتَوَارَدُ
تِبَاعًا بِجَهْلِهَا السَّعَاءُ وَالْمَكَارُونَ

ثُمَّ فِي ٤ كَانُونِ الْأَوَّلِ لَاقَى الْهَاجُورُ وَبَسْمَانَ الْهَقِيمِ
حِينَئِذِي بَاكَامُوبِيُو لِجِهَابَةِ الصَّاحِحِ الْأَلْمَانِيَةِ الْهَسْتِرِ سَنَالِي
وَرَفِيقَهُ أَمِينٌ بِأَسَا عَلَى ضِفَافِ نَهْرِ كِيَهَانِي. فَأَمْتَطَى هَذَا النِّيْلَانِ
فِي الصَّاحِحِ الثَّانِي جَوَادِينَ مَطْهَبِينَ قَدَمَهَا لَهَا الْهَاجُورُ
الْهُومَا إِلَهَ وَسَارَ فِي مَعِينِهَا. ثُمَّ دَخَلَ أَجْمِيعًا مَعًا بَاكَامُوبِيُو
وَهِيَ مِينَاءُ زَنْجِيَارَ. وَكَانَتْ الْبَدِينَةُ مُزْدَانَةٌ بِالْأَعْلَامِ

وَأَغْصَانِ النَّخْلِ وَأَقْوَامِ الظَّفَرِ . وَكَانَ الْقَوْمُ يَجِيُونَ سَنَائِي
وَأَمِينَ بَاشَا نَحِيَاتِ الْهِنَافِ وَالنَّرْحَابِ . وَخَرَجَ لِهَلَاقَاتِهِمَا
الْقَوَادُ وَالْكَبْرَاءُ وَالْأَعْيَانُ مِنْ قِبَلِ إِمْبِرَاطُورِ الْهَانِيَا وَمَلِكَةِ
إِنْكَلْتَرَاوَمَلِكِ الْبَلِيكِ وَالْتَجَامِجِ الْعَلِيَّةِ . ثُمَّ أُطْلِقَتِ الْمَدَائِعُ
نَبْشِيرًا بِقُدُومِهَا . وَفِي الْمَسَاءِ أَدَبَ الْهَاجِرُ وَتَسَبَّحَتْ
مَادِبَةٌ أَيْقَةٌ لِضَيْفِهِ الْجَلِيلِينَ سَفَطًا فِي خِلَالِهَا مِنْ شُومِ
الطَّالِحِ أَيْبُنِ بَاشَا مِنْ طَاقَةِ الرَّذْهَةِ الْعُلْيَا الْمَرْتَفَعَةِ عَنِ
الْأَرْضِ نَحْوَ ٢٠ قَدَمًا فَأَغْبَى عَلَيْهِ وَنَهَشَهُ وَأُصِيبَ بِجِرَاحِ
خَطِرَةٍ أَشْرَفَ بِهَا عَلَى الْمَوْتِ . لَكِنَّهُ أَخَذَ بِعَافِي تَدْرِيجًا
نَحَتْ عِنَايَةَ الدُّكْتُورِ بَارَكٍ وَالطَّيِّبِ الْأَلْهَانِيِّ وَبَعْدَ عَشْرَةِ
أَيَّامٍ حَكَمَ الطَّيِّبَانِ بِزَوَالِ الْخَطَرِ

وَكَانَتْ تُؤَادُّ عَلَيَّ سَنَائِي وَأَمِينَ بَاشَا فِي خِلَالِ ذَلِكَ
رَسَائِلُ التَّهْنِئَةِ الْبَرَقِيَّةِ مِنْ سَائِرِ الْأَمْخَاءِ . وَأَقْرَأَ الْعَالَمُ
الْمُهَيِّدُ بِفَضْلِ الرَّجُلِ الْأَوَّلِ الَّذِي قَامَ بِأَعْمَالٍ تَكَادُ
تَفُوقُ طَاقَةَ الْبَشَرِ . وَمَدَّتْ أَيْدِي الْأَنْعَاطِ وَالرِّقَّةِ نَحْوَ
الرَّجُلِ الثَّانِي الطَّرِيحِ عَلَى فِرَاشِ الْأَسْقَامِ فِي حِينِ كَانَ
يَجِبُ أَنْ تَدُورَ بِهِ كُؤُوسُ الْأَفْرَاحِ وَالْمَسْرَاتِ . وَإِذَا رُمْنَا

إِفاضة الكلام في ما جرى لسناي في زنجبار ومصر وسائر
العواصم الأوربية من العجوة والأحفاة والكرامة اللاتفة
بملك جليل الشأن لشغل ذلك مجلدا كاملا. كما نجتري^(١)
عن الإسهاب برسالة تهنئة برفية وردت له من جلالة
ملكة إنكلترا وهي واحدة من الوف الرسائل التي طارت
إليه على أحنة البرق من ملوك وأمراء وعلماة ونبلاء بشار
اليهم بالبنان. أما مودى الرسالة الهنوة عنها فكما يأتي
” إن أفكاري لا تقا معك ومع أتباعك البلاء
الذين قد انتهى زمان مشقاتهم وأخطارهم فأهني^(٢) الجميع
تهنئة قلبية. وأهني أيضا زنجبار بين الشجان الباقين في
قيد الحياة الذين أبدوا ولاء وجلادة كهذه في رحلتكم
العجبة“

- (١) بفرغ (٢) القصر وكل بناء عال (٣) الجبل والبنال
والحيدر (٤) مكان كثير العشب (٥) ثقيلة باهظة (٦) بعد
(٧) مبالغة في الثقال (٨) خديعة وأغتيال (٩) مات (١٠) يطلمهم
(١١) اشجار عظيمة (١٢) غيضة او شجر كبير ملتفت (١٣) فصار
القائمة (١٤) مكان الجوع (١٥) يفسدون (١٦) انقم وانزوى
(١٧) الجبل العظيم الطويل (١٨) جمع أخدود وهي خرة مستطيلة

(١٩) رجع (٢٠) جبل (٢١) شجر عظام من شجر العضاة ترعاها
 الابل والطلع والموز (٢٢) الماء القليل على الارض لا عمق له (٢٣) قدوم
 وورود (٢٤) مهاشة او خصلة يرتاح بها اللدى (٢٥) ذبلت
 (٢٦) جمع رقيم اي كتاب او مكتوب (٢٧) بارعين في الجمال
 (٢٨) البيت الواسع (٢٩) نكتفي

حالة سوربة العلمية

جنان العلم فردوس الكمال
 وكثر العقل معرفة تنادي
 وفخر المرء بالدنيا احنوا
 ومهور رغبة الاوطان علم
 وفضل ما جنى فطين لبيب
 وغاية خلق باريسا لعبد
 فبالآداب تبيح البرايا
 فهبها للعارف فنجيبها
 ولا تأذن قوانا بالتراخي
 ألم تك أرضنا للعلم قطبا
 ألم ترفع صروح العلم فيها
 وم فامت ملاسنا قديما
 وقفر الجبل ماوية الضلال
 مينا للذي ينبغي نوالي
 على حسن الحامد والمخال
 يدور به مدى ونظام حال
 ثار حقائق لا كسب مال
 إذاعة مجده السامي الجلال
 وتسفر عن حيا ذي جمال
 وهزا بالمصاعب لا نبالي
 ولا تفك الفوس من الملال
 وللآداب في الحب الخوالي
 لواء عز عن ابي المال
 يجمع مكاتب مثل الرمال

وم نامت منا برنا ويا مت
 وسوريا رقت قدما لجد
 حبتها مئة الباري بقطر
 ولكن الزمان بقي عليها
 وسار العلم يبغي قطر غرب
 وحيته عشائره مجهد
 وقالت يا حياة العقل اقبل
 وتترك القلوب تحل فيها
 تناضل عنك يا خلا وقيا
 مدارسنا لعزك قد اقيمت
 واسرار الطبيعة قد تجلت
 وم طرحت منا حها الهم
 وم ولجت عنول في اراض
 عناصرها تجارت خادمت
 غدت سبل البحار له شهودا
 تطير بها طيور من بخار
 تفيض بضاعة من كل جسم
 وم طرحت معاملهم اثانا
 وم رجت نتائجها قودا
 وسلك البرق ضم شتات بعد
 وبات النور يجري في قناة
 فلاسفة سمت بشهر فضل
 فابنت العلوم رفاة حال
 وما هي قد انت نسي البنا
 بارباب التصاح في المال
 علا فلك الدراري في المال
 خصيب ذي رخاه واعتال
 فبادرت المعارف لارتجال
 فقبالة بعز واحتال
 ترفع عن قنور او كلال
 فحك بالكلام وبالفعال
 محلا بالكرامة والدلال
 برهف عرنا حق النضال
 مطابعا لشرك باشتغال
 عرائسها تنادي للوصال
 كنوزا في الوهاد وفي الجبال
 وعادت بالجوهر واللاي
 لتسي العقل بالبحر الحلال
 كذا طرق البراري والحلال
 تجول لشر اشغال الامالي
 تقوم برفع اقبال تقال
 بأجرة وآلات عجال
 تشيد مقام اوطان غوال
 فقرب يننا بعد الجبال
 وحكي المره طيرا في الامالي
 جابرة حكك امد الدحال
 غدا يطا الجهالة بالفعال
 تنادي في الهي يا للرجال

تَمَّعَ صَاحِرٌ بِي وَتَوَلَّى مَنِّي
وَدُونِكَ فِي ابْتِغَائِي فِرطَ جَهْدِي
وَدَعَى مَا كُنْتُ تَأَلَّفُ مِنْ خِيُولِي
فَقَوْمُوا يَا بَنِي الْاِطْوَانِ تَلْفِي
وَتَرْتَلُّوا الْغِلَاءَ قُلُوبَ قَوْمِي
وَجُتُّوا فِي الْعُلُومِ لَتُعْرَزُوا
وَدُونَكُمْ الصَّنَاعَاتُ أَنْ فِيهَا
يَمْلِكُ الصَّنَاعَةُ خَيْرٌ نَصِيرِي
يَفُوقُ سِلَاحُهَا عَمَلًا وَتَمَامًا
إِذَا حَسُنَتْ صَنَاعَتُنَا كُنْهِنَا
وَبَاتَ التَّقَرُّ مَقْتُولًا وَحَلَّتْ
أَمَّا بِالْغَرْبِ لِلشَّرْقِ ائْتِلَاءُ
بِعَيْشِكَ هَل رَأَيْتَ رُبُوعَ قَوْمِي
فَأَزَمَنَةُ الْغِبَاوَةِ قَدْ تَقَضَّتْ
فَقَطُّ يَا قَوْمُ يَلْزِمُنَا ثِبَاتٌ
وَإِحْكَامُ الصَّنَاعَةِ بِاعْتِنَاءِ
فِيصْبُحُ ذَا الْمَلَالِ يَنْبُرُ بَدْرًا
وَنُجُجُ مَا خَمْرَانَهُ يَجْهَلِي
نَبْشَرْنَا الْمَلَارِسُ قَائِلَاتِ
نَبْشَرْنَا الْجِرَائِدُ مَا تَقَاتِ
مَجَلَّاتِ الْعُلُومِ تَذِيغُ فِيهَا الِ
وَتَرْقِيَةُ الزَّرَاعَةِ خَيْرٌ أَمِيرِ
وَشُرَكَاتِ السَّرَاقَةِ بِهَا فَلَاحُ
بِأَعْمَالِ يَكُلُّ الْفَرْدُ عَمَهَا

غَفَى لَكَ لَمْ يَكُنْ يَخْطُرُ بِيَالِ
تَنَالُ بِوَجْهِ حَسَنِ الْمَالِ
سَقَطَتْ بِوَأَخْلَاقِ كَسَالِ
صَدِيقَتِنَا الْقَدِيمَةَ بِاِتِّبَالِ
لِفَرَقَتِنَا تَلَطَّتْ بِاشْتِمَالِ
فَمَا نَقِي الْعُلُومَ عَلَى الْوَبَالِ
نَجَاحًا لِلْعِيدِ وَاللَّوَالِي
مِيزَانِ لَا يَمْلِكُ الْقِتَالِ
سِلَاحَ الْمَشْرِفِيَّاتِ الْعَوَالِي
مَشَقَاتِ ائْتِرَابِ وَائْتِفَالِ
سِلَاسِلُ عَمْرِنَا خَيْرَ ائْتِفَالِ
أَمَّا يَجِدُونَا الْغُرَّ الْأَوَالِي
تَلْدُ بِلَا سَبَاقِ أَوْ تَزَالِ
وَعَصْرُ النُّورِ أَقْبَلَ كَالْمَلَالِ
وَكَدٌّ مَعَ سَخَاءِ وَاحْتِمَالِ
وَإِتْقَانُ الْفَنُونِ عَلَى التَّوَالِي
يَضِيءُ بِلَا خُشُوفِ أَوْ زَوَالِ
لَأَنَّ الدَّهْرَ كَالْحَرْبِ الْعِجَالِ
عِلَاجِي صِحَّةً بَعْدَ ائْتِفَالِ
غَلَائِي قُوَّةً بَعْدَ الْهَزَالِ
فَوَائِدُ دُونَ دَعْوَى وَائْتِفَالِ
نَبَاشِرُ دَرَسَةِ لِحْيِ الْفَلَالِ
نُصَمُّ بِهَا الْقُوَى دُونَ ائْتِفَالِ
وَقَصِيرِ الْمَسَافَاتِ الطَّوَالِ

| | | |
|------------|-------------------|---------------------------|
| وترجمة | لأبف منيد | بشد له النهى اقوى الرجال |
| خراثة | نبي أسي المعاني | مطالبة نبي كل السؤال |
| فلا قبل | لموطننا مقاماً | تراثنة الغباوة بالبال |
| فما مرقانا | للغز الأ | نازرتنا معاً في كل حال |
| على طلب | التقدم والترقي | بجسد واتحاد وامثال |
| وشحذ | سنان مبتنا كسيف | صقيل قاطع قطع الاتصال |
| وحتك | مطينا بالجد حتى | بيافينا النجاح بلا مطال |
| ونقم | من صناعتنا كنوزاً | بطل مليكنا مولى الموالى |
| ملك في | علائه اضاءت | شموس العلم في فلك المعالي |
| وقد أجا | المعارف في حمانا | فعاد الجهل في شر الكمال |
| فنسأل | رنا يفيد دوماً | كمال القهر بل فخر الكمال |

فهرس

الجزء الثاني

من

قلادة النحر في غرائب البر والبحر

| صفحة | | صفحة | |
|------|------------------------|------|-------------------------------------|
| ٢٦ | الاعاصير المائية * + | ٢ | نعر البحر وعمقه وقياسه وسكاته * + |
| ٢٨ | البحار الساكنة | ٧ | الوان البحر |
| | حياة البحر الحيوانية | ٨ | بهاء مناظر البحر |
| ٢٩ | النفاعيات | ١٠ | ملوحة ماء البحر وثقله * + |
| ٣٠ | البروتوزوا | ١٢ | كثافة مياه البحر وفوائده ملوحيه * + |
| ٣١ | الفوراميفيرا * + | ١٤ | حركة البحر |
| ٣٤ | الانفوسوريا | ١٥ | مجارى المياه وفعالها بالامواج |
| ٣٥ | الاصفنج + | ١٦ | صقة عاصفة * + |
| ٣٨ | البوليس او الهيدرا * + | ١٨ | تيار المخلج * + |
| ٤١ | الجزائر المرجانية | ٢١ | حرارة البحر |
| ٤٢ | مروحة البحر + | | الاجبر القطبية والجزائر والجمال |
| ٤٥ | سفر البحر * + | ٢٢ | الجمدية |
| ٤٧ | ريش البحر | ٢٤ | البحر السائل وراء القطبة الشمالية |

* للدلالة على انه مشكل + للدلالة على انه في رسوم

| صفحة | | صفحة | |
|------|-----------------------------|------|---------------------------------|
| ٨٥ | السك الرعاد + | ٤٧ | حجر التناع |
| ٨٦ | سك الكرة الشائك * | ٤٨ | المرجان الاحمر + |
| ٨٦ | صقة اسطول * | ٥٠ | ازهار البحر + * |
| ٩٠ | سك الانايب * | ٥٤ | المدوسا او عروس البحر + |
| ٩١ | سك القد * + | ٥٦ | زنايق النجم |
| ٩٢ | ذئب البحر | ٥٦ | سك النجوم + * |
| ٩٢ | سك السيف | ٦٠ | دود البحر |
| ٩٤ | كلب البحر + | ٦١ | الخطاط او الاخطبوط + |
| ٩٦ | عجل البحر + * | ٦٥ | الحيوانات المدرعة * |
| ١٠٠ | حصان البحر + | ٦٦ | سرطان جزائر الهند القرمية + |
| ١٠١ | خنزير البحر | ٧٠ | القريدس |
| ١٠٢ | كركدن البحر | ٧٠ | قنفذ البحر |
| ١٠٢ | البال + | ٧١ | الحيوانات الصدفية * + |
| ١٠٦ | خاتمة + | ٧٧ | الحلزون الجري او التراق |
| | خلاصة رحلة ستانلي الافريقية | ٧٨ | اصداق اللؤلؤ + |
| ١٠٨ | الحديثة قسم ١ | ٨٠ | لغز في درة * |
| | خلاصة رحلة ستانلي الافريقية | ٨١ | الاسماك التي تنشي على اليابسة * |
| ١١٨ | الحديثة قسم ٢ * | ٨٢ | الاسماك البانية الاوجرة |
| ١٢٨ | حالة سورية العلمية | ٨٤ | السك الطمار + |

